أحاديث أشراط الساعة وفقهها

(دراسة تأصيلية)

تأليف
الدكتور محمد بن عبيد بن عبيد

أحاديث أشراط الساعة وفقهها

(دراسة تأصيلية)

تأليف

الدكتور محمد بن غيث بن غيث

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

أصل هذا الكتاب أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة محمد الخامس بالمملكة المغربية كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط وقد تكونت لجنة المناقشة من السادة الأفاضل:

الأستاذ الدكتور عبد الرزاق الجاي رئيساً.

الأستاذ الدكتور محمد قجوي مشرفاً ومقرراً.

الأستاذ الدكتور عبد الحق يدير عضواً

الأستاذ الدكتور الجيلالي المريني عضواً

وأجيزت بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطباعة البحث

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١][1].

أما بعد:

فإن الإيمان بالساعة وأشراطها، ومعرفة علاماتها، وما يكون بين يديها، ينطوي تحت ركن الإيمان باليوم الآخر، الذي قرنه اللَّه تعالى في غير ما موضع من كتابه بتوحيده والإيمان به، وذلك أن الإيمان بأشراط الساعة، هو إيمان بمقدمات اليوم الآخر، وعلامات يستدل بها على قرب الساعة ودنوها، والحديث

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي علمها رسول اللَّه ﷺ أصحابه ﵃، رواها أحمد في المسند ح(٣٧٢٠) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حديث صحيح»، وابن ماجه في السنن، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، ح(١٨٩٢)، وأبوداود في السنن، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، والترمذي في السنن، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، ح(١١٠٥)، والنسائي في السنن، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، ح(٣٢٧٧).

عن الأشراط إنما هو تذكير بنهاية العالم، واستعداد لليوم الآخر، لاسيما إذا غفل الناس عن تذكر الآخرة، وألهتهم ملذات الدنيا.

قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان أمر الساعة شديدًا، وهولها مزيدًا، وأمرها بعيدًا، كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها، ولهذا أكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها، وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة، ونبه أمته وحذرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة»(١).

ومن هنا تبرز **أهمية الموضوع وأسباب اختياره**، والتي تتلخص فيما يلي:

١- كثرة اهتمام النبي ﷺ بأشراط الساعة، ولذلك كثرت الأحاديث في هذا الباب، ولم يخل مُصَنف في السنة إلا وفيه كتب وأبواب مخصصة للأشراط والفتن، حتى قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره»(٢)، وقال البرزنجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الأحاديث فلا تكاد تنحصر»(٣)، بل ألفت مصنفات مستقلة في ذلك، وما زال العلماء منذ القرون الأولى إلى يومنا هذا مهتمين بالتأليف في هذا الباب، ولم يخل قرن إلا وألف فيه كتاب أو أكثر، وذلك لأهميته وعظم حاجة الناس إليه، نظرًا لكثرة الفتن وتجددها.

٢- حاجة الناس - لاسيما في هذا العصر - لمعرفة أشراط الساعة، لعل ذلك يسهم في توجيه سلوكهم إلى سبيل الخير، والاستعداد ليوم المعاد، وذلك أن الإيمان بأشراط الساعة وعلاماتها الصحيحة الثابتة، جزء لا يتجزأ من الإيمان باليوم الآخر، والذي هو الآخر جزء لا يتجزأ من الإيمان بالغيب، ولا سيما إذا ابتعد الناس عن تذكر الآخرة واشتغلوا بالدنيا وملذاتها، فإن في أشراط الساعة المحسوسة التي تظهر ويراها الناس بأعينهم

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٦٥ - ٦٦).
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٣٣٥).
(٣) الإشاعة لأشراط الساعة ص(٢٦).

كما أخبر النبي ﷺ ما يعيد الناس إلى ربهم ويوقظهم من غفلتهم، قال البرزنجي رحمه الله: «لذا كان حقًّا على كل عالم أن يشيع أشراطها، ويبث الأحاديث والأخبار الواردة فيها بين الأنام، ويسردها مرة بعد أخرى على العوام، فعسى أن ينتهوا عن بعض الذنوب، ويلين منهم بعض القلوب، وينتبهوا من سنة الغفلة، ويغتنموا المهلة قبل الوَهلة»[١].

٣- وجود بعض الكتاب المعاصرين الذين أخذوا يشككون في بعض الأمور الغيبية، التي أخبر بها النبي ﷺ، ومنها بعض أشراط الساعة، أو يبعثون البدع والشبه التي تبناها الفلاسفة ونحوهم في هذا الباب، مما يوقع الجهلة في شراكهم، ويزعزع الاعتقاد عند بعضهم.

٤- اعتماد كثير من الكتاب على الأحاديث الواهية والموضوعة والإسرائيليات والشوارد، مما يوقع الناس في الاضطراب والشك، نظرًا لتعارض بعضها مع الواقع.

٥- تسرع كثير من الكتاب في تنزيل الأحاديث والآثار الواردة في وقائع وأسماء على وقائع معاصرة، وأشخاص بأعيانهم.

٦- وقوع كثير من التأويل والخطأ في كثير من الأشراط.

٧- انتشار روح التثبط والكسل عند البعض نظرًا لفهمهم الخاطئ لأشراط الساعة.

٨- عدم الوقوف على كتاب جامع لفقه أحاديث أشراط الساعة الصحيحة، وضوابط فهمها، والموقف الصحيح من الفتن، ورد الشبه والتأويلات المخالفة، ونقل كلام العلماء على ذلك.

٩- نشر لباب من أبواب العلم، وإسهام في المحافظة على عقائد الناس، لاسيما والبحث محكّم في جامعة عريقة، وفي زمان كثر الحديث فيه عن الفتن وأشراط الساعة.

---

(١) المصدر السابق ص(٢٦).

أهداف البحث:

تتلخص أهداف هذا البحث في النقاط الآتية:

١- تبصير الناس بدينهم في هذا الباب العظيم.

٢- ترسيخ ثقة المسلم بدينه، وأن العاقبة لهذا الدين، ولمن تمسك به.

٣- الوقوف على جانب من شمولية الإسلام، وصلاحه لكل زمان ومكان، وتبيانه لكل ما يحتاجه الناس في كل الأزمان.

٤- معرفة عظم نصح النبي ﷺ لأمته ببيانه الفتن والأشراط كأنما ترى رأي العين، وبيان ما يجب عند ظهورها.

٥- تنقية هذا الباب من الأحاديث الواهية والموضوعة والأقوال الشاذة.

٦- دفع الإشكال والتعارض عن ظاهر بعض النصوص.

٧- معرفة القواعد والضوابط التي تفهم بها أحاديث الفتن وأشراط الساعة.

٨- ربط الناس بفهم العلماء والأئمة في هذا الباب لمعرفة أقدارهم، ورد ما يخالف سبيلهم.

الدراسات السابقة:

تميز هذا الباب من الدين بكثرة الدراسات والمؤلفات فيه، نظرًا لكثرة الأحاديث وتنوعها، وعظم حاجة الناس لكثرة الفتن وتجددها، ولكن الغالب على هذه الكتابات أنها ضمن مؤلف يسرد صاحبه فيه الأحاديث، وتكون خالية من التعليق إلا ما ندر من تفسير للغريب، وهذا حال أكثر المؤلفات القديمة، كأصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ونحوهم، وأما الكتابات المتأخرة والمفردة فأكثرها جمع بلا تمحيص، ولا تخلو من نقص وعدم استقراء، أو أنها تتناول شرطًا واحدًا فقط، أو جزءًا من الأشراط، والباب يحتاج إلى دراسات ودراسات.

إشكالات البحث:

تتلخص إشكالات البحث في الآتي:

١- كثرة الأحاديث المتنوعة، وسعة مصادرها، بحيث يصعب حصرها جدًّا.

٢- كثرة الأحاديث المتكلم فيها في هذا الباب، مما يتطلب جمع أقوال العلماء، وتقصي الأمر أحيانًا.

٣- عدم الوقوف على كلام للعلماء على كثير من الأحاديث.

٤- كثرة المسائل المتفرعة من الأحاديث.

٥- دراسة الأشراط الصغرى من حيث الوقوع وعدمه، ووضع ذلك في الباب المناسب، وتبرير ذلك، نظرًا لاختلاف كلام العلماء في ذلك وتعارضه.

٦- الجمع بين الروايات المختلفة في ألفاظ الأحاديث نظرًا لقلة من يشير إليها من العلماء.

٧- الجمع بين أقوال العلماء في فهم معنى بعض الأشراط أو تحديد زمنها.

٨- كثرة الشبه والاعتراضات المثارة حول بعض الأشراط.

٩- جمع كل ألفاظ الحديث الصحيحة التي يفهم بها النص.

١٠-جمع كلام العلماء وتمحيصه والانتقاء منه، ووضعه في المكان المناسب.

١١-ترتيب الأشراط الصغرى في كل باب، واختيار المكان المناسب لكل شرط.

١٢-استخراج القواعد والضوابط من النصوص وأقوال العلماء.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الآتي:

١- قمت بقراءة ما أمكنني من كتب الحديث والأشراط، مستخرجًا العناوين للأشراط والفوائد من كل كتاب، مدونًا ذلك في بطاقات مفردة لكل كتاب،

ثم جمعت ما في البطاقات من أشراط، ودونت إحالات الفوائد في كل ما قرأت من كتب تحت كل شرط.

٢- جمعت الأحاديث المتعلقة بكل شرط، وتتبعت ألفاظها في مظانها، مقتصرًا على الأحاديث التي فيها إشارة إلى الساعة، مثل: من أشراط الساعة، من اقتراب الساعة، بين يدي الساعة، لا تقوم الساعة، ونحو ذلك، ونظرت في أقوال العلماء وحكمهم عليها، فأبعدت ما حكموا بضعفه، أو ما أغنى عن لفظه ما في الصحيح.

٣- خرَّجت الأحاديث من مصادرها الأصلية، ذاكرًا الكتاب والباب ورقم الحديث للصحيحين وأصحاب السنن الأربعة، ومكتفيًا برقم الحديث في البقية، خلا الحاكم في المستدرك فقد اعتمدت على رقم الجزء والصفحة لاعتماد من وقفت عليه من المحققين على ذلك، ولم أخالف سنتهم، وكذا في الأجزاء الأخيرة من معجم الطبراني الكبير، لاستئناف العد فيها من جديد، فذكرت رقم الحديث مع ذكر الجزء والصفحة حتى لا يقع لبس مع الأجزاء الأولى.

٤- إذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما أكتفي بتخريجه منهما ولا أذكر بقية المصادر، إلا إذا كان فيها زيادة خرجت الحديث من أجلها، فأذكره مع الصحيحين وأشير إلى مصدر لفظه.

٥- لا أتتبع مواضع الحديث في صحيح البخاري، وإنما أخرجه من الباب الذي سيق الحديث من أجله، وهذا في الغالب إلا ما ندر مما فيه زيادة بيان، أو لفظ مقصود.

٦- ذكرت أحكام العلماء على الأحاديث في خارج الصحيحين، ولم أستثن عالـمًا وإنما أذكر قول كل من وقفت عليه، هذا في المعاصرين، وأما من سبق كابن كثير وابن حجر فقد أكتفي بقولهم ولا أذكر معهم أحدًا.

٧- شرحت غريب الحديث، معتمدًا على كتب الغريب واللغة وشروح الحديث، ولكن أشرح غريب كل باب في الغالب في بابه، فمثلًا أحاديث الدجال الطويلة، أشرح الغريب المتعلق بالدجال فيها عند ذكر الدجال، وأشرح الغريب المتعلق بعيسى عليه السلام فيها عند ذكره في موضعه.

٨- أجمع ما أقف عليه من أقوال للعلماء حول كل شرط، والفوائد التي وقفت عليها من قبل، ثم أرتبها وأؤلف بينها وأحذف منها ما أراه غير مناسب للبحث أو لحجمه، وأكتفي بما فيه غنية عن بعض، وأشير إلى بعضها في الحاشية، وأرد كلام العلماء بعضهم ببعض، فكلامهم أوقع في النفس، وأدعى للقبول من كلام من سواهم، والمقصود تبليغ العلم، وبيان الدين.

٩- لا أذكر العلماء إلا بأسمائهم المجردة أو ألقابهم التي اشتهروا بها، كابن كثير وابن حجر وابن تيمية، والقرطبي، والنووي ونحو ذلك، جريًا على سنة المؤلفين من السلف والأئمة، مع الترحم على الجميع، ولا أذكر الترحم في الحاشية.

١٠- عقبت على بعض الأشراط الصغرى بكلمات وعظية يسيرة، جريًا على سنة كثير من العلماء ممن ألف في الأشراط، كالقرطبي ونحوه، وذلك أن الأشراط سياط تبعث من الغفلة، ومقدمات توقظ القلوب، وهذا من مقاصد هذه الأطروحة.

١١- عقَّبت الأشراط التي فيها توجيهات شرعية عند وقوعها بذكر التوجيهات والمسالك الشرعية، كما ذكرت المبشرات النبوية في مواضعها، ولم أفردها بمبحث مستقل لعدم تناسب ذلك، ودفعًا للتكرار.

١٢- نبهت على الأقوال الضعيفة التي أخطأ فيها بعض أهل العلم، وفي الغالب أرد بكلام غيرهم من العلماء، وأما الأقوال الباطلة التي أصحابها مغمورون ولا يعرفون بالعلم فلا أذكرها أصلًا، وقد أمثِّل ببعضها في

الحاشية لبيان عظم المخالفة والخروج عن أقوال العلماء.

١٣- جعلت الأحاديث أصلًا أستفتح بها المباحث بعد العناوين، وذلك أن هذه الأطروحة تقوم على الأحاديث أصلًا، وأكثر الأحاديث واضحة لا تحتاج إلى تقدمة، وقد لا يكون في المبحث إلا حديثٌ واحد، وأما إذا تنوعت الأحاديث في المبحث الواحد كأحاديث الفتن والأشراط الكبرى فإني أقدم بمقدمة يسيرة.

١٤- ضبطت الآيات بالشكل، وعلى رسم المصحف، وجعلت تخريجها على السطر نفسه، وكذا ضبطت شكل الأحاديث.

١٥- ترجمت للأعلام خلا الصحابة والمشهورين من الأئمة، وميزت الصحابة بالترضي عنهم.

١٦- رتبت الأشراط بحسب ما توصلت إليه، بعد دراسة كل شرط، مستندًا على دلالة النصوص، وأقوال العلماء، وضوابط أشراط الساعة، وهذا من أصعب الأمور؛ لأنه لم يأت ترتيب غالبها في النصوص، وأقوال العلماء في كثير منها متعارضة، أو منعدمة لا توجد.

١٧- تعاملت في المصادر والمراجع على طبعة واحدة، إلا في صحيح مسلم، ومستدرك الحاكم، فاعتمدت على طبعتين.

١٨- ختمت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج والتوصيات.

١٩- فهرست للآيات على حسب ورودها بترتيب السور، وضممت الآثار مع الأحاديث وميزتها بالكتابة أمامها هكذا (أثر)، ورتبت المصادر والمراجع على حروف المعجم للمصدر، ثم أذكر المؤلف والمحقق، ودار النشر، وبلدها، وسنة الطبع.

خطة البحث

وهي مشتملة على: مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

المقدمة:

وفيها:

- الخطبة.
- أهمية الموضوع وسبب اختياره.
- أهداف البحث.
- الدراسات السابقة.
- إشكالات البحث.
- منهج البحث.
- خطة البحث.

الباب التمهيدي:

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مقدمات في علم الساعة:

المبحث الأول: أهمية الإيمان بأشراط الساعة وثمرات ذلك:

المطلب الأول: أهمية الإيمان بأشراط الساعة

المطلب الثاني: ثمرات الإيمان بأشراط الساعة

المبحث الثاني: إخبار النبي ﷺ عن الغيوب المستقبلية

المبحث الثالث: وجوب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ

المبحث الرابع: علم الساعة

المبحث الخامس: قرب الساعة

الفصل الثاني: مقدمات في أشراط الساعة:

المبحث الأول: تعريف أشراط الساعة

المبحث الثاني: أقسام أشراط الساعة

المبحث الثالث: الضوابط الشرعية في التعامل مع نصوص الفتن وأشراط الساعة وتنزيلها على الوقائع

الباب الأول: أشراط الساعة الصغرى:

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الأشراط الصغرى التي ظهرت وانقضت:

المبحث الأول: بعثة النبي ﷺ

المبحث الثاني: انشقاق القمر

المبحث الثالث: موت النبي ﷺ

المبحث الرابع: فتح بيت المقدس

المبحث الخامس: طاعون عَمَواس

المبحث السادس: استفاضة المال في زمن الصحابة ﭬ

المبحث السابع: الفتنة التي دخلت كل بيت

المبحث الثامن: اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين

المبحث التاسع: ظهور نار الحجاز

المبحث العاشر: قتال الترك والعجم ومن ينتعلون الشعر

الفصل الثاني: الأشراط الصغرى التي ظهرت مباديها ولم تنقض بعد:

المبحث الأول: ظهور الفتن

المبحث الثاني: ظهور مدعي النبوة والكذب على رسول الله ﷺ

المبحث الثالث: انتشار الأمن

المبحث الرابع: التحية على المعرفة

المبحث الخامس: ولادة الأمة ربها أو ربتها

المبحث السادس: التطاول في البنيان

المبحث السابع: زخرفة المساجد وتزيينها والتفاخر بها

المبحث الثامن: الرئاسة والمكانة في الأعراب والبدو وأهل الجهل

المبحث التاسع: ذهاب الصالحين وقلتهم، وكثرة الأشرار وتسلطهم

المبحث العاشر: اتباع سنن الأمم الماضية

المبحث الحادي عشر: كثرة التجارة وفشوها وتقارب الأسواق

المبحث الثاني عشر: ظهور الفحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة، والتناكر بين الناس

المبحث الثالث عشر: كثرة الشح

المبحث الرابع عشر: رفع العلم وظهور الجهل

المبحث الخامس عشر: التماس العلم عند الأصاغر

المبحث السادس عشر: كثرة الكتابة وانتشارها

المبحث السابع عشر: ظهور الزنا وانتشاره

المبحث الثامن عشر: كثرة شرب الخمر

المبحث التاسع عشر: ظهور المعازف واستحلالها

المبحث العشرون: ظهور الكاسيات العاريات

المبحث الحادي والعشرون: كثرة القتل

المبحث الثاني والعشرون: ظهور الربا

المبحث الثالث والعشرون: ضياع الأمانة ورفعها

المبحث الرابع والعشرون: كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق

المبحث الخامس والعشرون: ظهور موت الفجأة

المبحث السادس والعشرون: تقارب الزمان

المبحث السابع والعشرون: التشدق في الكلام، والتكسب باللسان

الفصل الثالث: الأشراط الصغرى التي لم تظهر بعد:

المبحث الأول: انتفاخ الأهلة

المبحث الثاني: حسر الفرات عن جبل من ذهب

المبحث الثالث: خروج القحطاني والجهجاه

المبحث الرابع: كثرة المطر وقلة النبات

المبحث الخامس: ظهور الخسف والمسخ والقذف في هذه الأمة

المبحث السادس: تمني الموت من شدة البلاء والفتن

المبحث السابع: صدق رؤيا المؤمن

المبحث الثامن: كثرة الزلازل والموت

المبحث التاسع: خروج المهدي ونزول الخلافة بالشام

المبحث العاشر: كثرة الروم وقتالهم المسلمين (الملحمة الكبرى)

المبحث الحادي عشر: فتح القسطنطينية ورومية

المبحث الثاني عشر: كثرة النساء وقلة الرجال

المبحث الثالث عشر: قتال اليهود واستئصالهم

المبحث الرابع عشر: عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا

المبحث الخامس عشر: كلام الجمادات والدواب

المبحث السادس عشر: الريح التي تقبض أرواح المؤمنين

المبحث السابع عشر: هدم الحبشة للكعبة في آخر الزمان

المبحث الثامن عشر: نفي المدينة لشرارها ثم خرابها آخر الزمان

المبحث التاسع عشر: عودة الشرك إلى الأرض

الباب الثاني: أشراط الساعة الكبرى:

وفيه تمهيد وفصلان:

الفصل الأول: الأشراط الكبرى الأرضية:

المبحث الأول: خروج المسيح الدجال - عليه لعنة اللَّه -

المبحث الثاني: خروج يأجوج ومأجوج

المبحث الثالث: الخسوفات الثلاثة

المبحث الرابع: خروج الدابة

المبحث الخامس: النار التي تحشر الناس

الفصل الثاني: الأشراط الكبرى السماوية:

المبحث الأول: نزول المسيح عيسى بنُ مريم عليه السلام

المبحث الثاني: طلوع الشمس من مغربها

المبحث الثالث: الدخان

الخاتمة:

لخَّصت فيها أبرز نتائج البحث وعرضت لبعض التوصيات.

ذيَّلت البحث بعد ذلك بفهارس اشتملت على:

أ- فهرس الآيات القرآنية

ب- فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار

ج- ثبت المصادر والمراجع

د- فهرس لمحتويات البحث

هذا ومن نافلة القول أن هذا البحث لا يخلو من الخطأ والزلل والنقصان، كما هي طبيعة البشر، ويأبى اللَّه العصمة لكتاب غير كتابه، قال المزني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قرأت كتاب الرسالة على الشافعي ثمانين مرة، فما من مرة إلا وكان يقف على خطأ، فقال: هيه! أبى اللَّه أن يكون كتابًا صحيحًا غير كتابه»(١)، وقال عبدالرحيم البَيساني المعروف بالقاضي الفاضل رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غيِّر هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر»(٢).

فما كان فيه من حق وصواب فمن اللَّه وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، واللَّه ورسوله ودين الإسلام براء منه، وأستغفر اللَّه جل وعلا.

وختامًا: أتوجه بالشكر الجزيل إلى والدي الكريمين على ما أولياني من حسن رعاية، وجميل تربية، ودعوات متوالية، مما يعجز القلم عن كتابته، واللسان عن ذكره.

كما أتقدم بجزيل الشكر وعاطر الثناء لسيدي صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان رئيس الدولة وأخيه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة على اهتمامهما بأبنائهم الطلبة والموظفين الذين يواصلون مسيرتهم التعليمية ودعمهما المتواصل لهم، كما أتقدم بالشكر والتقدير لراعي مسيرة العلم في هذه البلاد المباركة المغرب العربي جلالة الملك محمد السادس - نصره اللَّه - فقد احتضنتني هذه البلادُ المباركةُ وشعبُها الكريم طيلةَ سنوات دراستي، مع توفيرها

---

(١) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي (١/ ٩ - ١٠)، وانظر كتاب «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/ ٨).

(٢) أبجد العلوم (١/ ٧٠).

كافة السبل والإمكانات اللازمة في جو من الأمن والأمان، أسأل اللَّه أن يحفظ هذه البلاد وسائر بلاد المسلمين.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لمعالي مدير جامعة محمد الخامس، والقائمين على كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وأساتذتي الذين تلقيت العلم عنهم، وأخص بالذكر منهم أستاذي الفاضل الموقر/ محمد قجوي، الذي تفضل بقبول الإشراف على رسالتي، وغمرني بلطفه وجميل كرمه، وعمني بتوجيهه ونصحه، فجزاه اللَّه عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى رئيس لجنة المناقشة وأعضائها الأفاضل، لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، حيث لا غنى لي عن ملحوظاتهم وتوجيهاتهم لإثراء هذا البحث، كل ذلك مع ضيق وقتهم وكثرة ارتباطاتهم ومشاغلهم العلمية.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لسفارة دولة الإمارات العربية المتحدة بالرباط على ما تبذله من جهود لتذليل الصعاب والسعي في مصالح الطلاب.

ثم إنه لا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بشكري وعظيم امتناني إلى كل من أسدى إلي فائدة، أو أعانني بمراجعة، فجزى اللَّه الجميع خير الجزاء، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباب التمهيدي

الفصل الأول: مقدمات في علم الساعة

الفصل الثاني: مقدمات في أشراط الساعة

الفصل الأول
مقدمات في علم الساعة

المبحث الأول: أهمية الإيمان بأشراط الساعة وثمرات ذلك

المبحث الثاني: إخبار النبي ﷺ عن الغيوب المستقبلية

المبحث الثالث: وجوب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ

المبحث الرابع: علم الساعة

المبحث الخامس: قرب الساعة

المبحث الأول
أهمية الإيمان بأشراط الساعة وثمرات ذلك

وفيه مطالب:

المطلب الأول: أهمية الإيمان بأشراط الساعة

المطلب الثاني: ثمرات الإيمان بأشراط الساعة

المطلب الأول
أهمية الإيمان بأشراط الساعة

إن أهمية الإيمان بأشراط الساعة تأتي من أهمية الإيمان باليوم الآخر، وذلك أن الإيمان بأشراط الساعة هو إيمان بمقدمات اليوم الآخر، فالأشراط جزء من اليوم الآخر، وقد جعلها اللَّه مقدمات لقيام الساعة وعلامات يستدل بها على قربها ودنوها، وقد جمع اللَّه بين الأمرين بقوله: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ ﴾ [محمد: ١٨].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: فهل ينظر هؤلاء المكذبون بآيات اللَّه من أهل الكفر والنفاق إلا الساعة التي وعد اللَّه خلقه بعثهم فيها من قبورهم أحياء، أن تجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها، والمعنى: هل ينظرون إلا الساعة، هل ينظرون إلا أن تأتيهم بغتة.

وقوله: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ﴾ يقول: فقد جاء هؤلاء الكافرين باللَّه الساعة وأدلتها ومقدماتها»(١).

والإيمان بالساعة واليوم الآخر أصل من أصول الإيمان، وركن من أركانه، وأساس من أسس الرسالة الإلهية، قال اللَّه تعالى عن رسله: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ٢٠٦).

لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ [الزمر: ٧] وقال سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

وقد قرن اللَّه تعالى الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر في مواطن عدة من كتابه، مثل قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [الطلاق: ٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ١٨].

كما أنه توعد المنكرين له بالعذاب الشديد، وحكم عليهم بالضلال البعيد، فقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (١٠) ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ (١٢)﴾ [المطففين: ١٠ - ١٢] وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا (١٣٦)﴾ [النساء: ١٣٦] وقال عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ (١٨)﴾ [الشورى: ١٨] كما أنه في المقابل مدح المؤمنين به وجعلهم من المهتدين المفلحين، قال تعالى: ﴿الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٥)﴾ [البقرة: ١ - ٥] كما أنه ربط البرّ به فقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وأقام البراهين عليه، ونوّع ذلك، وأكثر من ذكره، حتى إنك قلَّ أن تمر بصفحة من كتاب اللَّه إلا وتجد فيها حديثًا عن اليوم الآخر، وأدلة ذلك أكثر من أن تذكر.

وكلما ازداد الإنسان إيمانًا ويقينًا باليوم الآخر، ازداد حرصًا على الأعمال الصالحة، وابتعادًا عن الأعمال السيئة، وهذا من أعظم آثار الإيمان باليوم الآخر على الإنسان، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا (٣٨) فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ (٤١)﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

فالإيمان بأشراط الساعة إنما كسب أهميته من الإيمان باليوم الآخر، إذ هي مقدمات محسوسة تدل على اليوم الآخر، وتعين على الإيمان به، والحديث عن

الأشراط إنما هو تذكير بنهاية العالم، واستعداد لليوم الآخر، لاسيما إذا ابتعد الناس عن تذكر الآخرة، وألهتهم الدنيا وملذاتها، جاءت الأشراط لتقول للناس: انتبهوا لا تفجأكم الساعة بغتة، فقد جاء أشراطها.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء - رحمهم اللّه تعالى -: والحكمة في تقديم الأشراط ودلالة الناس عليها وتنبيه الناس عن رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك الفوارط منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانفطموا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، واللّه أعلم.

وتلك الأشراط علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها»(١).

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحكمة في تقديم الأشراط إيقاظ الغافلين، وحثهم على التوبة والاستعداد»(٢).

وقال السفاريني(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان أمر الساعة شديدًا، وهولها مزيدًا، وأمرها بعيدًا، كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها، ولهذا أكثر النبي ﷺ من بيان أشراطها وأماراتها، وأخبر عما بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة، ونبه أمته وحذرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة»(٤).

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٣/ ١٢١٧).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٥٠).

(٣) هو: «محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان، السفاريني الشهرة والمولد، النابلسي الحنبلي، الشيخ الإمام العلامة، صاحب التآليف الكثيرة، والتصانيف الشهيرة، ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة أربع عشرة ومائة وألف، ونشأ بها، ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم، ثم رجع وتوطن نابلس، من تآليفه: «معارج الأنوار في سيرة النبي المختار»، و«غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب»، و«البحور الزاخرة في علوم الآخرة»، و«كشف اللثام في شرح عمدة الأحكام»، و«نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار»،... وفاته في شوال سنة ثمان وثمانين ومائة وألف بنابلس، ودفن بتربتها الشمالية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى». سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لأبي الفضل المرادي (٤/ ٣١ - ٣٢).

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٦٥ - ٦٦).

المطلب الثاني
ثمرات الإيمان بأشراط الساعة

لا يخفى على أحد أن الدين الإسلامي هو آخر الأديان، وأن نبينا محمدًا ﷺ آخر الأنبياء والرسل، وقد جاء الإسلام صالحًا لكل زمان ومكان، وتبيانًا لكل شيء، ولذلك نعتقد اعتقادًا جازمًا أن الضرورة التي أخبر النبي ﷺ لأجلها بالفتن والأشراط التي تكون قبل الساعة - وهي متمثلة في تنبيه الغافلين، وحثهم على الاستعداد ليوم الدين، وأخذ الحذر من اتباع سبل الزيغ والضلال المبين - من صميم الدين الذي جاء به النبي ﷺ، ولهذا السبب اهتم الصحابة بعلم ذلك اهتمامًا بالغًا، وشغلوا أنفسهم به تعلمًا وتعليمًا ودراسة وتحديثًا، فهذا حذيفة رضي الله عنه يقول: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا. قَالَ: «نَعَمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَرَى إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[١].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ح(٧٠٨٤)، ومسلم، كتاب الإمارة، =

وكان نتيجة ذلك أن حدَّث بكثير من أحاديث الفتن والأشراط، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: «إِنِّي لَأَرْجُو إِنْ طَالَتْ بِي حَيَاةٌ أَنْ أُدْرِكَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنْ عَجِلَ بِي مَوْتٌ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ»(١)، تحقيقًا لنزوله، واهتمامًا بالأمر.

وهكذا اهتم التابعون ومن بعدهم، وتكاثرت المؤلفات عبر قرون الأمة كلها في هذا الأمر، واهتموا به غاية الاهتمام، وذلك أن ابتعاد الناس عن قراءة هذه الأحاديث والحوادث يمد في آمالهم، ويُضْعِف مكانة الساعة في قلوبهم، وقد يستبعدون الأمر، وينكرون الوقوع، وهذا شيء ملاحظ خاصة في زماننا، فقد وُجد من ينكر كثيرًا من الأشراط الثابتة، أو يستخف بها، أو يحاول التقليل من أهمية الاشتغال بذلك، زاعمًا أنها قليلة الفائدة، وأنها هروب من مواجهة الحقائق التي يعيشها المسلمون، وهذا في الحقيقة سوء فهم للحقائق، ودليلُ بعد عن معرفة وقراءة أحاديث الفتن والأشراط، وإلا فمن نظر في هذه الأحاديث - مع كثرتها وتنوعها وشمولها - نظر المستبصر، تجلت له عظمة الإسلام، ورحمته، وسعته، ومدى حاجة الناس اليه، وإلى تعاليمه - لا سيما مع اقتراب الساعة ودنوها، وكثرة الفتن وفشوها - ورأى ضرورة الاهتمام بهذا الجانب، وبثه في الناس، ونحن إنما نلتمس بعض الثمرات الظاهرة، والفوائد النافعة، للدلالة على أهمية ذلك، مع قصور فهومنا ونقص إدراكنا، وإلا فأسرار كلمات النبوة فوق ما يخطر بالبال، إذ لا يزال العلماء ينهلون من مشكاتها، ويستنبطون من ألفاظها، وسيبقى هذا الأمر ما بقي هذا الدين الخالد.

ومن هذه الثمرات والفوائد:

= باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن، ح(١٨٤٧).

(١) رواه أحمد ح(٧٩٧١، ٧٩٧٨) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح على شرطهما»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٥): «رواه أحمد مرفوعًا وموقوفًا ورجالهما رجال الصحيح».

١- تحقيق الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ:

وذلك أن الإيمان بالله ورسوله لا يتم بل لا يكون إلا بتصديق خبرهما.

٢- تحقيق الإيمان باليوم الآخر:

باعتبار أن أشراط الساعة من مقدمات اليوم الآخر، كما تقدم.

٣- تحقيق الإيمان بالغيب:

وذلك أن الأشراط من الغيب الذي جاء به الوحي، ومن أوصاف المؤمنين أنهم: يؤمنون بالغيب، وبالآخرة هم يوقنون.

٤- تحقيق الإيمان بنبوة نبينا ﷺ:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إلا اللَّه، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فإذا فَعَلُوا ذلك عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ على اللَّهِ».(١)

ومن المعلوم أن الإخبار عن الغيوب المستقبلية، ثم وقوعها على وفق الخبر، من أهم دلائل النبوة، حيث إنها لا تُدرك بالعقل، ولا يمكن معرفتها إلا بالوحي الصادق من الله عز وجل، لا سيما وهي تقع بتفصيلاتها الدقيقة، تفصيلًا لا يخرمه المستقبل ولا في جزء من أجزائه، ولا يقوم على تخرصات أو مقدمات تؤدي إلى نتائجها، وحينئذ فلا شك أنها نبوة متصلة بالله تعالى عالم الغيب والشهادة القائل: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

٥- تثبيت أهل الإيمان، وزيادة يقينهم وإيمانهم:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه، ح(٢١).

وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

فوقوع الأحداث على وفق إيمان المؤمن، وتحقق الوعود المستقبلية، له أثر عظيم في ثبات أهل الإيمان، وطمأنينة قلوبهم، وزيادة يقينهم وإيمانهم.

قال التويجري[1] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وظهور المعجزات بعد زمان النبوة - ولا سيما في هذه الأزمان البعيدة من زمنه ﷺ - مما يزيد المؤمنين إيمانًا به، وتصديقًا بما أخبر به من الغيوب الماضية والغيوب الآتية مما لم يقع بعد»[2].

٦- المسارعة إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى:

حيث إن الساعة والموت لا يأتيان إلا بغتة، قال الله تعالى عن الساعة: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٧ - ١٨]، وقال عن الموت: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا أو الدُّخَانَ أو الدَّجَّالَ أو الدَّابَّةَ أو خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ[3] أو أَمْرَ الْعَامَّةِ[4]»[5].

---

(١) هو العلامة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري النجدي، من العلماء المعاصرين، له عدة مصنفات من أشهرها: «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن وأشراط الساعة»، توفي بالرياض سنة ١٤١٣هـ. انظر: موقف المسلم من الفتن ص(٨٠).

(٢) إتحاف الجماعة (١/ ٧).

(٣) «المراد حادثة الموت التي تخص المرء، وصغرت لاستصغارها في جنب سائر الحوادث العظام من البعث والحساب وغير ذلك». الفائق في غريب الحديث (١/ ٣٧٦).

(٤) قال في النهاية (٣/ ٣٠٢): «أراد بالعامة القيامة لأنها تعم الناس بالموت».

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(٢٩٤٧).

وفي رواية: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا الدَّجَّالَ وَالدُّخَانَ وَدَابَّةَ الأرض وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَأَمْرَ الْعَامَّةِ وَخُوَيِّصَةَ أَحَدِكُمْ»[١] أي موتكم، وصغَّره لاحتقاره في جنب ما معه،[٢] فمن آمن بذلك، وعلم أن الساعة حق قريب، بادر بالتوبة والإنابة.

٧- الاجتهاد في العمل الصالح، وأخذ أسباب النجاة، واجتناب التواكل:

وذلك أن النبي ﷺ حث على العبادة والاجتهاد فيها عند وقوع الفتن، فعن مَعْقِل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»[٣]، وفي رواية: «الْعَمَلُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»[٤].

ومن الأدلة الواضحة على أن التصديق بأشراط الساعة يكون حاملًا على الاجتهاد في العمل قوله ﷺ المتقدم: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا أو الدُّخَانَ أو الدَّجَّالَ أو الدَّابَّةَ أو خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أو أَمْرَ الْعَامَّةِ».

قال القاضي عياض رحمه الله: «أمرهم أن يبادروا بالأعمال قبل نزول هذه الآيات، فإنها إذا نزلت أدهشت وأشغلت عن الأعمال، أو سد عليهم باب التوبة وقبول العمل»[٥].

وقال العلائي[٦] رحمه الله: «مقصود هذه الأخبار الحث على البداءة بالأعمال قبل حلول الآجال، واغتنام الأوقات قبل هجوم الآفات»[٧].

---

(١) المصدر السابق ح(٢٩٤٧). (٢) انظر: فيض القدير (٣/ ١٩٤).
(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فضل العبادة في الهرج، ح(٢٩٤٨).
(٤) رواها أحمد في المسند، ح(٢٠٢٩٨).
(٥) نقلاً عن «مرقاة المفاتيح» (١٠/ ١٠٥)، ولم أجده في كتب القاضي رحمه الله.
(٦) هو المحدث الفاضل البحاث، أبو سعيد خليل بن كيكلدي الدمشقي العلائي، ولد في دمشق، من أشهر مؤلفاته: المجموع المذهب في قواعد المذهب، وكتاب الأربعين في أعمال المتقين، توفي سنة ٧٦١هـ. انظر: شذرات الذهب (٦/ ١٩٠).
(٧) نقلاً عن «فيض القدير» (٣/ ١٩٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ»(١).

قال النووي رحمه الله: «معنى الحديث الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن، وهو أنه يمسي مؤمنًا ثم يصبح كافرًا أو عكسه، شك الراوي، وهذا لعظم الفتن، ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب، والله أعلم»(٢).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا يَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ - لِكَيْ يُصَلِّينَ، رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»(٣).

قال ابن حجر رحمه الله: «وفي الحديث الندب إلى الدعاء والتضرع عند نزول الفتنة، ولاسيما في الليل، لرجاء وقت الإجابة لتكشف، أو يسلم الداعي ومن دعا له»(٤).

فالعبادة من أسباب دفع الفتن، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، والشرع جاء بالحث على العمل ما أمكن، بل بلغ الحرص بالنبي ﷺ إلى أن يقول: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»(٥).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ح(١١٨).

(٢) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ١٣٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ح(٧٠٦٩).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٢٣).

(٥) رواه أحمد (٢٠/ ٢٥١) ح(١٢٩٠٢)، والبخاري في الأدب المفرد، ح(٤٧٩)، والطيالسي، ح(٢٠٦٨)، والبزار، ح(٧٤٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح(٩).

فهذا في حال لفْظ الدنيا أنفاسها، فكيف إذا كان بين الإنسان وبينها أزمنة لا يعلمها إلا اللَّه عز وجل، فالمسلم يغتنم لحظاته، ويبادر بالصالحات، ويأخذ بأسباب النجاة، ويعمل ما أُمر به، ويبادر الفتن والأشراط، وقد ظن الصحابة رضي الله عنهم أن الدجال خارج فيهم، وأنهم سيدركون ابن مريم، وأن الساعة ستدركهم، فكان هذا حافزًا لهم على التشمير في العمل، وقد ذم اللَّه الغفلة عند اقتراب النهاية، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١].

قال داود بن أبي داود[١] رحمه الله: قال لي عبد اللَّه بن سلام: «إنْ سمعت بالدجال قد خرج وأنت على وَدِيَّة تغرسها، فلا تعجل أن تصلحها، فإن للناس بعد ذلك عيشًا»[٢].

وعن الحارث بن لقيط[٣] رحمه الله قال: «كان الرجل منا تنتج فرسه، فينحرها فيقول: أنا أعيش حتى أركب هذا، فجاءنا كتاب عمر أن أصلحوا ما رزقكم اللَّه، فإن في الأمر تنفسًا»[٤].

٨- الاصطبار على الإيمان والعلم والتعلم:

وذلك أن العلم والإيمان هما سبب النجاة من كل فتنة، وإن أعظم فتنة

---

(١) قال في تهذيب الكمال (٨/ ٣٨٥): «داود بن أَبي داود، واسمه عامر، وقيل: عُمَير بن عامر، وقيل: مازن، الأَنصارِيّ المدني، رَوَى عن: عبد اللَّه بن سَلَام. قال أبو حاتم ابن حبان في كتاب الثقات: داود بن مازن الأَنْصارِيّ، وهو الذي يقال له: داود بن أَبي داود يروي المراسيل. روى له البخاري في الأدب هذا الحديث الواحد».

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، ح(٤٨٠)، وقال الألباني معلقًا: «ضعيف الإسناد، داود هذا مجهول، وقبله في الباب حديث مرفوع بمعناه». قلت: ولعله لأجل ذلك صححه في الصحيحة (١/ ١٢) وقال: «وداود هذا هو ابن أبي داود الأنصاري، قال الحافظ فيه: مقبول».

(٣) هو: الحارث بن لقيط، النخعي الكوفي، تابعي ثقة، شهد القادسية، وروى عن عمر وعلي، وعَنه: ابنه حنش، روى له البخاري في الأدب، وكان قليل الحديث. انظر: تهذيب الكمال (٥/ ٢٧٦)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٥٥).

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد، ح(٤٧٨)، وقال الألباني معلقًا: «صحيح».

تمر بالناس فتنة الدجال، وهي من أعظم الأشراط، وأدهى الأمور، فمن كان عالمًا بحاله، متمسكًا بإيمانه، لن تضره فتنته، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إِنِّي حَدَّثْتُكُمْ عَنِ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوهُ، هُوَ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرُ، مَطْمُوسُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ وَلَا حَجْرَاءَ، فَإِنِ الْتَبَسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَأَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا»(١).

فهذا فيه أن العلم بصفات الدجال من أسباب العصمة منه، ويبين ذلك أكثر قوله ﷺ: «يَأْتِي الدَّجَّالُ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»(٢).

فهذا نجا لعلمه بحديث رسول الله ﷺ.

وقال في الوقاية والمصابرة والثبات عند فتنته: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عليه فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إنه خَارِجٌ خَلَّةً بين الشام وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يا عِبَادَ اللَّهِ فاثبتوا»(٣).

وهذا كله سبيله العلم، ومن ثم قال السفاريني رحمه الله: «مما ينبغي لكل عالم أن يبث أحاديث الدجال بين الأولاد والنساء والرجال، وقد قال ابن ماجه(٤):

---

(١) رواه النسائي في الكبرى، ح(٧٧١٦)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(١١٥٧)، وابن أبي عاصم في السنة، ح(٤٢٨)، قال الألباني معلقًا: «إسناده جيد».

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح(٧١٣٢)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه، ح(٢٩٣٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح(٢٩٣٧).

(٤) سنن ابن ماجه (٥/ ٢٠١).

«سمعت الطنافسي يقول: سمعت المحاربي يقول: ينبغي أن يرفع هذا الحديث - يعني حديث الدجال - إلى المؤدب حتى يعلمه الصبيان في الكتاب».

وقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على المنابر(١)، وقد أخرج الإمام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم عن جابر ﷺ مرفوعًا: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ، وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ»(٢). فينبغي لكل عالم ولاسيما في زماننا هذا الذي اشرأبت فيه الفتن، وكثرت فيه المحن، واندرست فيه معالم السنن، وصارت السنة فيه كالبدع، والبدعة شرع يُتَّبع، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العظيم»(٣).

٩ - معرفة التعامل الشرعي مع الفتن والأشراط عند وقوعها:

وذلك أن الحق قد يلتبس فيها أو يخفى، ولا يمكن معرفته إلا بمعرفة الأشراط وتفاصيلها، والفتن إذا وقعت طاشت معها العقول، وساء معها العمل، فتأتي هذه الأحاديث من الرسول الرحمة المهداة ﷺ، لتضيء الطريق في ظلمة

---

(١) عن راشد بن سعد قال: «لما فتحت إِصْطَخْرُ نادى مناد: ألا إن الدجال قد خرج، قال: فلقيهم الصعب بن جَثَّامَةَ: قال: فقال: لولا ما تقولون لأخبرتكم أني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لَا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى يَذْهَلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَحَتَّى تَتْرُكَ الْأَئِمَّةُ ذِكْرَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ». رواه عبد اللَّه بن أحمد في زوائد المسند ح(١٦٦٦٧) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده ضعيف، راشد بن سعْد: هو المَقْرائي الحمصي، لم يدرك الصعب بن جَثامة»، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ح(٩٠٧)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(٩٩٢)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٥٧): «إسناده حسن»، وقال ابن حجر في الإصابة (٣/ ٢٤٤): «قال ابن السكن: إسناده صالح، قلت: فيه إرسال»، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٥): «رواه عبد اللَّه بن أحمد من رواية بقية عن صفوان بن عمرو، وهي صحيحة كما قال ابن معين، وبقية رجاله ثقات».

(٢) رواه أحمد ح(١٤٩٥٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده على شرط مسلم، وأبو الزبير لم يصرح بسماعه من جابر»، والحاكم (٤/ ٥٧٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٤٤): «رواه أحمد بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ح(١٩٦٩) وقال: «أبو الزبير مدلس، وقد عنعنه، فهي علة الحديث. وقد سكت عنها في المجمع وادعى أنه رواه أحمد بإسنادين! وإنما روى منه قوله: «مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن».

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٠٦ - ١٠٧).

الفتن، وقد قال اللَّه تعالى عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

وأخبر عن نفسه ﷺ بقوله: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْرًا لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرًّا لَهُمْ، أَلَا وَإِنَّ عَافِيَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَفِتَنٌ، يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، تَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، ثُمَّ تَجِيءُ فَيَقُولُ: هَذِهِ هَذِهِ، ثُمَّ تَجِيءُ، فَيَقُولُ: هَذِهِ هَذِهِ، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ»(١).

ومن نظر في أحاديث الفتن وأشراط الساعة رأى الوصايا العظيمة، والمخارج الكثيرة للنجاة والعصمة، فمن ذلك:

- أنه ﷺ أعلم حذيفة رضي الله عنه بكيفية التصرف إذا أدركه الشر.
- وبشر عثمان رضي الله عنه بالجنة على بلوى تصيبه، وأمره بالصبر وعدم خلع ثوب الخلافة.
- وأمر بقتال الخوارج، وأخبر أن في قتلهم أجرًا، وأنه تقاتلهم أولى الطائفتين بالحق.
- وأخبر عمارًا رضي الله عنه أنه تقتله الفئة الباغية.
- وأمر أبا ذر رضي الله عنه باعتزال الفتنة وعدم القتال ولو قُتل.
- ونهى المسلمين عن أخذ شيء من جبل الذهب الذي سينحسر عنه الفرات.
- وأفاض في وصف الدجال وفتنته وما يعصم منه.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ح(١٨٤٤).

- وأمر بترك التُرك وعدم التحرش بهم.
- وبين صفات المهدي، وما يصاحب خروجه، كي لا يلتبس مع أدعياء المهدوية الذين تكاثروا عبر التاريخ.
- وأمر بالإكثار من التسبيح والتهليل والتكبير في السنوات العجاف التي تكون قبيل الدجال، وأخبر أن ذلك يجري مجرى الطعام.

إلى غير ذلك من التوجيهات التي اشتملت عليها أحاديث الفتن وأشراط الساعة، وسيأتي كثير منها.

١٠ - تعلم الأحكام الشرعية للقضايا التي تتغير بظهور الأشراط:

فمن ذلك: أنه ﷺ أخبر أن الدجال يمكث في الأرض أربعين يومًا، وأيامه: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع، وبقية أيامه كأيامنا، فقال الصحابة ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي هُوَ كَسَنَةٍ، أَيَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ؟ قَالَ: «لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»(١). ولو تُرك الناس لاجتهادهم قد يقتصرون على ما اعتادوه من الصلوات الخمس.

ومن ذلك: أن عيسى عليه السلام لا يقبل الجزية من أهل الكتاب بعد نزوله، وهو عليه السلام إنما يحكم بشرع نبينا ﷺ، وهذا الشرع فيه قبول الجزية، فبين النبي ﷺ بهذا أن الجزية توضع عند نزول عيسى عليه السلام.

١١ - فتح باب الأمل والاستبشار:

لقد كثرت الأحاديث المستقبلية المبشرة بحسن العاقبة لأهل الإيمان مهما ادلهمت الخطوب وضاقت الصدور، فالنصر لأهل الإيمان، والعاقبة للتقوى، فمن خلال أحاديث الأشراط، أخبر النبي ﷺ بقتال اليهود، وبشر بقتلهم، حتى إن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٧).

الشجر والحجر لينادي: يا مسلم، يا عبد اللَّه هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، وبشر بالمهدي وأنه يملأ الأرض عدلًا وقسطًا، وأخبر بالملحمة الكبرى بين المسلمين والنصارى، وهزيمة النصارى، ووحدة المسلمين، وبشر بفتح القسطنطينية وروميةٍ، وأخبر بهلاك الأمم زمن عيسى عليه السلام إلا الإسلام، وبشر بانتشار السلم في الأرض، ووضع الحرب أوزارها، وإخراج الأرض بركتها، وطيب العيش لأهل الإسلام، إلى غير ذلك من المبشرات بالتمكين للدين الحق، وظهور أهله، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

١٢ - إشباع الرغبة الفطرية البشرية في استكشاف الغيب:

وذلك أن الإنسان مفطور على حب كشف ما غاب عنه، ويجد في نفسه حاجة ملحة تدفعه للتعرف إلى المستقبل وما يتعلق به من أحداث، ومن هنا قامت سوق الكهانة والعرافة والتنجيم ونحو ذلك، وركب كثير من الناس هذه المطية، قال ابن خلدون رحمه الله: «اعلم أن من خواص النفوس البشرية التشوق إلى عواقب أمورهم، وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر، سيما الحوادث العامة، كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مدد الدول، أو تفاوتها، والتطلع إلى هذا طبيعة مجبولون عليها»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «العلم بما سيكون ويحدث ويستقبل، علم حلو عند النفس، وله موقع عند العقل، فلا أحد إلا وهو يتمنى إن يعلم الغيب، ويطلع عليه، ويدرك ما سوف يكون في غد، ويجد سبيلًا إليه»(٢).

وعلم أشراط الساعة وما يكون بعدها غيب لا يعلمه إلا اللَّه تعالى، وقد جلَّاه النبي ﷺ بالوحي الصادق كأنما نراه رأي العين، ونرى الأحداث ومواقعها وتفصيلاتها القاطعة لكل ادعاء أو تخرص، وهذا استجابة لنداء الفطرة، وتلبية

---

(١) تاريخ ابن خلدون (١/ ٣٣٠).

(٢) مفتاح دار السعادة (٣/ ١٥١).

لرغباتها بأسلم طريق وأوضح بيان، وهو أهم شيء يحتاجه الناس، لارتباطه بحياتهم، وترتب أعمالهم عليه، فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

١٣ - إقامة الحجة على الكافرين، وإلزامهم بالدين القويم:

وذلك أن بيان أشراط الساعة - وهي من الغيب -، ووقوعها على حسب ذلك، من أعظم دلائل النبوة الدالة على صدق رسالة نبينا محمد ﷺ إلى العالمين، وكفى بذلك حجة على المنكرين الكافرين.

١٤ - معرفة سرعة زوال الدنيا، وحقيقتها، وعدم الركون إليها:

لأن الأشراط بداية النهاية للدنيا، وقد بدأ ظهورها، وبظهورها تكون الساعة كالحامل المتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها، ولم يبق من الدنيا إلا كصبابة الإناء يتصابها صاحبها، وقد كدرتها البلايا والفتن، وقربتها الأشراط والمحن، فعلى العاقل أن ينصح لنفسه، وينظر أمامه، ولا يركن للدنيا، بل يجتهد لما يبقى، ويترفع عما يفنى.

المبحث الثاني
إخبار النبي ﷺ عن الغيوب المستقبلية

عن حذيفة رضي الله عنه قال: «لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ»(١).

وفي رواية: «قام فِينَا رسول اللَّهِ ﷺ مَقَامًا ما تَرَكَ شيئا يَكُونُ في مَقَامِهِ ذَلِكَ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ إلا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ من حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ من نَسِيَهُ، قد عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وإنه لَيَكُونُ منه الشَّيْءُ قد نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كما يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إذا غَابَ عنه ثُمَّ إذا رَآهُ عَرَفَهُ»(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: «أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ»(٣).

وعن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه قَالَ «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، فَحَدَّثَنَا بِمَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا»(٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب القدر، باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾، ح(٦٦٠٤).
(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، ح(٢٨٩١).
(٣) المصدر السابق، ح(٢٨٩١).
(٤) المصدر السابق، ح(٢٨٩٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا صَلَاةَ الْعَصْرِ بِنَهَارٍ ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَلَمْ يَدَعْ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا أَخْبَرَنَا بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ»(١).

وفي رواية: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى مُغَيْرِبَانِ الشَّمْسِ، حَفِظَهَا مِنَّا مَنْ حَفِظَهَا، وَنَسِيَهَا مَنْ نَسِيَ»(٢).

وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا بِمَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَعَاهُ مَنْ وَعَاهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ»(٣).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ»(٤).

وقال حذيفة رضي الله عنه: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَمَا ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا أَسَرَّهُ إِلَيَّ لَمْ يَكُنْ حَدَّثَ بِهِ غَيْرِي، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ مَجْلِسًا أَنَا فِيهِ، سُئِلَ عَنِ الْفِتَنِ وَهُوَ يَعُدُّ الْفِتَنَ: «فِيهِنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا ومِنْهُنَّ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ، مِنْهَا صِغَارٌ، وَمِنْهَا كِبَارٌ»، قَالَ حُذَيْفَةُ: «فَذَهَبَ

---

(١) رواه الترمذي، ح(٢١٩١)، وقال: «وفي الباب عن حذيفة وأبي مريم وأبي زيد بن أخطب والمغيرة بن شعبة وذكروا أن النبي ﷺ حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة وهذا حديث حسن صحيح».

(٢) رواه أحمد ح(١١١٤٣)، والطيالسي، ح(٢٢٧٠) وغيرهما.

(٣) رواه أحمد، ح(١٨٢٢٤) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح لغيره»، والطبراني في المعجم الكبير، (٢٠/ ٤٤١) ح(١٠٧٧)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح غير عمر بن إبراهيم بن محمد وقد وثقه ابن حبان».

(٤) رواه البخاري معلقًا، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في سبع أرضين، ح(٣١٩٢)، قال ابن حجر: «قال ابن منده: هذا حديث صحيح غريب تفرد به عيسى بن موسى. قلت: وقع لي من غير رواية عيسى بن موسى أخرجه أبو نعيم في المستخرج ووجدته في فوائد أبي علي بن السكن أيضًا». تغليق التعليق، ح(٣١٩٢).

أُولَئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي»(١).

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، تَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى أَهْلِ الْحِجْرِ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَنَادَى فِي النَّاسِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُمْسِكٌ بَعِيرَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: «مَا تَدْخُلُونَ عَلَى قَوْمٍ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؟» فَنَادَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعْجَبُ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ رَجُلٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يُنْبِئُكُمْ بِمَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ، فَاسْتَقِيمُوا وَسَدِّدُوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْبَأُ بِعَذَابِكُمْ شَيْئًا، وَسَيَأْتِي قَوْمٌ لَا يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ بِشَيْءٍ»(٢).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون، والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره»(٣).

وقد دلت الأحاديث أن النبي ﷺ قد أخبر أمته بكل ما هو كائن إلى قيام الساعة، ولا شك أن أشراط الساعة قد نالت من هذه الأخبار النصيب الأكبر، ولهذا تكاثرت أحاديثها، وتعددت طرقها، وتنوعت ألفاظها، لكثرة من رواها من الصحابة رضوان اللَّه عليهم.

وباب الإخبار عن المستقبل باب عظيم من أعلام نبوة الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم، وهي أخبار صادقة لا مجال للشك في وقوعها، ولكنها لا تعني أن الأنبياء يعلمون الغيب، فالغيب لا يعلمه إلا اللَّه وحده، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، وإنما علمهم من باب قول اللَّه تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧].

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، ح(٢٨٩١).
(٢) رواه أحمد ح(١٨٠٢٩)، قال ابن كثير: «إسناد حسن ولم يخرجوه»، البداية والنهاية (١/ ٣٢٢).
(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٣٣٥).

فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقد قال عن نبيه ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

وقال عز وجل: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ﴾ [هود: ٤٩].

وأمره أن يبلغ الناس: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وأمره أن يخبر عن نفسه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وقال عن عموم رسله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقال عن ملائكته: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢].

وقال عن الجن: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤].

وقال عن نفسه سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وأمر رسوله ﷺ أن يبلغ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥].

﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يونس: ٢٠].

فالغيب لا يعلمه إلا اللّه وحده، قال مسروق: «كنت متكئا عند عائشة فقالت: يا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ من تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ على اللَّهِ الْفِرْيَةَ.

قلت: ما هُنَّ؟ قالت: من زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ على اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قال: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ فقلت: يا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْظِرِينِي ولا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُل اللَّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ فقالت: أنا أَوَّلُ هذه الأُمَّةِ سَأَلَ عن ذلك رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال: «إنما هو جِبْرِيلُ لم أَرَهُ على صُورَتِهِ التي خُلِقَ عليها غير هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا من السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ ما بين السَّمَاءِ إلى الأرض»، فقالت: أَوَ لم تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾، أَوَ لم تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾؟ قالت: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَمَ شيئا من كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ على اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ قالت: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ في غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ على اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾»(١).

وفي رواية: قَالَتْ: «مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَقَدْ كَذَبَ وَهُوَ يَقُولُ: لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ»(٢).

ومع هذه الأدلة القاطعة في عدم علم أحد من الخلق الغيب، نجد من ينسب إلى رسول اللَّه ﷺ أو غيره خلاف ذلك، وهذا لا شك أنه جهل عظيم، وضلال مبين، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ونقل ابن التين عن الداودي قال: قوله في هذا الطريق: «من حدثك أن محمدًا يعلم الغيب» ما أظنه محفوظًا،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب قول اللَّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، ح(١٧٧).
(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول اللَّه تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾، ح(٧٣٨٠).

وما أحد يدعي أن رسول اللَّه ﷺ كان يعلم من الغيب إلا ما علم. انتهى... قال ابن حجر: وما ادعاه من النفي متعقب، فإن بعض من لم يرسخ في الإيمان كان يظن ذلك، حتى كان يرى أن صحة النبوة تستلزم اطلاع النبي ﷺ على جميع المغيبات، كما وقع في المغازي لابن إسحاق: أن ناقة النبي ﷺ ضلت، فقال زيد بن اللصيت: - بصاد مهملة وآخره مثناة وزن عظيم - يزعم محمد أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال النبي ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا يقُوْلُ:كذَا وَكَذَا، وإِنِّي وَاللَّه لا أَعْلَمُ إِلا مَّا عَلَّمَنِي اللَّه، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّه عَلَيهَا، وَهِيَ فِي شِعْبِ كذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ»، فذهبوا فجاءوه بها، فأعلم النبي ﷺ أنه لا يعلم من الغيب إلا ما علمه اللَّه، وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧][1].

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٦٤). وانظر: أشراط الساعة للغفيلي ص(١٩ - ٢٠).

المبحث الثالث
وجوب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»(١).

قال الشافعي رحمه الله: «إذا حدث الثقة عن الثقة حتى ينتهي إلى رسول اللَّه ﷺ فهو ثابت عن رسول اللَّه ﷺ، ولا نترك لرسول اللَّه ﷺ حديثًا أبدًا إلا حديثًا وجد عن رسول اللَّه ﷺ حديث يخالفه»(٢).

وقال أحمد رحمه الله: «كلما جاء عن النبي ﷺ إسناد جيد أقررنا به، وإذا لم نقر بما جاء به الرسول ﷺ ودفعناه ورددناه، رددنا على اللَّه أمره، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]»(٣).

وقال الموفق ابن قدامة رحمه الله: «ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق، وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل: حديث الإسراء والمعراج وكان يقظة لا منامًا... ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا اللَّه، ح(٢١).

(٢) الأم (٨/ ٥١٣).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٣).

وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل»[(١)].

فكل حديث صح إسناده إلى رسول الله ﷺ فالإيمان به واجب على كل مسلم، وهو من تحقيق الشهادة بأن محمدًا ﷺ رسول الله، وقد قال الله تعالى في سبب ذلك: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

قال ابن تيمية رحمه الله: «السنة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها»[(٢)].

وسواء في هذا ما كان متواترًا أم آحادًا، وما كان في الاعتقاد أم الأحكام، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الخلف من أهل الكلام والأصول، زاعمين أن خبر الآحاد لا تثبت به عقيدة، وهو قول مردود ومخالف لما كان عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين والأئمة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قد شاع فاشيًا عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير نكير، فاقتضى الاتفاق منهم على القبول»[(٣)].

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: «وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين ومن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك ولا اعتراض عليه، فثبت أن من دين جميعهم وجوبه، إذ لو كان فيهم من كان لا يرى العمل به لنُقل إلينا الخبر عنه بمذهبه فيه، والله أعلم»[(٤)].

وقال ابن عبدالبر رحمه الله: «وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع

(١) لمعة الاعتقاد ص(٢٠ - ٢١).
(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٨٥).
(٣) فتح الباري (١٣/ ٢٣٤).
(٤) الكفاية في علم الرواية ص(٤٨).

الأمصار، فيما علمت، على قبول خبر الواحد العدل، وإيجاب العمل به إذا ثبت، ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا إلا الخوارج، وطوائف من أهل البدع، شرذمة لا تعد خلافًا.

وقد أجمع المسلمون على جواز قبول الواحد السائل المستفتي لما يخبره به العالم الواحد إذا استفتاه فيما لا يعلمه، وقبول خبر الواحد العدل فيما يخبر به مثله، وقد ذكر الحجة عليهم في ردهم أخبار الآحاد جماعة من أئمة الجماعة، وعلماء المسلمين. وقد أفردت لذلك كتابًا موعبًا كافيًا، والحمد للَّه»(١).

وقال أبو المعالي الجويني رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمسلك الثاني مُستند إلى إجماع الصحابة وإجماعهم على العمل بالآحاد منقول متواترًا... فإن أنكر منكر الإجماع، فسيأتي إثباته على منكريه أول كتاب الإجماع إن شاء اللَّه تعالى. فهذا هو المعتمدُ في إثبات العلم بخبر الواحد»(٢).

ثم ذكر المسلك فقال: «وكذلك مسلكُ الإجماع فإنا نعلم قطعًا أن أصحاب رسول اللَّه ﷺ كانوا يعملون في الوقائع بالأخبار التي ترويها الآحاد في جملة الصحابة، ولا نستريب أنه لو وقعت واقعة واعتاص مدرك حكمها، فروى الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيها خبرًا عن الصادق المصدوق عَلَيْهِ السَّلَامُ، لابتدروا العمل به، ومن ادعى أن جملة الأخبار التي استدل بها أصحاب رسول اللَّه ﷺ في أحكام الوقائع رواها أعداد فهذا باهتَ وعاند وخالف بالمعلوم الضروري بخلافه»(٣).

وقال أبو الوليد الباجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذهب القاساني وغيره من القدرية إلى أنه لا يجوز العمل بخبر الآحاد... والذي عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين والفقهاء، أنه يجب العمل به، والدليل على ذلك إجماع الصحابة على صحة العمل به... وعلى ذلك كان التابعون لهم بإحسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال الشافعي وغيره:

---

(١) التمهيد (١/ ٢).

(٢) البرهان (١/ ٣٨٩).

(٣) المصدر السابق (١/ ٣٩٣).

«وجدنا علي بن الحسين يعول على أخبار الآحاد، وكذلك محمد بن علي، وجبير بن مطعم، ونافع بن جبير، وخارجة بن زيد، وأبا سلمة بن عبدالرحمن، وسليمان بن يسار، وعطاء بن يسار، وكذلك كانت حال طاووس وعطاء ومجاهد، وكان سعيد بن المسيب يقول: أخبرني أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ في الصرف فيثبت حديثه، ولا يجوز أن يكون في مسائل الشرع مسألة إجماع أثبت من هذه ولا أبين عن الخلف أو السلف»(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملًا به وتصديقًا له: يفيد العلم [اليقيني] عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع»(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقًا له أو عملًا به أنه يوجب العلم، وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك، ولكن كثيرًا من أهل الكلام أو أكثرهم يوافقون الفقهاء وأهل الحديث والسلف على ذلك، وهو قول أكثر الأشعرية كأبي إسحاق وابن فورك، وأما ابن الباقلاني فهو الذي أنكر ذلك، وتبعه مثل أبي المعالي وأبي حامد وابن عقيل وابن الجوزي وابن الخطيب والآمدي ونحو هؤلاء، والأول هو الذي ذكره الشيخ أبو حامد وأبو الطيب وأبو إسحاق وأمثاله من أئمة الشافعية، وهو الذي ذكره القاضي عبدالوهاب وأمثاله من المالكية، وهو الذي ذكره أبو يعلى وأبو الخطاب وأبو الحسن بن الزاغوني وأمثالهم من الحنبلية، وهو الذي ذكره شمس الدين السرخسي وأمثاله من الحنفية، وإذا كان الإجماع على تصديق الخبر موجبًا للقطع به فالاعتبار في ذلك بإجماع أهل العلم بالحديث، كما أن الاعتبار في الإجماع

---

(١) إحكام الفصول ص(٣٣٤، ٣٣٧).

(٢) شرح الطحاوية ص(٣٩٩ - ٤٠٠).

على الأحكام بإجماع أهل العلم بالأمر والنهي والإباحة، والمقصود هنا: أن تعدد الطرق مع عدم التشاعر أو الاتفاق في العادة يوجب العلم بمضمون المنقول»(١).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال أبو سليمان والحسين، عن أبي علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي وغيرهم: أن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول اللَّه ﷺ يوجب العلم والعمل معًا، وبهذا نقول: وقد ذكر هذا القول أحمد بن إسحاق المعروف بابن خويزمنداد، عن مالك بن أنس»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن هذا إخبار الصحابة بعضهم بعضًا، فإنهم كانوا يجزمون بما يُحدث به أحدهم عن رسول اللَّه ﷺ، ولم يقل أحد منهم لمن حدثه عن رسول اللَّه ﷺ: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر... ومن له أدنى إلمام بالسنة والتفات إليها يعلم ذلك، ولولا وضوح الأمر في ذلك لذكرنا أكثر من مائة موضع.

فهذا الذي اعتمده نفاة العلم عن أخبار رسول اللَّه ﷺ خرقوا به إجماع الصحابة المعلوم بالضرورة، وإجماع التابعين، وإجماع أئمة الإسلام، ووافقوا به المعتزلة، والجهمية، والرافضة، والخوارج، الذين انتهكوا هذه الحرمة، وتبعهم بعض الأصوليين والفقهاء، وإلا فلا يعرف لهم سلف من الأئمة بذلك، بل صرح الأئمة بخلاف قولهم، وممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم: مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة، وداود بن علي وأصحابه كأبي محمد بن حزم.

ثم نقل عن السمعاني قوله: قولهم إن أخبار الآحاد لا تقبل... رأي سعت به المبتدعة في رد الأخبار، إذ أن الخبر إذا صح ورواته ثقات وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم وهذا قول عامة أهل الحديث... وأما هذا القول المبتدع فقول القدرية والمعتزلة...، وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥١)، وانظر (٢/ ٢٥٧) منها.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ١٠٧).

لهم في العلم قدم ثابتة ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول... ونحن نشهد بالله ولله شهادة على البت والقطع أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يجزمون لما يحدث به عن رسول الله ﷺ ولم يكن أحد من الصحابة ولا أحد من أهل الإسلام بعدهم يشك فيما أخبر به أبو بكر الصديق ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا عبد الله بن مسعود ولا غيرهم عن رسول الله ﷺ، بل كانوا لا يشكون في خبر أبي هريرة مع تفرده بكثير من الحديث، ولم يقل أحد منهم يومًا واحدًا من الدهر: خبرك هذا خبر واحد لا يفيد العلم. وكان حديث رسول الله ﷺ أجلَّ في صدورهم من أن يقال فيه ذلك، وكان أحدهم إذا روى لغيره حديثًا عن رسول الله ﷺ في الصفات تلقاه بالقبول واعتقد تلك الصفة به على القطع واليقين...»[١].

وقد استدل العلماء - رحمهم الله تعالى - على وجوب العمل بخبر الواحد العدل بأدلة كثيرة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

فأمر تبارك وتعالى بالتثبت في خبر الفاسق وعدم المسارعة في تصديقه خشية أن يكون كاذبًا، فدل مفهوم ذلك على قبول خبر الواحد العدل من غير توقف، ولو كان خبره لا يفيد العلم لأمر بالتثبت مطلقًا.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٖ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

هذه الآية فيها الحث على التعلم والتعليم، والذي يقوم بذلك الطائفة من المؤمنين، والطائفة تطلق على الواحد فصاعدًا.

قال البخاري رحمه الله: «ويسمى الرجل طائفة، لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ

---

(١) مختصر الصواعق (٢/ ٣٦١ - ٣٦٢).

مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية»[(١)].

وقال ابن الأثير: «الطائفة: الجماعة من الناس، وتقع على الواحد»[(٢)].

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

قال القرطبي رحمه الله: «وفيه دليل على وجوب العمل بقول الواحد، لأنه لا يجب عليه البيان إلا وقد وجب قبول قوله، وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ فحكم بوقوع البيان بخبرهم»[(٣)].

٤- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

قال ابن القيم رحمه الله: «أجمع المسلمون أن الرد إلى الرسول: هو الرجوع إليه في حياته، وهو الرجوع إلى سنته بعد مماته، واتفقوا أن فرض هذا الرد لم يسقط بموته، فإن كان متواتر أخباره وآحادها لا تفيد علمًا ولا يقينًا لم يكن للرد إليه وجه»[(٤)].

٥- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧].

وهذا أمر لواحد بالتبليغ، فلو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم، لم يقع به التبليغ الذي تقوم به الحجة على العباد.

---

(١) البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٣١).
(٢) النهاية (٣/ ١٥٣)، وكذا قال ابن منظور في لسان العرب (٤/ ٢٧٣٣).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ١٨٥). (٤) مختصر الصواعق (٢/ ٣٥٢).

وأما أدلة السنة فكثيرة جدًّا، منها:

١- أن النبي ﷺ كان يبعث رسله إلى الملوك، ويؤمِّر أمراءه على البلدان، ويبعث للناس من يعلمهم، فيرجع الناس إليهم في جميع أمور الدين، فبعث مصعب بن عمير إلى المدينة، وبعث أبا عبيدة إلى نجران، وبعث معاذ بن جبل إلى اليمن، وبعث دحية الكلبي إلى عظيم بصرى، وغيرهم من الصحابة كثير، وهم آحاد يبلغون كل الدين الذي عَلِموه، عقائده، وأحكامه، وهذا أمر واضح الدلالة، كدلالة الشمس في كبد السماء على النهار(١).

٢- عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: «بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ»(٢).

فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوع به وهو قبلتهم الأولى لخبر لا يفيد العلم.

٣- عن عمر رضي الله عنه قال: «وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِذَا غَابَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدْتُهُ أَتَيْتُهُ بِمَا يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِذَا غِبْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدَهُ أَتَانِي بِمَا يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»(٣).

فهذا بيان لحال الصحابة رضوان اللَّه عليهم وأنهم كانوا يكتفون بخبر الواحد في أمر دينهم، والأمر أوضح من أن يوضَّح، والوقائع أكثر من أن تذكر.

٤- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ،

---

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، وباب ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحدًا بعد واحد، وغيرها، البخاري مع الفتح (١٣/ ٢٣٢، ٢٤١).

(٢) رواه البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء في خبر الواحد الصدوق، ح(٧٢٥١).

(٣) المصدر السابق، ح(٧٢٥٦).

وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[1].

فهذا أمرٌ من النبي ﷺ وحثٌّ على تبليغه مطلقًا، فلو لم يثبت به الإيمان لما كان لهذا الأمر معنى، ولبين ﷺ أن ذلك مقتصر على الأحكام دون العقائد.

٥- قبول النبي ﷺ أخبار أصحابه والقطع بصدقها:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان ﷺ يقطع بصدق أصحابه كما قطع بصدق تميم الداري لما أخبره بقصة الدجال وروى ذلك عنه على المنبر، ولم يقل: أخبرني جبريل عن اللَّه بل قال: «حدثني تميم الداري». ومن له أدنى معرفة بالسنة يرى هذا كثيرًا فيما يجزم بصدق أصحابه ويرتب على أخبارهم مقتضاها؛ من المحاربة والمسالمة والقتل والقتال. ونحن نشهد باللَّه وللَّه شهادة على البت والقطع لا نمتري فيها ولا نشك - على صدقهم ونجزم به جزمًا ضروريًا لا يمكننا دفعه عن نفوسنا، ومن هذا أنه كان يجزم بصدقهم فيما يخبرونه به من رؤيا المنام ويجزم لهم بتأويلها ويقول: «إنها رؤيا حق»» وأثنى اللَّه تعالى عليه بذلك في قوله: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦١]، فأثنى عليه ومدحه بتصديقه لمن أخبره من المؤمنين. ومن هذا إخبار الصحابة بعضهم بعضًا، فإنهم كانوا يجزمون بما يحدث به أحدهم عن رسول اللَّه ﷺ، ولم يقل أحدهم لمن حدثه عن رسول اللَّه ﷺ: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم حتى يتواتر، وتوقف من توقف منهم حتى عضده آخر منهم لا يدل على رد خبر الواحد عن كونه خبر واحد وإنما كان يستثبت أحيانًا نادرة جدًّا إذا استخبر، ولم يكن أحد من الصحابة ولا أهل الإسلام بعدهم يشكون فيما يخبر به أبو بكر الصديق عن رسول اللَّه ﷺ ولا عمر

---

(١) رواه أحمد، ح(٢١٥٩٠) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح»، وأبو داود، ح(٣٦٦٠)، والترمذي، ح(٢٦٥٦) وقال: «وفي الباب عن عبد اللَّه ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وجبير بن مطعم، وأبي الدرداء، وأنس. حديث زيد بن ثابت حديث حسن». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٤٠٤).

ولا عثمان ولا علي ولا عبد اللَّه بن مسعود وأبي بن كعب وأبو ذر ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وعبد اللَّه بن عمر وأمثالهم من الصحابة، بل كانوا لا يشكون في خبر أبي هريرة مع تفرده بكثير من الحديث، ولم يقل له أحد منهم يومًا واحدًا من الدهر: خبرك خبر واحد لا يفيد العلم، وكان حديث رسول اللَّه ﷺ أجلَّ في صدورهم من أن يُقابل بذلك، وكان المخبر لهم أجلَّ في أعينهم وأصدق عندهم من أن يقولوا له مثل ذلك»(١).

فتبين أن القول بأن أحاديث الآحاد لا تثبت عقيدة ولا تفيد علمًا، قول محدث لا أصل له في الدين، ولم يقل به أحد من السلف الصالح، بل ولا خطر لهم على بال، وقد عصم اللَّه هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة.

ثم هذا القول يستلزم منه رد مئات بل ألوف الأحاديث الصحيحة الثابتة التي لم تبلغ درجة التواتر، ورد العقائد التي ثبتت بها، ومن جملتها ما نحن بصدده من أحاديث أشراط الساعة التي أكثرها أحاديث آحاد، ومن ذلك أيضًا:

١- أفضلية نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام.

٢- شفاعته العظمى في المحشر.

٣- شفاعته لأهل الكبائر من أمته.

٤- معجزاته كلها عدا القرآن.

٥- خصوصياته ﷺ التي جمعها العلماء في كتب الخصائص والشمائل، مثل دخوله الجنة في حياته، ورؤيته لأهلها، وما أعد فيها...

٦- كيفية بدء الخلق، وصفة الملائكة والجن، وصفة الجنة والنار، مما لم يذكر في القرآن.

٧- سؤال منكر ونكير في القبر.

---

(١) مختصر الصواعق (٢/ ٥٢٦ - ٥٢٧).

٨- ضغطة القبر للميت.

٩- الصراط والحوض والميزان ذو الكفتين.

١٠-الإيمان بأن اللَّه تعالى كتب على كل إنسان سعادته أو شقاوته.

١١-القطع بالجنة للعشرة المبشرين بها.

١٢-عدم تخليد أهل الكبائر في النار.

١٣-الإيمان بكل ما صح به الحديث في صفة القيامة وأهوالها والحشر وغير ذلك مما لم يرد في القرآن[١].

إلى غير ذلك من أصول الاعتقاد وثوابت الإيمان، ثم في الحقيقة أيضًا ليست أدلة جميع هذه العقائد التي زعموا أن أدلتها أحاديث آحاد كذلك، بل فيها ما دليله أحاديث متواترة، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن الصحيح ما تلقاه بالقبول والتصديق أهل العلم بالحديث كجمهور أحاديث البخاري ومسلم، فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهور أحاديث الكتابين وسائر الناس تبع لهم في معرفة الحديث، فإجماع أهل العلم بالحديث على أن هذا الخبر صدق كإجماع الفقهاء على أن هذا الفعل حلال أو حرام أو واجب، وإذا أجمع أهل العلم على شيء فسائر الأمة تبع لهم؛ فإجماعهم معصوم لا يجوز أن يجمعوا على خطأ»[٢].

ثم أيضًا هؤلاء بأجمعهم يشهدون شهادة قاطعة على أئمتهم بمذاهبهم وأقوالهم، ومعلوم أن تلك المذاهب لم يروها عنهم عدد التواتر بحال، فكيف يحصل لهم العلم بأقوال أئمتهم بخبر الواحد، ولا يحصل لهم ذلك بما أخبر به الصحابة عن النبي ﷺ مع انتشاره في الأمة وتعدد طرقه، ثم من أين التفريق بين أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد؟ وما دليله الشرعي؟ وربنا يقول: ﴿وَمَآ

---

(١) انظر: أشراط الساعة للوابل ص(٥١ - ٥٢). (٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٧).

ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، ونعى على الكافرين بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]، وكأن الأمر قد لا يعدو أن يكون ستارًا أو حجابًا أو شبهة لرد ما يخالف هوى النفوس التي في قلبها مرض، وقد انطلى أمره على البعض، وظنوه نصرةً للدين، واحتياطًا لعقد الإيمان المتين، مع وضوح المسألة، وقوة الحجة، ولكن الموفق من وفقه اللَّه، والمهتدي من هداه، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨].

وقد أكثرت النقل في هذا المبحث نظرًا لكثرة الاغترار بهذا القول، ورواجه في أوساط مثقفة، وعظم الجهل بأقوال السلف والأئمة.

المبحث الرابع
علم الساعة

علم الساعة غيب استأثر اللَّه تعالى به لنفسه، ومنعه جميع خلقه، فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل(١).

وقد دلت النصوص الكثيرة على اختصاص اللَّه سبحانه بعلم الساعة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [فصلت: ٤٧].

وقال: ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٥].

وكان النبي ﷺ يكثر من ذكر الساعة، وكان الناس يسألونه عن وقت قيامها، فكان يتبرأ من ادعاء علمها ويكل ذلك إلى ربها، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى مخبرًا لرسوله صلوات اللَّه وسلامه عليه أنه لا علم له بالساعة وإن سأله الناس عن ذلك، وأرشده أن يرد علمها إلى اللَّه عَزَّوَجَلَّ كما قال اللَّه تعالى في سورة الأعراف وهي مكية وهذه مدنية، فاستمر الحال في رد علمها إلى الذي يقيمها لكن أخبره أنها قريبة»(٢).

---

(١) ذهب البرزنجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن النبي ﷺ لعله علم وقت الساعة، فقال: «وقد استأثر بعلمها ولم يُعْلِمها أحدًا من خلقه، أو علمها النبي ﷺ ونهاه عن الإخبار بها تهويلًا لشأنها وتعظيمًا لأمرها». الإشاعة ص(٨)، وهذا خطأ منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقوله ومردود لما سيأتي.

(٢) تفسير ابن كثير (١١/ ٢٤٤).

وقال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فإن معناه: قل يا محمد لسائليك عن وقت الساعة وحين مجيئها: لا علم لي بذلك، ولا يعلم به إلا اللَّه الذي يعلم غيب السموات والأرض ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا اللَّه، بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه»(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمر تعالى رسوله ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة أن يرد علمها إلى اللَّه تعالى فإنه هو الذي يجليها لوقتها، أي يعلم جلية أمرها ومتى يكون على التحديد لا يعلم ذلك إلا هو تعالى ولهذا قال: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾. قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ قال: «ثقل علمها على أهل السماوات والأرض أنهم لا يعلمون»(٢).

ثم قال اللَّه تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لسائليك عن الساعة أيان مرساها: ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ يقول: لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسي، ولا دفع ضر يحل بها عنها إلا ما شاء اللَّه أن أملكه من ذلك بأن يقويني عليه ويعينني. ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ يقول: لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ يقول: لأعددت الكثير من الخير»(٣).

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٦١٥).
(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٦٩).
(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٦١٥).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي لا أملك أن أجلب إلى نفسي خيرًا ولا أدفع عنها شرًّا، فكيف أملك علم الساعة»[(١)].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥)﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٥].

فمنتهى علم الساعة إلى اللَّه وحده، والرسل إنما هم نذر، ولهذا قال النبي ﷺ لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سأله عن وقت الساعة: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»[(٢)].

فالخلق ليس لهم من علم وقت الساعة شيء مهما علت منازلهم، فعن عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيم، وَمُوسَى، وَعِيسَى، قَالَ: فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ: أَمَّا وَجْبَتُهَا، فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، ذَلِكَ وَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، قَالَ: وَمَعِي قَضِيبَانِ، فَإِذَا رَآنِي، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُ اللَّهُ، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ، وَالشَّجَرَ لَيَقُول: يَا مُسْلِمُ، إِنَّ تَحْتِي كَافِرًا، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطَؤُونَ بِلَادَهُمْ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَيُمِيتُهُمْ، حَتَّى تَجْوَى[(٣)] الأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ، قَالَ: فَيُنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَطَرَ، فَتَجْرُفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ». قَالَ أَبِي: ذَهَبَ عَلَيَّ هَاهُنَا شَيْءٌ لَمْ أَفْهَمْهُ، كَأَدِيمٍ، وَقَالَ يَزِيدُ، يَعْنِي ابْنَ

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٣٣٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، ح(٤٧٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامات الساعة، ح(١٠٢).

(٣) قال أبو عبيد في غريب الحديث (٥/ ٤٨٣): «الجوى: المنتن المتغير، ومنه حديث يأجوج ومأجوج: إنهم يموتون فتجوى الأرض منهم، أي تنتن».

هَارُونَ: « ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ، وَتُمَدُّ الأَرْضُ مَدَّ الأَدِيمِ» ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ هُشَيْمٍ، قَالَ: «فَفِيمَا عَهِد إِلَيَّ رَبِّي عز وجل: أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ، الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادَتِهَا لَيْلًا، أَوْ نَهَارًا»(١).

فهؤلاء أعظم الرسل، وفيهم عيسى الذي ينزل قبيل الساعة ويقتل الدجال ويخرج يأجوج ومأجوج في زمانه ويهلكهم اللَّه بدعائه وقد جعله اللَّه تعالى علامة للساعة؛ ومع ذلك كله يرد علم الساعة إلى ربه، فكيف يطمع من دونهم بشيء من علمها!

عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول قبل أن يموتَ بِشَهْرٍ: «تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ الْيَوْمَ يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ»(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ بِمَشَارِيطِهَا وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا، إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا فِتْنَةً وَهَرْجًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْفِتْنَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَالْهَرْجُ مَا هُوَ؟ قَالَ

---

(١) رواه أحمد، ح(٣٥٥٦) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده ضعيف، مؤثر بن عَفَازَة لم يوثقه غير ابن حبان والعجلي، فهو في عداد المجاهيل، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين»، وابن ماجه، ح(٤٠٨١)، والحاكم، (٤/ ٤٨٨ - ٤٨٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا البوصيري في الزوائد بقوله: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات»، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: «إسناده صحيح». وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ح(٤٧١٢)، وفي السلسلة الضعيفة، ح(٤٣١٨) وقال: «ضعيف بهذا السياق، أخرجه ابن ماجه والحاكم في المستدرك والإمام أحمد في مسنده عن مؤثر بن عفازة، عن عبد اللَّه بن مسعود مرفوعًا. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي، ثم البوصيري. قلت: وفيه نظر؛ لأن مؤثر بن عفازة؛ لم يوثقه غير ابن حبان، ولذلك قال الحافظ: «مقبول». يعني عند المتابعة، ولم أجد له متابعًا، فالحديث ضعيف غير مقبول بهذا السياق، وبعضه في «مسلم».

قلت: قوله في الحديث: «ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ، وَتُمَدُّ الأَرْضُ مَدَّ الأَدِيمِ» مخالف لما هو معلوم من أن ذلك يكون عند قيام الساعة لا قبلها، وأكثر فقرات الحديث لها شواهد في الصحيح وغيره، وستأتي في ثنايا هذا الكتاب.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب لا يأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم، ح(٢٥٣٨).

بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: «الْقَتْلُ، وَيُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرُ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدًا»(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات اللَّه عليه وسلامه نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقفي والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقرن بين إصبعيه السبابة والتي تليها، ومع هذا كله قد أمره اللَّه أن يرد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾» (٢).

ولذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد جاهر بالكذب بعض من يدعي في زماننا العلم وهو يتشبع بما لم يعط أن رسول اللَّه ﷺ كان يعلم متى تقوم الساعة، قيل له: فقد قال في حديث جبريل(٣): «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ»، فخرَّجه عن موضعه، وقال: معناه: أنا وأنت نعلمها.

وهذا من أعظم الجهل وأقبح التحريف، وأن النبي ﷺ أعلم باللَّه من أن يقول لمن كان يظنه أعرابيًا: أنا وأنت نعلم الساعة، إلا أن يقول هذا الجاهل إنه كان يعرف أنه جبريل. فرسول اللَّه ﷺ هو الصادق في قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا جَاءَنِي فِي صُورَةٍ إِلَّا وَعَرَفْتُهُ، غَيْرَ هَذِهِ الصُّورَةِ»(٤).

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٣٣٠٦)، وأبو يعلى، ح(٧٢٢٨)، قال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد قوي». تفسير ابن كثير (٦/ ٤٧٦). وقال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٣٠٩). وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٧٧١).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٧٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له، ح(٥٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ح(٩).

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما بلفظ: «مَا أَتَانِي فِي صُورَةٍ إِلاَّ عَرَفْتُهُ، غَيْرَ هَذِهِ الصُّورَةِ». رواه أحمد ح(٣٧٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والطبراني في الكبير ح(١٣٥٨١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١/ ٣٤).

وفي اللفظ الآخر: «مَا شُبِّهَ عَلَيَّ غَيْرَ هَذِه الْمَرَّة»(١).

وفي اللفظ الآخر: «رُدُّوا عَلَيَّ الْأَعْرَابِي». فَذَهَبُوا فَالتَمَسوا فَلَمْ يَجِدُوا شَيْئًا»(٢).

وإنما علم النبي ﷺ أنه جبريل بعد مدة، كما قال عمر: فلبثت مليًّا، ثم قال النبي ﷺ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟».

والمحرف يقول: علم وقت السؤال أنه جبريل، ولم يخبر الصحابة بذلك إلا بعد مدة.

ثم نقول في الحديث: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» يعُم كل سائل ومسئول، فكل سائل ومسئول عن الساعة هذا شأنهما.

ولكن هؤلاء الغلاة عندهم: أن علم رسول اللَّه ﷺ منطبق على علم اللَّه: سواء بسواء، فكل ما يعلمه اللَّه يعلمه رسول اللَّه ﷺ.

واللَّه يقول: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ١٠١] وهذا في براءة وهو في أواخر براءة، وهي من أواخر ما نزل من القرآن، هذا والمنافقون جيرانه في المدينة.

ومن هذا حديث: «عِقْد عائشة ﵂ لما أرسل في طلبه، فأثاروا الجمل فوجدوه»(٣).

وفي هذا حديث: تلقيح النخل، وقال: «مَا أَرَى لَوْ تركْتُمُوه يَضُرُّهُ شَيْءٌ»

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما بلفظ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا شُبِّهَ عَلَيَّ مُنْذُ أَتَانِي قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ، وَمَا عَرَفْتُهُ حَتَّى وَلَّى». رواه الدارقطني في السنن، ح(٢٠٧) وقال: «إسناد ثابت صحيح»، وابن حبان، ح(١٧٣).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما بلفظ: «رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ». فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا». رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ح(٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب التيمم، وقول اللَّه تعالى ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ﴾، ح(٣٣٤)، ومسلم، كتاب الحيض، باب التيمم، ح(٣٦٧).

فتركوه فجاء شيصًا، فقال: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِدُنْيَاكُمْ»(١).

وقد قال اللَّه تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ولما جرى لأم المؤمنين عائشة ما جرى، ورماها أهل الإفك بما رموها به: لم يكن ﷺ يعلم حقيقة الأمر، حتى جاءه الوحي من اللَّه ببراءتها.

وعند هؤلاء الغلاة: أنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم الحال على حقيقته بلا ريبة، واستشار الناس في فراقها ودعا الجارية فسألها، وهو يعلم الحال وقال لها: «إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ»(٢)، وهو يعلم علمًا يقينًا أنها لم تذنب، ولا ريب أن الحامل لهؤلاء على الغلو إنما هو اعتقادهم أنه يكفِّر عنهم سيئاتهم ويدخلهم الجنة، وأنهم كلما غلوا كانوا أقرب إليه وأخص به، فهم أعصى الناس لأمره، وأكثرهم مخالفة لسنته، وأعظمهم غلوا فيه.

وهؤلاء فيهم شَبَهٌ ظاهر من النصارى الذين غلوا في المسيح أعظم الغلو، وخالفوا شرعه ودينه أعظم المخالفة.

والمقصود أن هؤلاء يصدقون بالأحاديث المكذوبة الصريحة ويحرفون الأحاديث الصحيحة»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعًا دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي، ح(٢٣٦٣) ولفظه: عن أنس رضي الله عنه «أَنَّ النبي ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فقال: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ». قال: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فقال: «ما لِنَخْلِكُمْ؟» قالوا: قُلْتَ: كَذَا وَكَذَا، قال: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ».

(٢) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب حديث الإفك، ح(٢٦٦١)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، ح(٢٧٧٠).

(٣) المنار المنيف (١/ ٧٤).

أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي رواية عطاء الخراساني: قال: فمتى الساعة؟ قال: «هِيَ فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لا يَعلَمُها إلا اللَّه» قال القرطبي: «لا مطمع لأحد في علم شيء من هذه الأمور الخمسة لهذا الحديث»، وقد فسر النبي ﷺ قول اللَّه تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] بهذه الخمس وهو في الصحيح. قال: فمن ادعى علم شيء منها غير مسنده إلى رسول اللَّه ﷺ كان كاذبًا في دعواه»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: لَا شَيْءَ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ. قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ»(٣).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الكرماني: سلك مع السائل أسلوب الحكيم، وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم»(٤).

وهذا يعني أن الذي يهمنا من الساعة هو الاستعداد لها بالأعمال الصالحة،

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من رفع صوته بالعلم، ح(٢٩).
(٢) فتح الباري (١/ ١٢٤).
(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب، ح(٣٦٨٨).
(٤) فتح الباري (١٠/ ٥٦٠).

فالنبي ﷺ أرشد السائل إلى ما يفيده لا إلى ما يريده، وصرفه عن الاشتغال بوقتها بما يعنيه منها، والخير فيما أرشد إليه النبي ﷺ، وبذلك يتبين خطأ من شغل نفسه بتحديد عمر الدنيا، أو عمر أمة الإسلام، لأن هذا مما لا يعني، وهو غير معلوم لأحد، وما يروى في ذلك من أحاديث وآثار، قال عنها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أبين الكذب»[(١)]، وذلك لمخالفتها الكتاب والسنة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المقطوع به أن ما بقي من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى منها شيء يسير جدًّا، ومع هذا لا يعلم مقداره على التبيين والتحديد إلا اللَّه عَزَّوَجَلَّ... كما لا يعلم مقدار ما مضى إلا اللَّه عَزَّوَجَلَّ، والذي في كتب الإسرائيليين وأهل الكتاب من تحديد ما سلف بألوف ومئات من السنين قد نص غير واحد من العلماء على تخبطهم فيه وتغليطهم، وهم جديرون بذلك حقيقون به، وقد ورد في حديث: «الدُّنْيَا جُمْعَة مِنْ جُمَع الآخِرَة»، ولا يصح إسناده أيضًا، وكذا كل حديث ورد فيه تحديد وقت يوم القيامة على التعيين لا يثبت إسناده»[(٢)].

بل حتى علامات الساعة وأشراطها ليست مما يعلم الخلق وقتها بالتحديد قبل أن تقع، وإلا لما أخر النبي ﷺ بيان ذلك وأخبر عن الأمارات فحسب، وذلك دليل على عدم علمه ﷺ بوقت ظهور الأمارات، كعدم علمه بوقت قيام الساعة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي ينبغي أن يقال في هذا الباب أن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة فلا يعلم أحد

---

(١) المنار المنيف (١/ ٧٤). والعجب من السيوطي مع جلالته رَحِمَهُ ٱللَّهُ ألف كتابًا سماه «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» واعتمد هذا الحديث وحدد أن الساعة تقوم قبل الألف والأربعمائة، وهذا التحديد مخالف لصريح القرآن والسنة والواقع؛ لأننا لو عرفنا مدة الدنيا لعلمنا متى تقوم الساعة، وتقدم أن علم الساعة إلى اللَّه وحده.

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٣١).

أي سنة هي، ولا أي شهر، أما أنها ستكون في يوم الجمعة آخر ساعة منه وهي الساعة التي خلق فيها آدم، ولكن أي جمعة لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا اللَّه وحده لا شريك له، وكذلك ما يكون من الأشراط تعيين الزمان لها لا يعلم، واللَّه أعلم»(١).

وهذا التحديد والانشغال به أوقع كثيرًا من الناس في التثبط والتخبط والقول على اللَّه بغير علم(٢).

وأما قيامها يوم الجمعة فالأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، منها:

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»(٣).

وعنه ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَفِيهَا سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»(٤).

---

(١) التذكرة (٣/ ١٢٢٢ - ١٢٢٣).

(٢) وممن خاض هذا المضمار أمين جمال الدين، فإنه ألف كتبًا في «تحديد عمر أمة الإسلام» وهو صاحب كتاب «هرمجدون»، أتى ببدع من القول، وبنى على المحرَّف مما عند اليهود والنصارى، وقد رد عليه جماعة من أهل العلم، وكتاباته في الحقيقة لا تستحق أن تناقش، وقد أظهر الزمان بطلانها، ولكن العجب من تهافت الناس عليها، وكثرة طباعتها، وسرعة انتشارها، مع كثرة ما يضادها من كتب الحق المؤلفة عبر قرون الأمة، ولكنه انقلاب الميزان، وتلبيس الشيطان، والبعد عن منابع الإيمان، واللَّه المستعان.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب فضائل يوم الجمعة، ح(٢٠١٤).

(٤) رواه مالك، ح(٣٦٤)، وأحمد، ح(١٠٣٠٣)، وأبو داود، ح(١٠٤٦)، والترمذي، ح(٤٩١) وقال: «حديث حسن صحيح». والحاكم، (١/ ٢٧٦، ٢٧٨) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وأما قول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ستكون في يوم الجمعة آخر ساعة منه وهي الساعة التي خلق فيها آدم».

فلم أقف على دليل لذلك، وليس في قوله ﷺ المتقدم: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ»، ما يدل على ذلك أيضًا؛ لأن هذه المخلوقات لا تعلم وجبتها، إنما تعلم يومها، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧](1).

وقال النبي ﷺ: «وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»(2).

وقد ذكر العلماء - رحمهم اللَّه تعالى - بعض الحِكم من إخفاء اللَّه تعالى علم الساعة عن الخلق، منها:

١- بيان عظمة اللَّه عَزَّوَجَلَّ وأنه لا يساويه أحد في علمه.

٢- إبطال كل زعم وادعاء في معرفة علم الساعة بالحساب ونحوه، وذلك أن اللَّه تعالى قد حجب علم ذلك عن الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين، فكيف بمن دونهم؟!

٣- رحمة بالعباد حتى يكونوا على استعداد دائم، وتأهب للعمل الصالح

(١) تكرر هذا اللفظ في عدة مواضع من القرآن: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٣١]. وقال: ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [يوسف: ١٠٧]. وقال: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الحج: ٥٥]. وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزخرف: ٦٦]. وقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨].

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح(٧١٢١).

والتوبة النصوح، كما أن إخفاء وقت الموت - وهو الساعة الصغرى - أصلح للعباد، فلو عرف الإنسان مقدار عمره وكان قصير العمر لم يهنأ بالعيش، ولولا طول الأمل لخربت الدنيا، وإنما عمارتها بالآمال، وإن كان طويل العمر وقد تحقق ذلك فلن يبالي بالانهماك في الشهوات والمعاصي، ويقول: إذا اقترب الوقت أحدثت توبة، وهذا مذهب لا يرضاه اللَّه تعالى من عباده ولا يقبله منهم، ولا يصلح العالم إلا على هذا الذي اقتضته حكمته، وسبق به علمه.

٤- امتحان إيمان الناس بخبر اللَّه وخبر رسله، وترتيب الأجر العظيم على الإيمان باليوم الآخر وتصديق الغيب والوعود المستقبلية، ولِيَمِيْزَ اللَّه الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب[(١)].

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٤)، ولوامع الأنوار البهية (٢/ ٦٦)، وروح المعاني في التفسير (٩/ ١٢٤)، والقناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة ص(٦٠ - ٦١)، وتفسير المنار (٩/ ٣٨٩-٣٩٠).

المبحث الخامس
قرب الساعة

قال اللَّه تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ①﴾ [القمر: ١].

قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني تعالى ذكره بقوله ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة.

وقوله ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾ افتعلت من القرب، وهذا من اللَّه تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بصيغة الفعل الماضي، ولم يقل: قامت الساعة، ولا: ستقوم، بل قال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾ أي دنت وقربت، و﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ الذي هو دليل على نبوة محمد وعلى إمكان انخراق الفلك الذي هو قيام القيامة، وهو سبحانه قرن بين خبره باقتراب الساعة وخبره بانشقاق القمر، فإن مبعث محمد ﷺ هو من أشراط الساعة وهو دليل على قربها، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: ««بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى»[(٢)].

وقد قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ﴾

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب باب قول النبي ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ح(٦٥٠٤)، ومسلم، كتاب الفتن، باب قرب الساعة، ح(٢٩٥١).

[محمد: ١٨]»(١).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٧ - ١٨].

وقال عز وجل: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقال: ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾ [النجم: ٥٧]. وقال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ - ٧]. وقال: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

قال ابن كثير رحمه الله: «يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبرًا بصيغة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة كقوله: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ وقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾»(٢).

والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة.

وأما السنة:

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قَالَ:

وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى(٤).

---

(١) الجواب الصحيح (١/ ٤٢٠). (٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٨٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾، ح(٤٩٣٦) واللفظ له، ومسلم، كتاب الفتن، باب قرب الساعة، ح(٢٩٥٠).

(٤) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ح(٦٥٠٤)، ومسلم، كتاب الفتن، باب قرب الساعة، ح(٢٩٥١)، واللفظ له.

قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد نطق القرآن بأن النبي ﷺ كان لا يعلم متى تقوم الساعة، ولا يعلم أحد من خلق اللَّه، وقول النبي ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» معناه واللَّه تعالى أعلم: أني أنا النبي الآخر لا يليني نبي آخر، وإنما يليني القيامة؛ وهي مع ذلك دانية لأن أشراطها متتابعة بيني وبينها، غير أن ما بين أول أشراطها إلى آخرها غير معلوم»[١].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما قوله: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» فمعناه: أنا النبي الأخير فلا يليني نبي آخر، وإنما تليني القيامة كما تلي السبابة الوسطى وليس بينهما أصبع أخرى، وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها وهي مع ذلك دانية لأن أشراطها متتابعة، وقد ذكر اللَّه الأشراط في القرآن فقال: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾ أي دنت، وأولها النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي»[٢].

وعن بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي»[٣].

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ...»[٤].

---

(١) شعب الإيمان (١/ ٤٠٦).

(٢) التذكرة (٣/ ١٢١٩).

(٣) رواه أحمد، ح(٢٢٩٤٧) وقال الأرناؤوط: «حسن لغيره»، قال ابن كثير: «تفرد به الإمام أحمد في مسنده». التفسير، (١١/ ٢٩٧). وقال الهيثمي: «ورجال أحمد رجال الصحيح». مجمع الزوائد (١/ ٣١١). وقال البوصيري: «رواته ثقات». إتحاف الخيرة (٨/ ١٤٤).

(٤) رواه ابن أبي شيبة، ح(١٩٧٤٧)، وأحمد، ح(٥٦٦٧)، والطبراني في الكبير، (١٣/ ٣١٧) ح(١٤١٠٩)، وفي مسند الشاميين، (١/ ١٣٦) ح(٢١٦)، والبيهقي في الشعب، ح(١١٥٤)، قال الذهبي: «إسناده صالح». السير (١٥/ ٥٠٩). وقال ابن حجر: «وأبو منيب لا يُعرف اسمه وفي الإسناد عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف في توثيقه، وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي ﷺ». الفتح (٦/ ٩٦). وقال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان، وثَّقه ابن المديني، وغيره، وضعفه أحمد، وغيره، وبقية رجاله ثقات». مجمع الزوائد (٦/ ٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٥١٤٢).

وعن أبي جُبَيْرَةَ بْنِ الضَّحَّاكِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ»[(١)].

وقوله: «فِي نَسَمِ السَّاعَةِ».

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «في نسم السَّاعَة أي حِين ابتدأت وَأَقْبلت أوائلها، وَأَصله نسيم الرّيح وَهُوَ أول هبوبها»[(٢)].

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «في نسم الساعة هو من النسيم أول هبوب الريح الضعيفة، أي بعثت في أول أشراط الساعة وضعف مجيئها»[(٣)].

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل هذه النصوص تدل على شدة اقتراب الساعة»[(٤)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَالشَّمْسُ عَلَى قُعَيْقِعَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَقَالَ: «مَا أَعْمَارُكُمْ فِي أَعْمَارِ مَنْ مَضَى، إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ فِيمَا مَضَى مِنْهُ»[(٥)].

وفي رواية عن الْمُطَّلب بن عبد اللَّه، عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّهُ كَانَ وَاقِفًا بِعرَفَاتٍ، فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ حِينَ تَدَلَّتْ مِثْلَ التُّرْسِ لِلْغُرُوبِ فَبَكَى وَاشْتَدَّ بُكَاؤُهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ عِنْدَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَدْ وَقَفْتَ مَعِي مِرَارًا لِمَ تَصْنَعُ هَذَا،

---

(١) رواه أبو أحمد الحاكم في الأسامي والكنى (٣/ ١١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٦)، وفي معرفة الصحابة (٥/ ٢٨٤٩)، والبزار (٤/ ٦٨) كشف الأستار، قال الألباني: «رواه الدولابي في الكنى (١/ ٢٣) وابن منده في المعرفة (٢/ ٢٣٤/ ٢) عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي جبيرة مرفوعًا. قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات وفي صحبة أبي جبيرة خلاف، ورجح الحافظ في التقريب أن له صحبة وذكر في الإصابة أنه روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وهذا هو الصواب خلافًا لقول العجلي في الثقات». سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٢/ ٤٦٨) ح(٨٠٨).

(٢) غريب الحديث (٢/ ٤٠٦).

(٣) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٤٨).

(٤) فتح الباري لابن رجب (٢/ ١٤٧).

(٥) رواه أحمد، ح(٥٩٦٦). قال ابن كثير: «تفرد به أحمد، وهذا إسناد حسن لا بأس به». البداية والنهاية (١٩/ ٢٩١). وحسنه ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٥٠).

فَقَالَ: ذَكَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ بِمَكَانِي هَذَا فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ»(١).

وعنه رضي الله عنه عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ»(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا الحديث فيه دليل على أن مدة هذه الأمة قصيرة بالنسبة إلى ما مضى من مدد الأمم قبلها؛ لقوله ﷺ: «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ»، فالماضي لا يعلمه إلا اللَّه، كما أن الآتي لا يعلمه إلا هو، ولكنه قصير بالنسبة إلى ما سبق، ولا اطلاع لأحد على تحديد ما بقي إلا اللَّه عز وجل كما قال اللَّه تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]»(٣).

فالأمر نسبي، والمراد قربها بالنسبة إلى ما مضى من عمر الدنيا وما بقي منه، ولا يعلم مقدار ذلك إلا علام الغيوب سبحانه.

ولن تقوم الساعة حتى تستنفد أشراطها وعلاماتها الواردة في الكتاب والسنة، وما وقع من ذلك فهو معجزة من معجزات نبينا ﷺ، وما لم يقع فالإيمان به واجب، واللَّه أعلم بزمان وقوعه وكيفيته.

قال يُسَيْرُ بن جابر(٤) رحمه الله: «هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ

---

(١) رواه أحمد، ح(٦١٧٣)، قال ابن كثير: «تفرد به أحمد» البداية والنهاية (١٩/ ٢٩٢). ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٣٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي فقال: «كثير، ضعفه النسائي ومشّاه غيره». وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٩/ ٢٧). وقال الأرنؤوط: «حديث صحيح لغيره» المسند (١٠/ ٣١٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(٣٤٥٩).

(٣) البداية والنهاية (٣/ ٧٥).

(٤) قال ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ١٠٠): «أسير بن عمرو بن جابر المحاربي ويقال: يسير بالياء المحاربي ويقال فيه: أسير بن جابر ويسير بن جابر فينسب إلى جده وهو أسير ابن عمرو بن جابر =

لَهُ هِجِّيرَى إِلَّا: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ. قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ - فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلَامِ. قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الإِسْلَامِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ: لَا يُرَى مِثْلُهَا وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا، فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»(١).

فبيَّن ابن مسعود رضي الله عنه أن الساعة لن تقوم حتى يظهر ما قبلها من أشراط،

= المحاربي ويقال: الكندي، يكنى أبا الخيار، قاله: عباس عن ابن معين، وقد قال علي ابن المديني: أهل الكوفة يسمونه أسير بن عمرو وأهل البصرة يسمونه أسير بن جابر ومنهم من يقول يسير وهو معدود في كبار أصحاب ابن مسعود».

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، ح(٢٨٩٩).

وأن الأمور المهولة المفزعة مهما عظمت وخافها الناس فلا ينبغي أن تنسيهم ما أخبرهم به رسول اللَّه ﷺ من أشراط للساعة واقعة لا محالة، فيتجاوزونها تحت ضغط واقع معين ويحكمون بظنهم ويحرفون النصوص عن مواضعها، إذ أمر الساعة لا يلتبس، وأشراطها واضحة مبينة، فلا بد من وقوع خبر الصادق المصدوق واللَّه تعالى أعلم.

الفصل الثاني
مقدمات في أشراط الساعة

المبحث الأول: تعريف أشراط الساعة

المبحث الثاني: أقسام أشراط الساعة

المبحث الثالث: الضوابط الشرعية في التعامل مع نصوص الفتن وأشراط الساعة وتنزيلها على الوقائع

المبحث الأول
تعريف أشراط الساعة

معنى الأشراط:

الأشـراط جمع شَـرَط بالتحريك، والشـرط العلامة، وأشـراط الساعة علاماتها، وأشراط الشيء أوائله، ومنه شرط السلطان.

قال أبو عبيد الهروي(١) رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الأصمعي: هي علاماتها، قال: ومنه الاشتراط الذي يشترط الناس بعضهم على بعض إنما هي علامات يجعلونها بينهم، ولذلك سميت الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها»(٢).

وقال ابن الأثير(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأشـراط العلامات واحدها شَرَط بالتحريك، وبه سميت شرط السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها»(٤).

وقال الفيروز آبادي(٥) رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشرط بالتحريك: العلامة، جمعه: أشراط،

---

(١) «هو العلامة، أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن الهروي، الشافعي، اللغوي، المؤدب، صاحب الغريبين، أخذ علم اللسان عن الأزهري وغيره، توفي في سادس رجب، سنة إحدى وأربع مائة». سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٤٦ - ١٤٧).

(٢) غريب الحديث (١/ ٤٠).

(٣) هو المحدث أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري مجد الدين، صاحب «جامع الأصول» و«النهاية في غريب الحديث»، توفي بالموصل، يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٤١ - ١٤٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٦٠).

(٥) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والأدب. ولد بكارزين من أعمال شيراز. وانتقل إلى العراق، وجال في مصر والشام، =

وأول الشيء»[١].

وقال الأزهري[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقال أبو عبيدة: سمي الشُّرَطُ شُرَطًا لأنهم أُعدُّوا. وقال: وأشراطُ الساعة علاماتها. وقال أبو سعيد: أشرط الساعة علاماتها، وأسبابها التي هي دون مُعظمها وقِيامها. قال: وأشرطُ كل شيء ابتداء أوله»[٣].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل متقدم على الشيء يسمى شرطًا... ومنه أشراط الساعة»[٤].

وقال القزويني[٥] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أشراط الساعة علاماتها، الواحد شرط بفتح الراء، كذا ذكره في ديوان الأدب، ويقال أشرط نفسه لكذا أي أعلمه له، ومنه الشُرَط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها، وشروط الأشياء علامات لها»[٦].

فأشراط الساعة علاماتها الدالة على قرب وقوعها.

= ودخل بلاد الروم والهند. ورحل إلى زبيد فسكنها وولي قضاءها. وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، ومن أشهر كتبه «القاموس المحيط» و«بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، وتوفى في زبيد سنة ٨١٧هـ. الأعلام للزركلي (٧/ ١٤٦).

(١) القاموس المحيط ص(٨٦٩).

(٢) هو محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور: أحد الأئمة في اللغة والادب، مولده ووفاته في هراة بخراسان. عني بالفقه فاشتهر به أولًا، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم. من أشهر كتبه «تهذيب اللغة»، وفاته سنة ٣٧٠هـ. الأعلام (٥/ ٣١١).

(٣) تهذيب اللغة (١١/ ٣٠٩). (٤) شرح عمدة الفقه (١/ ١٤٤).

(٥) «شيخ الشافعية، عالم العجم والعرب، إمام الدين، أبو القاسم عبدالكريم ابن العلامة أبي الفضل محمد بن عبدالكريم بن الفضل بن الحسين الرافعي، القزويني. وكان من العلماء العاملين، يذكر عنه تعبد، ونسك، وأحوال، وتواضع، انتهت إليه معرفة المذهب. قال ابن الصلاح: أظن لم أر في بلاد العجم مثله، كان ذا فنون، حسن السيرة، جميل الأمر. وقال أبو عبد اللّٰه محمد الإسفراييني الصفار: كان أوحد عصره في الأصول والفروع، ومجتهد زمانه، وفريد وقته في تفسير القرآن والمذهب، صنف كثيرًا، وكان زاهدًا، ورعًا، سمع الكثير. توفي في ذي القعدة، سنة ثلاث وعشرين وست مائة». سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٥٢ - ٢٥٤).

(٦) التدوين في أخبار قزوين (١/ ١٤٥).

قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا المراد بأشراط الساعة: «أي ما يتقدمها من العلامات الدالة على قرب حينها»[(١)].

وقال الحليمي[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما انتهاء الحياة الأولى فإن له مقدمات تسمى أشراط الساعة وهي أعلامها»[(٣)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراد بالأشراط العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[(٤)].

وقد جاء ذكر الأشراط في القرآن والسنة:

أما القرآن فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ [محمد: ١٨].

وأما السنة: فأكثر الأحاديث جاءت بلفظ «الأشراط».

وجاء في بعضها لفظ «الآية» مثل قوله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»[(٥)].

وقوله ﷺ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ...»[(٦)].

وجاء لفظ «الأمارة» مثل حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى

---

(١) البعث ص(٦٩).

(٢) هو: «القاضي، العلامة، رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر، أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري، الشافعي، أحد الأذكياء الموصوفين، ومن أصحاب الوجوه في المذهب، وكان متفننًا، سيال الذهن، مناظرًا، طويل الباع في الأدب والبيان. وله مصنفات نفيسة، وللحافظ أبي بكر البيهقي اعتناء بكلام الحليمي ولا سيما في كتاب «شعب الإيمان»، توفي في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وأربع مائة». سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣١ - ٢٣٣) باختصار.

(٣) المنهاج (١/ ٤٢٢).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٩٧).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه...، ح(٢٩٤١).

(٦) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

رَاعِي غَنَم فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ، قَالَ: فَصَعِدَ الذِّئْبُ عَلَى تَلٍّ، فَأَقْعَى وَاسْتَذْفَرَ، فَقَالَ: عَمَدْتَ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللَّهُ ﷻ انْتَزَعْتَهُ مِنِّي. فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذِئْبًا يَتَكَلَّمُ، قَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخَلَاتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ، يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ. وَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيًّا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ وَخَبَّرَهُ، وَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتٍ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلَا يَرْجِعَ حَتَّى تُحَدِّثَهُ نَعْلَاهُ وَسَوْطُهُ مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ»(١).

وجاء لفظ «العلامة» في رواية لحديث جبريل عن الساعة: «قَالَ: فَمَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، خَمْسٌ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾» [فَقَالَ السَّائِلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ](٢)، إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ بِعَلَامَتَيْنِ تَكُونَانِ قَبْلَهَا؟ فَقَالَ: حَدِّثْنِي. فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ الْأَمَةَ تَلِدُ رَبَّهَا وَيَطُولُ أَهْلُ الْبُنْيَانِ بِالْبُنْيَانِ، وَعَادَ الْعَالَةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ» قَالَ: وَمَنْ أُولَئِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْعَرِيبُ». قَالَ: ثُمَّ وَلَّى، فَلَمَّا لَمْ نَرَ طَرِيقَهُ بَعْدُ، قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ - ثَلَاثًا - هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا جَاءَنِي قَطُّ إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ هَذِهِ الْمَرَّةُ»(٣).

---

(١) رواه أحمد، ح(٨٠٦٣). قال الهيثمي: «رجاله ثقات» مجمع الزوائد (٨/ ٢٩٢)، وصححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح، ح(٥٩٢٧).

(٢) هذه الجملة فيها إشكال ومخالفة لبقية الروايات، ولعلها تصحيف، ومما يؤيد ذلك رواية الهيثمي للحديث في المجمع (١/ ٣٩) وفيه بدل هذه الجملة: «ولكن إن شئت حدثتك.. إلخ» فيكون المتحدث هو رسول الله ﷺ، وبه يزول الإشكال.

(٣) رواه أحمد، ح(١٧١٦٧) قال الهيثمي: «رواه أحمد وفي إسناده شهر بن حوشب» مجمع الزوائد (١/ ٣٩).

وجميع هذه الألفاظ تؤدي معنى واحدًا: وهو ما يتقدم الساعة من أمور تدل عليها، وتكون علامة لها، وإن كان لفظ «الآية» أُطلق على العلامات العظام.

وأما معنى الساعة:

قال ابن منظور(١) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الزجاج: الساعة اسم للوقت الذي تَصْعَقُ فيه العِبادُ والوقتِ الذي يبعثون فيه وتقوم فيه القيامة، سميت ساعة لأَنها تَفْجَأُ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم عند الصيحة الأُولى التي ذكرها اللَّه عَزَّ وَجَلَّ».

ثم قال: «والساعة في الأَصل تطلق بمعنيين أَحدهما: أَن تكون عبارة عن جزء من أَربعة وعشرين جزءًا هي مجموع اليوم والليلة. والثاني: أَن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أَو الليل يقال: جلست عندك ساعة من النهار أَي وقتًا قليلًا منه ثم استعير لاسم يوم القيامة.

قال الزجاج: معنى الساعة في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة، يريد أَنها ساعة خفيفة يحدث فيها أَمر عظيم فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة»(٢).

وللساعة ثلاث إطلاقات:

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الراغب(٣): الساعة جزء من الزمان ويعبر بها عن القيامة تشبيهًا بذلك لسرعة الحساب، قال اللَّه تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦٢] أو لما نبه عليه بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ

---

(١) هو «محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب «لسان العرب»، الإمام اللغوي الحجة، من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر، وقيل: في طرابلس الغرب، وخدم في ديوان الانشاء بالقاهرة، ثم ولي القضاء في طرابلس، وعاد إلى مصر فتوفي فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعُمي في آخر عمره، وتوفي سنة ٧١١هـ. الأعلام (١٠٨/٧).

(٢) لسان العرب (٣/ ٢١٥١).

(٣) المفردات ص(٤٣٥).

﴿يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وأطلقت الساعة على ثلاثة أشياء: الساعة الكبرى: وهي بعث الناس للمحاسبة، والوسطى: وهي موت أهل القرن الواحد نحو ما روي أنه رأى عبد اللَّه بن أنيس فقال: «إِنْ يَطُلْ عُمُرَ هَذا الْغُلَام لَمْ يَمُتْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(١)، فقيل إنه آخر من مات من الصحابة. والصغرى: موت الإنسان فساعة كل إنسان موته، ومنه قوله ﷺ عند هبوب الريح: «تَخَوَّفْتُ السَّاعَةَ»(٢)، يعني موته. انتهى»(٣).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ» المراد بالساعة هنا يوم القيامة، والأصل فيها قطعة من الزمان، وفي عرف أهل الميقات جزء من أربعة وعشرين جزءًا من اليوم والليلة، وثبت مثله في حديث جابر رفعه: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً»(٤)، وقد بينت حاله في كتاب الجمعة، وأطلقت في الحديث على انخرام قرن الصحابة، ففي صحيح مسلم(٥) عن عائشة: «كان الأعراب يسألون رسول اللَّه ﷺ عن الساعة، فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال: «إن يَعِشْ هذا لم يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»، وعنده من حديث أنس نحوه، وأطلقت أيضًا على موت الإنسان الواحد»(٦).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قد يريد

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما بلفظ: «إِنْ يَعِشْ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، ح(٢٩٥٣).

(٢) رواه الدينوري في المجالسة، ح(٩٥٤) وقال مشهور في تعليقه: «إسناده ضعيف»، ورواه الذهبي في السير بإسناده (١١/ ٣٦٢) وقال: «إسناده ثقات، لكن الأعمش مدلس، مع أنه قد رأى أنس بن مالك، وحكى عنه».

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٦٤).

(٤) رواه النسائي، كتاب الجمعة، باب وقت الجمعة، ح(١٣٨٨) وصححه الألباني في تعليقه، والحاكم (١/ ٤١٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم».

(٥) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، ح(٢٩٥٢).

(٦) فتح الباري (١١/ ٣٤٨).

بالساعة انخرام القرن ووقوع شرور وبلاء يعذب به الناس؛ وإن كانت الساعة العامة هي قيام الناس من قبورهم، لكن الأول جاء في مثل قوله: «إِنْ يَسْتَنْفِدْ هَذَا الْغُلَامُ عُمُرَهُ لم يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(١)، يريد به انخرام ذلك القرن، كما أنه قد أراد بلفظ القيامة موت الإنسان كما في قول المغيرة بن شعبة: «أيها الناس إنكم تقولون: القيامة القيامة، وإنه من مات فقد قامت قيامته»(٢).

فمعاني الساعة ثلاثة:

الساعة الصغرى: وهي موت الإنسان.

والساعة الوسطى: وهي انخرام أهل القرن الواحد وموتهم جميعًا.

والساعة الكبرى: وهي القيامة.

وإذا أطلق لفظ الساعة فالمراد الكبرى واللَّه أعلم.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وما تقدم بمعناه.

(٢) الاستقامة (١/ ٦٧). وانظر: المستدرك على فتاوى شيخ الإسلام (١/ ٨٧ - ٨٨).

المبحث الثاني
أقسام أشراط الساعة

لم يقم دليل شرعي من الكتاب والسنة فيما أعلم على تقسيم أشراط الساعة، وإنما بنى العلماء تقاسيمهم على الاستقراء والتتبع، وذلك لقصد الضبط وتسهيل الانتفاع بها والإدراك لمعانيها(١).

ولذلك تنوعت تقاسيم العلماء رحمهم اللَّه تعالى، فمنهم:

١- من قسمها إلى صغرى وكبرى:

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال البيهقي وغيره: الأشراط منها صغار وقد مضى أكثرها، ومنها كبار ستأتي»(٢).

ونص كلام البيهقي الذي ذكره في كتابه «البعث»: «وبهذه الأشراط صغار وكبار، فأما صغارها فقد وُجد أكثرها، وأما كبارها فقد بدت آثارها»(٣).

وضابط ذلك عندهم: أن الصغرى هي التي تتقدم الساعة بأزمنة متطاولة، وتكون معتادة، كقبض العلم، وظهور الجهل، وشرب الخمر، وأكل الربا، ونحو ذلك.

والكبرى: الأمور العظام التي تظهر قرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة، كظهور الدجال، ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس

---

(١) انظر: البعث والنشور للبيهقي ص(١٢٨). (٢) فتح الباري (١٣/ ٨٥).
(٣) ص(١٢٨).

من المغرب، وخروج الدابة، وتكون متقاربة متتالية.

وقيد بعض هؤلاء العلماء الكبرى بالعشر الواردة في حديث حذيفة بن أَسِيْد فقط، وهي: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدجال، والدابة، وثلاث خسوفات، وخروج عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، والنار التي تخرج من قعر عدن.

وهذا أضبط شيء، وقد أجمع العلماء على هذه العشر، لقوله ﷺ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حتى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ»[١]. ولأنها متتالية، وإنما اختلفوا فيما عدا ذلك كبعثة النبي ﷺ وخروج المهدي والريح التي تقبض أرواح المؤمنين ونحو ذلك[٢].

٢- ومنهم من اجتهد في ترتيبها حسب ظهورها، كبعثة النبي ﷺ ثم وفاته... وهكذا إلى الكبرى، ثم ذكر الأشراط الكبرى وما يصحبها من الأشراط الصغرى، ثم ذكر ما يعقب بعض الكبرى كخراب الكعبة والريح التي تقبض أرواح المؤمنين ورفع القرآن ونحو ذلك[٣].

وهذا الترتيب جيد للقارئ في تسلسل الأفكار وتتبع الأحداث، ولكن لا يخلو من خلل، لأن الأشراط وترتيبها من علم الغيب، ولم يأت الترتيب في الشرع إلا في قليل منها، وما يحسبه أهل زمان أنه المراد قد يحسبه أهل زمان آخر أنه ليس كذلك، وقد يأتي على هذه المؤلفات إن بقيت يومٌ يكذب كثيرًا من ترتيبها الواقع، كما أن واقعنا شهد بخلل بعض المؤلفات السالفة.

٣- ومنهم من تعمد خلط الأشراط الكبرى بالصغرى سواء ظهرت

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٢١٧، ١٢٦٢)، وفتح الباري (١٣/ ٩١)، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح ص(٩)، وأشراط الساعة في مسند الإمام أحمد (١/ ٣٥، ٣٨).

(٣) وممن سار على هذا نعيم بن حماد في «الفتن».

أم لم تظهر، وهذا أسلم المناهج والطرق، وعليه أكثر كتب السنة، بل السنة جاءت بذلك، فقد جمع النبي ﷺ بين أمور متباعدة، فقال لعوف بن مالك رضي الله عنه: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»(١).

فجمع النبي ﷺ بين موته وبين الملحمة الكبرى قبيل الدجال.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهُمَا (دَعْوَاهُمَا) وَاحِدَةٌ وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ: عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي بِهِ وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ يَعْنِي آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»(٢).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، ح(٣١٧٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعوتهما واحدة»، ح(٧١٢١)، ومسلم، كتاب الفتن، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ح(٢٨٨٨).

وهذا فيه جمع بين أشراط كبرى وصغرى(١).

٤- ومنهم من نظر إلى وقت الخروج وزمانه، فقسمها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما وقع وانتهى وفق ما أخبر به النبي ﷺ.

الثاني: ما وقعت مباديه ولم يستحكم.

الثالث: ما لم يقع منه شيء، ولكنه سيقع.

وهذا ما صرح به ابن حجر(٢)، ومشى عليه البرزنجي(٣) في كتابه «الإشاعة»، وسمى القسم الأول بالأمارات البعيدة، والثاني: بالأمارات المتوسطة، والثالث: بالأمارات القريبة، وزعم أن هذا الترتيب لم يره لغيره، وهو في حقيقته لا يخرج عن تقسيم ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهذا التقسيم أقرب إلى الضبط، وأنفع للعوام، كما قال البرزنجي رَحِمَهُ اللَّهُ(٤).

ومشى على هذا التقسيم أيضًا السفاريني(٥) وصديق حسن خان(٦).

٥- ومنهم من اعتبر مكان وقوع الأشراط فقسمها إلى أشراط سماوية وأشراط أرضية، وجعل السماوية انشقاق القمر، وانتفاخ الأهلة، وطلوع الشمس

---

(١) وعلى هذا مشى السخاوي في «القناعة» تقريبًا، وإن كان قد ختم كتابه بتقسيم ابن حجر الآتي.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٨٣، ٨٥).

(٣) هو: «محمد بن عبدالرسول بن عبد السيد الحسني البرزنجي: فاضل، له علم بالتفسير والأدب. من فقهاء الشافعية، برزنجي الأصل، ولد وتعلم بشهرزور، ورحل إلى همذان وبغداد ودمشق والقسطنطينية ومصر، واستقر في المدينة، فتصدر للتدريس، وتوفي بها سنة ألف ومائة وثلاثة، وله كتب، منها «الإشاعة في أشراط الساعة». الأعلام (٦/ ٢٠٤).

(٤) الإشاعة ص(٩).

(٥) لوامع الأنوار (٢/ ٦٦).

(٦) الإذاعة ص(٦٧، ٩٦، ١١٢)، وهو: محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب: من رجال النهضة الاسلامية المجددين.ولد ونشأ في قنوج بالهند وتعلم في دهلي، وسافر إلى بهوبهال طلبًا للمعيشة، ففاز بثروة وافرة، وتوطن وتمول، واستوزر وناب، وألف وصنف وتزوج بملكة بـ بهوبهال، ولقب بنواب عالي الجاه أمير الملك بهادر. له نيف وستون مصنفًا بالعربية والفارسية والهندية، وفاته سنة ١٣٠٧هـ. الأعلام (٦/ ١٦٨).

من المغرب، ونزول عيسى بن مريم، والدخان.

وجعل الأرضية ما سوى ذلك، وإليه أشار ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «فأما خروج الدابة على شكل غير مألوف، ومخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان والكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية»[(١)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة»[(٢)].

٦- ومنهم من قسمها إلى أربعة أقسام:

الأول: العلامات الصغرى التي وقعت وانقضت.

الثاني: العلامات الصغرى التي وقعت ولا تزال مستمرة، وقد يتكرر وقوعها.

الثالث: العلامات الصغرى التي لم تقع بعد.

الرابع: العلامات الكبرى.

وهذا قريب مما ذهب إليه ابن حجر إلا أن فيه زيادة تفريع، وهو أمر أصلح للبحوث العصرية النظامية، وأقرب إلى الضبط[(٣)].

ولذلك اخترت هذا التقسيم في الصغرى، واخترت ما مال إليه الحافظان ابن كثير وابن حجر من تقسيمها إلى سماوية وأرضية في الكبرى، لأنه أكثر تفريعًا وتقسيمًا وترتيبًا، وأقرب إلى الضبط، وأسهل في الانتفاع وإدراك المعاني، والأمر كله مبني على الاجتهاد والاستقراء والتتبع، وقد تظهر فائدة بعض هذه التقسيمات

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٢٥٤). (٢) فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

(٣) اختار هذا التقسيم الدكتور عمر سليمان الأشقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (اليوم الآخر) (١/ ١٣٧).

عند بيان ترتيب الآيات العظام والتوفيق بين الأحاديث المتعارضة فيها في الظاهر، مثل حديث: «إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا»(١). ومن المعلوم أن الدجال قبل الشمس، وبناء على هذا التقسيم تقدم قول ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة»(٢).

فالدجال أول الآيات الأرضية، والشمس أول الآيات السماوية.

وإن كنت أعتقد أن تمييز الأشراط الكبرى من الصغرى أمر غير قطعي، لأن العلماء مختلفون في ذلك، وكذلك تمييز ما وقع من الصغرى وما لم يقع أمر ظني إلا في اليسير من ذلك، فالتقسيم والترتيب إنما هو للتقريب والتسهيل وليس جزمًا، وأكثر العلماء على أن الكبرى هي العشر التي تضمنها حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدم، والله الموفق وهو حسبنا وعليه التكلان.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه...، ح(٢٩٤١).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

المبحث الثالث
الضوابط الشرعية في التعامل مع نصوص الفتن وأشراط الساعة وتنزيلها على الوقائع

هذا المبحث من أهم مباحث هذه الأطروحة وأكثرها نفعًا، وهو عبارة عن قواعد ومعالم وضوابط مستخرجة من نصوص الشرع وتتبع أقوال العلماء ونهجهم في القديم والحديث في التعامل مع نصوص الفتن وأشراط الساعة، نستبين من خلالها عبث العابثين في هذا الباب، وخطورة الانحراف عن النصوص الشرعية، ومذاهب العلماء المرعية، وهي في مجملها ترجع إلى كليتين عظيمتين عند أهل السنة والجماعة، ألا وهما: مصدر التلقي، ومنهج الاستدلال.

فمن هذه الضوابط:

١- الاقتصار على النصوص الشرعية في الاستدلال.

إن من نعم اللَّه على أهل الإسلام شمول دينهم وتبيانه لكل شيء، فما من شيء يحتاجه الناس إلا وفي الإسلام حُكمه وخبره، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلَّ أن تعوز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالتها»[(١)]، ولذلك عاب اللَّه تعالى على من لم يكتف بالوحي، قال اللَّه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقال سبحانه آمرًا بالاستمساك بذلك: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣ - ٤٤]، وقال مبينًا أنه شفاء من كل داء، وهداية من كل ضلالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٩).

[يونس: ٥٧]، وقال عن نبيه ﷺ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: ٥٤]، وقال النبي ﷺ عن كل ذلك في خطبة حجة الوداع: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»(١).

فمصدر التلقي عند أهل الإسلام ليس إلا الكتاب والسنة، فمن حاد عن ذلك تذبذب واضطرب ونحا نحو الضلال، قال ابن أبي العز الحنفي(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل من طلب أن يحكِّم في شيء من أمر الدين غير ما جاء به الرسول، ويظن أن ذلك حسن، وأن ذلك جمع بين ما جاء به الرسول وبين ما يخالفه، فله نصيب من ذلك، بل ما جاء به الرسول كاف كامل، يدخل فيه كل حق، وإنما وقع التقصير من كثير من المنتسبين إليه، فلم يعلم ما جاء به الرسول في كثير من الأمور الكلامية الاعتقادية، ولا في كثير من الأحوال العبادية، ولا في كثير من الإمارة السياسية، أو نسبوا إلى شريعة الرسول بظنهم وتقليدهم ما ليس منها، وأخرجوا عنها كثيرًا مما هو منها»(٣).

والمعتبَر في الحجة من السنة ما صحت نسبته إلى رسول اللَّه ﷺ لا الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والإسرائيليات التي تخالف ما عندنا، أو التي أمرنا بالتوقف فيها، ولا حساب الجُمَّل المسمى بعلم الحروف(٤)، ولا

---

(١) رواه مالك في الموطأ بلاغًا، باب النهي عن القول بالقدر، ح(٣٣٣٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١٤)، قال ابن عبدالبر: «وهذا محفوظ معروف مشهور، عن النبي ﷺ، عند أهل العلم شهرة يكاد يستغنى بها عن الإسناد» التمهيد (٢٤/ ٢٣١).

(٢) هو: العلامة علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقي: فقيه، كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، أحد تلامذة الحافظ ابن كثير له مؤلفات منها: «التنبيه على مشكلات الهداية» و «شرح العقيدة الطحاوية»، وفاته سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة. انظر: الدرر الكامنة (٣/ ٨٧)، والأعلام (٤/ ٣١٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص(٧٤).

(٤) حِسَاب الجُمَّل: ما قطع على حروف أبي جاد، وهو ضَرْبٌ من الحِساب يُجعل فيه لكل حرف من الحروف الأبجدية الهجائية عددٌ حسابي معين، وحروف أبي جاد هي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، التي جُمعت فيها حروف الهجاء بترتيبها عند الساميين قبل أن يرتبها نصر بن عاصم =

المنامات، ونحوها، وذلك أن الأشراط من الغيب الصادق، والصدق في الغيب لا يكون إلا بالخبر الصحيح، وقد قال النبي ﷺ عن سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة: «فإنه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[(١)] فعدَّ أمارات الساعة من الدين، وأمور الدين الخبرية توقيفية لا سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق الوحي.

ومما يلاحظ انتشار القصص والروايات الواهية والموضوعة وقت الفتن، قال ابن عمر رضي الله عنهما: «لَمْ يُقَصَّ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا أَبِي بَكْرٍ، وَلَا عُمَرَ، وَلَا عُثْمَانَ، إِنَّمَا كَانَ الْقَصَصُ زَمَنَ الْفِتْنَةِ»[(٢)].

وزماننا أكثر فتنًا، ولذلك كثر القصاص والمفتونون، وخرجوا على الناس بمؤلفات حشوها بكل خيال وباطل، حتى قال أحدهم: «قد يسأل قارئي الحبيب: وكيف اهتديت إلى كل هذه المعلومات بلا مصادر؟

وأقول: بل هناك مصادر، ولكن القاعدة الذهبية المعروفة لكل خبير وسائل: لا يسأل الكاتب والمفكر عن مصادره، فقد يكون الضر في ذكرها أبلغ من النفع، وسد الذرائع مقدم على جلب المنافع، ثم أخطر الأمور وأقوى المصادر - التي لا قبلها ولا بعدها - استفتاء اللَّه عز وجل، والتضرع إليه جل في علاه للإجابة وبيان ما خفي من الأمور، ثم الأخذ بالأسباب، كما أخذ ذو القرنين بسياحته في أرض اللَّه، والأخذ بمفاتيح العلوم، وأعلاها أسماء اللَّه الحسنى،

= الليثي الترتيب المعروف الآن.أما ثَخَذ و ضَظَغ فحروفها من أبجدية اللغة العربية، وتسمى الروادف، وتستعمل الأبجدية في حساب الجُمَّل على الوضع التالي أ ١، ب ٢، ج ٣، د ٤، هـ ٥، و ٦، ز ٧، ح ٨، ط ٩، ي ١٠، ك ٢٠، ل ٣٠، م ٤٠، ن ٥٠، س ٦٠، ع ٧٠، ف ٨٠، ص ٩٠، ق ١٠٠، ر ٢٠٠، ش ٣٠٠، ت ٤٠٠، ث ٥٠٠، خ ٦٠٠، ذ ٧٠٠، ض ٨٠٠، ظ ٩٠٠، غ ١٠٠٠. انظر كتاب العين للخليل بن احمد (٦/ ١٤٣)، وتهذيب اللغة للأزهري (١١/ ١٠٨)، والمعجم الوسيط ص(٣، ٢٨٤).

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ح(٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة، ح(٢٦٧١٤)، وابن حبان، ح(١٢٦١)، وصححه الأرناؤوط في تعليقه.

والاجتهاد في القراءة الواعية، ثم استقراء الأحداث، ورفع درجات حدة الحدس والاستبصار ثم التقدير، وتحليل الأحداث تحليلًا دقيقًا، واستبطان المعلومات، ومحاولة سبر غورها بالتأمل...

وحبذا بعض المغامرات بيقين التوفيق من اللَّه ﷻ... ثم يصف هذه المصادر فيقول: إنها عناصر إيجابية جدًّا وخلَّاقة للمفكر... إنها فعل وحركة وانطلاقات إلى عوالم أخرى يرد منها المفكر بفكر وعلم ووعي جديد.

وهي جهاز استقبال لخواطر يمكن أن يقف أمامها التحليل العلمي والفلسفة عاجزَيْن... وكثير من فكري ومضات من البرق، واستنارات فجائية إن لم أتداركها بالتسجيل والتدوين تصبح بددًا بلا بقاء».

وقال: «والحقيقة أن ما صرح به دان شمرون معتمدًا على معلومات أكيدة من رجال المسيخ بالكنيست الإسرائيلي، أو مستنبطًا من وثائق سرية لنبوءات حقيقية بالتوراة المخبوءة، وهو مطابق أو قريب جدًّا لحساباتي، وحدسي، واستبصاري الذي استلهمت فيه إيماني باللَّه واستقرأت ما بين السطور في أحاديث عن النبي ﷺ نبي البشرية الأمين، ولو كره ذلك الأغبياء والضالون»(١).

هذا مثال واحد يبيِّن مدى انحراف من يضل عن الدليل، ويخالف السبيل، وقد حذر النبي ﷺ من هذا الصنف بقوله: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ

(١) كتاب المهدي وفقه أشراط الساعة ص(٦١١، ٦٣٥)، وكتاب فقه أشراط الساعة ص(١٣٣)، نقلاً عن محمد عيسى داود في كتابه (احذروا المسيح الدجال يغزو العالم من مثلث برمودة) وكتابه (ما قبل الدمار)، وله كتاب آخر أعجب من هذا عنونه بـ(المفاجأة)، أتى فيه بكل مفاجأة، وله كتاب بعنوان (المهدي المنتظر على الأبواب)، أسوأ من سابقه، ونحا هذا المنحى من الكتابة المضللة العابثة بالنصوص والعقول، كل من: الدكتور فاروق الدسوقي في كتابه (القيامة الصغرى على الأبواب)، والكاتب سعيد أيوب في كتابه (المسيح الدجال)، والكاتب هشام كمال عبدالحميد في كتابه (اقترب خروج المسيح الدجال)، والكاتب أمين جمال الدين في كتابه (تحديد عمر أمة الإسلام)، وكتابه المشهور (هرمجدون)، وغيرهم كثير لا يعلمهم إلا اللَّه تعالى. وانظر كتاب: «تحذير ذوي الفطن من عبث الخائضين في أشراط الساعة والملاحم والفتن» لأحمد أبي العينين.

يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ ولا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»[١]، وفي رواية: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ من الْأَحَادِيثِ بِمَا لم تَسْمَعُوا أَنْتُمْ ولا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ ولا يَفْتِنُوكُم»[٢].

٢- التحقق من ثبوت النص:

إن أشراط الساعة مما يجب الإيمان به، والإيمان لا يثبت إلا بما صح به النقل، يقول الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان المعتقد: «ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها»[٣]، وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه»، إلى أن قال: «ومن ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل»[٤].

وأما غير الثابت فوجوده كعدمه، قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة، ليلبِّسوا بها على أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة إما لضعف رواتها، أو جهالتهم، أو لعلة فيها، فلا يجوز أن يقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها»[٥].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاستدلال بما لا تُعلم صحته لا يجوز بالاتفاق، فإنه قول بلا علم، وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع»[٦].

---

(١) رواه مسلم، في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، ح(٦).
(٢) المصدر السابق، ح(٧).
(٣) شرح الطحاوية ص(٤٩٩).
(٤) لمعة الاعتقاد، فصل في الإيمان بالغيب، ص(١٣٤).
(٥) ذم التأويل ص(٤٧).
(٦) منهاج السنة (٧/ ١٦٨).

وأدلة هذا كثيرة، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ، وَهُوَ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ»(١).

وبوَّب عليه الخطيب البغدادي رحمه الله بقوله: «تحريم رواية الأخبار الكاذبة ووجوب إسقاط الأحاديث الباطلة»(٢).

وقال النووي رحمه الله: «وأما فقه الحديث فظاهر، ففيه تغليظ الكذب والتعرض له، وأن من غلب على ظنه كذب ما يرويه فرواه كان كاذبًا، وكيف لا يكون كاذبًا وهو مخبر بما لم يكن»(٣).

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول على هذا المنبر: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَدِيثِ عَنِّي، مَنْ قَالَ عَلَيَّ فَلَا يَقُولَنَّ إِلَّا حَقًّا، أَوْ صِدْقًا، فَمَنْ قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٤).

فالاعتماد في هذا الباب يكون على الصحيح وحده، دون الضعيف، فضلًا عن الموضوع، وفي الصحيح غنية، قال العمي رحمه الله: «سمعت عبد اللَّه بن المبارك يقول لنا: «في صحيح الحديث شغل عن سقيمه»(٥).

وقد قال أحمد بن حنبل رحمه الله: «ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي،

(١) رواه مسلم في المقدمة، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين والتحذير من الكذب على رسول اللَّه ﷺ (١/ ٦٢).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٩٨).
(٣) شرح صحيح مسلم (١/ ٦٥).
(٤) رواه أحمد، ح(٢٢٥٣٨) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده حسن»، وابن أبي شيبة، ح(٢٦٧٦٨)، والدارمي، ح(٢٣٧)، وابن ماجه، كتاب السنة، باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول اللَّه ﷺ، ح(٣٥)، والحاكم (١/ ٣١١)، وقال: «هذا حديث على شرط مسلم، وفيه ألفاظ صعبة شديدة، ولم يخرجاه.
وله شاهد بإسناد آخر عن أبي قتادة».
(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٥٩).

والملاحم، والتفسير»[١].

قال الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا: «وهذا الكلام محمول على وجه، وهو أن المراد به كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها ولا موثوق بصحتها لسوء أحوال مصنفيها وعدم عدالة ناقليها وزيادات القصاص فيها.

فأما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة اتصلت أسانيدها إلى الرسول ﷺ من وجوه مرضية وطرق واضحة جلية»[٢].

والمعنى كثرة الكذب والروايات الموضوعة المردودة في هذه الأبواب، وقلة الصحيح فيها مقارنة بالضعيف والموضوع، فهذه قضية ينبغي مراعاتها والالتفات إليها لمن انتصب للكلام على أحاديث الملاحم.

قال أبو زكريا يحيى بن معين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان أبو اليمان يقول لنا: الحقوا ألواحًا، فإنه يجيء ها هنا الآن خليفة بسلمية، فيتزوج ابنة هذا القرشي الذي عندنا، ويفتح باب ها هنا، وتكون فتنة عظيمة!!

قال ابن معين: فما كان من هذا شيء، وكان كله باطلًا، قال: وهذه الأحاديث التي يحدثون بها في الفتن وفي الخلفاء: تكون كلها كذب وريح، لا يعلم هذا أحد إلا بوحي من السماء»[٣].

ولذلك كانوا يشددون على أهل الغرائب ومن يعتمد على غير المصادر المعتمدة، قال عمرو بن ميمون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كنا جلوسًا في مسجد الكوفة فأقبل من نحو الجسر رجل معه كتاب، قلنا: ما هذا؟ قال: هذا كتاب، قلنا: وما كتاب؟ قال: كتاب دانيال، فلولا أن القوم تحاجزوا لقتلوه، وقالوا: كتاب سوى القرآن،

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٦٢).

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٦٢ - ١٦٣).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٦٢).

أكتاب سوى القرآن»[١].

قال الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للمنتخب أن يقصد تخير الأسانيد العالية والطرق الواضحة والأحاديث الصحيحة والروايات المستقيمة، ولا يذهب وقته في الترهات، من تتبع الأباطيل والموضوعات وتطلب الغرائب والمنكرات»[٢].

والمرجع في هذا هم أهل الحديث وحدهم، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المنقولات فيها كثير من الصدق وكثير من الكذب، والمرجع في التمييز بين هذا وهذا إلى أهل علم الحديث، كما نرجع إلى النحاة في الفرق بين نحو العرب ونحو غير العرب، ونرجع إلى علماء اللغة فيما هو من اللغة وما ليس من اللغة، وكذلك علماء الشعر والطب وغير ذلك، فلكل علم رجال يعرفون به، والعلماء بالحديث أجلُّ هؤلاء قدرًا، وأعظمهم صدقًا، وأعلاهم منزلة، وأكثرهم دينًا، وهم من أعظم الناس صدقا وأمانة وعلمًا وخبرة فيما يذكرونه من الجرح والتعديل، مثل: مالك وشعبة وسفيان ويحيى بن سعيد وعبدالرحمن بن المهدي وابن المبارك ووكيع والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وابن معين وابن المديني والبخاري ومسلم وأبي داود وأبي زرعة وأبي حاتم والنسائي والعجلي وأبي أحمد بن عدي وأبي حاتم البستي والدارقطني، وأمثال هؤلاء خلق كثير لا يحصى عددهم من أهل العلم بالرجال والجرح والتعديل»[٣].

فليس كل من كتب وصنف عالمًا، ولا كل من ضَعّف وصحَّح محدثًا، فحذار من الاغترار بما حوته كتب العابثين والمتعالمين من أحاديث، وحذار من قولهم صحيح وضعيف وحسن، فليس هؤلاء من أهل هذا الفن ولا هذا الفن من لبوسهم، وقاعدة هذا الباب: «إن هذا العلم دين فانظروا

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١١٦٢). (٢) المصدر السابق (٢/ ١٩٥).
(٣) منهاج السنة (٧/ ٣٤).

عمن تأخذون دينكم»[١].

٣- التحقق من معنى النص:

إن فهم معنى النص شرط من شروط صحة تنزيله على الوقائع، إذ الحكم على الوقائع بأنها مرادة بالنص إنما هو فرع عن تصور معنى النص، وعليه فتحديد معنى النص يجب أن يكون على وفق المنهجية العلمية الصحيحة في الاستدلال والفهم، لا أن تستحدث مناهج لتفسير النصوص تلوى بها أعناق النصوص لتكون أقرب إلى عقل المنزل وهواه[٢]، قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان منهج فهم النصوص: «يحتاج المسلمون إلى شيئين: أحدهما: معرفة ما أراد اللَّه ورسوله بألفاظ الكتاب والسنة، بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ؛ فإنَّ الرسول لـمَّا خاطبهم بالكتاب والسنة عرَّفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلَّغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم ممَّا بلَّغوا حروفه»[٣].

فكل من ظن أنه يمكن أن يتكئ على فهمه دون النظر في فهم السلف

---

(١) رواه مسلم في المقدمة عن ابن سيرين، باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات، (١/ ١٤). ومن العبارات القريبة من هذا قول أنس بن سيرين: «اتقوا اللَّه يا معشر الشباب، انظروا عمن تأخذون هذه الأحاديث فإنها من دينكم». رواه الخطيب في الجامع (١/ ١٩٦)، وقال ابن لهيعة: «سمعت شيخًا من الخوارج تاب ورجع وهو يقول: «إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمرًا صيرناه حديثًا». الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١/ ٢١٠).

(٢) كقول محمد عيسى داود - مثلاً - في مفاجأته ص(١٥٠): «وقد وجدت المهدي في بطن آيتين من الفاتحة، الأولى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: ١] والثانية: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]، وقال في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]: «الشمس رمز المهدي».

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٥٣)، وانظر جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٣٢)، وشرح الطحاوية ص(١٩٥)، والجامع لابن أبي زيد ص(١١٧)، والموافقات (٣/ ٢٤٨).

والأئمة، وأن فهمه خير من فهومهم أو يساويه، فقد أخطأ وضل السبيل، و«كل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم، وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم، وتاللَّه ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأن، والقوم في شأن آخر، وقد جعل اللَّه لكل شيء قدرًا»(١) فـ«يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به، فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل»(٢) و«لا بد من القول بأن فهمهم في الشريعة أتم، وأحرى بالتقديم»(٣)، «وقلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين إلا من أهل هذا القسم»(٤) ممن ليس «من أهل الاجتهاد وإنما أدخل نفسه فيه غلطًا أو مغالطة، إذ لم يشهد له بالاستحقاق أهل الرتبة ولا رأوه أهلًا للدخول معهم»(٥) فـ«الحذر الحذر من مخالفة الأولين، فلو كان ثَم فضل ما، لكان الأولون أحق به»(٦) «وليس ثم إلا صواب أو خطأ، فكل من خالف السلف الأولين فهو على خطأ»(٧).

ومن أهم أمور هذا الباب التي يفهم بها النصوص، ودرج عليها الأئمة وسلف الأمة: جمع ألفاظ المتون التي صحت طرقها، لأن الأحاديث يفسر بعضها بعضًا.

قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا»(٨).

---

(١) شرح الطحاوية ص(٧٦).
(٢) الموافقات (٣/ ٢٨٩).
(٣) المصدر السابق (٤/ ١٣٢).
(٤) المصدر السابق (٣/ ٢٨٧).
(٥) المصدر السابق (٣/ ٢٨٦).
(٦) المصدر السابق (٣/ ٢٨٠).
(٧) المصدر السابق (٣/ ٢٨١).
(٨) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢١٢).

وقال يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو لم نكتب الحديث من ثلاثين وجهًا ما عقلناه»(١).

وقال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحديث إذا اجتمعت طرقه، فَسَّر بعضه بعضًا»(٢).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «تأليف كلام رسول اللَّه ﷺ وضم بعضه إلى بعض والأخذ بجميعه فرض لا يحل سواه»(٣).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأحاديث إذا ثبتت وجب ضم بعضها إلى بعض فإنها في حكم الحديث الواحد، فيحمل مطلقها على مقيدها ليحصل العمل بجميع ما في مضمونها»(٤).

٤- الأصل حمل النص على ظاهره:

هذا من القواعد المقررة عند العلماء، أن الأصل أن يحمل النص على ظاهره، وأن الظاهر مراد، وأن الظاهر ما يتبادر إلى الذهن من المعاني، وأنه لا يخرج عن هذا الظاهر إلا بدليل، فإن عدم الدليل كان الحمل على الظاهر هو المتعين، والحمل على خلافه تحريف، فالنصوص الشرعية نصوص هداية ورحمة، لا نصوص إلباس وإضلال، فلو قدر أن المتكلم أراد من المخاطب حمل كلامه على خلاف ظاهره وحقيقته من غير قرينة ولا دليل ولا بيان لصادم هذا الفعل مقصود الإرشاد والهداية، وأن ترك المخاطب والحالة هذه بدون ذلك الخطاب خير له وأقرب إلى الهدى(٥).

ونصوص الفتن والملاحم وأشراط الساعة كبقية النصوص الشرعية في

(١) المصدر السابق (٢/ ٢١٢).
(٢) إحكام الأحكام (١/ ١١٧).
(٣) المحلى (٣/ ٢٤٠).
(٤) فتح الباري (١١/ ٢٧٠).
(٥) انظر الصواعق المرسلة (١/ ٣١٠).

وجوب حملها على ظاهرها، بل هي أولى، لأنها نصوص تخبر عن غيب، ولذلك درج علماء الحديث على سردها فقط، ومن توسع منهم لم يجاوز شرح الغريب منها، وأما تحريف ظاهرها، وتسليط الواقع عليها، وإدخال لغة الرموز إليها، وتحكيم العقل فيها، فهذا مما يخرجها عن مقصودها، ويضعف تأثيرها، ويفتح باب العبث والتطاول على النصوص، نسأل اللَّه السلامة والعافية.

٥- أن يكون تنزيل النص على الواقعة عاريًا من التكلف:

الأصل أن يكون انطباق النص على الواقع انطباقًا بينًا لا يحتاج معه إلى تكلف، فتظهر هذه المطابقة للعالم، ويتفهمها العامي، ويتأكد هذا فيما للشارع قصد في معرفته وتنزيله، كمعرفة الدجال وابن مريم، فقد بيَّن النبي ﷺ ذلك بيانًا شافيًا لا لبس فيه، حتى قال ﷺ في شأن الدجال: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا، إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ، جَعْدٌ، أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلَا حَجْرَاءَ، فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(١).

وقال ﷺ في ابن مريم: «وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، سَبْطٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُعَطِّلُ الْمِلَلَ، حَتَّى تَهْلِكَ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلُ كُلُّهَا غَيْرَ الإِسْلَامِ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ الْكَذَّابَ، وَتَقَعُ الأَمَنَةُ فِي الأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الإِبِلُ مَعَ الأُسْدِ جَمِيعًا، وَالنُّمُورُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ وَالْغِلْمَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا يَضُرُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا،

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٢٧٦٤)، وأبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح(٤٣٢٠)، والبزار، ح(٢٦٨١)، والشاشي، ح(١٢١٤)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(١١٥٧)، والضياء في المختارة، ح(٣٢٠، ٣٢١)، وقال الذهبي في تذييله على أخبار الدجال للمقدسي ص(١٤): «هذا حديث حسن متصل»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح(٤٢٢٤).

فَيَمْكُثُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمْكُثَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى فَيُصَلِّيَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَدْفِنُونَهُ»(١).

فهذه النصوص لا تستدعي من منزلها تكلفًا، ولذلك قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث قتال الترك ومن ينتعلون الشعر(٢): «قد رأينا الأول وهم الترك، ورأينا هؤلاء وهم الأكراد، قال الحسن: فإذا كنت في أشراط الساعة فكأنك قد عاينته»(٣).

والناس في هذا بين طرفين ووسط، فمنهم من أطلق النفي، ومنع من تنزيل أحاديث الفتن على الواقع، وهو في الجملة مصيب، خاصة في الأزمنة المتقدمة، ومنهم من غلا فنزل النصوص على الواقع بلا برهان، وتكلف لكل حادثة، ولوى أعناق النصوص.

والوسط تنزيل النصوص على الوقائع بالضوابط الشرعية، وعليه تصرفات جماعة أهل العلم، فتراهم إذا وجدوا مناسبة للتنزيل نزلوا، وذلك أنه لا تتحقق مقاصد هذه النصوص إلا بهذا التنزيل، وبغيره تبقى النصوص ألفاظًا لا تؤثر في واقع، ولا تزيد في إيمان، ولا تحث على استعداد وعمل.

قال محمد إسماعيل المقدم: «إنَّ تَرَقُّبَ حصول أشراط الساعة التي تقع بإرادة اللَّه عَزَّوَجَلَّ الكونية القدرية ليس بدعة ولا خطأ، خاصة إذا تعاقبت

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ح(٢٦٩٨)، وأحمد ح(٩٢٧٠) واللفظ له، وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح»، وابن أبي شيبة في المصنف ح(٣٨٦٨١)، وأبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح(٤٣٢٤)، والبزار ح(٩٥٧٤)، وابن حبان ح(٦٨٢١)، والحاكم (٢/ ٦٥١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٢٤): «وهذا إسناد جيد قوي»، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٣٩)، والألباني في السلسلة الصحيحة ح(٢١٨٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب قتال الترك، ح(٢٩٢٨)، ومسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩١٢).

(٣) رواه نعيم بن حماد، ح(١٩٣٣).

الإرهاصات، والمقدمات التي جاءت بها الأخبار، ودليل ذلك أن الصحابة ﭫ لما سمعوا رسول اللَّه ﷺ يحدثهم عن الدجال فخفَّض فيه ورفَّع ظنوا أنه في طائفة النخل، وشكُّوا في ابن صياد أنه المسيح الدجال، بل منهم من أقسم لرسول اللَّه ﷺ على ذلك، كما في الأحاديث الصحيحة عن عمر وجابر ﭭ، ورسول اللَّه ﷺ لم ينكر عليهم، بل قال ﷺ: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ»[(١)]، وكذلك شكت فيه حفصة وابن عمر، وغيرهما من الصحابة ﭫ، ويروى عن أبي ذر الغفاري ﭬ قال: «ما تؤيسني رقة عظمي ولا بياض شعري أن ألقى عيسى بن مريم» ولا يزال العلماء في كل عصر ومصر يتكلمون بذلك، ويتوقعون قرب حصول بعض الأشراط»[(٢)].

ومما يمكن الاستدلال به من السنة على مسألة تنزيل الأحاديث على الواقع، حديث الشاب الذي يخرج إلى الدجال من المدينة، حيث يقول له: «أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ»[(٣)]. فهذا إخبار من النبي ﷺ على تنزيل حديثه على معين مخصوص، وقد قالت أسماء ﭪ للحجاج بن يوسف: «أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا: «أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا» فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ - قَالَ: - فَقَامَ عَنْهَا وَلَمْ يُرَاجِعْهَا»[(٤)].

قال النووي ﭰ: «وقولها في الكذاب: «فَرَأَيْنَاهُ» تعني به المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان شديد الكذب، ومن أقبحه: ادعى أن جبريل ﷺ يأتيه. واتفق العلماء على أن المراد بالكذاب هنا المختار بن أبي عبيد، وبالمبير الحجاج بن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).
(٢) المهدي وفقه أشراط الساعة ص(٦٩٥).
(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح(٧١٣٢)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه، ح(٢٩٣٨).
(٤) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، ح(٢٥٤٥).

يوسف. والله أعلم»(١).

٦ - التحقق من طبيعة الواقع:

«والمقصود من هذا التعرف إلى الصورة الكاملة للواقع بكل جزئياته بحيث يُعلم مدى تطابق الحديث مع هذا الواقع وإلى أي مدى وقع التخالف إن كان، فإن كانت المطابقة تامة كان التنزيل ببقية الضوابط صحيحًا وإلا كان التنزيل غير صحيح»(٢).

ودليل هذا الضابط حديث النبي ﷺ مع ابن الصياد وفحصه لأمره، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فِي أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ يَوْمَئِذٍ الْحُلُمَ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَرَضَّهُ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا» قَالَ: هُوَ الدُّخُّ، قَالَ: «اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ» قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ يَكُنْ هُوَ لَا تُسَلَّطُ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ».

قَالَ سَالِمٌ: فَسَمِعْتُ عَبْدَاللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ: انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ يَؤُمَّانِ النَّخْلَ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ حَتَّى إِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَهُوَ يَخْتِلُ أَنْ يَسْمَعَ

(١) شرح مسلم (١٦/ ١٠٠).
(٢) معالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث، ص(١٥٤ - ١٥٥).

مِنْ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ، وَابْنُ صَيَّادٍ مُضْطَجِعٌ عَلَى فِرَاشِهِ فِي قَطِيفَةٍ لَهُ فِيهَا رَمْرَمَةٌ أَوْ زَمْزَمَةٌ، فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ: أَيْ صَافِ - وَهُوَ اسْمُهُ - هَذَا مُحَمَّدٌ، فَتَنَاهَى ابْنُ صَيَّادٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ»(١).

قَالَ سَالِمٌ: قَالَ عَبْدُاللَّهِ: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ؛ وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ، تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٢).

وعلى هذا جرى الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم في التحقق من الواقع واستجلائه قبل القطع والجزم بالتنزيل، فمن ذلك حديث علي رضي الله عنه في قتاله للخوارج وبحثه عن ذي الثدية، فعن زيد بن وهب الجهني: أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج فقال علي رضي الله عنه :أيها الناس إني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ»، فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، ح(١٣٥٤)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح(٢٩٣٠، ٢٩٣١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل للرجل اخسأ، ح(٦١٧٥).

فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ. قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا حَتَّى قَالَ: مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُاللَّهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ فَقَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا الرِّمَاحَ وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ. فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا[١] بِرِمَاحِهِمْ وَسَلُّوا السُّيُوفَ وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ. قَالَ: وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ ﵁: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ. فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ فَقَامَ عَلِيٌّ ﵁ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ قَالَ: أَخِّرُوهُمْ. فَوَجَدُوهُ، مِمَّا يَلِي الأَرْضَ، فَكَبَّرَ ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَبَلَّغَ رَسُولُهُ قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: إِي وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ[٢].

وعن أبي الطفيل قال: «كنت بالكوفة فقيل: خرج الدجال، قال: فأتينا على حذيفة بن أسيد ﵁ وهو يحدث فقلت: هذا الدجال قد خرج. فقال: اجلس. فجلست، فأتى علي العريف فقال: هذا الدجال قد خرج وأهل الكوفة يطاعنونه، قال: اجلس فجلست فنودي إنها كذبة صباغ، قال: فقلنا: يا أبا سريحة ما أجلستنا إلا لأمر فحدثنا، قال: إنّ الدَّجّالَ لَوْ خرج في زمانكم لرمته الصبيان بالخَذَفِ، ولكنَّ الدجالَ يَخرجُ في بُغْضٍ من الناس وخِفَّة من الدين وسوءِ ذات بين، فَيَرِدُ كلَ مَنْهَل...»[٣].

وعن مجاهد سمع ابن عمرو يقول: «كَأَنِّي بِهِ أُصَيْلِعٌ، أُفَيْدِعٌ، قَائِمٌ

---

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي رموا بها عن بعد» شرح مسلم (٧/ ١٧٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح(١٠٦٦).

(٣) رواه الحاكم، (٥/ ٧٣٩)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

عَلَيْهَا يَهْدِمُهَا بِمِسْحَاتِهِ»، فَلَمَّا هَدَمَهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ جَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَى صِفَةِ ابْنِ عَمْرٍو فَلَمْ أَرَهَا[١].

والأحاديث والآثار في هذا كثيرة، والشاهد أن التحقق من مطابقة الواقع للنص لازم لمن أراد أن يصح تنزيله، فإن لم يلتزمه كان الخطأ والزلل، ومثال ذلك ما رواه الترمذي عن محمود ابن غَيْلان قال: حدثنا أبو داود، عن شعبة، عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك قال: «فَتْحُ القُسْطَنْطِينِيَّةِ مَعَ قِيَامِ السَّاعَةِ» قال محمود: هذا حديث غريب، والقسطنطينية هي مدينة الروم تفتح عند خروج الدجال، والقسطنطينية قد فتحت في زمان بعض أصحاب النبي ﷺ[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هكذا قال: إنها فتحت في زمن الصحابة، وفي هذا نظر؛ فإن معاوية بعث إليها ابنه يزيد في جيش فيهم أبو أيوب الأنصاري، ولكن لم يتفق له فتحها، وحاصرها مسلمة بن عبدالملك بن مروان، في زمان دولتهم، ولم يفتحها أيضًا، ولكن صالحهم على بناء مسجد بها، كما قدمنا ذلك مبسوطًا. والله سبحانه أعلم»[٣].

٧- النظر في استكمال الواقعة للأوصاف الواردة في النص:

وذلك بالمقارنة بين النص الثابت والواقع للتأكد من استكمال الواقعة للصفات المذكورة في النص من عدمه، فإن كانت المطابقة تامَّة بأن تحققت جميع صفات النص على الواقعة من غير أن يتخلف منها شيء صح التنزيل مع مراعاة بقية الضوابط، وإن تخلفت بعض الصفات فإن كانت لقيام ما يعارض

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٩١٠٨)، وابن أبي شيبة، ح(١٤٢٩٩)، ونعيم بن حماد في الفتن، ح(١٤٢١)، قال المحقق: «إسناده جيد».

(٢) السنن، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامات خروج الدجال، ح(٢٢٣٩)، قال الألباني: «صحيح الإسناد موقوف».

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ١١٣).

تلك الصفة في الواقعة لم يصح التنزيل بحال، هذا إذا كانت الواقعة ماضية[١].

ومن عبارات أهل العلم الدالة على مراعاة هذا الأصل في تنزيلاتهم للنصوص، قول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ قَوْمًا وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ»[٢]، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد وجدوا في زماننا هكذا... وهذه كلها معجزات لرسول اللَّه ﷺ، فقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنف، عراض الوجوه، وكانت وجوههم كالمجان المطرقة، ينتعلون الشعر، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقتالهم الآن، ونسأل اللَّه الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم وسائر أحوالهم وإدامة اللطف بهم والحماية وصلى اللَّه على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»[٣].

وقال إبراهيم بن ميسرة: «قلت لطاووس: عمر بن عبدالعزيز المهدي؟ قال: لا، إنه لم يستكمل العدل كله»[٤].

فلم يصحح طاووس رَحِمَهُ ٱللَّهُ مهدوية عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لتخلف تمام العدل عن زمانه.

«وأما إن كانت الواقعة التي يراد التنزيل عليها حاضرة، أو يتوقع وقوعها، فقد تتخلف بعض الأوصاف المنصوص عليها من الواقع، مع ترقب وتوقع تحققها في المستقبل لإمكان تحققها، وقد يكون التخلف لوقوع ما يضادها أو

---

(١) انظر معالم ومنارات ص(١٦١ - ١٦٢).
(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٧٤٩٧).
(٣) شرح مسلم (١٨/ ٣٧).
(٤) رواه نعيم بن حماد في الفتن، ح(١٠٥٠). قال المحقق: «إسناده صحيح».

يناقضها في الواقع، فمنه ما يمكن ارتفاعه في المستقبل، ومنه ما لا يمكن أن يرتفع بحال، فإن كان مما لا يرتفع المعارض فلا يصح التنزيل بحال، فالمهدي مثلا اسمه محمد بن عبدالله، فتخلف هذه بأن يكون المعين الذي يراد الحكم له بالمهدوية اسمه على خلاف هذا الاسم مبطل لدعوى مهدويته، ولا يمكن أن يكون هو المهدي المقصود بالنصوص الشرعية، أو أن يكون من غير آل البيت أو من آل بيته ﷺ لكنه ليس من ولد فاطمة وهكذا، فهذا النوع لا يتصور ارتفاعه عن الواقعة لا في الحاضر ولا في المستقبل، فلا يصح التنزيل مطلقًا لا في حاضر ولا مستقبل، أما إن أمكن أن يرتفع فالتنزيل في المستقبل محتمل، وهو مما يتفاوت قوة وضعفًا ويحتاج إلى اجتهاد خاص من مؤهَّل، أما وقت وجود المعارض فلا يصح التنزيل، مثاله: قول النبي ﷺ في المهدي: «الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ»[(١)]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يصلحه الله في ليلة واحدة، أي: يتوب عليه، ويوفقه، يلهمه رشده، بعد أن لم يكن كذلك»[(٢)].

وبسبب عدم الجزم بتحقق بقية الصفات في المستقبل يكون التنزيل مترددًا محتملًا غير مجزوم به، فإن قوي التنزيل في نفس العالم فلا يصح له أن يجزم به أو يقطع، إلا أن يقوم دليل قاطع على أن ما ينتظر تحققه سيتحقق، مثاله:

من تأمل أحوال المهدي في مبادئ أمره يجد من الصفات ما يمكن أن يكون مشاركًا لغيره فيها، فلا يصح الجزم بكونه المهدي ككونه من ولد فاطمة، وأن يكون اسمه محمد بن عبدالله، لكن من صفاته ما يدل دلالة قطعية على أنه هو المهدي المعني والمراد، كصلاة المسيح عيسى بن مريم خلفه، وخروج الدجال في زمانه، فمتى تحققت مثل هذه الصفات الخاصة به، والتي لا تتحقق

---

(١) رواه أحمد، ح(٦٤٥)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ح(٤٠٨٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح(٢٣٧١).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٦٢).

لغيره، كان تنزيل النصوص عليه بينًا ظاهرًا، وصار ما يتوقع من شؤونه وأحواله بعد ذلك متحققًا مجزومًا به، كقتل المسيح بن مريم المسيح الدجال، وكثرة الخير في زمانه، وما يتلو ذلك من أحداث كخروج يأجوج ومأجوج وهكذا.

أما ما يقع فيه التردد لعدم استكمال صفات النص، فهو على نوعين:

الأول: أن تكون الواقعة مقصودة ولا ينزل عليها النص لعدم استكمال الصفات حتى تقع الواقعة فتنزل النصوص عليها.

الثاني: العكس: وهو أن لا تكون الواقعة مقصودة وينزل النص عليها ثم يستبين أن الأمر بخلاف ما كان يظن، إذ أن ما كان ينتظر من صفات لم يتحقق.

مثال الأول:

قصة أم المؤمنين عائشة ﵂ في حديث الحوأب، فعن قيس قال: «لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلًا نبحت الكلاب، قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظنني إلا أني راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله ﷿ ذات بينهم، قالت: إن رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم: «كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ؟»[(١)].

وعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ لنسائه: «لَيْتَ شِعْرِي، أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الأَدْبَبِ[(٢)]، تَخْرُجُ فَيَنْبَحُهَا كِلابُ حَوْأَبٍ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ، ثُمَّ تَنْجُو بَعْدَمَا كَادَتْ»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٤٢٥٤) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح»، وابن حبان، ح(٦٧٣٢)، انظر السلسلة الصحيحة، ح(٤٧٤).

(٢) قال ابن الأثير: ««أَيَّتُكُنَّ صاحبةُ الجَمل الأدْبَبِ» أراد الأدبَّ، فأظهرَ الإدغامَ لأجل الحَوْأب، والأدَبُّ: الكثيرُ وبَرِ الوجه». النهاية في غريب الحديث (٢/ ٩٦).

(٣) رواه البزار في مسنده، ح(٤٧٧٧)، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، (٧/ ٢٣٤)، وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات»، ووثق رجاله الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٥٩)، وصححه الألباني في أثناء تحقيقه للحديث السابق.

فقد تحقق بعض ما أخبر به النبي ﷺ في البداية من نباح كلاب الحوأب، فتخوفت عائشة رضي الله عنها أن تكون المعنية بالحديث، فلما قوى الصحابة عزمها، وبينوا أن سبب الخروج الإصلاح لا القتال قوي عزمها على المضي، والمظنون بها أنها لو علمت أن النص سيتحقق بكماله عليها لم تستكمل مسيرها، ولكن ليقضي اللَّه أمرًا كان مفعولًا، فلما وقع ما وقع، قطعنا أنها رضي الله عنها هي المعنية من بين أزواج النبي ﷺ بهذا النص.

ومثال الثاني:

وهو أن يستعجل التنزيل قبل استكمال الواقعة لصفات النص، حديث الجيش الذي يغزو الكعبة، قال عبد اللَّه بن صفوان: «أخبرتني حفصة أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لَيَؤُمَّنَّ هذا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ حتى إذا كَانُوا بِبَيْدَاءَ من الأرض يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ فلا يَبْقَى إلا الشَّرِيدُ الذي يُخْبِرُ عَنْهُمْ» فقال رَجُلٌ: أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لم تَكْذِبْ على حَفْصَةَ وَأَشْهَدُ على حَفْصَةَ أنها لم تَكْذِبْ على النبي ﷺ»(١).

زاد ابن ماجه(٢): «فَلَمَّا جَاءَ جَيْشُ الْحَجَّاجِ ظَنَنَّا أَنَّهُمْ هُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ: أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى حَفْصَةَ، وَأَنَّ حَفْصَةَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ».

والنص بيّنٌ ظاهر على المقصود، وأن الأمر الذي كان يتوقع وقوعه لم يقع فلم يصح أن ينزل هذا النص على جيش الحجاج واللَّه أعلم.

ومما يحسن التنبيه عليه هنا أنه لا يصح بحال أن يتعلق بجزء من النص في عملية التنزيل مع دلالة باقي النص على خطأ هذا التنزيل، بأن يتضمن الحديث صفة لم تتحقق في الواقعة، فيغض المنزل الطرف عنها ليصح له تنزيله، بل

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، ح(٢٨٨٣).
(٢) في السنن (٥/ ١٨٣)، ح(٤٠٦٣).

الواجب، أن يأخذ المرء بالحديث تامًّا كاملًا، فإن وقع هكذا تامًّا كاملًا فالحمد للَّه، وإلا فلا يصح التنزيل وباللَّه التوفيق»(١).

٨- التفريق بين الصفات المشتركة والصفات الخاصة:

المقصود بهذا الضابط أن النصوص الشرعية المتحدثة عن فتنة معينة أو عن شرط أو ملحمة تحمل في طياتها صفات، من خلال هذه الصفات يتمكن العالم من تنزيلها على الوقائع المختلفة بحسبها، فإذا نظرنا في هذه الصفات وجدنا أنها على نوعين:

١- صفات مشتركة. ٢- صفات خاصة.

والمقصود بالصفات المشتركة، تلك الصفات التي يصح أن تشترك فيها مجموعة من الوقائع، مع كون النص قاصدًا لواقعة منها لا جميعها، ويكون تمييز هذه الواقعة المعينة بالصفات الخاصة لها دون ما سواها، فالصفات الخاصة دلالتها على صحة التنزيل أقوى من دلالة الصفات المشتركة، وبحسب توافر نوعي الصفات في الواقعة يكون الجزم بصحة التنزيل.

مثال ذلك: المهدي، صفاته نوعان:

الأول متشابهة: وهي الصفات المشتركة القابلة للتكرار في غير المهدي الحقيقي، فيمكن أن يتصف بها بعض الناس فعلًا، كالمطابقة في الاسم، وكونه من أهل البيت، وكونه من ولد فاطمة، وكونه صالحًا، ونحو ذلك، وهذه العلامات وإن اجتمعت كلها في شخص ما، فإنها لاتكفي لإثبات أنه المهدي المبشر به، حتى يضم إليها: النوع الثاني وهو الأدلة المحكمة القاطعة بأن فلانًا بعينه هو المهدي المنتظر، وهذه الصفات غير القابلة للتكرار مع غير المهدي الحقيقي، ولايستطيع أحد أن يفتعلها، أو يتكلف إيجادها، أو يدعي أنها وقعت

---

(١) معالم ومنارات ص(١٦٧ - ١٧٢)، بتصرّف يسير.

بالفعل، وهي: نزول عيسى عليه السلام في زمانه من السماء واجتماعه به وصلاته أول نزوله خلف المهدي ثم قتله للدجال[١].

٩- أن يكون النص حَكَمًا على الواقع لا العكس:

تقدم معنا أن الأصل أن يفهم الإنسان معنى النص أولًا، فإن تبين له معناه تطلبه من الواقع لينظر مدى استكمال الواقع للأوصاف الواردة في النص، أما أن يعكس القضية، فيجعل الواقع أصلًا، والنص فرعًا، ويحكم هذا الأصل في هذا الفرع، فهذا مظنة الانحراف والخطأ، ولذلك وجد ممن سلك هذا المسلك من يكذب بالأخبار، ويرد المتواتر من الآثار، أو يحرف معناها ويلوي أعناقها لتوافق واقعه الملموس الذي سيطر عليه، وحاكم النصوص إليه، مع أنه قد يكون تحقق النص بعيدًا عن الواقع الحاضر، ويكون المقصود حادثة وقعت في ماض، أو حادثة ينتظر وقوعها في مستقبل تتهيأ فيه الظروف والأحوال لوقوع النص، وهذا في الحقيقة من شؤم تقديم العقل على النص، وهو إحدى قواعد الشر، قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: «فالواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولًا، أو نحمله شبهة أو شكًّا، أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة فوضه إليهم وأعرض عن أمره وخبره، وإلا حرفه عن مواضعه، وسمى تحريفه تأويلًا

---

(١) انظر معالم ومنارات ص(١٧٣ - ١٧٤)، والمهدي وفقه أشراط الساعة ص(٥٧٥).

وحملًا، فقال: نؤوله ونحمله. فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب - ما خلا الإشراك بالله - خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ أن يؤخر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه؟! بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه، ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة، وتلغى لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولًا، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول! ولا يوقف قبول قوله على موافقة فلان دون فلان، كائنًا من كان»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وبالجملة فمعارضة أمر الرسل وخبرهم بالمعقولات إنما هي طريقة الكفار، فهم سلف للخلف بعدهم، فبئس السلف وبئس الخلف»(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « سمعت عمر بن الخطاب على المنبر وهو يقول: «إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ، وَيُكَذِّبُونَ بِالدَّجَّالِ، وَيُكَذِّبُونَ بِطُلُوعِ اَلشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَيُكَذِّبُونَ بِعَذَابِ اَلْقَبْرِ، وَيُكَذِّبُونَ بِالشَّفَاعَةِ، وَيُكَذِّبُونَ بِقَوْمٍ يَخْرُجُونَ مِنَ اَلنَّارِ بَعْدَمَا اِمْتَحَشُوا، فَلَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ وَثَمُودَ»(٣).

والسنة قد تأتي بما يعجز العقل عن إدراكه، وما على العبد إلا الاستسلام، فعن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ قال: أهديت له شاة فجعلها في القدر، فدخل

---

(١) شرح الطحاوية ص(١٦٦). (٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٨٩٨).

(٣) رواه ابن زمنين في أول السنة، ص(١٠٨٤)، ح(٢٤١)، والداني في السنن، (٣/ ٦٢١)، ح(٢٨٣)، والآجري في الشريعة، (٣/ ١١٩٥)، ح(٧٦٨)، وابن أبي عاصم في السنة، (٢/ ٣٢١)، ح(٦٩٨)، قال الألباني معلقًا: «حديث موقوف حسن».

رسول اللَّه ﷺ فقال: «مَا هَذَا يَا أَبَا رَافِعٍ؟»، فَقَالَ: شَاةٌ أُهْدِيَتْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَطَبَخْتُهَا فِي الْقِدْرِ، فَقَالَ: «نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ يَا أَبَا رَافِعٍ»، فَنَاوَلْتُهُ الذِّرَاعَ ثُمَّ قَالَ: «نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ الْآخَرَ»، فَنَاوَلْتُهُ الذِّرَاعَ الْآخَرَ، ثُمَّ قَالَ: «نَاوِلْنِي الذِّرَاعَ الْآخَرَ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا لِلشَّاةِ ذِرَاعَانِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَكَتَّ لَنَاوَلْتَنِي ذِرَاعًا، فَذِرَاعًا مَا سَكَتَّ»، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ فَاهُ وَغَسَلَ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِمْ فَوَجَدَ عِنْدَهُمْ لَحْمًا بَارِدًا فَأَكَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى وَلَمْ يَمَسَّ مَاءً»(١).

وعن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: «جَاءَنَا ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ مِنْ عُمُومَتِي فَقَالَ: نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعًا وَطَوَاعِيَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا»(٢).

قال قوام السنة الأصفهاني رحمه الله: «قال بعض علماء أهل السنة: نحن لا نرى الكلام، والخوض في الدين والمراء والخصومات، فمهما وقع الخلاف في مسألة رجعنا إلى كتاب اللَّه عز وجل، وإلى سنة رسوله ﷺ، وإلى قول الأئمة، فإن لم نجد ذلك في كتاب اللَّه، ولا في سنة رسوله ﷺ ولم يقله الصحابة والتابعون سكتنا عن ذلك ووكلنا علمه إلى اللَّه تعالى، لأن اللَّه تعالى أمرنا بذلك فقال عز من قائل: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، قال أهل التفسير: إلى اللَّه: إلى كتابه، وإلى الرسول: إلى سنته»(٣).

١٠- مراعاة ألفاظ الشريعة:

إن مراعاة ألفاظ الشريعة أمان من الزلل، خاصة في باب الفتن والملاحم والغيبيات، مع ما لها من مكانة ودقة في بيان مراد الشارع، قال ابن تيمية رحمه الله: «طريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل،

(١) رواه أحمد، ح(٢٧١٩٥)، وقال الأرناؤوط: «حسن لغيره».

(٢) رواه مسلم، كتاب البيوع، باب كراء الأرض بالطعام، ح(١٥٤٨).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٠٩).

ويراعون أيضًا الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلًا»[١].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والألفاظ الشرعية لها حرمة، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه من المعاني»[٢].

وقد غزت هذا الباب ألفاظ محدثة، وضعها كتاب في مؤلفاتهم وأذاعوها في الناس، والمشكلة في هذا تكمن حين يترتب على تلك الألفاظ أحكام ولوازم وآثار، أو يُرتب من لا يعلم أحكام هذه الألفاظ ولوازمها على نصوص الشريعة، ولنضرب أمثلة على ذلك:

قول بعضهم مثلا: المسيخ الدجال، دون المسيح الدجال، واللفظ المنصوص عليه في ألفاظ الشريعة المسيح، وما يقدمه بعضهم من التعليلات في تصحيح هذه اللفظة بل وجعلها أولى من كلمة المسيح خطأ محض، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبالغ القاضي ابن العربي فقال: ضل قوم فرووه المسيخ بالخاء المعجمة، وشدد بعضهم السين ليفرقوا بينه وبين المسيح عيسى بن مريم بزعمهم، وقد فرق النبي ﷺ بينهما بقوله في الدجال «مسيح الضلالة» فدل على أن عيسى مسيح الهدى، فأراد هؤلاء تعظيم عيسى فحرفوا الحديث»[٣].

ومن الألفاظ كذلك لفظة «هرمجدون» وهي لفظة كثر ترددها للتعبير عما عبرت عنه الشريعة بالملاحم أو الملحمة حتى غدت هذه اللفظة عنوانًا لبعض المصنفات، والتعبير باللفظ الشرعي هو الأولى، وقد قال النبي ﷺ في عدم تغليب الألفاظ الخارجة عن الشريعة على ألفاظ الشريعة: «لَا تَغْلِبَنَّكُمُ الْأَعْرَابُ على اسْمِ صَلَاتِكُمْ، الْعِشَاءِ فَإِنَّهَا في كِتَابِ اللَّهِ الْعِشَاءُ وَإِنَّهَا تُعْتِمُ بِحِلَابِ الْإِبِلِ»[٤]. وفي لفظ: «لاَ تَغْلِبَنَّكُمُ الأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلاَتِكُمْ»، زَادَ ابْنُ

---

(١) درء التعارض (١/ ٢٥٤). (٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٤).

(٣) فتح الباري (١٣/ ١٠١).

(٤) رواه مسلم بهذا اللفظ، كتاب المساجد، باب وقت العشاء وتأخيرها، ح(٦٤٤).

حَرْمَلَةَ: «فَإِنَّمَا هِيَ الْعِشَاءُ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ: الْعَتَمَةُ، لإِعْتَامِهِمْ بِالإِبِلِ»(١).

ويعظم الإشكال حين تحمل نصوص الملحمة الشرعية على ما في نصوص هرمجدون الإسرائيلية من صفات، فيسبق للذهن أن هذه هي تلك، وتلك هي هذه، ومن تأمل في نصوص الواقعتين وجد شيئًا من التباين لا يصحح حمل إحداهما على الأخرى، فمثلًا أطراف الصراع في الملحمة كما جاء في النصوص الشرعية، تكون بين أهل الإسلام وبني الأصفر الروم، أما أطراف الصراع في هرمجدون فأوسع من هذا، بحيث يشمل يأجوج ومأجوج!!

كذلك مكان الملحمة بمرج دابق أو بالأعماق، لقوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»(٢)، وقال ﷺ: «إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»(٣).

أما هرمجدون فالمذكور أنها تقع في وادي مجدو، وهذا ما لم يأت له ذكر في ضوء مصادرنا الصحيحة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن مثل هذا الصنيع: «وهذا شأن أهل البدع دائمًا يصطلحون على معان يضعون لها ألفاظًا من ألفاظ العرب ثم يحملون ألفاظ القرآن والسنة على تلك الاصطلاحات الحادثة»(٤).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعلوم أن تلك الألفاظ لا تفي بما تفي به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيان، فتولد من هجران ألفاظ النصوص والإقبال على

---

(١) ابن ماجه، كتاب المواقيت، باب النهي أن يقال صلاة العتمة، ح(٧٠٥).
(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم، ح(٢٨٩٧).
(٣) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب في المعقل من الملاحم، ح(٤٢٩٨).
(٤) مختصر الصواعق المرسلة ص(٢٢٢).

الحادثة وتعليق الأحكام بها على الأمة من الفساد ما لا يعلمه إلا اللَّه.

فألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب، ولما كانت هي عصمة عهدة الصحابة وأصولهم التي إليها يرجعون كانت علومهم أصح من علوم من بعدهم، وخطؤهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم، ثم التابعون بالنسبة إلى من بعدهم كذلك، وهلم جرًّا»[١].

ومما يحسن فقهه في ضوابط فهم الأشراط، مراعاة العرف الواقع للألفاظ في زمن النبي ﷺ، فتفسر الألفاظ بها، ولا تفسر بالأعراف الحادثة، فينبغي أن تضبط المعالم الجغرافية مثلًا في ضوء العرف السابق لا اللاحق، فجزيرة العرب مثلًا ينبغي أن تفسر لا باعتبار العرف الجغرافي اليوم، لعدم مطابقته بالضرورة للعرف المتقدم المقصود بالنص، فهذه قد تكون أوسع أو أضيق بحسب تجدد العرف، فتفسر في ضوء استعمال هذا الاصطلاح في زمن النبي ﷺ، وكذا الشأن في نجد والعراق واليمن والشام والمشرق والمغرب إلى آخره، وينبغي أن يلاحظ أنه لا يلزم بالضرورة وقوع الاختلاف بين العرف الواقع اليوم والعرف السابق في كل قضية ومسألة، لكن ينبغي مراعاة هذه المسألة لئلا تحمل ألفاظ الشارع على ما لا يراد بها، وتنزل النصوص على وقائع غير مقصودة[٢].

١١- التأني في الحكم والتنزيل:

إن تنزيل النصوص المستقبلية على الواقع مسألة دقيقة، تحتاج إلى تتبع للنصوص ونظر في ثبوتها ومعانيها وسبر ما فيها، إضافة إلى معرفة بالواقع ومقارنة بين الوارد في هذه النصوص وطبيعة الواقع، وهذا يحتاج إلى شيء من الوقت من أجل الإنضاج فإذا استعجل عليها وأخرجت قبل الإنضاج فسدت

---

(١) إعلام الموقعين (٦/ ٦٥).

(٢) انظر معالم ومنارات ص(١٨٠ - ١٨٤).

وأفسدت، وقد قال النبي ﷺ: «التَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ، وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»(١).

وقال ﷺ لِلْأَشَجِّ أَشَجِّ عبد الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّه الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما الحلم فهو العقل، وأما الأناة فهي التثبت وترك العجلة»(٣).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنها ستكون هَنات، وأمور مشتبهات، فعليك بالتؤدة، فتكون تابعًا في الخير، خير من أن تكون رأسًا في الشر»(٤).

وفي رواية: «إنها ستكون أمور مشتبهة، فعليكم بالتؤدة، فإن الرجل يكون تابعًا في الخير خير من أن يكون رأسًا في الضلالة»(٥).

وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تكونوا عُجُلًا، مذاييع بُذْرًا، فإن من ورائكم بلاءً مُبرِّحًا مُكْلِحًا، وأمورًا متماحلة رُدُحًا»(٦).

قال أبو حاتم البستي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الرافق لا يكاد يُسبق، كما أن العجل لا يكاد يلحق، وكما أن من سكت لا يكاد يندم، كذلك من نطق لا يكاد يسلم، والعجل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم بعد ما يحمد، يعزم قبل أن يفكر، ويمضي قبل أن يعزم، والعجل تصحبه الندامة وتعتزله السلامة، وكانت العرب تكني العجلة أم الندامات»(٧).

---

(١) رواه أبو يعلى، ح(٤٢٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان، (٦/ ٢١١)، ح(٤٠٥٨)، وفي السنن الكبرى (١٠/ ١٠٤)، وأخرجه الهيثمي في المجمع (١٨/ ١٩)، وقال: «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(١٧٩٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان باللَّه ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، ح(١٧).

(٣) شرح مسلم (١/ ١٨٩).

(٤) رواه ابن أبي شيبة، ح(٣٨٣٤٣).

(٥) رواه ابن بطة في الإبانة، ح(١٨٥).

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد، ح(٣٢٧)، وقال الألباني: «صحيح».

(٧) روضة العقلاء ص(٢١٦).

فالواقع أحيانًا قد يستفز الإنسان لإصدار حكم قبل أن تتكامل صورة الواقعة أو يتكامل تصور النص، أو تستكمل ضوابط التنزيل الصحيح، وقد يكون للهوى نصيب وحظ في استعجال إطلاق الأحكام، والموفق من ثبته اللَّه على الحق ولم يخضع لاستفزاز الشيطان، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتحت قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] كنز عظيم من وفق لمظنته وأحسن استخراجه واقتناءه وأنفق منه فقد غنم، ومن حرمه فقد حرم، وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت اللَّه له طرفة عين، فإن لم يثبته وإلا زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما، وقد قال تعالى لأكرم خلقه عليه عبده ورسوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾ [الإسراء: ٧٤] وقال تعالى لأكرم خلقه: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ١٢]... وقال تعالى لرسوله: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت، ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبِّت اللَّه عبده، فكل من كان أثبت قولًا وأحسن فعلًا كان أعظم تثبيتًا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: ٦٦] فأثبت الناس قلبًا أثبتهم قولًا، والقول الثابت هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب»(١).

فلا يصح أن تتبدل المعايير والمناهج الشرعية في أزمنة الفتن، بل الثبات على الحق مطلوب في كل حين وعلى كل حال.

قال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الفتنة لتعرض على القلوب، فأي قلب أشربها نقط على قلبه نقط سود، وأي قلب أنكرها نقط على قلبه نقطة بيضاء، فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا، فلينظر، فإن رأى حرامًا ما كان يراه

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٦).

حلالًا، أو يرى حلالًا ما كان يراه حرامًا فقد أصابته»[١].

ودخل أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه على حذيفة رضي الله عنه فقال: «أوصنا يا أبا عبد اللَّه، فقال حذيفة: أما جاءك اليقين؟ قال: بلى وربي، قال: فإن الضلالة حق الضلالة أن تعرف اليوم ما كنت تنكر قبل اليوم، وأن تنكر اليوم ما كنت تعرف قبل اليوم، وإياك والتلون فإن دين اللَّه واحد»[٢].

فلا يصح أن يتعجل الشخص في إصدار حكم على قضية من القضايا قبل تكامل آلة الحكم عنده، فلا بد أن يكون بصيرًا بالنص ثبوتًا ومعنى ودلالة، بصيرًا بالواقع، فيصدر حكمًا يرجو به أن يكون أقرب للصواب بحسب تكامل تلك الآلة، فيعطي كل قضية حقها ومستحقها من الحكم، فلا يعطي القطعي حكم الظني ولا الظني حكم القطعي، فإن فلتت منه كلمة بَان له خطؤها فلا عليه أن يعود إلى الحق، فإن العود إلى الحق أحمد، فإن لم يعد واستمرأ الخطأ في هذا الباب فليعلم أنه ممن قد غلبه هواه، وليخش على نفسه مغبة الباطل واستمراءه.

ومن العبارات الجليلة النفيسة الدالة على التأني والتؤدة عند السلف وهي أصل ومنهج في زمن العبث بالأشراط والمغيبات، ما قاله سفيان الثوري لحفص بن غياث حين سأله: «يا أبا عبد اللَّه، إن الناس قد أكثروا في المهدي، فما تقول فيه؟ قال: إن مرَّ على بابك فلا تكن منه في شيء حتى يجتمع الناس عليه»[٣].

فكأنه يقول له: لابد من التأني حتى تتحقق أن هذا الرجل المعين هو المهدي حقًّا، وعلامة ذلك اجتماع الناس عليه، فليس شرطًا أن تكون أول تابع له، بل ليس شرطًا أن يكون اجتماع الناس عليه لعلمهم بكونه هو المهدي

(١) رواه ابن أبي شيبة، ح(٣٨٤٩٨)، وأبونعيم في الحلية، (١/ ٣٤١)، ح(٩٠٨)، ونعيم بن حماد في الفتن، ح(١٣٠).

(٢) رواه عبدالرزاق، ح(٢٠٤٥٤).

(٣) رواه أبونعيم في الحلية (٧/ ٣١).

المقصود ابتداء، وتأمل في قول السائل: «إن الناس قد أكثروا في المهدي» فحالنا كحالهم، والتوجيه ينبغي أن يكون واحدًا: «إن مر على بابك فلا تكن منه في شيء حتى يجتمع الناس عليه».

ويتأكد التأني والتثبت والتحقق إذا كان التنزيل مما يترتب عليه عمل: كالحكم لفلان أنه المهدي مثلًا، فإنه سيوجب اللحوق به، ومبايعته ونصرته إلى غير ذلك مما يجب حياله، ثم إذا ظهر أنه ليس بالمهدي المقصود فقد وضع الأحكام في غير موضعها ورتبها على أمور متوهمة، وكان خطؤه مضاعفًا، خطأ في التنزيل، وخطأ في العمل، ومن تتبع مثل هذا على مر التاريخ علم خطورة الموقف، وجلالة كلام السلف رحمهم اللَّه، والمقصود أن التأني مطلوب في الكل، وأن العجلة مظنة الخطأ، واللَّه المستعان(١).

١٢- الرجوع إلى العلماء قبل الحكم:

إن هذا الباب من أدق أبواب العلم وأخطرها، ويحتاج الناظر فيه - كما تقدم - إلى جمع النصوص والحكم عليها وتتبع ما فيها من المعاني ثم مقارنتها بالواقع للحكم على التنزيل صحة وفسادًا، وهذا يعد لونًا من ألوان تحقيق المناط، والذي له شروطه وضوابطه التي لا يتقنها إلا العلماء، فالرجوع إليهم واستشارتهم قبل الحكم والتنزيل أمر لازم أمر اللَّه تعالى به في هذه المواطن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

وعلى هذا النهج مشى من مضى من السلف رحمهم اللَّه تعالى:

فعن طاووس أن رجلًا اعترض لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: هذه

---

(١) انظر معالم ومنارات ص(١٨٩ - ١٩٦).

الفتنة التي كانت تذكر؟ وذلك حين افترق هو وعمرو بن العاص ﵄ حين حكما، فقال أبو موسى ﵁: «ما هذه إلا حيصة من حيصات الفتن، وبقيت الرداح المطبقة، من أشرف لها أشرفت له، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، والصامت خير من المتكلم، والنائم خير من المستيقظ»[١].

وعن أبي عمرو الشيباني قال: «كنت مع حذيفة بن اليمان في المسجد، إذ جاءه أعرابي يهرول حتى جثا بين يديه، فقال: أَخَرج الدجال؟ فقال حذيفة: أنا لما دون الدجال أخوف من الدجال، وما الدجال، إنما فتنته أربعون يومًا»[٢].

والآثار في هذا الباب كثيرة جدًّا، والفتن إذا أقبلت تشبهت، فلا يعرفها إلا العلماء، واذا أدبرت عرفها الناس كلهم، والأشراط والملاحم من هذا القبيل.

قال الغزالي ﵀: «لو سكت من لا يعرف قل الاختلاف، ومن قصر باعه وضاق نظره عن كلام علماء الأمة والاطلاع عليه فما له للتكلم فيما لا يدريه والدخول فيما لا يعنيه، وحق مثل هذا أن يلزم السكوت»[٣].

وقال ابن تيمية ﵀: «وكل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين ولم يسبقه إليه أحد منهم فإنه يكون خطأً، كما قال الإمام أحمد بن حنبل: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام»[٤].

١٣- التجرد في البحث والخروج عن الهوى:

«قد يكون للمرء هوى مستحكم يقوده في بحثه لإخراج المسألة على صورة معينة، أو تكون عنده أمنية يود أن لو كان الدليل دالًّا على تحققها

---

(١) رواه نعيم بن حماد في الفتن، ح(١٠٦) قال المحقق الزهيري: «إسناده صحيح».

(٢) رواه نعيم بن حماد في الفتن، ح(١٥٥١) قال المحقق الزهيري: «إسناده قوي».

(٣) الحاوي للسيوطي (٢/ ١١٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٢١/ ٢٩١).

كاستعجال نصر أو رفع ظلم، أو يقع له خاطر يستحسنه ويجد ما يعضده من الدليل، فإذا بحث وفتش وجمع، وجد المعارض، فيصعب عليه تغيير ما وقع في نفسه مما استحسنه، ويود أن لو كان الأمر بخلاف ما حقق، فيسعى في دفع المعارض عن قوله، فيقع في الخطأ، حيث تطلب الصواب في قوله مع ظهور خطئه، هذا كله إذا كان هوى المرء مجردًا لنصرة قول، فكيف يكون حال المرء إذا كان في القول الذي ينصره شهرة وعيش، فلا شك أن الأمر أصعب وأصعب، والاعتراف بالحق والحال هذه أشق وأشق، فكيف إذا اقترن بذلك كله دعوى عريضة كادعاء المهدوية مثلًا، فلا شك أن الأمر يكون أخطر وأخطر، والهوى فيه أوضح وأظهر، وبهذا تخرج المسألة من مجال البحث العلمي الصرف الذي يراد من خلاله التوصل إلى الحق من الباطل، إلى طريق مختصر للترؤس أو التكسب أو الشهرة، أعاذنا اللَّه من هذه الحال، وقد وقعت مثل هذا البلايا لكثيرين، ومن تتبع أحوال مدعي المهدوية ودعاتهم علم شيئًا من هذا، وظهر له حجم التكلف في تطبيق نصوص المهدي على مهديهم، لتسلم لهم أهواؤهم ولو عارضت النصوص»(١).

والمقصود أن من أراد أن يسلم له فهمه وتنزيله للنصوص على الوقائع، فليطرح عنه الهوى وليتجرد للحق، وقد قال اللَّه عز وجل: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»(٢).

---

(١) معالم ومنارات ص(٢٠٠ - ٢٠١).

(٢) رواه البزار، ح(٧٢٩٣)، والطبراني في الأوسط، ح(٥٤٥٢)، والبيهقي في الشعب، ح(٧٣١)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(١٨٠٢).

وعن أبي بَرْزَة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ، شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى»(١).

١٤- عدم محاكمة نصوص المستقبل للواقع الحالي:

إن من الخطأ البين أن يحاكم المشتغل في نصوص المستقبل الغيب إلى ما يعايشه من واقع، ويصور المستقبل بمعطيات حاضره، مع أن لكل زمان أحواله وظروفه، والعقل قاصر عن تصور ما غاب عنه ولم يأته خبره، وما كان أحد من السلف يدور في خلده ما فتح على الناس في زماننا من آلات وتقنيات، وقد قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فالعلوم والمخترعات تظهر إذا شاء اللَّه عز وجل وأذن في اختراعها، وحال العباد دائما كما قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: ٨]، وواجب المسلم الاستسلام لخبر السماء ونصوص الشرع، وحملها على ظاهرها، وإن لم يعقل كيفية الواقع المستقبلي، بل يؤمن بما تضمنه النص على صفته، وما زاد عن ذلك فهو اجتهاد يعتريه الخطأ والصواب، ومن لم يرع هذا الأصل وقع في رد بعض النصوص أو تحريفها، توهمًا منه أنها مستحيلة الوقوع أو ممتنعة، ثم تكشف الأيام أن الامتناع متوهم، وأن ما تضمنه النص واقع، وقد قال حذيفة رضي الله عنه يومًا لأصحابه: «ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر، فقال رجل من القوم: أيأتي علينا زمان نرى المنكر فيه فلا نغيره، قال: واللَّه لتفعلن، قال: فجعل حذيفة يقول بأصبعه في عينه: كذبت واللَّه ثلاثًا، قال الرجل: فكذبت وصدق»(٢).

وعن خرشة عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم كما

---

(١) رواه أحمد، ح(١٩٧٨٧)، والبزار، ح(٣٨٤٤)، والطبراني في الصغير، ح(٥١١)، وأخرجه الهيثمي في المجمع (١/ ١٨٨) وقال: «رواه أحمد والبزار والطبراني في الثلاثة، ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في الترغيب، ح(٥٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة، ح(٣٨٥٠٤).

تنفرج المرأة عن قبلها لا تمنع من يأتيها، قالوا: لا ندري، قال: لكني والله أدري، أنتم يومئذ بين عاجز وفاجر، فقال رجل من القوم: قبح العاجز عن ذاك، قال: فضرب ظهره حذيفة مرارًا، ثم قال: قبحت أنت، قبحت أنت»(١).

فالتابعي نظر إلى حاله وما يعايشه من ظهور الدين وعزة الإسلام فأنكر عليه حذيفة رضي الله عنه(٢).

والقصد أنه يجب الإيمان بما تضمنته النصوص على ظواهرها ولا يصح

---

(١) رواه ابن أبي شيبة، ح(٣٨٢٩٢).

(٢) على نحو هذا الإنكار وتحكيم الواقع درج كثير من كتاب عصرنا، وعبثوا في الأشراط بما يعايشونه وسلطوا خيالهم على النصوص، ومن أمثلة ذلك، ما قاله هشام كمال عبدالحميد في كتابه (اقترب خروج المسيح الدجال) ص(٢٩):

«بالنسبة لما سيكون مع الدجال من كميات كبيرة من القمح تشبه الجبال، فيمكن تخيله بقيام الشياطين بزراعة مساحات كبيرة من الأراضي الصحراوية تحت الأرض باستخدامهم أساليب زراعية متطورة كالتهجين، وذلك قبل خروج الدجال بعشرات السنوات، ثم تقوم الشياطين بتخزين هذا القمح في صوامع تحت الأرض، وبأسلوب تخزين جيد يحفظها لفترات طويلة حتى يصل حجم هذا المخزون على مدار عدد من السنوات إلى ما يشبه الجبال، فيخرج الدجال ومعه هذه الكميات التي يغوى بها أهل الأرض.

وبالنسبة لقيام الدجال بأمر السماء أن تمطر فتمطر أمام الناس، فيمكن تخيله بقيام الشياطين بصنع أجهزة علمية للدجال تصنع سحابًا صناعيًا مزودًا بشحنات كهربائية مسجل عليها بصمة صوت الدجال - مثل نظام الخزائن البنكية التي لا تفتح إلا ببصمة صوت صاحب الخزينة فقط -، فتطلق الشياطين هذه السحابة من الأجهزة المعدة لذلك من مكان بعيد عن المكان الذي يقف فيه الدجال أمام الناس، وعندما تمر السحابة من فوقهم ينادي الدجال بإسقاط مطرها فتصطدم ذبذبات صوته بالذبذبات المسجلة لصوته على السحابة فتحدث شرارة كهربائية أو صاعقة بها وتسقط مطرها، ويمكن تخيل ذلك أيضًا بقيام الشياطين بإطلاق السحابة الصناعية في السماء من مكان بعيد، وعندما ينادي عليها الدجال تقوم الشياطين من خلال أجهزة اتصال كاللاسلكي أو من خلال سماع صوته، وهم في مكانهم بالضغط على جهاز مثل الريموت كنترول، فيجعلون السحابة تسقط ما فيها من ماء، ويظن الناس أنها أمطرت بأمر الدجال».

وقال ص(١٥٦): «الحمار المذكور في أحاديث النبي ﷺ والذي سيمتطيه الدجال ما هو إلا طبق طائر صنعته له الشياطين، ولكن النبي ﷺ شبهه بالحمار تحقيرًا له، وليقرب إلى أهل زمانه وصف الدابة التي سينتقل بها الدجال». فعطل النصوص وحرفها بالظن والتخمين والخيال، والله المستعان.

محاكمتها لواقع معيش تحرف النصوص من أجله أو ترد، أما كيف ستتحقق تلك النصوص؟ وكيف ستصل البشرية إلى هذا؟ وكيف ستؤول إلى ما ستؤول إليه؟ فالمرد إلى الله وحده، وقد قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»[١]، وقال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عَزَّ وَجَلَّ ولرسوله ﷺ، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه»[٢].

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: سلَّم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو بقوله: العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل! والعقل أصل النقل!! فإذا عارضه قدمنا العقل!! وهذا لا يكون قط»[٣].

١٥ - الحذر من محاولة افتعال واقع يمكن أن تنزل عليه النصوص:

إن نصوص هذا الباب أخبار يُعلم بها ما سيقع، وليست إنشاءات يراد منها التكليف بإيقاع تلك الأخبار، فمن الخطأ افتعال بعض الأوصاف الواردة في النصوص استعجالًا للتنزيل وتطبيقًا للنص على الواقع المفتعل، كمن يفسد في الأرض ليملأها ظلمًا وجورًا بزعم تعجيل ظهور المهدي، يقول محمد إسماعيل المقدم حفظه الله: «ومن العبث بأشراط الساعة: تكلف بعضهم اصطناع هذه الأشراط، وإيجادها في الواقع عنوة، حتى إن من مدعي المهدية من يغير اسمه واسم أبيه، أو يدعي الانتساب إلى آل البيت الشريف، متناسين أن المنتظر تصنعه المهدية، لكنه لا يصنعها ولا يصطنعها»[٤]، ويقول في معرض ذكر شروط صحة ترقب ما سيقع من الأشراط: «أن تبقى هذه الأشراط في دائرة التوقع المظنون دون أن نتكلف إيجادها بإجراءات من عند أنفسنا، لأنها أمور

---

(١) لمعة الاعتقاد ص(٤٥).
(٢) شرح الطحاوية ص(١٦٥).
(٣) المصدر السابق.
(٤) المهدي وفقه أشراط الساعة ص(٦٣١).

كونية قدرية واقعة لا محالة، ولم نخاطب باستخراجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة»[١].

والمقصود أن هذه النصوص أخبار، فلا يشرع أن تفتعل في الواقع حتى تنزل الأخبار عليها، والله أعلم[٢].

١٦ - لا تنزل النصوص التي يطرقها الاحتمال على واقع معين إلا بعد وقوعها وانقضائها:

إن تنزيل النصوص الشرعية المستقبلية المتعلقة بالفتن والملاحم وأشراط الساعة على ما يقع من النوازل مع القطع بذلك دون شك ولا تردد، من الرجم بالغيب، ومن القول على الله بغير علم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦][٣].

---

(١) المرجع السابق ص(٦٩٦).
(٢) انظر معالم ومنارات ص(٢١٢ - ٢١٥).
(٣) ومن أمثلة هذا ما قاله أمين محمد جمال الدين في كتابه «هرمجدون» ص(٤٨): «لقد كنت حريصًا ألا أتورط في تنزيل الأحاديث على الواقع، ليس لعدم جواز ذلك، كلا، فإنه جائز، بل يجوز الحلف بالله على غلبة الظن، وإنما منعًا للجدل وتحرزًا عن الدخول في متاهات المشغبين ممن لم تتسع دائرة علمهم ولم ترسخ بعد في العلم أقدامهم، ولكن هيهات هيهات، أما الآن، وبعد أن أصبح الناس كلهم أو جلهم يتوقعون حروبًا وملاحم تتجمع أسبابها وتتسارع وتيرتها، وتكاد تدق الأبواب، فإنني لا أجد غضاضة ولا حرجًا في ذكر ما أعلم وتنزيل الأحاديث على الواقع، بل أستطيع أن أقسم على ذلك، ولا أظن أن أحدًا الآن يجرؤ على خلع برقع الحياء، فيجادل أو يشغب إلا من أراد أن يشتهر أو يتكسب، فإن الأمر قد جد جده، ولم يعد هناك وقت للتهريج».
وقال ص(٧): «أستطيع أن أحلف ولا أستثني أن ملاحم آخر الزمان، والتي تبدأ بالحرب العالمية الثالثة والأخيرة قد كشرت عن أنيابها، وشمرت عن ساعديها، وكشفت عن ساقيها».
وقال ص(١١٩): «أحلف ولا أستثني أن أولى الجولات بدأت بالفعل».
وقال الدسوقي في كتابه «القيامة الصغرى على الأبواب» ص(٢٤٧):
«فإذا ثبت لنا بما لا يدع مجالًا للشك أن هذا الحدث هو معركة الكويت التي هي الحرب العالمية الثالثة، فإننا الآن نكون يقينًا في انتظار الزلزال العظيم الذي هو علة الخسوف الثلاثة التي هي الآيات الثلاث الأولى من الآيات العشر».
وهذا الكلام غني عن التعليق، والله المستعان.

عن جندب ﷺ قال: «جِئْتُ يوم الْجَرَعَةِ(١) فإذا رَجُلٌ جَالِسٌ، فقلت: لَيُهْرَاقَنَّ الْيَوْمَ ها هنا دِمَاءٌ، فقال ذَاكَ الرَّجُلُ: كَلَّا واللَّه، قلت: بَلَى واللَّه، قال: كَلَّا واللَّه، قلت: بَلَى واللَّه، قال: كَلَّا واللَّه إنه لَحَدِيثُ رسول اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنِيهِ، قلت: بِئْسَ الْجَلِيسُ لي أنت مُنْذُ الْيَوْمِ، تَسْمَعُنِي أُخَالِفُكَ(٢) وقد سَمِعْتَهُ من رسول اللَّهِ ﷺ فلا تَنْهَانِي، ثُمَّ قلت: ما هذا الْغَضَبُ؟ فَأَقْبَلْتُ عليه وَأَسْأَلُهُ فإذا الرَّجُلُ حُذَيْفَةُ»(٣).

فتأمل كيف خطَّأ حذيفةُ جندبًا، لما جزم جندب بوقوع الأمر، وكيف سارع جندب إلى الرجوع عن قوله عندما تبين له أنه جزم بالأمر بدون علم(٤).

١٧ - مراعاة الترتيب الزمني للأشراط كما دلت عليه النصوص وعدم القطع بزمان أو ترتيب لا دليل عليه:

«هذا أصل مهم في هذا الباب، فلا يصح أن يستعجل شرط قبل أوانه أو يقدم على واحد من أقرانه، بل لا بد أن يراعي المنزل البعد الزمني، فلا يحكم لشرط بالظهور أو تحديد وقت الظهور مع عدم صلاحية الوقت المحدد لظهور الشرط، كما لا يصح أن يقدم شرط على شرط وردت السنة بتأخيره عن ذلك الشرط»(٥).

ودليل هذا حديث حذيفة بن أسيد ﷺ قال: «كان النبي ﷺ في غُرْفَةٍ

---

(١) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الجرعة - بفتح الجيم وبفتح الراء وإسكانها والفتح أشهر وأجود - وهي موضع بقرب الكوفة على طريق الحيرة، ويوم الجرعة يوم خرج فيه أهل الكوفة يتلقون واليًا ولاه عليهم عثمان فردوه وسألوا عثمان أن يولى عليهم أبا موسى الأشعرى فولاه». شرح مسلم (١٨/ ١٨).

(٢) قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقع فى جميع نسخ بلادنا المعتمدة أخالفك بالخاء المعجمة وقال القاضي: رواية شيوخنا كافة بالحاء المهملة، من الحلف الذي هو اليمين. قال: ورواه بعضهم بالمعجمة وكلاهما صحيح، قال: لكن المهملة أظهر لتكرر الأيمان بينهما» المصدر السابق (١٨/ ١٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب في الفتنة التي تموج كموج البحر، ح(٢٨٩٣).

(٤) انظر «معالم في أوقات الفتن والنوازل» للسدحان ص(٥٥)، و«فقه أشراط الساعة» للمقدم ص(٢٧١).

(٥) معالم ومنارات ص(١٢١ - ١٢٢).

وَنَحْنُ أَسْفَلَ منه فَاطَّلَعَ إِلَيْنَا فقال: «ما تَذْكُرُونَ؟» قُلْنَا: السَّاعَةَ، قال: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حتى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ في جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأرض وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَنَارٌ تَخْرُجُ من قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ الناس»(١).

فقوله ﷺ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حتى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ» تنبيه على أنها لا تكون قبل أشراطها.

وعن يُسَيْرِ بن جابر قال: «هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ ليس له هِجِّيرَى إلا: يا عَبْدَاللَّهِ بن مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ، قال: فَقَعَدَ وكان مُتَّكِئًا فقال: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حتى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ ولا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ، ثُمَّ قال بِيَدِهِ هَكَذَا وَنَحَّاهَا نحو الشام فقال: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لهم أَهْلُ الْإِسْلَامِ، قلت: الرُّومَ تَعْنِي؟ قال: نَعَمْ وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمْ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إلا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حتى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إلا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حتى يَحْجُزَ بَيْنَهُمْ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إلا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حتى يُمْسُوا فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ فإذا كان يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عليهم فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً إِمَّا قال لَا يُرَى مِثْلُهَا وَإِمَّا قال لم يُرَ مِثْلُهَا حتى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فما يُخَلِّفُهُمْ حتى يَخِرَّ مَيْتًا فَيَتَعَادُّ بَنُو الْأَبِ كَانُوا مِائَةً فلا يَجِدُونَهُ بقي منهم إلا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أو أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ... الحديث»(٢).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، ح(٢٨٩٩).

وهذه تخطئة من ابن مسعود ﷺ لمن جزم بوقوع أمر، وأسقط النصوص على الواقع، ولم يلتفت لترتيب الأشراط.

وعن أبي الطفيل قال: «كنت بالكوفة فقيل: خرج الدجال، قال: فأتينا على حذيفة بن أسيد ﷺ وهو يحدث فقلت: هذا الدجال قد خرج. فقال: اجلس. فجلست فأتى علي العريف فقال: هذا الدجال قد خرج وأهل الكوفة يطاعنونه، قال: اجلس فجلست، فنودي: إنها كذبة صباغ، قال: فقلنا: يا أبا سريحة ما أجلستنا إلا لأمر فحدثنا، قال: إنّ الدَّجَّالَ لَوْ خَرج في زمانكم لرمته الصبيان بالخَذَفِ ولكنّ الدجالَ يَخرجُ في بُغْضٍ من الناس وخِفَّة من الدين وسوءِ ذات بين فَيَردُ كل مَنْهَل...»[(١)].

وعن نافع بن عُتبة قال: «كنا مع رسول اللّهِ ﷺ في غَـزْوَةٍ قال: فَأَتَى النبي ﷺ قَوْمٌ من قِبَلِ الْمَغْرِبِ عليهم ثِيَابُ الصُّوفِ فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ قال: فقالت لي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ قال: ثُمَّ قلت: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قال: فَحَفِظْتُ منه أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ في يَدِي قال: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّه ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّه ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّه ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّه» قال: فقال نَافِعٌ: يا جَابِرُ لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حتى تُفْتَحَ الرُّومُ»[(٢)].

وعن أبي قَبِيلٍ قال: كنا عِنْدَ عبداللَّهِ بن عَمْرِو بن العاص ﷺ وَسُئِلَ أي الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أو رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عبداللَّهِ بِصُنْدُوقٍ له حِلَقٌ قال: فأخرج منه كِتَابًا قال: فقال عبداللَّهِ: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رسول اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رسول اللَّهِ ﷺ أي الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا أقسطنطينية أو رُومِيَّةُ؟ فقال

---

(١) رواه الحاكم، (٥/ ٧٣٩)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال، ح(٢٩٠٠).

رسول اللَّهِ ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا». يعني قُسْطَنْطِينِيَّةَ[(١)].

فمراعاة الترتيب أمر مطلوب، فلا يصح أن تنزل هذه الأشراط بما يخالف ترتيبها في النصوص، بل الترتيب من صفات هذه الأشراط والتي متى ما تخلفت دل على عدم صحة التنزيل لانعدام وصف من أوصاف الشرط، وأما ما لم يرتب في النصوص فلا يقطع بترتيبه ولا زمانه، لأن ذلك من التكلف، والقول على اللَّه بلا علم.

١٨ - عدم تحديد تواريخ وأوقات معينة لوقوع الفتنة أو الملحمة أو الشرط:

إن علم وقت وقوع الأشراط، كعلم وقت قيام الساعة، غيب لا يعلمه إلا اللَّه وحده.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي ينبغي أن يقال به في هذا الباب أن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سَنَة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة فلا يعلم أحد أي سنة هي ولا أي شهر... وكذلك ما يكون من الأشراط تعيين الزمان لها لا يعلم، واللَّه أعلم»[(٢)].

وقال صديق حسن خان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم بمواقيتها مما استأثر اللَّه ﷻ بعلمه، ولا يتيسر لبشر العلم بوقتها، إلا بعد وقوعها، وحصول التطبيق بالأحاديث الواردة فيها»[(٣)].

«ومن تتبع أحوال أهل العلم وجدهم على هذه القاعدة كافين عن ذكر تحديد لوقوع النصوص وتحققها بتواريخ معينة، وغاية ما يصنعونه في هذا الباب

---

(١) رواه أحمد، ح(٦٦٤٥)، والحاكم (٤/ ٥٩٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٤).

(٢) التذكرة (٣/ ١٢٢٢ - ١٢٢٣).

(٣) أبجد العلوم (٢/ ٥١٨).

أن يقولوا: إن وقت هذه الواقعة في زمن المهدي مثلًا أو عيسى بن مريم، أو قبله أو بعده ونحو ذلك، بما يعود إلى مسألة الترتيب بين الأشراط والعلامات، أما تحديد التواريخ فليست محلًّا للاجتهاد والاستنباط ومن خاض في مثل هذا كان خائضًا في ضرب من الكهانة والتنجيم والعياذ بالله.

وما ثبت من التحديد عن الصحابة فحكمه حكم المرفوع لعدم دخوله في دائرة الاجتهاد وذلك كاستعاذة أبي هريرة من رأس الستين مثلًا، فلو صح في ذلك نص فلا كلام، أما وأنه لم يصح فلا»[١]، ولذلك من قرائن الوضع في الحديث عند العلماء، أن يكون في الحديث تاريخ كذا وكذا، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا الأحاديث الموضوعة: «ومنها أحاديث التواريخ المستقبلية، وهي كل حديث فيه: (إذا كانت سنة كذا وكذا حل كذا وكذا)»[٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مستدلًا على ضعف حديث: «وأيضًا دلالةٌ أخرى على أنه مفتعل أن التاريخ لم يكن على عهد رسول الله ﷺ، وإنما وضعوه في عهد عمر»[٣].

١٩ - عدم استحداث صفات لم ترد في النصوص الشرعية:

إن الواجب اتباع النصوص والاقتصار على ما دلت عليه من صفات للوقائع، لأنها المصدر الوحيد الذي يُعلم من خلاله الوقائع وصفاتها، فكما أن الوقائع غيب فالصفات غيب، لا تثبت إلا بخبر ثابت، وكل صفة لم يأت بها النص فإثباتها تعد على الشرع ورجم بالغيب، وسبيل لنفي مطابقة النصوص للوقائع، لأن النصوص لا يجوز تطبيقها على الوقائع حتى تكتمل صفاتها عليها، فمتى ستكتمل صفات لا وجود لها في النصوص تطابقها، وواجب المنزل أن يتتبع الصفات المحددة ليطبقها في الواقع، فإذا وجدها غير مستكملة

(١) معالم ومنارات ص(٢٨٣).
(٢) المنار المنيف ص(١١٠).
(٣) التذكرة (٣/ ١٢٢٠).

لبعض الصفات لم ينزل، بل سيرفع حكم النص عن الواقعة بسبب هذه الصفات الزائدة، لعدم إمكانية تحقق هذه الصورة المرسومة في ظل هذه الصفات الممزوجة بين النصوص الشرعية وما هو خارج عنها، ومن الأمثلة على هذا ما ذكره بعضهم في شأن يأجوج ومأجوج من غرائب وعجائب لا يصح فيها دليل معتمد، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف يأجوج ومأجوج ومتعقبًا ما قيل فيهم مما لا يصح: «وهم كالناس يشبهونهم كأبناء جنسهم من الترك الغتم، المغول المخرزمة عيونهم، الذلف أنوفهم، الصهب، شعورهم على أشكالهم وألوانهم، ومن زعم أن منهم الطويل كالنخلة السحوق وأطول، ومنهم القصير كالشيء الحقير، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطأ بالأخرى، فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه»[١].

ومن الأمثلة المعاصرة المخترعة، ما ألحقه محمد عيسى داود في كتابه «المفاجأة» بالمهدي المنتظر، حيث يقول:

«المهدي طويل القامة طولًا مميزًا، ربما يتراوح ما بين ١٨٠ و١٩٠سم، ولا يظهر بالعقال أبدًا، إنما يلبس الزي (الرومي)... يعني لبسه الأساسي هو الزي المدني الحالي بجميع أشكاله الحضارية المدنية الحالية، فهو ليس غريبًا في هيئته عن الحضارة الغربية، وأحيانًا يرتدي العباءة والجلباب كما يرتديها أحدنا، وفي البرودة له (بالطو) مثل بالطو الاسكينديناف الروس، ولكن زيه الرسمي البدلة والكرفت»[٢].

وهذا مما ينبغي أن يستحيا من ذكره، والأمثلة على مثل هذا النوع في الواقع كثيرة، والله المستعان[٣].

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٢٣٩ - ٢٤٠).

(٢) المفاجأة ص(٩٠)، وانظر: كتاب تحذير ذوي الفطن ص(١٨١).

(٣) انظر: معالم ومنارات ص(٢٢٧ - ٢٢٩).

٢٠ - الانتباه إلى النسبة الزمانية عند الكلام على اقتراب الساعة وأشراطها:

إن ما ورد في النصوص من قرب قيام الساعة وظهور أماراتها لا يعني أنها على الأبواب، وذلك أن القرب والبعد أمر نسبي، ومن يدري لعل بيننا وبينها آلافًا من السنين، ولعلها أقرب مما نتصور، قال تعالى عن الساعة: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، وهكذا القول في أشراط الساعة، قال النبي ﷺ عن بعثته وهي أول أشراط الساعة: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قَالَ: «وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى»(١).

وعن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي»(٢).

قال ابن رجب: «وكل هذه النصوص تدل على شدة اقتراب الساعة»(٣).

وقد مضى على بعثته ﷺ ما يقارب القرن ونصفه، ولم تقم الساعة بعد، ولم يظهر شيء من أشراطها الكبرى، فالأمر نسبي، والمراد القرب بالنسبة إلى ما مضى من عمر الدنيا، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَالشَّمْسُ عَلَى قُعَيْقِعَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَقَالَ: «مَا أَعْمَارُكُمْ فِي أَعْمَارِ مَنْ مَضَى، إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ فِيمَا مَضَى مِنْهُ»(٤).

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا الحديث فيه دليل على أن مدة هذه الأمة قصيرة

---

(١) رواه والبخاري، كتاب الرقاق، باب باب قول النبي ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ح(٦٥٠٤)، ومسلم، كتاب الفتن، باب قرب الساعة، ح(٢٩٥١) واللفظ له.

(٢) رواه أحمد، ح(٢٢٩٤٧)، قال ابن كثير: «تفرد به الإمام أحمد في مسنده». التفسير (١١/ ٢٩٧). وقال الهيثمي: «ورجال أحمد رجال الصحيح». مجمع الزوائد (١/ ٣١١). وقال البوصيري: «رواته ثقات». إتحاف الخيرة (٨/ ١٤٤).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٢/ ١٤٧).

(٤) رواه أحمد، ح(٥٩٦٦) قال ابن كثير: «تفرد به أحمد، وهذا إسناد حسن لا بأس به». البداية والنهاية (١٩/ ٢٩١). وحسنه ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٥٠).

بالنسبة إلى ما مضى من مدد الأمم قبلها؛ لقوله: «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ»، فالماضي لا يعلمه إلا اللَّه كما أن الآتي لا يعلمه إلا هو، ولكنه قصير بالنسبة إلى ما سبق، ولا اطلاع لأحد على تحديد ما بقي إلا اللَّه عز وجل كما قال اللَّه تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]»[(١)].

ونقل المناوي عن إمام الحرمين: «أن الأحكام لا تؤخذ من الأحاديث التي هي لضرب الأمثال»[(٢)].

فمن جزم بالأوقات في الأشراط التي لم تظهر، فقد جانب الحق والصواب، وتكلف شططًا في الخطاب، واللَّه المستعان وإليه المآب.

٢١ - حدثوا الناس بما يعقلون:

من المقرر أنه ليس كل ما يُعلم يقال، ولا ما يقال في حال يقال في كل حال، ولا كل صحيح صالح للنشر، لقصور العقول أحيانًا عن تحمله، أو لسوء التعامل معه، أو لعدم تنزيل الكلام منازله الصحيحة، فعن علي رضي الله عنه قال: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»[(٣)]، وفي رواية: «أيها الناس، تحبون أن يُكذب اللَّه ورسوله؟ حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون»[(٤)]، قال الشاطبي رحمه الله: «فجعل إلقاء العلم مقيدًا، فربَّ مسألة تصلح لقوم دون قوم، وقد قالوا في الرباني: إنه الذي يعلم بصغار العلم قبل كباره»[(٥)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[(٦)]، وفي رواية: «إن الرجل ليحدث بالحديث، فيسمعه

---

(١) البداية والنهاية (٣/ ٧٥).
(٢) فيض القدير (٢/ ٥٦٦).
(٣) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ح(١٢٧).
(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٤٧).
(٥) الموافقات (٥/ ٣٦).
(٦) رواه مسلم في مقدمة الصحيح (١/ ٧٦).

من لا يبلغ عقله فهم الحديث، فيكون عليه فتنة»[١]، وقال أيوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تحدثوا الناس بما لا يعلمون فتضروهم»[٢]، وعن وهب بن منبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «ينبغي للعالم أن يكون بمنزلة الطباخ الحاذق، يعمل لكل قوم ما يشتهون من الطعام، وكذلك ينبغي للعالم أن يحدث كل قوم بما تحتمله قلوبهم وعقولهم من العلم»[٣].

إن إشغال الناس بما لا ينفعهم خطأ لا يقره الدين، فللناس واجبات شرعية، والتزامات مرعية، هي أولى من هذا، فكيف إذا كان فيما يقال ويشغل به الناس، ما يحمل البعض على ترك العمل والقعود انتظارًا لخروج مهدي من هنا أو هناك، فكيف إذا كان فيها ما يهيئ الجو لكل مدع للمهدوية مثلًا، فيجد له أتباعًا ممن تقاصرت عقولهم وفهومهم عن ملكة التمحيص والنقد، لا شك أن الأمر حينئذ يكون أخطر وأخطر، وكيف إذا كان في هذه الكتابات ما يمهد الجو للطاعنين في الدين بدعوى معارضة الواقع لواقع النصوص الشرعية، فالقوم يربطون الكتاب والسنة بما سيكون على سبيل التفصيل والتنزيل، ففلان هو المهدي وفلان هو الدجال وفلان هو القحطاني وفلان هو السفياني، والناس منصورون في مكان كذا بتاريخ كذا، يحدده تحديدًا زاعمًا أن القرآن والسنة قطعي في هذا الباب، فإذا تخلف ما قطع به، صار عند بعض الناس فتنة، لأنهم لا يعودون بالتكذيب على صاحب الكتاب، وإنما لخبر اللَّه ورسوله والعياذ باللَّه، وقد وقع شيء من هذا، فللَّه كم من خَيِّر ضلَّ، وكم من صالح زلَّ بسبب هذه الكتابات.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند شرح قول علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدم: «وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة... وممن كره التحديث ببعض دون بعض

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٠٨).
(٢) المصدر السابق (٢/ ١٠٩).
(٣) المصدر السابق (٢/ ١٠٩).

أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين وأن المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن حذيفة وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيين لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب. والله أعلم»(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «من العلم ما لا يؤمر به الشخص نوعًا أو عينًا إما لأنه لا منفعة فيه له لأنه يمنعه عما ينفعه، وقد ينهى عنه إذا كان فيه مضرة له، وذلك أن من العلم ما لا يحمله عقل الإنسان فيضر»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «المسائل الخبرية العلمية قد تكون واجبة الاعتقاد وقد تجب في حال دون حال وعلى قوم دون قوم، وقد تكون مستحبة غير واجبة وقد تستحب لطائفة أو في حال كالأعمال سواء وقد تكون معرفتها مضرة لبعض الناس فلا يجوز تعريفه بها»(٣).

وقال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس كل علم يبث وينشر وإن كان حقًّا، وقد أخبر مالك عن نفسه أن عنده أحاديث وعلمًا ما تكلم فيها ولا حدث بها، وكان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل، وأخبر عمن تقدمه أنهم كانوا يكرهون ذلك، فتنبه لهذا المعنى، وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحت في ميزانها، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤد ذكرها إلى مفسدة، فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها، فلك أن تتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن

---

(١) فتح الباري (١/ ٢٧٢).
(٢) الاستقامة (٢/ ١٥٩).
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٩).

كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن لمسألتك هذا المساغ، فالسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية»(١).

ولذلك ترك بعض الصحابة ﷺ التحديث ببعض الحديث للمصلحة كأبي هريرة ﷺ وغيره، يقول ابن تيمية رحمه الله فيما ورد عن أبي هريرة في أمر الجرابين الذي بث أحدهما وترك التحديث بالآخر:

«كان في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين فإن النبي ﷺ أخبرهم بما سيكون من الفتن التي تكون بين المسلمين ومن الملاحم التي تكون بينهم وبين الكفار ولهذا لما كان مقتل عثمان وفتنة ابن الزبير ونحو ذلك، قال ابن عمر: لو أخبركم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتكم وتهدمون البيت وغير ذلك لقلتم: كذب أبو هريرة، فكان أبو هريرة يمتنع من التحديث بأحاديث الفتن قبل وقوعها لأن ذلك مما لا يحتمله رؤوس الناس وعوامهم»(٢).

وعن خيثمة بن عبد الرحمن قال: كنا عند حذيفة ﷺ فقال بعضنا: حدثنا يا أبا عبد اللَّه ما سمعت من رسول اللَّه ﷺ قال: لو فعلت لرجمتموني، قال: قلنا: سبحان اللَّه أنحن نفعل ذلك، قال: أرأيتكم لو حدثتكم أن بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثير عددها صدقتم به، قالوا: سبحان اللَّه ومن يصدق بهذا، ثم قال حذيفة: أتتكم الحميراء في كتيبة يسوقها أعلاجها حيث تسوء وجوهكم، ثم قام فدخل مخدعًا»(٣).

وعن أبي الطفيل قال: «خرجت أنا وعمرو بن صُلَيْع المحاربي، حتى دخلنا على حذيفة، فإذا هو محتبٍ على فراشه يحدث الناس قال: فغلبني حياء الشباب فقعدت في أدناهم، وتقدم عمرو مجتنئًا على عوده حتى قعد إليه، فقال: حدثنا يا حذيفة، فقال: عم أحدثكم؟ فقال: لو أني أحدثكم بكل ما أعلم

---

(١) الموافقات (٥/ ١٧٠ - ١٧١). (٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٢١٨).
(٣) رواه الحاكم (٥/ ٦٦٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

قتلتموني، أو قال: لم تصدقوني، قالوا: وحق ذلك؟ قال: نعم، قالوا: فلا حاجة لنا في حق تحدثناه فنقتلك عليه، ولكن حدثنا بما ينفعنا ولا يضرك، فقال: أرأيتم لو حدثتكم أن أمكم تغزوكم إذا صدقتموني؟ قالوا: وحق ذلك؟ ومعها مضر مضرها اللَّه في النار، وأسد عمان، سلت اللَّه أقدامهم، ثم قال: إن قيسًا لا تزال تبغي في دين اللَّه شرًّا، حتى يركبها اللَّه بملائكة، فلا يمنعوا ذَنَبَ تَلْعة[١]، قال عمرو: أذهلت القبائل إلا قيسًا، فقال: أمن محارب قيس؟ أم من قيس محارب، إذا رأيت قيسًا توالت عن الشام فخذ حذرك»[٢].

وعن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال: سمعت عبد اللَّه بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به، تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان اللَّه أو لا إله إلا اللَّه أو كلمة نحوهما، لقد هممت أن لا أحدث أحدًا شيئًا أبدًا، إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا يحرق البيت ويكون ويكون، ثم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى بنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ...» الحديث[٣][٤].

---

(١) قال ابن الجوزي: «لاَ يمْنَع ذَنَب تلعة وأذناب السوائل أسافل الأودية». غريب الحديث (١/ ٣٦٦)، وقال الزمخشري: «ذنب التلعة: أسفلها، أي يذلها اللَّه حتى لا تقدر على أن تمنع ذيل تلعة». الفائق (١/ ٤٢٩).

(٢) رواه عبدالرزاق، ح(١٩٨٨٩)، والحاكم (٥/ ٦٦٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه، ح(٢٩٤٠).

(٤) انظر: معالم ومنارات ص(٢٣١ - ٢٣٩) بتصرف.

الباب الأول
أشراط الساعة الصغرى

الفصل الأول: الأشراط الصغرى التي ظهرت وانقضت

الفصل الثاني: الأشراط الصغرى التي ظهرت مباديها ولم تنقض بعد

الفصل الثالث: الأشراط الصغرى التي لم تظهر بعد

الفصل الأول
الأشراط الصغرى التي ظهرت وانقضت

المبحث الأول: بعثة النبي ﷺ

المبحث الثاني: انشقاق القمر

المبحث الثالث: موت النبي ﷺ

المبحث الرابع: فتح بيت المقدس

المبحث الخامس: طاعون عَمَواس

المبحث السادس: استفاضة المال في زمن الصحابة رضي الله عنهم

المبحث السابع: الفتنة التي دخلت كل بيت

المبحث الثامن: اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين

المبحث التاسع: ظهور نار الحجاز

المبحث العاشر: قتال الترك والعجم ومن ينتعلون الشعر

المبحث الأول
بعثة النبي ﷺ

لقد أخبر النبي ﷺ أن بعثته شرط من أشراط الساعة، ودليل على قرب قيامها.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قَالَ: «وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى»(٢).

وعن بريدة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب يوم ينفخ في الصور، ح(٤٩٣٦) واللفظ له، ومسلم، كتاب الفتن، باب قرب الساعة، ح(٢٩٥٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ح(٦٥٠٤)، ومسلم، كتاب الفتن، باب قرب الساعة، ح(٢٩٥١) واللفظ له.

(٣) رواه أحمد، ح(٢٢٩٤٧)، قال ابن كثير: «تفرد به الإمام أحمد في مسنده». التفسير (١١/ ٢٩٧). قال ابن حجر: «أخرجه أحمد والطبري وسنده حسن». فتح الباري (١١/ ٣٤٨). وقال الهيثمي: «ورجال أحمد رجال الصحيح». مجمع الزوائد (١/ ٣١١). وقال البوصيري: «رواته ثقات». إتحاف الخيرة (٨/ ١٤٤).

السَّاعَةِ...»(١).

وعن أبي جُبَيْرَة بن الضَّحَّاك رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ»(٢).

قال ابن الجوزي رحمه الله: «"فِي نسم السَّاعَة" أَي حِين ابتدأت وَأَقْبلت أوائلها وَأَصله نسيم الرِّيح وَهُوَ أول هبوبها»(٣).

وقال ابن الأثير رحمه الله: «"في نسم الساعة" هو من النسيم أول هبوب الريح الضعيفة، أي بعثت في أول أشراط الساعة وضعف مجيئها»(٤).

وفي رواية عن المستورد بن شداد رضي الله عنه: «بُعِثْتُ فِي نَفَسِ السَّاعَةِ فَسَبَقْتُهَا كَمَا سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ -لأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى-»(٥).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة، ح(١٩٧٤٧)، وأحمد، ح(٥٦٦٧)، والطبراني في الكبير، (١٣/ ٣١٧) ح(١٤١٠٩)، وفي مسند الشاميين، (١/ ١٣٦) ح(٢١٦)، والبيهقي في الشعب، ح(١١٥٤)، قال الذهبي: «إسناده صالح». السير (١٥/ ٥٠٩). وقال ابن حجر: «وأبو منيب لا يعرف اسمه، وفي الإسناد عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان مختلف في توثيقه، وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي ﷺ». الفتح (٦/ ٩٦). وقال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان، وثقه ابن المديني، وغيره، وضعفه أحمد، وغيره، وبقية رجاله ثقات». مجمع الزوائد (٦/ ٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٥١٤٢).

(٢) رواه أبو أحمد الحاكم في الأسامي والكنى (٣/ ١١٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٧٦)، وفي معرفة الصحابة (٥/ ٢٨٤٩)، والبزار في كشف الأستار (٤/ ٦٨). قال الألباني: «رواه الدولابي في الكنى (١/ ٢٣) وابن منده في المعرفة (٢/ ٢٣٤/ ٢) عن سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي جبيرة مرفوعًا.

قلت (الألباني): وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات و في صحبة أبي جبيرة خلاف، ورجح الحافظ في التقريب أن له صحبة وذكر في الإصابة أنه روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وهذا هو الصواب خلافًا لقول العجلي في الثقات» اهـ. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٤٦٨) ح(٨٠٨).

(٣) غريب الحديث (٢/ ٤٠٦).

(٤) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٤٨).

(٥) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» يعني السبابة والوسطى، ح(٢٢١٣)، وقال: «هذا حديث غريب من حديث المستورد بن شداد، لا نعرفه إلا من هذا الوجه». وضعفه الألباني في تعليقه على السنن.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: «في نَفَس» بفتح الفاء وهو كناية عن القرب أي بعثت عند تنفسها»(١).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللّه ﷺ قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَقَرَّبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ ثُمَّ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَفَرَسَيْ رِهَانٍ» ثُمَّ قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَعَثَهُ قَوْمٌ طَلِيعَةً، فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يُسْبَقَ ألاخُ بِثَوْبِهِ: أُتِيتُمْ أُتِيتُمْ» ثُمَّ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَا ذَاكَ، أَنَا ذَاكَ»(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» فمعناه أنا النبي الأخير فلا يليني نبي آخر، وإنما تليني القيامة كما تلي السبابة الوسطى وليس بينهما أصبع أخرى، وهذا لا يوجب أن يكون له علم بالساعة نفسها، وهي مع ذلك كائنة لأن أشراطها متتابعة، وقد ذكر اللّه الأشراط في القرآن فقال: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ﴾ [محمد: ١٨] أي دنت، وأولها النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان، وقد بعث وليس بيني وبين القيامة نبي»(٣).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن التين: اختلف في معنى قوله: «كهاتين» فقيل: كما بين السبابة والوسطى في الطول، وقيل المعنى ليس بينه وبينها بينه. وقال القرطبي في (المفهم): حاصل الحديث تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها»(٤).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكل هذه النصوص تدل على شدة اقتراب الساعة... وقد فسر قوله: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وقرن بين السبابة والوسطى، بقرب زمانه من الساعة، كقرب السبابة من الوسطى، وبأن زمن بعثته

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٤٨).

(٢) رواه البيهقي في الشعب، ح(٩٧٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٢٢٠).

(٣) التذكرة (٣/ ١٢١٩). (٤) فتح الباري (١١/ ٣٤٩).

تَعْقبه السَّاعَة من غير تخلل نبي آخر بينه وبين الساعة، كما قال في الحديث الصحيح: «أَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ»(١). فالحاشر: الذي يحشر الناس لبعثهم يوم القيامة على قدمه، يعني: أن بعثهم وحشرهم يكون عقيب رسالته، فهو مبعوث بالرسالة وعقيبه يجمع الناس لحشرهم.

والعاقب: الذي جاء عقيب الأنبياء كلهم، وليس بعده نبي، فكان إرساله من علامات الساعة»(٢).

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ح(٣٥٣٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، ح(٢٣٥٤).

(٢) فتح الباري لابن رجب (٣/ ١٤٧ - ١٤٨).

المبحث الثاني
انشقاق القمر

قال اللَّه تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد كان هذا في زمان رسول اللَّه ﷺ، كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة... وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وانشقاق القمر قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الأخبار، وكان النبي ﷺ يقرأ هذه السورة في المجامع الكبار مثل الجمع والأعياد؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار، وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره، فعلم أن انشقاق القمر كان معلومًا عند الناس عامة»[(٢)].

وقال: «وهذه السورة كان النبي ﷺ يقرأ بها في أعظم اجتماعات الناس عنده وهي الأعياد، والناس كلهم يسمعون ما يذكره من انشقاق القمر، وقول المكذبين أنه سِحْر، والناس كلهم المؤمن به والمنافق والكافر يقرون على هذا لم يقل أحد منهم أن القمر لم ينشق ولا أنكره أحد.

ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة أنه لو لم يكن انشق لأسرع الناس المؤمنون به إلى تكذيب ذلك فضلًا عن أعدائه من الكفار والمنافقين، لا سيما وهو يقرأ عليهم ذلك في أعظم مجامعهم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٧٢).

(٢) الجواب الصحيح (١/ ٤١٤).

وأيضًا فمعلوم أن محمدًا ﷺ كان من أحرص الخلق على تصديق الناس له واتباعهم إياه، مع أنه كان أخبر الناس بسياسة الخلق، فلو لم يكن القمر انشق لما كان يخبر بهذا، ويقرأه على جميع الخلق ويستدل به، ويجعله آية له، فإن من يكون من أقل الناس خبرة بالسياسة لا يتعمد إلى ما يعلم جميع الناس أنه كاذب به فيجعله من أعظم آياته الدالة على صدقه، ويقرأه على الناس في أعظم المجاميع. وقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١] بصيغة الفعل الماضي، ولم يقل: قامت الساعة، ولا: ستقوم، بل قال: اقتربت أي دنت وقربت، و﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ الذي هو دليل على نبوة محمد وعلى إمكان انخراق الفلك الذي هو قيام القيامة»[(١)].

وأما الأحاديث:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ»[(٢)].

وفي لفظ: «فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حتى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا»[(٣)].

وفي لفظ: «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ»[(٤)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنهما قال: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِقَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «اشْهَدُوا»[(٥)].

وفي لفظ: «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى رَأَيْتُ الْجَبَلَ مِنْ

---

(١) المصدر السابق (١/ ٤١٨ - ٤٢٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، ح(٣٦٣٧)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، ح(٢٨٠٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب انشقاق القمر، ح(٣٦٥٥).

(٤) رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، ح(٢٨٠٢).

(٥) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، ح(٣٦٣٦)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، ح(٢٨٠٠).

بَيْنِ فُرْجَتَيِ الْقَمَرِ»(١).

وفي لفظ: بَيْنَمَا نَحْنُ مع رسول اللَّهِ ﷺ بِمِنًى إذا انْفَلَقَ الْقَمَرُ فِلْقَتَيْنِ فَكَانَتْ فِلْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ وَفِلْقَةٌ دُونَهُ، فقال لنا رسول اللَّهِ ﷺ: «اشْهَدُوا»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «انْشَقَّ الْقَمَرُ فِي زَمَانِ النبي ﷺ»(٣).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً عَلَى هَذَا الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً عَلَى هَذَا الْجَبَلِ، فَقَالُوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ، فَقَالُوا: إِنْ كَانَ سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ»(٤).

قال ابن الأثير: «وزاد رزين: فكانوا يتلقَّوْن الرُّكبان، فيخبِرُونهم بأنَّهم قد رَأَوْهُ، فيكذبونهم»(٥).

وعن عبد اللَّه قال: «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، قَالَ: وَقَالُوا: انْتَظِرُوا مَا تَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّارُ فَإِنَّ مُحَمَّدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ، قَالَ: فَجَاءَ السُّفَّارُ فَقَالُوا ذَاكَ»(٦).

قال ابن كثير رحمه الله: «فهذه طرق متعددة قوية الأسانيد، تفيد القطع لمن تأملها وعرف عدالة رجالها»(٧).

---

(١) رواه أحمد، ح(٣٩٢٤) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حديث صحيح».

(٢) رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر، ح(٢٨٠٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب وانشق القمر، ح(٤٨٦٦).

(٤) رواه أحمد، ح(١٦٧٥٠)، قال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف، حصين بن عبدالرحمن: وهو السلمي لم يسمع هذا الحديث من محمد بن جبير بن مطعم، بينهما جبير بن محمد بن جبير، وهو مجهول، وسليمان بن كثير: وهو العبدي، روى له البخاري عن حصين بن عبد الرحمن متابعة، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين» المسند (٢٧/ ٣١٤). ورواه الترمذي كتاب التفسير، باب ومن سورة القمر، ح(٣٢٨٩)، وصححه الألباني في تعليقه على السنن، وقال الحاكم: «هذه الشواهد لحديث عبد اللَّه بن مسعود كلها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاه» المستدرك (٣/ ٢٨٠).

(٥) جامع الأصول (١١/ ٣٩٨).

(٦) رواه الطيالسي في المسند، ح(٢٩٣).

(٧) البداية والنهاية (٤/ ٣٠٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها»[١].

فانشقاق القمر متواتر خبره، مجمع على وقوعه، وقد وقع مرة واحدة، والروايات يفسر بعضها بعضًا، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «شِقَّتَيْنِ» بكسر المعجمة أي نصفين، وتقدم في العلامات من طريق سعيد وشيبان عن قتادة بدون هذه اللفظة. وأخرجه مسلم من الوجه الذي أخرجه منه البخاري من حديث سعيد عن قتادة بلفظ: «فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ»، وأخرجه من طريق معمر عن قتادة قال بمعنى حديث شيبان. قلت: وهو في مصنف عبدالرزاق عن معمر بلفظ: «مَرَّتَيْنِ» أيضًا، وكذلك أخرجه الإمامان أحمد وإسحاق في مسنديهما عن عبدالرزاق، وقد اتفق الشيخان عليه من رواية شعبة عن قتادة بلفظ: «فِرْقَتَيْنِ»، قال البيهقي: قد حفظ ثلاثة من أصحاب قتادة عنه «مَرَّتَيْنِ». قلت: لكن اختلف عن كل منهم في هذه اللفظة ولم يختلف على شعبة وهو أحفظهم، ولم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بلفظ: «مَرَّتَيْنِ» إنما فيه: «فِرْقَتَيْنِ أو فِلْقَتَيْنِ» بالراء أو اللام، وكذا في حديث ابن عمر «فِلْقَتَيْنِ»، وفي حديث جبير بن مطعم «فِرْقَتَيْنِ»، وفي لفظ عنه «فَانْشَقَّ باثْنَتَيْن» وفي رواية عن ابن عباس عند أبي نعيم في الدلائل «فَصَارَ قَمَرَيْن» وفي لفظ: «شِقَّتَيْنِ» وعند الطبراني من حديثه «حَتَّى رَأَوا شِقَّيْهِ» ووقع في نظم السيرة لشيخنا الحافظ أبي الفضل: «وانشق مرتين بالإجماع»، ولا أعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ﷺ، ولم يتعرض لذلك أحد من شراح الصحيحين، وتكلم ابن القيم على هذه الرواية فقال: المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى، والأول أكثر. ومن الثاني: «انْشَقَّ الْقَمَرُ مَرَّتَيْنِ»، وقد خفي على بعض

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٢٩٣). وانظر النظم المتناثر (١/ ٢١١ - ٢١٢).

الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط فإنه لم يقع إلا مرة واحدة. وقد قال العماد ابن كثير: في الرواية التي فيها «مَرَّتَيْنِ» نظر، ولعل قائلها أراد «فِرْقَتَيْنِ». قلت: وهذا الذي لا يتجه غيره جمعًا بين الروايات»(١).

ومن الحكم في هذه الآية، قول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «وآياته ﷺ المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع، الأول منها: ما هو في العالم العلوي كانشقاق القمر، وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بعث، كمعراجه إلى السماء، فقد ذكر اللَّه انشقاق القمر، وبيَّن أن اللَّه فعله، وأخبر به لحكمتين عظيمتين:

أحدهما: كونه من آيات النبوة، لما سأله المشركون آية، فأراهم انشقاق القمر.

والثانية: أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السماوات، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر: ١ - ٧] فذكر اقتراب الساعة، وانشقاق القمر، وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب؛ لأنه أقرب إلى الأرض من الشمس والنجوم، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك؛ إذ هو الجسم المستنير الذي يظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهورًا لا يتمارى فيه، وأنه نفسه إذا قبل الانشقاق فقبول محله أولى بذلك، وقد عاينه الناس وشاهدوه»(٢).

وقد أنكر جماعة من المتفلسفة والمبتدعة وغيرهم في القديم والحديث

(١) فتح الباري (٧/ ١٨٣). وانظر زاد المعاد (٥/ ٢٤٥)، والبداية والنهاية (٤/ ٣٠٤).
(٢) الجواب الصحيح (٦/ ١٥٩ - ١٦٠).

هذه المعجزة الباهرة، وقالوا: لو وقعت لم تخف على أهل الأرض كلهم، ونحو ذلك من الشبه العقلية التي في حقيقتها مكابرة ودفع للمسلمات، وتناقض وإغراق في الجهالات.

قال النووي رحمه الله: «قال القاضي: انشقاق القمر من أمهات معجزات نبينا ﷺ وقد رواها عدة من الصحابة رضي الله عنهم، مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، قال الزجاج: وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفي الملة، وذلك لما أعمى اللَّه قلبه، ولا إنكار للعقل فيها، لأن القمر مخلوق للَّه تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره.

وأما قول بعض الملاحدة: لو وقع هذا لنقل متواترًا واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص بها أهل مكة، فأجاب العلماء: بأن هذا الانشقاق حصل في الليل، ومعظم الناس نيام غافلون، والأبواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم، فقل من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر، ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره من العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد ولا علم عند غيرهم لما ذكرناه، وكان هذا الانشقاق آية حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها، فلم يتنبه غيرهم لها، قالوا: وقد يكون القمر كان حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض، كما يكون ظاهرًا لقوم غائبًا عن قوم، كما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد واللَّه أعلم»(١).

وقال رحمة اللَّه الهندي(٢) رحمه الله في رده على النصارى في ذلك:

(١) شرح مسلم (١٧/ ١٤٣).

(٢) هو «رحمة اللَّه بن خليل الرحمن الهندي الحنفي، نزيل الحرمين: باحث، عالم بالدين والمناظرة، جاور بمكة وتوفي بها، له كتب منها: «التنبيهات، في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر والميقات» و«إظهار الحق»، جزآن في مجلد، هو من أفضل الكتب في موضوعه». الأعلام (٣/ ١٨).

«وقد دلت الأحاديث الصحيحة على وقوع حادثة انشقاق القمر لمحمد ﷺ، فهي حادثة متواترة منصوص عليها في القرآن الكريم ومروية في الصحيحين وغيرهما، وأقوى شبه القسيسين عندهم أن هذه الحادثة لو وقعت لم تخف على أهل الأرض كلهم، ولنقلها مؤرخو العالم، وهي عندنا شبهة ضعيفة جدًّا، لأن هذا يلزمهم إنكار ما في أناجيلهم من حوادث كبيرة عن المسيح عليه السلام وغيره بإنكار الأمم الأخرى لها، والتي من أمثلتها:

أ - أن حادثة طوفان نوح عليه السلام، وكانت على الأرض كلها، ومذكورة في الإصحاحين السابع والثامن من سفر التكوين، ومع ذلك فإن مشركي الهند وغيرهم ينكرونها، فهل يَرضى القسيسيون بإنكار هؤلاء، وباستهزاء الملاحدة من قومهم؟!

ب - أن حادثة وقوف الشمس يومًا كاملًا «ليوشع» مذكورة عندهم، وهذه يجب أن يراها سكان الأرض، ومع ذلك فإن مشركي الهند والفرس وأهل الصين ينكرونها ولم تذكر في تواريخهم، وملاحدة أوروبا يستهزئون بها، فهل يقبل القسيسون بإنكار الأمم المشرقية لهذه الحادثة وباعتراضات أبنائهم الملاحدة؟!

ج - أنه ورد في الإنجيل أن يحيى عمد عيسى عليه السلام في نهر الأردن، وفي وقت صعود عيسى من الماء، انشقت السماوات وانفتحت ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسيمة في شكل حمامة، وقال صوت من السماوات: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

ومع ذلك لم يكتب أحد من مؤرخي ذلك الزمان هذه الحادثة، والقسس ليس عندهم جواب على من يعترض ويشكك، فالاعتراض على معجزة انشقاق القمر لمحمد ﷺ بحجة خفائها على أهل الأرض، حجة واهية تعود عليهم بالتناقض»[1].

---

(١) مختصر إظهار الحق (١/ ٢٩٠ - ٢٩٤) باختصار وتصرف.

ومن الاعتراضات والشبه القديمة الحديثة: أن الانشقاق لم يقع بعد وإنما سيقع يوم القيامة، في شبهة ذكرها وردها الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال بعد أن ذكر الأحاديث والآثار الدالة على انشقاق القمر، وأسماء الصحابة الذين رووا ذلك: «ولا نعلم روي عن أحد من أهل العلم في ذلك غير الذي روي عنهم فيه، وهم القدوة والحجة الذين لا يخرج عنهم إلا جاهل، ولا يرغب عما كانوا عليه إلا خاسر. وقد زعم بعض من يدعي التأويل ويستعمل رأيه فيه، ويقتصر على ذلك ويترك ذكر ما كان عليه من قبله فيه من صحابة رسول اللَّه ﷺ، ومن تابعيهم أنه لم ينشق وأنه إنما ينشق يوم القيامة، وأن معنى قول اللَّه تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ إنما هو على صلة قد ذكرت بعد ذلك في السورة المذكور ذلك فيها، وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي فينشق القمر حينئذ، وجعل ذلك من الأشياء التي تكون في القيامة، وذكر بجهله أن ذلك لم يروه أنه قد كان إلا ابن مسعود، وأن ذلك لو كان مما قد مضى كما روي عنه لتساوى فيه الناس ولم يحتج إلى إضافته إلى واحد منهم دون من سواه، فكفى بذلك جهلًا إذ كان ما أضافه إلى انفراد ابن مسعود به قد شركه فيه خمسة سواه من أصحاب رسول اللَّه ﷺ قد ذكرناهم في الآثار التي رويناها في أول هذا الباب.

وأما ما ذكره من أن قول اللَّه تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ إنما يرجع إلى ما ذكر أنه صلة له مما ذكرناه عنه من السورة المذكور ذلك فيها، فإن في قول اللَّه تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ دليلًا على خلاف ما قاله فيها، ودليلًا على أن ذلك لم يعن به يوم القيامة؛ لأن الآيات إنما تكون في الدنيا قبل القيامة، كما قال اللَّه وتعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩] وفي قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي فأعرض عنهم كما قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝١٧٤﴾ [الصافات: ١٧٤] وكما قال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤﴾ [الذاريات: ٥٤] دليل على تمام ما ذكره قبل ذلك، واستقبال غيره وهو قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦﴾ ما هو ظرف لما ذكره بعده من خروجهم من الأجداث

كأنهم جراد منتشر، وانتفى أن يكون ذلك صلة؛ لما قد انقطع من الكلام الذي قد تقدمه. ثم قال هذا الشاذ: وقد يحتمل قول ابن مسعود يعني الذي حكاه هذا الشاذ عنه، وهو أنه ذكر عنه أنه قال: وقد يحتمل قول ابن مسعود: «كأني أنظر إليه فلقتين وحراء بينهما» أي كأني أراه إذا انشق كذلك، فكان كلامه هذا فاسدًا، لأنه قد نفى انشقاقه في زمن ابن مسعود وذكر أن انشقاقه يكون بعد ذلك، فإن كان كما قال فقد يجوز أن لا يراه ابن مسعود حينئذ. قال: وقد يجوز أن يراه حيث قال: ويجوز أن يراه في غير ذلك المكان، وقد زعم هذا الشاذ أن ذلك إنما يكون في القيامة لا في الدنيا، وحراء يومئذ جبل من الجبال التي قال اللَّه تعالى خبرًا عما يكون منه فيها يومئذ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٦] الآية، وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] وقال: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] فكيف يكون حراء يومئذ بين فلقتي القمر؟ ونعوذ باللَّه من خلاف أصحاب رسول اللَّه، والخروج عن مذاهبهم، فإن ذلك كالاستكبار عن كتاب اللَّه، ومن استكبر عن كتاب اللَّه، وعن مذاهب أصحاب رسول اللَّه ﷺ وتابعيهم فيه كان حريًّا أن يمنعه اللَّه فهمه، كما حدثنا ابن أبي عمران، حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول في قول اللَّه تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] قال: «أمنعهم فهم كتابي»(١).

فانشقاق القمر آية، ومعجزة، وشرط من أشراط الساعة، وعلامة على قيامها، ظهرت في زمان رسول اللَّه ﷺ وانقضت، وقد أطلت في هذا المبحث لما يثار حوله من شبهات، وينشر من ضلال، خاصة في زماننا، حيث الكلمة تصل الآفاق في لحظة، والشبهة تروج لعظم الغفلة، والنصوص تقابل بالعقل، والمسلمات تحاكم بالجهل، نعوذ باللَّه من الضلال، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

---

(١) مشكل الآثار (٢/ ١٨٠ - ١٨١).

المبحث الثالث
موت النبي ﷺ

عن عَوْف بن مالك رضي الله عنه قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»[(١)].

وفي لفظ قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بِنَاءٍ لَهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «ادْخُلْ» فَقُلْتُ: أَكُلِّي، أَوْ بَعْضِي؟ فَقَالَ: «بَلْ كُلُّكَ» فَقَالَ لِي: «يَا عَوْفُ اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ: أَوَّلُهُنَّ مَوْتِي»، وَاسْتَبْكَيْتُ حَتَّى جَعَلَ يُسْكِتُنِي ثُمَّ قَالَ لِي: «قُلْ: إِحْدَى... »» الحديث[(٢)].

وفي لفظ قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي خَيْمَةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَتَوَضَّأَ وُضُوءًا مَكِينًا فَقَالَ: «يَا عَوْفُ، اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ» قُلْتُ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَوْتِي» قَالَ: فَوَجَمْتُ لَهَا، قَالَ: «قُلْ: إِحْدَى، قُلْتُ: إِحْدَى...» الحديث[(٣)].

فموت النبي ﷺ من أشراط الساعة، وكان من أعظم المصائب التي وقعت

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، ح(٣١٧٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، (١٨/ ٤٢) ح(٧٢). (٣) المصدر السابق، ح(٧٠).

على المسلمين، بل أظلمت في وجوههم الدنيا من هولها، قال أنس رضي الله عنه: «لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول اللَّه ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء»، وقال: «ما نفضنا عن رسول اللَّه ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا»(١).

قال ابن حجر رحمه الله: «يريد أنهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته من الألف والصفاء والرقة، لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأديب»(٢).

وقد أمر النبي ﷺ عند اشتداد المصائب على الإنسان بتذكر هذه المصيبة التي تهون دونها المصائب، ليخف عليه وقع مصيبته وإن جلَّت، فقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّمَا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي؛ فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»(٤).

قال ابن عبدالبر رحمه الله: «وصدق ﷺ: لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك مما يطول ذكره وكان أول انقطاع

---

(١) رواه أحمد، ح(١٣٨٣٠) وقوى إسناده الأرناؤوط في تعليقه، ورواه الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ، ح(٣٦١٨) وقال: «هذا حديث غريب صحيح»، ورواه ابن ماجه، في الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، ح(١٦٣١)، وأبو يعلى، ح(٣٢٩٦)، وابن حبان، ح(٦٦٣٤).

(٢) فتح الباري (٨/ ١٤٩).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر على المصيبة، ح(١٥٩٩). وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١١٠٦).

(٤) رواه الطبراني في الكبير، ح(٦٧١٨)، والبيهقي في الشعب، ح(٩٦٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٣٤٨).

الخير، وأول نقصانه، قال أبو سعيد الخدري: «ما نفضنا أيدينا من تراب قبر رسول اللَّه ﷺ، حتى أنكرنا قلوبنا»[١]، ولقد أحسن أبو العتاهية في نظمه معنى هذا الحديث حيث يقول:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد
أو ما ترى أن المصائب جمة ... وترى المنية للعباد بمرصد
من لم يصب ممن ترى بمصيبة ... هذا سبيل لست فيه بأوحد
وإذا ذكرت محمدًا ومصابه ... فاجعل مصابك بالنبي محمد»[٢].

وقال ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان موت النبي ﷺ قاصمة الظهر ومصيبة العمر»[٣].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أول أمر دهم الإسلام موت النبي ﷺ،...

وقال أبوبكر الصديق في أبيات يرثي بها النبي ﷺ:

فَلَتَحْدُثَنَّ حَوادِثٌ من بعده ... تُعنى بهن جوانحٌ وصدورُ

وقالت صفية بنت عبد المطلب في أبيات ترثي بها النبي ﷺ:

لَعَمرُكَ ما أبكي النبيَّ لفقده ... ولكنَّ ما أخشى من الهَرْج آتيًا»[٤].

وقد أخبر النبي ﷺ بأنه أمان للناس يحفظون بسببه، وموته ذهاب ذلك.

فعن أبي بُرْدَةَ عن أبيه قال: «صَلَّيْنَا الْمَغْرِبَ مع رسول اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قُلْنَا: لو جَلَسْنَا حتى نصلي معه الْعِشَاءَ، قال: فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا فقال: «ما زِلْتُمْ ها هنا» قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّيْنَا مَعَكَ الْمَغْرِبَ ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حتى نصلي مَعَكَ الْعِشَاءَ،

---

(١) قال ابن حجر: «وقد قال أبو سعيد فيما أخرجه البزار بسند جيد: (وما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا) ومثله في حديث ثابت عن أنس عند الترمذي وغيره». فتح الباري (٨/ ١٤٩).

(٢) التمهيد (١٩/ ٣٢٢).

(٣) العواصم من القواصم ص(٥٤).

(٤) التذكرة (٣/ ١٢٢٤ - ١٢٢٥).

قال: «أَحْسَنْتُمْ أو أَصَبْتُمْ» قال: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ - وكان كَثِيرًا مِمَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ - فقال: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فإذا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أتى السَّمَاءَ ما تُوعَدُ، وأنا أَمنة لِأَصْحَابِي فإذا ذَهَبْتُ أتى أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمنة لِأُمَّتِي فإذا ذَهَبَ أَصْحَابِي أتى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله ﷺ «وأنا أَمنة لِأَصْحَابِي فإذا ذَهَبْتُ أتى أَصْحَابِي ما يُوعَدُونَ» أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحًا وقد وقع كل ذلك. قوله ﷺ: «وَأَصْحَابِي أَمنة لِأُمَّتِي فإذا ذَهَبَ أَصْحَابِي أتى أُمَّتِي ما يُوعَدُونَ» معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته ﷺ»(٢).

وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يستشعرون هذا الفقد، وما حلَّ بهم من نقص، وما أحاطت بهم من فتن.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَزُورُهَا. فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ. فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة، ح(٢٥٣١).

وفي الحديث منقبة عظيمة لصحابة النبي ﷺ وإرشاد للاهتداء بهديهم والتمسك بغرزهم والاقتداء بهم، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ووجه الاستدلال بالحديث أنه جعل نسبة أصحابه إلى من بعدهم كنسبته إلى أصحابه، وكنسبة النجوم إلى السماء، ومن المعلوم أن هذا التشبيه يعطي من وجوب اهتداء الأمة بهم ما هو نظير اهتدائهم بنبيهم ﷺ ونظير اهتداء أهل الأرض بالنجوم، وأيضًا فإنه جعل بقاءهم بين الأمة أمنة لهم، وحرزًا من الشر وأسبابه، فلو جاز أن يخطئوا فيما أفتوا به ويظفر به من بعدهم لكان الظافرون بالحق أمنة للصحابة وحرزا لهم، وهذا من المحال» إعلام الموقعين، (٤/ ١٠٥).

(٢) شرح مسلم (١٦/ ٨٣).

السَّمَاءِ. فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا»(١).

والموت حق، ولو كان الإنسان أكرم خلق اللَّه عليه؛ لأن اللَّه لم يكتب الخلود لأحد في هذه الدنيا، وإنما الناس يمرون ويعبرون، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٤ - ٣٥]. فلينظر الإنسان في مروره، وليعتبر بمن سبقه، ومن حضرته منيته، قامت عليه قيامته.

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل أم أيمن، ح(٢٤٥٤).

المبحث الرابع
فتح بيت المقدس

عن عَوْف بن مالك رضي الله عنه قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ فَقَالَ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ...» الحديث(١).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سِتٌّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، وَفَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَوْتٌ يَأْخُذُ فِي النَّاسِ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ،...» الحديث(٢).

وعن عَوْف بن مالك رضي الله عنه قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: «عَوْفٌ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «ادْخُلْ» قَالَ: قُلْتُ: كُلِّي أَوْ بَعْضِي؟ قَالَ: «بَلْ كُلُّكَ» قَالَ: «اعْدُدْ يَا عَوْفُ، سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، أَوَّلُهُنَّ مَوْتِي» قَالَ: فَاسْتَبْكَيْتُ حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسْكِتُنِي، قَالَ: قُلْتُ: إِحْدَى، «وَالثَّانِيَةُ: فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ» قُلْتُ: اثْنَيْنِ...» الحديث(٣).

وقع هذا الفتح في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة خمس عشرة أو ست عشرة من الهجرة، على ما ذكره أئمة السير، حيث حاصرهم أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أمير الجيوش الإسلامية بالشام، وضيَّق عليهم، حتى أجابوا إلى الصلح، بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، ح(٣١٧٦).
(٢) رواه أحمد، ح(٢١٩٩٢). وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٨٨٣).
(٣) رواه أحمد، (٢٣٩٨٥).

فكتب إليه أبو عبيدة بذلك، فسار إليهم عمر رضي الله عنه، وصالحهم، ودخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول اللَّه ﷺ ليلة الإسراء، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، ثم جاء إلى الصخرة فاستدل على مكانها من كعب الأحبار، وقال له: «أين ترى أن أصلي؟ قال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة، فكانت القدس كلها بين يديك. فقال عمر: ضاهيت اليهودية، لا ولكن أصلي حيث صلى رسول اللَّه ﷺ. فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة في ردائه وكنس الناس»(١)(٢).

وهذا هو الفتح المقصود بحديث النبي ﷺ ولا يدخل فيه فتح صلاح الدين الأيوبي رحمه الله لقوله ﷺ: «ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثُمَّ مُوْتَانٌ»، وهو طاعون عمواس على ما سيأتي، فجعل الطاعون بعد فتح بيت المقدس، وهو ما وقع فعلًا بعد فتح عمر رضي الله عنه وفي عهده، قال ابن حجر رحمه الله: «ووقع في رواية للحاكم من طريق الشعبي عن عوف بن مالك في هذا الحديث: «أن عوف بن مالك قال لمعاذ في طاعون عمواس أن رسول اللَّه ﷺ قال لي: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ» فقد وقع منهن ثلاث - يعني موته ﷺ وفتح بيت المقدس والطاعون - قال: وبقي ثلاث، فقال له معاذ: إن لهذا أهلًا»(٣).

فهذا مما ظهر وانقضى، واللَّه تعالى أعلم.

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٦١). قال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه (المستخرج)». البداية والنهاية (٩/ ٦٦٢).

(٢) انظر البداية والنهاية (٩/ ٦٥٥ - ٦٦٠).

(٣) فتح الباري (٦/ ٢٧٩). ورواية الحاكم في المستدرك (٥/ ٦٠٥) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» وفيه: «فقال معاذ: (إن لهذا مدة)».

المبحث الخامس
طاعون عَمواس(١)

عن عَوْف بن مالك الأَشْجَعِي قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي خِبَاءٍ مِنْ أَدَمٍ، فَجَلَسْتُ بِفِنَاءِ الْخِبَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ادْخُلْ يَا عَوْفُ» فَقُلْتُ: بِكُلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُلِّكَ»(٢)، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَوْفُ احْفَظْ خِلَالًا سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، إِحْدَاهُنَّ مَوْتِي»، قَالَ: فَوَجَمْتَ عِنْدَهَا وَجْمَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ: «قُلْ: إِحْدَى، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ دَاءٌ يَظْهَرُ فِيكُمْ يَسْتَشْهِدُ اللَّهُ بِهِ ذَرَارِيَّكُمْ، وَأَنْفُسَكُمْ، وَيُزَكِّي بِهِ أَمْوَالَكُمْ، ثُمَّ تَكُونُ الأَمْوَالُ فِيكُمْ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ، فَيَظَلَّ سَاخِطًا، وَفِتْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ لَا يَبْقَى بَيْتُ مُسْلِمٍ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ هُدْنَةٌ، فَيَغْدِرُونَ بِكُمْ، فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ فِي ثَمَانِينَ غَايَةٍ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»(٣).

وفي رواية: «ثُمَّ مُوْتَانٌ(٤) يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ

---

(١) قال ياقوت الحموي: «وقال المهلبي: كورة عمواس هي ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم». معجم البلدان (٤/ ١٥٧). وقال الحميري: «قرية من قرى الشام بين الرملة وبيت المقدس، وإليها ينسب الطاعون لأن منها بدأ فيقال طاعون عمواس». الروض المعطار في خبر الأقطار ص(٤١٥).

(٢) وذلك أن الخباء كان صغيرًا بحيث ظن أنه قد لا يتسع له. انظر فتح الباري (٦/ ٢٧٨).

(٣) رواه ابن ماجه بهذا اللفظ، كتاب الفتن، باب أشراط الساعة، ح(٤٠٤٢). وقال الألباني: صحيح.

(٤) قال ابن حجر: «قوله: «ثم موتان» بضم الميم وسكون الواو، قال القزاز: هو الموت. وقال غيره: الموت الكثير الوقوع، وقال ابن الجوزي: يغلط بعض المحدثين فيقول موتان بفتح الميم والواو، وإنما ذاك اسم الأرض التي لم تحي بالزرع والإصلاح». فتح الباري (٦/ ٢٧٨).

الْغَنَمِ(١)»(٢).

وفي رواية: «أَوَّلُهُنَّ مَوْتِي، ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ مَنْزِلٌ تَنْزِلُهُ أُمَّتِي مِنَ الشَّامِ يُفْنِهِمْ فِيهِ مُوتَانٌ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ»(٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا قد وقع في أيام عمر، وهو طاعون عمواس سنة ثماني عشرة، ومات بسببه جماعات من سادات الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين»(٤).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «المشهور الذي عليه الجمهور أن طاعون عمواس كان بها»(٥) أي سنة ثماني عشرة.

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويقال أن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس»(٦).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الطاعون منسوب إلى بليدة صغيرة يقال لها: عمواس. وهي بين القدس والرملة، لأنها كان أول ما نجم هذا الداء بها، ثم انتشر في الشام منها فنسب إليها، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون. قال

(١) قال ابن حجر: «قوله: «كعقاص الغنم» بضم العين المهملة وتخفيف القاف وآخره مهملة، هو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة. قال أبو عبيدة: ومنه أخذ الإقعاص وهو القتل مكانه. وقال ابن فارس: العقاص داء يأخذ في الصدر كأنه يكسر العنق». فتح الباري (٦/ ٢٧٨). قلت: قوله: «كعقاص الغنم» بضم العين المهملة وتخفيف القاف يخالف ضبط نسخ البخاري التي بأيدينا ففيها: «كقعاص» ولذلك جاء في حاشية فتح الباري في هامش طبعة بولاق: «كذا في نسخ الشارح التي بأيدينا، والذي في نسخ البخاري بتقديم القاف على العين، وبه ضبط القسطلاني، وهو المنصوص في كتب اللغة والمتعين من قول أبي عبيد، ومنه أخذ الإقعاص». الفتح (٦/ ٢٧٨). قلت: عقاص بالعين المهملة ثم القاف: رواها الروياني في مسنده، ح(٥٩٨)، والطبراني في الكبير، (١٨/ ٤١) ح(٧١)، وفي الأوسط، ح(٥٨)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٠٠)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٢٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، ح(٣١٧٦).

(٣) رواه الطبراني في الكبير، (١٨/ ٦٤) ح(١١٩).

(٤) البداية والنهاية (٩/ ١٦٤). وانظر: الجواب الصحيح لابن تيمية، (٦/ ٨٦).

(٥) المصدر السابق (١٠/ ٦٨). (٦) فتح الباري (٦/ ٢٧٨).

الواقدي: توفي في عام طاعون عمواس من المسلمين بالشام خمسة وعشرون ألفًا. وقال غيره: ثلاثون ألفًا»[١].

والطاعون في هذه الأمة شهادة ورحمة:

قال ﷺ: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي، وَرَحْمَةٌ، وَرِجْسٌ عَلَى الْكَافِرِ»[٢].

وعن شُرَحْبِيلَ بن شُفْعَة، قال: «وَقَعَ الطَّاعُونُ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنَّهُ رِجْسٌ، فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ، فَقَالَ: لَقَدْ صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وأنَّه قال: «إِنَّهُ دَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَرَحْمَةُ رَبِّكُمْ، وَمَوْتُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، فَاجْتَمِعُوا لَهُ، وَلَا تَفَرَّقُوا عَنْهُ» فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ فَقَالَ: صَدَقَ»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[٤].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبي الله ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ»[٥].

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لأُمَّتِي وَوَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الإِبِلِ تَخْرُجُ فِي الآبَاطِ وَالْمَرَاقِّ مَنْ مَاتَ فِيهِ مَاتَ شَهِيدًا وَمَنْ أَقَامَ فِيهِ كَانَ كَالْمُرَابِطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ فَرَّ مِنْهُ كَانَ

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٧٦). وانظر التذكرة للقرطبي (٣/ ١١٥٢ - ١١٥٣).

(٢) رواه أحمد، ح(٢٠٧٦٧)، وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح». وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال أحمد ثقات». مجمع الزوائد (٢/ ٣١٠).

(٣) رواه أحمد، ح(١٧٧٥٤ - ١٧٧٥٥) وقال الأرناؤوط: «صحيح».

(٤) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما يذكر في الطاعون، ح(٥٧٣٢)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء، ح(١٩١٦).

(٥) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما يذكر في الطاعون، ح(٥٧٣٤).

كَالفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ»(١).

وعن عبد اللَّه بن عباس ﵄: «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﵁ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ فَاخْتَلَفُوا فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ»(٢).

فدلت هذه الأحاديث على أن الطاعون: شهادةٌ ورحمة لهذه الأمة، وأن على المسلم أن يصبر عليه، ولا يجوز له أن يفرَّ منه، وأن من سمع به ببلد لا يجوز له أن يدخلها، كما أنه إذا وقع وهو ببلد لا يجوز له أن يخرج منها فرارًا منه.

(١) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٥٥٣١)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٩٢٨).
(٢) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب ما يذكر في الطاعون، ح(٥٧٢٩).

المبحث السادس
استفاضة المال في زمن الصحابة رضي الله عنهم

عن عَوْف بن مالك رضي الله عنه قال: «أَتَيْتُ النبي ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ وهو في قُبَّةٍ من أَدَمٍ، فقال: «اعْدُدْ سِتًّا بين يَدَيْ السَّاعَةِ: موتي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حتى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ من الْعَرَبِ إلا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كل غَايَةٍ اثنا عَشَرَ أَلْفًا»(١).

وفي رواية عنه رضي الله عنه: «ثُمَّ تَكُونُ الأَمْوَالُ فِيكُمْ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلّ سَاخِطًا»(٢).

وفي رواية: «ثُمَّ يَظْهَرُ فِيكُمْ دَاءٌ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ فِيكُمْ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا»(٣).

وفي رواية: «وَالثَّانِيَةُ: فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَالثَّالِثَةُ: مُوتَانٌ فِيكُمْ كقُعاص الْغَنَمِ، وَالرَّابِعَةُ: إِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلّ يَسْخَطُهَا»(٤).

وفي رواية: «أَوَّلُهُنَّ مَوْتِي، ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ مَنْزِلٌ تَنْزِلُهُ أُمَّتِي مِنَ الشَّامِ يُفْنِيهِمْ فِيهِ مُوتَانٌ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا يَفِيضُ

(١) رواه البخاري، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، ح(٣١٧٦).

(٢) رواه ابن ماجه بهذا اللفظ، كتاب الفتن، باب أشراط الساعة، ح(٤٠٤٢). وقال الألباني: «صحيح».

(٣) رواه ابن حبان، ح(٦٦٧٥).

(٤) رواه الطبراني في الكبير، (١٨/ ٤٠) ح(٧٠).

الْمَالُ فِيكُمْ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلَّ يَسْخَطُهَا»(١).

وفي رواية: «أُولَاهُنَّ مَوْتُ نَبِيِّكُمْ ﷺ قُلْ: إِحْدَى» فَوَجَمْتُ وَجْمَةً شَدِيدَةً، فَقُلْتُ: إِحْدَى، «ثُمَّ فَتْحُ إِيلِيَا قُلْ: اثْنَتَيْنِ» قُلْتُ: اثْنَتَيْنِ، «ثُمَّ مَوْتٌ يُرْسَلُ إِلَيْكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ قُلْ: ثَلَاثًا» قُلْتُ: ثَلَاثًا «ثُمَّ يَفْشُو فِيكُمُ الْمَالُ حَتَّى يُعْطَى أَحَدُكُمْ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطُهَا قُلْ: أَرْبَعًا» قُلْتُ: أَرْبَعًا، «ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا تَكَادُ أَنْ تَدَعَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا دَخَلَتْهُ قُلْ: خَمْسًا» فَقُلْتُ: خَمْسًا»(٢).

فدلت روايات الحديث على أن هذا الشرط سيقع مرتبًا بين طاعون الشام والفتنة التي ستقع بمقتل عثمان رضي الله عنه، وأصرح رواية هي قوله ﷺ: «أَوَّلُهُنَّ مَوْتِي، ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ مَنْزِلٌ تَنْزِلُهُ أُمَّتِي مِنَ الشَّامِ يُفْنِهِمْ فِيهِ مُوتَانٌ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا يَفِيضُ الْمَالُ فِيكُمْ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلَّ يَسْخَطُهَا ثُمَّ الَّذِي يَلِيهَا فِتْنَةٌ تَقَعُ فِيكُمْ لَا يَبْقَى بَيْتٌ عَرَبِيٌّ إِلَّا دَخَلَتْهُ» فهذا ترتيب لما سيقع، ثم قوله ﷺ: «ثُمَّ تَكُونُ الأَمْوَالُ فِيكُمْ»، «ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ فِيكُمْ»، «ثُمَّ يَفْشُو فِيكُمُ الْمَالُ»، إشارة إلى الصحابة رضي الله عنهم.

وقد تحقق هذا الفيض في زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه بسبب ما وقع من فتوحات واستيلاء على كنوز كسرى وقيصر، قال ابن تيمية رحمه الله: «قلت: ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر بن الخطاب، ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام، طاعون عمواس في خلافة عمر أيضًا، ومات فيه معاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح، وخلق كثير، وكان ذلك أول طاعون وقع في الإسلام، فكان ما أخبر به، حيث أخذهم طاعون كعقاص الغنم، ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان حتى كان أحدهم يعطى مائة دينار فيسخطها، وكثر المال حتى كانت الفرس تشترى بوزنها، ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق

---

(١) المصدر السابق (١٨/ ٦٤) ح(١١٩). (٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين، ح(٢١٢).

بيت من العرب إلا دخلته لما قتل عثمان»(١).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «ثم استفاضة المال» أي كثرته، وظهرت في خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة، والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان، واستمرت الفتن بعده، والسادسة لم تجيء بعد»(٢).

ولا يصح حمل هذا الحديث على ما وقع من فيض المال زمن عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لأن في الحديث إشارة إلى أن هذا الشرط سيقع قبل الفتنة بمقتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكذلك لا يصح حمله على ما سيحصل في آخر الزمان، في زمن المهدي وعيسى بن مريم أو زمن الفتن والزلازل حين تدنو الساعة، فذاك شرط آخر ولا يقبل المال فيه أحد، ولم يقع بعد، وأما هذا «يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا» يريد المزيد.

فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حتى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ من يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الذي يَعْرِضُهُ عليه لَا أَرَبَ لي»(٣).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا مما لم يقع»(٤).

وعن أَبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِي ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»(٥).

---

(١) الجواب الصحيح (٦/ ٨٥). (٢) فتح الباري (٦/ ٢٧٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل أن ترد، ح(١٣٤٦)، وكتاب الفتن، باب خروج النار، ح(٧١٢١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح(١٠١٢).

(٤) التذكرة (٣/ ١٢٢٧). وقال عن حديث عوف بن مالك: «قد انقضت هذه الخمس». التذكرة (٣/ ١١٥٣).

(٥) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل أن ترد، ح(١٣١٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح(١٠١٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا»(١).

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تَصَدَّقُوا، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ يَمْشِي بِصَدَقَتِهِ فَيَقُولُ الَّذِي أُعْطِيَهَا: لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالْأَمْسِ، قَبِلْتُهَا، وَأَمَّا الْآنَ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا، فَلَا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا»(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: «والظاهر أن ذلك يقع في زمن كثرة المال وفيضه قرب الساعة كما قال ابن بطال»(٣).

فكل هذا لم يأت بعد، وإنما سيكون - والعلم عند الله وحده - عند كثرة الرخاء وتمام العدل في زمن المهدي وعيسى عليه السلام حين تخرج الأرض بركتها، وعند كثرة الفتن والزلازل قرب قيام الساعة، حين تخرج الأرض كنوزها، ويشتغل الناس بالحشر، وبالنار التي تسوقهم.

أما في زمن المهدي: فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صِحَاحًا» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صِحَاحًا؟ قَالَ: «بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ» قَالَ: «وَيَمْلَأُ اللَّهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ غِنًى، وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ، حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِيًا فَيُنَادِي فَيَقُولُ: مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ؟ فَمَا يَقُومُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ فَيَقُولُ: أنا، فيقول: ائْتِ السَّدَّانَ - يَعْنِي الْخَازِنَ - فَقُلْ لَهُ: إِنَّ الْمَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مَالًا، فَيَقُولُ لَهُ: احْثُ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ فِي حِجْرِهِ وَأَبْرَزَهُ نَدِمَ، فَيَقُولُ:

---

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح(١٠١٢).
(٢) رواه أحمد، ح(١٨٧٢٦) واللفظ له، والبخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل أن ترد، ح(١٣١١).
(٣) فتح الباري (٣/ ٢٨٢).

كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْسًا، أَوَعَجَزَ عَنِّي مَا وَسِعَهُمْ؟ قَالَ: فَيَرُدُّهُ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّا لَا نَأْخُذُ شَيْئًا أَعْطَيْنَاهُ»(١).

ولعل الإشارة إلى هذا أيضًا في قوله ﷺ المتقدم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا»(٢).

فربط هنا بين استفاضة المال وبين عودة أرض العرب مروجًا وأنهارًا، ولعل هذا يكون عند إخراج الأرض بركتها زمن العدل والإيمان، ولذلك جاء في حديث المهدي: «يَمْلَؤُهَا عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، فَلَا تَمْنَعُ السَّمَاءُ شَيْئًا مِنْ قَطْرِهَا وَلَا الأَرْضُ شَيْئًا مِنْ نَبَاتِهَا»(٣).

وأما في زمن عيسى عليه السلام:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا يَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»(٤).

---

(١) رواه أحمد، ح(١١٣٢٦). وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣١٣): «رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات». وقال الألباني في الصحيحة: «ورجاله ثقات رجال مسلم؛ غير العلاء بن بشير، وهو مجهول؛ كما في التقريب، لكن قد توبع على بعضه عند الحاكم». انظر الصحيحة، ح(٤٠٠١)، وضعفه في الضعيفة، ح(١٥٨٨) وقال: «وهذا إسناد ضعيف، العلاء بن بشير مجهول، كما قال ابن المديني، وتبعه الحافظ وغيره، لم يرو عنه سوى المعلى ابن زياد كما في الميزان. نعم قد جاء الحديث من طريق أخرى عن أبي الصديق، ولكنه مختصر، ليس فيه هذا التفصيل الذي رواه العلاء، وإسناده صحيح».

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح(١٠١٢)..

(٣) رواه البزار، ح(٣٣٢٣)، قال الهيثمي في المجمع: «رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط من طريق داود بن المحبر بن قحذم عن أبيه وكلاهما ضعيف» (٧/ ٣١٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٩٢٠٤).

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم، ح(٣٤٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم، ح(١٥٥).

وأما زمن الفتن والزلازل ودنو الساعة:

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضُ»(١).

وعنه ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «تقيء الأرض أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ من الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فيقول: في هذا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فيقول: في هذا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فيقول: في هذا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فلا يَأْخُذُونَ منه شيئًا»(٢).

ولعل الإشارة إلى هذا أيضًا في قول النبي ﷺ المتقدم: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»(٣) فربط بين استفاضة المال وبين قلة الرجال وكثرة النساء، وهذا يكون في زمن الفتن وكثرة الحروب، واللَّه أعلم.

أما حديث عدي بن حاتم ﷺ وقول النبي ﷺ له: «وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ»(٤).

فلا يلزم منه أن عدم قبول الصدقة يكون في زمانهم مما سيراه، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب ما قيل في الزلازل والآيات، ح(١٠٣٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح(١٠١٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل أن ترد، ح(١٣١٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح(١٠١٢).

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ح(٣٥٩٥).

هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا»[(١)] يعني تبوك.

ولذلك حمل بعض العلماء - رحمهم الله - حديث عدي رضي الله عنه على زمن عيسى بن مريم عليه السلام[(٢)].

فاستفاضة المال الذي هو من الأشراط، له ثلاثة أزمنة في الأحاديث: الأول مضى وانقضى، والثاني والثالث لم يأتيا بعد، والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، ح(٧٠٦).
(٢) انظر فتح الباري (٦/ ٦١٣).

المبحث السابع
الفتنة التي دخلت كل بيت

عن عَوْف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «أَتَيْتُ النبي ﷺ في غَزْوَةِ تَبُوكَ وهو في قُبَّةٍ من أَدَم، فقال: «اعْدُدْ سِتًّا بين يَدَي السَّاعَةِ، موتي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حتى يعطي الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ من الْعَرَبِ إلا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كل غَايَةٍ أثنا عَشَرَ أَلْفًا»[1].

وفي رواية: «ثُمَّ تَكُونُ الأَمْوَالُ فِيكُمْ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ، فَيَظَلَّ سَاخِطًا، وَفِتْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ لَا يَبْقَى بَيْتُ مُسْلِمٍ إِلَّا دَخَلَتْهُ»[2].

وفي رواية: «وَالْخَامِسَةُ فِتْنَةٌ تَخْرُجُ بَيْنَكُمْ، فَلا يَبْقَى فِيكُمْ بَيْتُ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ إلا دَخَلَتْهُ، قَالَ: قُلْ: خَمْسًا»[3].

وفي رواية: «ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ فِيكُمْ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ حَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتٌ مُؤْمِنٌ إِلَّا دَخَلَتْهُ»[4].

وفي رواية: «وَالْخَامِسَةُ: فِتْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ فَلَا يَبْقَى فِيكُمْ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَتْهُ قُلْ: خَمْسًا، قُلْتُ: خَمْسًا»[5].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، ح(٣١٧٦).
(٢) رواه ابن ماجه بهذا اللفظ، كتاب الفتن، باب أشراط الساعة، ح(٤٠٤٢). وقال الألباني: «صحيح».
(٣) رواه الروياني في مسنده، ح(٥٩٨). (٤) رواه ابن حبان، ح(٦٦٧٥).
(٥) رواه الطبراني، (١٨/ ٥٤) ح(٩٨).

وفي رواية: «ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا يَفِيضُ الْمَالُ فِيكُمْ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظَلَّ يَسْخَطُهَا، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهَا فِتْنَةٌ تَقَعُ فِيكُمْ لَا يَبْقَى بَيْتٌ عَرَبِيٌّ إِلَّا دَخَلَتْهُ»(١).

وفي رواية: «ثُمَّ فِتْنَةٌ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِكُمْ لَا تَكَادُ تَدَعُ بَيْتًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا دَخَلَتْهُ قُلْ: خَمْسًا» قُلْتُ: خَمْسًا(٢).

وفي رواية: «ثُمَّ يَفْشُو فِيكُمُ الْمَالُ حَتَّى يُعْطَى أَحَدُكُمْ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَسْخَطُهَا قُلْ: أَرْبَعًا» قُلْتُ: أَرْبَعًا، «ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا تَكَادُ أَنْ تَدَعَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا دَخَلَتْهُ قُلْ خَمْسًا» فَقُلْتُ: خَمْسًا(٣).

هذه الفتنة وقعت في عهد الصحابة ﷺ، وانتشرت في الآفاق وعمت، ودخلت كل بيت واستمرت، وبدأت بمقتل الخليفة الراشد، والإمام الشهيد المصطبر أمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين، ذي النورين، عثمان بن عفان بن أبي العاص رضي الله عنه وأرضاه.

فعن زيد بن وهب عن حذيفة رضي الله عنه قال: «أرأيتم يوم الدار كانت فتنة - يعني قتل عثمان - فإنها أول الفتن وآخرها الدجال»(٤).

وفي رواية قال: كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال: «ما تعدون قتل عثمان رضي الله عنه فيكم، أتعدونه فتنة؟ قلنا: نعم، قال: وهي واللَّه أول الفتن، وآخرها الدجال»(٥).

قال ابن تيمية رحمه الله: «ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق بيت من العرب إلا دخلته لما قُتل عثمان»(٦).

وقال ابن حجر رحمه الله: «قوله: «ثم استفاضة المال» أي كثرته، وظهرت في خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة، والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل

---

(١) المصدر السابق (١٨/ ٦٤) ح(١١٩).
(٢) المصدر السابق (١٨/ ٦٦) ح(١٢٢).
(٣) رواه الطبراني في مسند الشاميين، ح(٢١٢).
(٤) رواه ابن أبي شيبه في المصنف، ح(٣٧٠٧٠).
(٥) تاريخ المدينة لابن شبه، (٤/ ١٢٤٧).
(٦) الجواب الصحيح (٦/ ٨٥).

عثمان، واستمرت الفتن بعده، والسادسة لم تجئ بعد»[١].

فبمقتل عثمان ﵁ اشتعلت نار الفتن بين المسلمين، وانقسموا وتفرقوا، ووقع الاقتتال بينهم، ودارت المعارك، وظهر النفاق، وكثرت الأهواء، وحلَّ الشتات، وذهبت الخيرات.

عن زيد بن ثابت ﵁ قال: «أَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُطُمٍ[٢] مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنِّي لَأَرَى الْفِتَنَ تَقَعُ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَوَقْعِ الْقَطْرِ»[٣].

قال النووي ﵀: «والتشبيه بمواقع القطر في الكثرة والعموم، أي إنها كثيرة، وتعم الناس لا تختص بها طائفة، وهذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم، كوقعة الجمل، وصفين، والحرة، ومقتل عثمان، ومقتل الحسين ﵄، وغير ذلك، وفيه معجزة ظاهرة له ﷺ»[٤].

وقال ابن حجر ﵀: «وإنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان ﵁ كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه»[٥].

وقد عدل النبي ﷺ بين فتنة قتل عثمان ﵁ وبين موته الذي هو أعظم المصائب، وبين فتنة الدجال الذي هو أعظم الفتن على وجه الأرض.

---

(١) فتح الباري (٦/ ٢٧٧).

(٢) قال النووي: «الأطم - بضم الهمزة والطاء -: هو القصر والحصن وجمعه آطام، ومعنى أشرف: علا وارتفع». شرح مسلم (١٨/ ٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «ويل للعرب من شر قد اقترب»، ح(٧٠٦٠)، ومسلم، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع القطر، ح(٢٨٨٥).

(٤) شرح مسلم (١٨/ ٧ - ٨).

(٥) فتح الباري (١٣/ ١٣).

فعن عبد الله بن حَوَالَةَ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَجَا مِنْ ثَلَاثٍ، فَقَدْ نَجَا - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -: مَوْتِي، وَالدَّجَّالُ، وَقَتْلُ خَلِيفَةٍ مُصْطَبِرٍ بِالْحَقِّ مُعْطِيهِ»(١).

وهذا فيه دلالة على عظم هذه الفتنة، قال سعيد بن زيد رضي الله عنه: «لَوْ أَنَّ أُحُدًا ارْفَضَّ(٢) لِلَّذِي صَنَعْتُمْ بِعُثْمَانَ لَكَانَ مَحْقُوقًا أَنْ يَرْفَضَّ»(٣).

وفيه دلالة أيضًا على أن عثمان رضي الله عنه كان على الحق، وقُتل مظلومًا، فوصفه: بالاصطبار لعظم بلائه، وبالحق معطيه، لقيامه بالحق وإعطائه الحقوق لا كما يقول المدعون، وهذا لا شك فيه، وقد بين النبي ﷺ أنه على الهدى، وأن من لزمه نجا، وأنه شهيد، وبشره بالجنة، وأخبره ببلوى تصيبه، وأمره بالصبر وعدم ترك الخلافة.

فعن كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه قال: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِتْنَةً فَقَرَّبَهَا، فَمَرَّ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ رَأْسُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا يَوْمَئِذٍ عَلَى الْهُدَى» فَوَثَبْتُ، فَأَخَذْتُ بِضَبْعَيْ عُثْمَانَ، ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: هَذَا؟ قَالَ: «هَذَا»(٤).

وعن جُبَيْر بن نُفَيْر، قال: «كُنَّا مُعَسْكِرِينَ مَعَ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ، فَقَامَ كَعْبُ بْنُ مُرَّةَ الْبَهْزِيُّ(٥) فَقَالَ: لَوْلَا شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا قُمْتُ هَذَا الْمَقَامَ، فَلَمَّا سَمِعَ بِذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَجْلَسَ النَّاسَ، فَقَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ مَرَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ مُرَجِّلًا قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَتَخْرُجَنَّ

---

(١) رواه أحمد، ح(١٦٩٧٣)، قال الأرناؤوط: «حديث حسن»، والحاكم (٤/ ٥٩) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري (٧/ ١٧٦): «قوله: «ارفض» أي زال من مكانه».

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب إسلام سعيد بن زيد، ح(٣٨٦٢).

(٤) رواه أحمد، ح(١٨١٢٩) وقال الأرناؤوط: «صحيح لغيره»، والترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان، ح(٣٧٠٤) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه، كتاب السنة، باب ما جاء في فضائل أصحاب رسول الله، ح(١١١)، وقال الألباني: «صحيح».

(٥) قال ابن كثير: «والصحيح مرة بن كعب». البداية والنهاية (١٠/ ٣٧٦).

فِتْنَةٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ، أَوْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْ هَذَا، هَذَا يَوْمَئِذٍ وَمَنِ اتَّبَعَهُ عَلَى الْهُدَى» قَالَ: فَقَامَ ابْنُ حَوَالَةَ الْأَزْدِيُّ مِنْ عِنْدِ الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَصَاحِبُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَحَاضِرٌ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي فِي الْجَيْشِ مُصَدِّقًا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ»(١).

وعن مُرَّة الْبَهْزِي، قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: «كَيْفَ فِي فِتْنَةٍ تَثُورُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَاصِي بَقَرٍ؟» قَالُوا: نَصْنَعُ مَاذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ هَذَا وَأَصْحَابَهُ» أَوْ «اتَّبِعُوا هَذَا وَأَصْحَابَهُ»، قَالَ: فَأَسْرَعْتُ حَتَّى عَطَفْتُ عَلَى الرَّجُلِ، فَقُلْتُ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: «هَذَا»، فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ»(٢).

وعن ابن حوالة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ كَيْفَ تَفْعَلُ فِي فِتْنَةٍ تَخْرُجُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ كَأَنَّهَا صَيَاصِي(٣) بَقَرٍ؟»، قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَفْعَلُ فِي أُخْرَى تَخْرُجُ بَعْدَهَا كَأَنَّ الْأُولَى فِيهَا انْتِفَاجَةُ(٤) أَرْنَبٍ؟» قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «اتَّبِعُوا هَذَا»، قَالَ: وَرَجُلٌ مُقَفٍّ حِينَئِذٍ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فَسَعَيْتُ، وَأَخَذْتُ بِمَنْكِبَيْهِ، فَأَقْبَلْتُ بِوَجْهِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: هَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه»(٥).

---

(١) رواه أحمد، ح(١٨٠٦٧)، وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح، رجاله ثقات». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣١١٩).

(٢) رواه أحمد، ح(٢٠٣٥٣)، وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حديث صحيح». وانظر الصحيحة، ح(٣١١٨).

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٦٧): «صياصي بقر أي قرونها، واحدتها صيصية بالتخفيف، شبه الفتنة بها: لشدتها وصعوبة الأمر فيها».

(٤) انتفاجة أرنب، بالجيم: كوثبته من موضعه، يريد تقليل مدة الأولى بالنظر إلى الثانية أو تحقيرها. انظر النهاية في غريب الحديث (٥/ ٨٧)، ولسان العرب (٦/ ٤٤٩٢).

(٥) رواه أحمد، ح(١٧٠٠٤)، وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح، رجاله ثقات».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلَافًا»، أَوْ قَالَ: «اخْتِلَافًا وَفِتْنَةً»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ: فَمَنْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ»، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ»[1].

وعن ابن عمر ﷺ قال: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِتْنَةً، فَقَالَ: «يُقْتَلُ هَذَا فِيهَا مَظْلُومًا» لِعُثْمَانَ»[2].

وأما بشارته بالشهادة والجنة فهو أكثر الصحابة بشارة بها، لا أعلم أحدًا من الصحابة يدركه فيها كثرة، تعددت في مواطن ومناسبات، وأحاديثها معلومة مبثوثة في الصحاح وغيرها، وكانت له اليد الطولى في البذل والعطاء، واختص بمناقب وفضائل انفرد بها عن غيره، فهو زوج ابنتي نبي، ما جمعهما في العالمين سواه، وهو أشد الأمة حياء، وبايع عنه الرسول ﷺ بيعة الرضوان، وما اجتمعت الأمة على بيعة أحد كما اجتمعت على بيعة عثمان، جامع المصاحف، وفاتح الأمصار، إلى غير ذلك من الفضائل التي تعجز عن حملها الأسفار.

أخبره رسول الله ﷺ ببلوى تصيبه، وعهد إليه عهدًا في ذلك:

فعن أبي موسى ﷺ قال: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَفَتَحْتُ لَهُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ فَقَالَ لِي: «افْتَحْ لَهُ

---

(١) رواه أحمد، ح(٨٥٤١)، وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده حسن». وقال ابن كثير: «تفرد به أحمد وإسناده جيد حسن، ولم يخرجوه من هذا الوجه». البداية والنهاية (١٠/ ٣٧٤). وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣١٨٨).

(٢) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ، ح(٣٧٠٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه». وحسَّن إسناده الأرنـؤوط في تعليقه على جامع الأصول (٨/ ٦٤٥).

وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ» فَإِذَا عُثْمَانُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ»(١).

وفي رواية: «... ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَسَلَّمَ فَقَالَ: «اذْهَبْ فَأْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى شَدِيدَةٍ» قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ، فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَأَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى شَدِيدَةٍ، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ صَبْرًا، حَتَّى جَلَسَ»(٢).

وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ في مرضه: «وَدِدْتُ أَنَّ عِنْدِي بَعْضَ أَصْحَابِي»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَدْعُو لَكَ أَبَا بَكْرٍ؟ فَسَكَتَ، قُلْنَا: أَلَا نَدْعُو لَكَ عُمَرَ؟ فَسَكَتَ، قُلْنَا: أَلَا نَدْعُو لَكَ عُثْمَانَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَجَاءَ عُثْمَانُ، فَخَلَا بِهِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُكَلِّمُهُ، وَوَجْهُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ».

قال قيس: فحدثني أبو سهلة، مولى عثمان، أنّ عثمان بن عفان قال يوم الدار: إن رسول اللَّهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، فَأَنَا صَائِرٌ إِلَيْهِ.

وقال عليٌّ في حديثه: وَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ.

قال قيس: فَكَانُوا يُرَوْنَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ(٣).

وفي رواية قالت: «فَجَاءَ عُثْمانُ، فقَالَ: «قُومِي، فجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَى عُثْمانَ، وَلَوْنُ عُثْمانَ يَتغيرُ، قَالَ: فَلَما كانَ يومُ الدَّارِ قُلنا: ألا تُقاتِل؟ قَالَ: لا، إِنَّ رسولَ اللَّه ﷺ عَهِدَ إِليَّ أمْرًا، فَأنا صَابِرٌ نَفسِي عَليْه»(٤).

ولقد سمعت عائشة ﵂ شيئًا مما أسره النبي ﷺ إلى عثمان:

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان، ح(٣٦٩٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل عثمان بن عفان، ح(٢٤٠٣).

(٢) رواه أحمد، ح(١٩٥٠٩) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

(٣) رواه أحمد، ح(٢٥٧٩٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين»، وابن ماجه، كتاب السنة، باب ما جاء في فضائل أصحاب رسول اللَّه، ح(١١٣)، وقال الألباني: «صحيح».

(٤) رواه الحاكم (٤/ ٥٧) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عُثْمَانُ، إِنْ وَلَّاكَ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ يَوْمًا، فَأَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَخْلَعَ قَمِيصَكَ الَّذِي قَمَّصَكَ اللَّهُ، فَلَا تَخْلَعْهُ» يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».

قال النعمان: فقلت لعائشة: مَا مَنَعَكِ أَنْ تُعْلِمِي النَّاسَ بِهَذَا؟ قَالَتْ: «أُنْسِيتُهُ وَاللَّهِ»(١).

وفي رواية: «يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّه مُقَمِّصُكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ»(٢).

فهذا فيه أن الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه هم أهل شر ونفاق، فصبر رضي الله عنه على هذا البلاء، ونهى الصحابة رضي الله عنهم عن قتال الخارجين عليه، كي لا يراق دم بسببه، قال ابن كثير رحمه الله: «فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده، وأن ينطلق إلى منزله». وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير. وقال لرقيقه: من أغمد سيفه فهو حر. فبرد القتال من داخل الدار، وحمي من خارج، واشتد الأمر وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله، فاستسلم لأمر اللَّه رجاء موعوده، وشوقًا إلى رسول اللَّه ﷺ، وليكون خير ابني آدم حيث قال حين أراد أخوه قتله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [المائدة: ٢٩]»(٣).

وكل ما أخذ على عثمان رضي الله عنه من مآخذ، وما طعن عليه بها، كله كذب وباطل، إذ كيف يجتمع هذا مع وصف الرسول ﷺ له بأنه على الهدى، وأنه الأمين، وأن من اتبعه هُدي، وأنه للحق معطيه، وأن من سينازعه من المنافقين؟

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب السنة، باب ما جاء في فضائل أصحاب رسول اللَّه، ح(١١٢)، وقال الألباني: «صحيح».

(٢) رواه الحاكم (٤/ ٥٧) وقال: «هذا حديث صحيح عالي الإسناد، ولم يخرجاه». وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(١٣٩٠٧).

(٣) البداية والنهاية (١٠/ ٢٩٨).

قال أبو نعيم الأصفهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذه الأحاديث دالة على أن أحدًا من الصحابة لم ينكر على عثمان منكرًا»[١].

ومن نظر في الأحاديث والآثار الصحاح وجد أن كل الطعون والمزاعم مفندة، بل لقد رد عليهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنفسه وأبطل مزاعمهم، فأبوا إلا خلعه، فلم يجبهم إلى ما سألوا وصبر، فقتل شهيدًا مظلومًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، والعجب من هذه الفتنة ومع وضوح الحق فيها، لا يزال بعض الكتاب والمثقفين يلتفتون إلى الروايات المزورة في التاريخ، والقصص المشوهة في السيرة، ويعيدون الفتنة جذعة، وينالون من هذا الإمام الراشد، مع إعراضهم عن الأحاديث النبوية الصحيحة القاطعة للنزاع في هذا الباب، والآثار الثابتة المروية عن الأصحاب، وهذا يدل على عظم هذه الفتنة، وأن الناس لا يزالون يصطلون بنارها، ويتجرعون غصصها، نسأل اللَّه السلامة من الزلل، والعصمة من سوء العمل.

فهذه أول الفتن التي فرقت المسلمين، وأحدثت من الشر ما اللَّه به عليم، وقد أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «تَدُورُ رَحَى الإِسْلَامِ لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ يَهْلَكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ، يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَامًا»[٢].

وفي رواية: «وَإِنْ بَقُوا، يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ سَبْعِينَ سَنَةً»[٣].

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««بعد خمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين» ليس على الشك، ولكن على أن يكون ذلك فيما يشاؤه اللَّه عَزَّ وَجَلَّ من تلك السنين، فشاء عَزَّ وَجَلَّ أن كان في سنة خمس وثلاثين، فتهيأ فيها على المسلمين

---

(١) الإمامة، ص(٣٣٥).

(٢) رواه أحمد، ح(٣٧٣٠)، وأبو داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، ح(٤٢٥٤)، والطحاوي في «المشكل» ح(١٦١١)، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٩٧٦) وقال: «هذا حديث صحيح من معالم نبوته ﷺ يرويه عنه عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و له عنه طرق».

(٣) رواه أحمد، ح(٣٧٠٧) وقال الأرناؤوط: «حديث حسن».

حصر إمامهم، وقبض يده عما يتولاه عليهم مع جلالة مقداره؛ لأنه من الخلفاء الراشدين المهديين، حتى كان ذلك سببًا لسفك دمه رضوان اللَّه عليه، وحتى كان ذلك سببًا لوقوع الاختلاف وتفرق الكلمة، واختلاف الآراء، فكان ذلك مما لو هلكوا عليه لكان سبيل مهلك لعظمه، ولما حلَّ بالإسلام منه، ولكن اللَّه ستر وتلافى، وخلف نبيه في أمته من يحفظ دينهم عليهم، ويبقي ذلك لهم»[١].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال البيهقي: وبلغني أن في هذا إشارة إلى الفتنة التي كان فيها قتل عثمان سنة خمس وثلاثين، ثم إلى الفتن التي كانت في أيام علي، وأراد بالسبعين ملك بني أمية، فإنه بقي بين ما بين أن استقر لهم الملك إلى أن ظهرت الدعاة بخراسان وضعف أمر بني أمية ودخل الوهن فيه، نحوًا من سبعين سنة»[٢].

وقال الخطيب رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «تَدُورُ رَحَى الإِسْلَامِ» مثلٌ يريد أن هذه المدة إذا انتهت حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف لذلك على أهله الهلاك، يقال للأمر إذا تغير واستحال: قد دارت رحاه، وهذا واللَّه أعلم إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة. وقوله: «يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ» أي: ملكهم و سلطانهم، والدين: الملك والسلطان، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]، وكان بين مبايعة الحسن بن علي معاويةَ بن أبي سفيان إلى انقضاء ملك بني أمية من المشرق نحوًا من سبعين سنة»[٣].

---

(١) شرح مشكل الآثار (٤/ ٢٩٣).
(٢) البداية والنهاية (٩/ ١٧٤ - ١٧٥).
(٣) الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٩٤).

المبحث الثامن
اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ».

وفي رواية: «دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، تَمْرُقُ بَيْنَهُمَا مَارِقَةٌ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَفْتَرِقُ أُمَّتِي فِرْقَتَيْنِ فَيَمْرُقُ بَيْنَهُمَا مَارِقَةٌ تَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»(٣).

وفي رواية: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ من الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»(٤).

قال النووي رحمه الله: «قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ»

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان دعوتهما واحدة»، ح(٧١٢١)، ومسلم، كتاب الفتن، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ح(٢٨٨٨).

(٢) رواه عبدالرزاق ح(١٨٦٥٨)، وأحمد من طريقه، ح(١١٩٠٦) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح».

(٣) رواه أحمد، ح(١١١٩٦)، وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي نضرة فمن رجال مسلم».

(٤) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح(١٠٦٤).

هذا من المعجزات، وقد جرى هذا فى العصر الأول»(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهاتان الفئتان هما أصحاب الجمل، وأصحاب صفين. فإنهما جميعًا يدعون إلى الإسلام، وإنما يتنازعون في شيء من أمور الملك، ومراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا، وكان ترك القتال أولى من فعله، كما هو مذهب جمهور الصحابة»(٢).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بالفئتين جماعة علي وجماعة معاوية، والمراد بالدعوة الإسلام على الراجح، وقيل المراد اعتقاد كل منهما أنه على الحق»(٣).

والمارقة التي مرقت عند هذه الفرقة هي الخوارج، خرجوا بعد معركة صفين وتحكيم الحكمين، فقاتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتلهم(٤)، فدل على أنه كان أولى بالحق من الطائفة الأخرى.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الروايات صريحة في أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان هو المصيب المحق، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانوا بغاة متأولين، وفيه التصريح بأن الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون»(٥).

وعن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال لعمار: «تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»(٦).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: هذا الحديث حجة ظاهرة في أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان محقًا مصيبًا، والطائفة الأخرى بغاة لكنهم مجتهدون فلا إثم عليهم لذلك، وفيه معجزة ظاهرة لرسول اللَّه ﷺ من أوجه، منها: أن عمارًا

---

(١) شرح مسلم (١٨/ ١٣).
(٢) البداية والنهاية (٩/ ١٩٢).
(٣) فتح الباري (١٢/ ٣٠٣). وانظر (٦/ ٦١٦). وعمدة القاري (١٦/ ١٤١)، وطرح التثريب (٧/ ٢٦٧).
(٤) قال ابن كثير: «ووقوع ذلك في زمان علي معلوم ضرورة لأهل العلم قاطبة». البداية والنهاية (٩/ ٢٠٤).
(٥) شرح مسلم (٧/ ١٦٨).
(٦) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩١٦).

يموت قتيلًا، وأنه يقتله مسلمون، وأنهم بغاة، وأن الصحابة يقاتلون[١]، وأنهم يكونون فرقتين، باغية، وغيرها، وكل هذا قد وقع مثل فلق الصبح صلى الله وسلم على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»[٢].

فهذا مما وقع وانقضى، وكان الصحابة رضي الله عنهم مجتهدين فيه، والمخطئ منهم معذور لذلك، وقد جاء رجل إلى أبي زرعة الرازي فقال: «إني أبغض معاوية، قال: لم؟ قال: لأنه قاتل عليًّا بغير حق، فقال له أبو زرعة: رب معاوية رب رحيم، وخصم معاوية خصم كريم، فما دخولك بينهما؟»[٣].

ومن المقرر عند أهل السنة والجماعة الكف عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم وذكرهم بالحسنى.

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: «فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم فإنما كان على تأويل واجتهاد، وعلي الإمام وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي ﷺ بالجنة والشهادة فدل على أنهم كلهم على حق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان على تأويل واجتهاد، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم والتبري ممن ينقص أحدًا منهم رضي الله عن جميعهم»[٤].

وقال ابن بطة رحمه الله أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: «ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: يتقاتلون، ليتناسب مع الحديث: «حتى تقتتل فئتان». والله أعلم.
(٢) شرح مسلم (١٨/ ٤٠).
(٣) تاريخ دمشق (٥٩/ ١٤١)، والبداية والنهاية (١١/ ٤٢٧).
(٤) الإبانة ص(٧٨).

إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم»[١].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله ﷺ «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»: «واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليست بداخلة في هذا الوعيد، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون، لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر اللَّه، وكان بعضهم مصيبًا وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ، لأنه لاجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو المحق المصيب في تلك الحروب، هذا مذهب أهل السنة، وكانت القضايا مشتبهة، حتى إن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب»[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان معتقد أهل السنة في ذلك: «ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون»[٣].

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «... تقرر الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفوا القلوب، وتتوفر على حب الصحابة والترضي

---

(١) الشرح والإبانة ص(٢٦٨).
(٢) شرح مسلم (١٨/ ١١).
(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٥).

عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العري من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا اللَّه تعالى حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠] فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع منهم، وجهاد محَّاء وعبادة ممحصة»[١].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم، لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين»[٢].

هذا هو الواجب علينا، وقد قال العوام بن حوشب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة بعضهم يقول لبعض: اذكروا محاسن أصحاب رسول اللَّه ﷺ لتأتلف عليها القلوب، ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرِّشوا الناس عليهم».

أو قال: «ولا تذكروا ما شجر بينهم فتجسروا الناس عليهم»[٣].

وقال عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تلك دماء طهر اللَّه يدي منها، أفلا أطهر منها لساني؟ مثَل أصحاب رسول اللَّه ﷺ مثل العيون، ودواء العيون ترك مسها»[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٩٢).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٤).
(٣) الشرح والإبانة لابن بطة ص(١٦٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣٣).
(٤) مناقب الشافعي للرازي ص(١٣٦)، والإنصاف للباقلاني ص(٦٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ١٢٢)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٣٩٤). وانظر كتاب عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢/ ٧٣٢).

المبحث التاسع
ظهور نار الحجاز

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى(١)»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة وكانت نارًا عظيمة جدًّا من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة»(٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة؛ قال الشيخ الإمام الحافظ شيخ الحديث وإمام المؤرخين في زمانه شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل الملقب بأبي شامة، في (تاريخه): إنها ظهرت يوم الجمعة في خامس جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة، وأنها استمرت شهرًا وأزيد منه. وذكر كتبًا متواترة عن أهل المدينة في كيفية ظهورها شرقي المدينة من ناحية وادي شظا، تلقاء أُحُد، وأنها ملأت تلك الأودية، وأنه يخرج منها شرر يأكل الحجارة، وذكر أن المدينة زلزلت بسببها، وأنهم سمعوا أصواتًا مزعجة قبل ظهورها بخمسة

---

(١) قال النووي: «بصرى - بضم الباء - مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل». شرح مسلم (١٨/ ٣٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر النار، ح(٧١١٨)، ومسلم، كتاب صفة القيامة، باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، ح(٢٩٠٢).

(٣) شرح مسلم (١٨/ ٢٨).

أيام، أول ذلك مستهل الشهر يوم الإثنين، فلم تزل ليلًا ونهارًا حتى ظهرت يوم الجمعة خامسه، فانبجست تلك الأرض عند وادي شظا عن نار عظيمة جدًّا، صارت مثل الوادي، طوله أربعة فراسخ في عرض أربعة أميال، وعمقه قامة ونصف، يسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك، ثم يصير كالفحم الأسود، وذكر أن ضوءها يمتد إلى تيماء بحيث كتب الناس على ضوئها في الليل، وكأن في بيت كل منهم مصباحًا، ورأى الناس سناها من مكة، شرفها اللَّه»[١].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي ظهر لي أن النار المذكورة في حديث الباب هي التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره، وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرى»[٢].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جعلها القاضي عياض حاشرة، قال: ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس، قال: أو يكون ابتداء خروجها من اليمن، ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز، هذا كلام القاضي، وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر؛ بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة وقد خرجت في زماننا»[٣].

قلت: نار الحشر تخرج من قعر اليمن، من جبل الوراق، وهي آخر الأشراط، وتكون بعد خراب المدينة وهجر الناس لها، على ما سيأتي بيانه في موضعه، وأما هذه فقد ظهرت وانقضت، وليس في حديثها سوى خروجها من الحجاز، ولا تحمل أوصاف نار الحشر التي تمشي مع الناس وتقيل معهم، وتطردهم إلى محشرهم، واللَّه تعالى أعلم.

---

(١) البداية والنهاية (٩/ ٢٩٧ - ٣٠٠). وانظر التذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٣٦)، والجواب الصحيح لابن تيمية (٦/ ٨٩)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٤٨/ ١٨ - ٢٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٧٩ - ٨٠).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٧٩).

(٣) شرح مسلم (١٨/ ٢٨).

المبحث العاشر
قتال الترك والعجم ومن ينتعلون الشعر

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ[١] صِغَارَ الأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ[٢] ذُلْفَ الأُنُوفِ[٣] كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ

(١) قال العيني: «واختلفوا في أصل الترك، فقال الخطابي: الترك هم بنو قنطوراء، وهي اسم جارية كانت لإبراهيم ﷺ، ولدت أولادًا جاءت من نسلهم الترك. وقال كراع: الترك هم الذين يقال لهم: الديلم، وقال ابن عبد البر: الترك هم ولد يافث، وهم أجناس كثيرة أصحاب مدن وحصون، ومنهم في رؤوس الجبال والبراري ليس لهم عمل سوى الصيد، ومن لم يصد ودج دابته وصيره في مصران يأكله، ويأكلون الرخم والغربان وليس لهم دين، ومنهم من يتدين بدين المجوسية، وهم الأكثرون، ومنهم من يتهود وملكهم يلبس الحرير وتاج الذهب ويحتجب كثيرًا وفيهم سحرة. وقال وهب بن منبه: الترك بنو عم يأجوج ومأجوج، لما بنى ذو القرنين السد كان بعض يأجوج ومأجوج غائبين فتركوا لم يدخلوا مع قومهم فسموا الترك، وقيل: أصل الترك أو بعضهم من حمير، وقيل: إنهم بقايا قوم تبع، ومن هناك يسمون أولادهم بأسماء العرب العاربة، فهؤلاء من كان مثلهم يزعمون أنهم من العرب وألسنتهم عجمية وبلدانهم غير عربية، دخلوا إلى بلاد العجم واستعجموا. وقيل: الترك من ولد أفريدون بن سام بن نوح ﷺ، وسموا تركًا لأن عبد شمس بن يشجب لما وطئ أرض بابل أتى بقوم من أحامرة ولد يافث، فاستنكر خلقهم ولم يحب أن يدخلهم في سبي بابل، فقال: اتركوهم، فسموا: الترك. وقال صاعد في (كتاب الطبقات): أما الترك فأمة كثيرة العدد فخمة المملكة، ومساكنهم ما بين مشارق خراسان من مملكة الإسلام وبين مغارب الصين وشمال الهند إلى أقصى المعمور في الشمال، وفضيلتهم التي برعوا فيها واحرزوا خصالها الحروف ومعالجة آلاتها. قلت: الترك والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج من ولد يافث بن نوح، عليه الصلاة والسلام، باتفاق النسابين». عمدة القاري (١٤/ ١٩٩ - ٢٠٠) بتصرف يسير، وانظر فتح الباري (٦/ ١٠٤).

(٢) قال النووي: «أي بيض الوجوه مشوبة بحمرة». شرح مسلم (١٨/ ٣٧).

(٣) قال النووي: «هو بالذال المعجمة والمهملة لغتان، المشهور المعجمة، وممن حكى الوجهين فيه صاحبا المشارق والمطالع، قالا: رواية الجمهور بالمعجمة، وبعضهم بالمهملة، والصواب: المعجمة، وهو بضم الذال وإسكان اللام، جمع أذلف، كأحمر وحمر، ومعناه: فطس الأنوف قصارها مع انبطاح، =

الْمَجَانُّ(١) الْمُطْرَقَةُ(٢) وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ»(٣).

وفي رواية: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تُقَاتِلَكُمْ أُمَّةٌ يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ وُجُوهُهُمْ مِثْلُ الْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ»(٤).

وفي رواية: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ قَوْمًا وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ وَيَمْشُونَ في الشَّعَرِ(٥)»(٦).

وعن عمرو بن تَغْلِب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا يَنْتَعِلُونَ نِعَالَ الشَّعَرِ، وَإِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا عِرَاضَ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»(٧).

وعن أبي بَكْرَة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قَال: «يَنْزِلُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي بِغَائِطٍ يُسَمُّونَهُ الْبَصْرَةَ، عِنْدَ نَهَرٍ يُقَالُ لَهُ: دِجْلَةُ، يَكُونُ عَلَيْهِ جِسْرٌ، يَكْثُرُ أَهْلُهَا، وَتَكُونُ

= وقيل: هو غلظ في أرنبة الأنف، وقيل: تطامن فيها، وكله متقارب». شرح مسلم (١٨/ ٣٧).

(١) قال النووي: «المجان: بفتح الميم وتشديد النون جمع مجن بكسر الميم وهو الترس». شرح مسلم (١٨/ ٣٦).

(٢) قال النووي: «المطرقة بإسكان الطاء وتخفيف الراء، هذا هو الفصيح المشهور في الرواية، وفي كتب اللغة والغريب، وحكي فتح الطاء وتشديد الراء، والمعروف الأول. قال العلماء: هي التي ألبست العقب، وأطرقت به طاقة فوق طاقة. قالوا: ومعناه تشبيه وجوه الترك في عرضها وتنور وجناتها بالترسة المطرقة». المصدر السابق (١٨/ ٣٦). وانظر التذكرة للقرطبي (٣/ ١١٦٨ - ١١٦٩)، وفتح الباري (١/ ١٤٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب قتال الترك، ح(٢٩٢٨)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩١٢).

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩١٢).

(٥) قال العيني: «وإنما كانت نعالهم من الشعر، أو من جلود مشعرة لما في بلادهم من الثلج العظيم الذي لا يكون في غيرها، ويكون من جلد الذئب وغيره». عمدة القاري (١٤/ ٢٠٠).

(٦) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩١٢).

(٧) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب قتال الترك، ح(٢٩٢٧).

مِنْ أَمْصَارِ الْمُهَاجِرِينَ»، قَالَ ابْنُ يَحْيَى: قَالَ أَبُو مَعْمَرٍ: «وَتَكُونُ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِذَا كَانَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ جَاءَ بَنُو قَنْطُورَاءَ[١] عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الأَعْيُنِ، حَتَّى يَنْزِلُوا عَلَى شَطِّ النَّهْرِ، فَيَتَفَرَّقُ أَهْلُهَا ثَلَاثَ فِرَقٍ: فِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَالْبَرِّيَّةِ وَهَلَكُوا، وَفِرْقَةٌ يَأْخُذُونَ لأَنْفُسِهِمْ وَكَفَرُوا، وَفِرْقَةٌ يَجْعَلُونَ ذَرَارِيَّهُمْ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ، وَيُقَاتِلُونَهُمْ وَهُمُ الشُّهَدَاءُ»[٢].

وعن بريدة ﷺ قال: «كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أُمَّتِي يَسُوقُهَا قَوْمٌ عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْأَعْيُنِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْحَجَفُ[٣] - ثلاثَ مِرَارٍ - حَتَّى يُلْحِقُوهُمْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، أَمَّا السَّائِقَةُ الْأُولَى فَيَنْجُو مَنْ هَرَبَ مِنْهُمْ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَيَهْلِكُ بَعْضٌ، وَيَنْجُو بَعْضٌ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَيُصْطَلَمُونَ[٤] كُلُّهُمْ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ». قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمُ التُّرْكُ». قَالَ: «أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَرْبِطُنَّ خُيُولَهُمْ إِلَى سَوَارِي مَسَاجِدِ الْمُسْلِمِينَ»، قَالَ: وَكَانَ بُرَيْدَةُ لَا يُفَارِقُهُ بَعِيرَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، وَمَتَاعُ السَّفَرِ وَالْأَسْقِيَةُ يُعِدُّ ذَلِكَ لِلْهَرَبِ مِمَّا سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْبَلَاءِ مِنْ أَمْرِ التُّرْكِ»[٥].

---

(١) قال ابن حجر: «والمراد ببني قنطورا الترك، وقنطورا قيده ابن الجواليقي في المعرب بالمد وفي كتاب البارع بالقصر، قيل كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه السلام فولدت له أولادًا فانتشر منهم الترك حكاه ابن الأثير واستبعده، وأما شيخنا في القاموس فجزم به». فتح الباري (٦/ ٦٠٩). قلت: وقد جزم به ابن كثير أيضًا في البداية والنهاية (١٩/ ٢٧١)، وانظر التذكرة (٣/ ١١٧٥).

(٢) رواه أبوداود، كتاب الملاحم، باب ذكر البصرة، ح(٤٣٠٩)، وابن حبان، ح(٦٧٤٨)، قال البوصيري: «إسناده ثقات». إتحاف الخيرة (٨/ ٦٤) ح(٧٤٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ح(١٤١٣٠).

(٣) أي الترس. النهاية في غريب الحديث (١/ ٣٤٥).

(٤) قال الخطابي: «الاصطلام الاستئصال وأصله من الصلم وهو القطع». معالم السنن (٤/ ٣٤٥).

(٥) رواه أحمد، ح(٢٢٩٥١)، وقال الأرناؤوط معلقًا: «إسناده ضعيف، تفرد به بشير بن المهاجر الغَنَوي، ولم يتابعه عليه أحد، وهو ضعيف عند التفرد». وقال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار باختصار، ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٣١١)، وقال القرطبي: «قال أبو الخطاب عمر بن دحية: وهذا سند صحيح أسنده إمام السنة والصابر على المحنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، عن الإمام =

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا صِغَارَ الْأَعْيُنِ، عِرَاضَ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ حَدَقُ الْجَرَادِ[(١)]، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ، وَيَتَّخِذُونَ الدَّرَقَ حَتَّى يَرْبُطُوا خُيُولَهُمْ بِالنَّخْلِ»[(٢)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نِعَالُهُمْ الشَّعَرُ وَهُوَ هَذَا الْبَارِزُ[(٣)]»[(٤)].

وعنه ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا[(٥)] وَكِرْمَانَ[(٦)] مِنْ الْأَعَاجِمِ حُمْرَ الْوُجُوهِ فُطْسَ الْأُنُوفِ صِغَارَ الْأَعْيُنِ وُجُوهُهُمْ

= العدل المجمع على ثقته أبي نعيم الفضل بن دكين، وبشير بن المهاجر: ثقة، رأى أنس بن مالك، روى عن جماعة من الأئمة فوثقوه». التذكرة (٣/ ١١٧١).

(١) أي أعين الجراد. النهاية (١/ ٣٥٤).

(٢) رواه أحمد، ح(١١٢٦١)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الترك، ح(٤٠٩٩)، قال في مصباح الزجاجة: «هذا إسناد حسن»، ورواه البزار، ح(٩٢٥٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٢٤٢٩).

(٣) قال ابن حجر: «وقع ضبط الأولى بفتح الراء بعدها زاي وفي الثانية بتقديم الزاي على الراء والمعروف الأول، ووقع عند ابن السكن وعبدوس بكسر الزاي وتقديمها على الراء وبه جزم الأصيلي وابن السكن، ومنهم من ضبطه بكسر الراء. وقال القابسي: معناه البارزين لقتال أهل الإسلام، أي الظاهرين في براز من الأرض. وقال ابن كثير: وأما قول سفيان بن عيينة: هم أهل البازر. فالمشهور في الرواية تقديم الراء على الزاي، ولعله تصحيف اشتبه على القائل، من البازر؛ وهو السوق بلغتهم. وقيل البارز الأكراد، وقيل الديلم، لأن كلا منهما يسكنون في براز من الأرض، أو الجبال، وهي بارزة عن وجه الأرض، وقيل هي أرض فارس لأن منهم من يجعل الفاء موحدة والزاي سينًا وقيل غير ذلك». فتح الباري (٦/ ٦٠٨ - ٦٠٩) بتصرف، وانظر البداية والنهاية (٩/ ٢٢١).

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح(٣٥٩١).

(٥) قال ابن حجر: «هو بضم الخاء المعجمة وسكون الواو بعدها زاي: قوم من العجم». فتح الباري (٦/ ٦٠٧)، وقال العيني: قوله: «(خوز) بضم الخاء المعجمة وبالزاي، قال الكرماني: خوز بلاد الأهواز، وتستر». عمدة القاري (١٦/ ١٣١).

(٦) قال ابن حجر: «(وكرمان) هو بكسر الكاف على المشهور. ويقال بفتحها وهو ما صححه ابن السمعاني، ثم قال: لكن اشتهر بالكسر. وقال الكرماني: نحن أعلم ببلدنا. قلت: جزم بالفتح ابن الجواليقي وقبله أبو عبيد البكري، وجزم بالكسر الأصيلي وعبدوس، وتبع ابن السمعاني ياقوت والصغاني، لكن =

الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ نِعَالُهُمْ الشَّعَرِ»[١].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد وجدوا في زماننا هكذا، وهذه كلها معجزات لرسول اللَّه ﷺ، فقد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنف، عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر، فوجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقتالهم الآن، ونسأل اللَّه الكريم إحسان العاقبة للمسلمين في أمرهم وأمر غيرهم، وسائر أحوالهم، وإدامة اللطف بهم والحماية، وصلى اللَّه على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى»[٢].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما أخبر ﷺ، وأمر هذه الطوائف معروف، فإن قتال الترك من التتار وغيرهم الذين هذه صفتهم معروف مشهور، وحديثهم في أكثر من عشرة آلاف نسخة كبار وصغار من كتب المسلمين، قبل قتال هؤلاء الذين ظهروا من ناحية المشرق، الذين هذه صفتهم التي لو كُلف من رآهم بعينه أن يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة»[٣].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... ثم جاءت الطامة الكبرى بالططر[٤]، فكان خروج جنكز خان بعد الستمائة، فأسعرت بهم الدنيا نارًا خصوصًا المشرق بأسره، حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرهم، ثم كان خراب بغداد وقتل الخليفة المستعصم آخر خلفائهم على أيديهم في سنة ست وخمسين وستمائة، ثم لم

= نسب الكسر للعامة، وحكى النووي الوجهين والراء ساكنة على كل حال». فتح الباري (٦/ ٦٠٧)، وقال العيني: «(وكرمان) بفتح الكاف وكسرها، وهو المستعمل عند أهلها: هو بين خراسان وبحر الهند وبين عراق العجم وسجستان». عمدة القاري (١٦/ ١٣١). وقال ابن كثير: خوز وكرمان بلدان معروفان بالشرق. البداية والنهاية (٩/ ٢١٠).

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح(٣٥٩٠).

(٢) شرح مسلم (١٨/ ٣٨).

(٣) الجواب الصحيح (٦/ ٨٨ - ٨٩).

(٤) «وهم: «التتر» ويقال فيهم: «التتار» بزيادة ألف». صبح الأعشى (١/ ٤٢٠).

تزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم اللنك ومعناه الأعرج، وأمه تمر - بفتح المثناة وضم الميم - وربما أشبعت، فطرق الديار الشامية وعاث فيها، وحرق دمشق حتى صارت خاوية على عروشها، ودخل الروم والهند وما بين ذلك، وطالت مدته إلى أن أخذه اللَّه وتفرق بنوه البلاد، وظهر بجميع ما أوردته مصداق قوله ﷺ: «إن بني قنطورًا أول من سلب أمتي ملكهم» وهو حديث أخرجه الطبراني من حديث معاوية، والمراد ببني قنطورًا الترك... وكأنه يريد بقوله: «أمتي» أمة النسب لا أمة الدعوة يعني العرب واللَّه أعلم»[١].

فظهور الترك أمر معلوم عند أكثر العلماء رحمهم اللَّه تعالى، وأنه مما وقع، «وإن كان ظاهر قوله ﷺ: «بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ تُقَاتِلُونَ...» يدل على أن ذلك يكون بين يديها قريبًا منها، فقد يكون هذا واقعًا مرة أخرى، حتى يكون آخر ذلك قتالهم مع الدجال، ويأجوج ومأجوج، لقوله ﷺ: «إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»[٢]، وقال في وصف يأجوج ومأجوج، وهم من الترك أيضًا كما تقدم: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ لَا عَدُوَّ وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ عَدُوًّا حَتَّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، صُهْبُ الشِّعَافِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»[٣] وإن كان أشراط الساعة أعم من أن يكون بين يديها قريبًا منها، وإنما يكون مما يقع في الجملة، حتى ولو تقدم قبلها بدهر طويل، إلا أنه مما يقع بعد زمن النبي ﷺ، وهذا هو الذي يظهر بعد تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب»[٤].

---

(١) فتح الباري (٦/ ٦٠٩ - ٦١٠).

(٢) رواه أحمد، ح(١٢)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، ح(٤٠٧٢)، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء من أين يخرج الدجال، ح(٢٢٣٧)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». المستدرك (٥/ ٧٣٦)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٥٩١).

(٣) رواه أحمد، ح(٢٢٣٣١)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٨/ ٦).

(٤) انظر البداية والنهاية (١٩/ ١٧).

ودل ظاهر قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ صِغَارَ الْأَعْيُنِ حُمْرَ الْوُجُوهِ ذُلْفَ الْأُنُوفِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ» أن الترك غير الذين ينتعلون الشعر، وهذا ظاهر صنيع البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه، حيث بوَّب على ذلك ببابين: الأول: «باب قتال الترك»، والذي يليه: «باب قتال الذين ينتعلون الشعر».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا ظاهر في أن الذين ينتعلون الشعر غير الترك، وقد وقع للإسماعيلي من طريق محمد بن عباد قال: بلغني أن أصحاب بابك كانت نعالهم الشعر»(١).

ولكن دلت الروايات الأخرى مثل قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ قَوْمًا وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ وَيَمْشُونَ في الشَّعَرِ»، أن الترك يلبسون الشعر وينتعلون الشعر أيضًا، فيكون ذكرهم زيادة بيان في وصف الترك، أو وصف جنس آخر منهم، أو وصف طائفة أخرى هذا وصفها فقط، وعلى كل فالمسلمون قاتلوا الترك الذين ينتعلون الشعر، وقاتلوا غيرهم ممن ينتعل الشعر كما تقدم في كلام النووي وابن حجر رحمهما اللَّه تعالى(٢).

وأما قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا وَكَرْمَان مِنَ الْأَعَاجِمِ حُمْرَ الْوُجُوهِ فُطْسَ الْأُنُوفِ صِغَارَ الْأَعْيُنِ وُجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ»، فهؤلاء ليسوا من الترك وإنما هم من الأعاجم كما هو نص الحديث، وهذان البلدان معروفان، وليس هذا وصف أهلها، ولذلك استشكل العلماء معناه، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «واستشكل لأن خوزا وكرمان ليسا من بلاد الترك، أما خوز فمن بلاد الأهواز وهي من عراق العجم، وأما كرمان فبلدة مشهورة من بلاد العجم أيضًا بين خراسان وبحر الهند، ويمكن أن يجاب بأن هذا الحديث

---

(١) فتح الباري (٦/ ١٠٤).

(٢) انظر عمدة القاري (١٤/ ٢٠٠ - ٢٠١).

غير حديث قتال الترك، ويجتمع منهما الإنذار بخروج الطائفتين»[١].

وقال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه إشكال: لأن هؤلاء ليسوا من الترك، ورد بأنه: لا إشكال فيه، لأن هذا الحديث غير حديث قتال الترك، ولا مانع من اشتراك الصنفين في الصفات المذكورة مع اختلاف الجنس. وقال الكرماني: هذان الإقليمان ليسوا على هذه الصفات، ثم قال: إما أن بعضهم كانوا بهذه الأوصاف في ذلك الوقت، أو سيصيرون كذلك فيما بعد، وإما أنهم بالنسبة إلى العرب كالتوابع للترك»[٢].

قلت: وهذا يدل على أن قتال العجم الذين هذه أوصافهم من أشراط الساعة، والله أعلم.

هذا ما وقفت عليه من الأشراط التي جزم العلماء رحمهم الله بوقوعها وانقضائها إلى ساعة كتابة هذه السطور، والعلم عند الله سبحانه، وعليه فإن قول محمد بن رشد رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما يروى أنه من أشراط الساعة المؤذنة بقربها كثير أكثر من أن يحصى، وقد ظهرت كلها أو أكثرها، وأما الأشراط الكبار التي بين يدي الساعة فهي خمسة: الدابة، والدجال، ونزول عيسى بن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وبالله التوفيق»[٣]. كلام فيه تجوز، وكذا قول ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال البيهقي وغيره: الأشراط منها صغار وقد مضى أكثرها، ومنها كبار ستأتي»[٤]، ونص كلام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ أدق من هذا، حيث قال: «ولهذه الأشراط صغار وكبار، وأما صغارها فقد وجد أكثرها، وأما كبارها فقد بدت آثارها»[٥]. وفرق بين مضى ووجد، خاصة في الأشراط، حيث وجد كثير

---

(١) فتح الباري (٦/ ٦٠٧).
(٢) عمدة القاري (١٦/ ١٣١ - ١٣٢).
(٣) البيان والتحصيل (١٨/ ٤١٢).
(٤) فتح الباري (١٣/ ٨٥).
(٥) البعث والنشور ص(١٢٨)، نقلاً عن مقدمة كتاب السنن الواردة في الفتن وغوائلها (١/ ٦٩)، ولم أقف عليه في الموضع المشار إليه.

منها ولم تنقض بعد، بل هي في ازدياد، وهذا حال أكثر الأشراط في زماننا، وهو موضوع بحثنا في الفصل التالي بعون اللَّه وتوفيقه. وصلى اللَّه على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثاني
الأشراط الصغرى التي ظهرت مباديها ولم تنقض بعد

المبحث الأول: ظهور الفتن

المبحث الثاني: ظهور مدعي النبوة والكذب على رسول الله ﷺ

المبحث الثالث: انتشار الأمن

المبحث الرابع: التحية على المعرفة

المبحث الخامس: ولادة الأمة ربها أو ربتها

المبحث السادس: التطاول في البنيان

المبحث السابع: زخرفة المساجد وتزيينها والتفاخر بها

المبحث الثامن: الرئاسة والمكانة في الأعراب والبدو وأهل الجهل

المبحث التاسع: ذهاب الصالحين وقلتهم، وكثرة الأشرار وتسلطهم

المبحث العاشر: اتباع سنن الأمم الماضية

المبحث الحادي عشر: كثرة التجارة وفشوها وتقارب الأسواق

المبحث الثاني عشر: ظهور الفحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة، والتناكر بين الناس

المبحث الثالث عشر: كثرة الشح

المبحث الرابع عشر: رفع العلم وظهور الجهل

المبحث الخامس عشر: التماس العلم عند الأصاغر

المبحث السادس عشر: كثرة الكتابة وانتشارها

المبحث السابع عشر: ظهور الزنا وانتشاره

المبحث الثامن عشر: كثرة شرب الخمر

المبحث التاسع عشر: ظهور المعازف واستحلالها

المبحث العشرون: ظهور الكاسيات العاريات

المبحث الحادي والعشرون: كثرة القتل

المبحث الثاني والعشرون: ظهور الربا

المبحث الثالث والعشرون: ضياع الأمانة ورفعها

المبحث الرابع والعشرون: كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق

المبحث الخامس والعشرون: ظهور موت الفجأة

المبحث السادس والعشرون: تقارب الزمان

المبحث السابع والعشرون: التشدق في الكلام، والتكسب باللسان

المبحث الأول
ظهور الفتن

الفتن جمع فتنة، ولها معان كثيرة مختلفة يبينها سياق ورودها، وجِماعُ معناها الابتلاء والامْتِحانُ والاختبار، وأَصلها مأخوذ من الفَتْنِ، وهو: إذابة الذهب والفضة بالنار لِتَمْييزِ الرَّدِيء من الجيد، وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الشيء.

قالَ الراغبُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجُعلت الفتنةُ كالبلاء في أنهما يُسْتَعْملان فيما يُدفعُ إليه الإِنْسانُ من شدة ورخاء، وهما في الشدة أَظهر معنى، وأكثر استعمالًا»[(١)].

وأما ظهور الفتن: «فالمراد كثرتها واشتهارها وعدم التكاتم بها مما يؤثر في أمر الدين»[(٢)]. وقد أخبر النبي ﷺ أن من أشراط الساعة ظهور الفتن الكثيرة المتنوعة التي يلتبس فيها الحق بالباطل، ويتزعزع معها الإيمان، وتطيش عندها العقول، وأنها ستزداد يومًا بعد يوم، وتشتد كلما دنت الساعة، وحذر منها، وأمر بالاستعاذة من شرها، وبيَّن أولها وآخرها، وجهة خروجها وانتشارها، وعظم أثرها، وطرق النجاة والعصمة منها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص(٦٢٣)، وانظر: تاج العروس (٣٥/ ٤٩٢ - ٤٩٣)، ولسان العرب (٥/ ٣٣٤٤)، والنهاية في غريب الحديث (٣/ ٤١٠ - ٤١١)، وفتح الباري (١٣/ ٣).
(٢) فتح الباري (١٣/ ١٨)، وانظر: القناعة للسخاوي ص(٧٤).

الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ» قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ»(١).

وعنه ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ، حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضُ»(٢).

وعن عبد اللَّه بن عمرو ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنه لم يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إلا كان حَقًّا عليه أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خَيْرِ ما يَعْلَمُهُ لهم وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ ما يَعْلَمُهُ لهم، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هذه جُعِلَ عَافِيَتُهَا في أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فيقول الْمُؤْمِنُ هذه مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فيقول الْمُؤْمِنُ هذه هذه، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عن النَّارِ وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وهو يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إلى الناس الذي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إليه، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إن اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جاء آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ»(٣).

وفي رواية: «أَلَا وَإِنَّ عَافِيَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَفِتَنٌ، يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، تَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، ثُمَّ تَجِيءُ فَيَقُولُ: هَذِهِ هَذِهِ، ثُمَّ تَجِيءُ، فَيَقُولُ: هَذِهِ هَذِهِ، ثُمَّ تَنْكَشِفُ...» الحديث(٤).

---

(١) رواه أحمد، ح(١٠٧٢٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. غير سعيد بن سمعان، فقد روى له البخاري في (القراءة خلف الإمام)، وأصحاب السنن غير ابن ماجه، وهو ثقة». وقال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سمعان وهو ثقة». مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الكسوف، باب ما قيل في الزلازل والآيات، ح(١٠٣٦).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء للخلفاء، ح(١٨٤٤).

(٤) رواه أحمد، ح(٦٧٩٣).

وعن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَغْشَيَنَّ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ مِنْهُمْ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ»(١).

وعن النعمان بن بشير ﵄ قال: صحبنا النبي ﷺ فسمعناه يقول: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ خَلَاقَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ»(٢).

وفي رواية: «تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»(٣).

وهذه الأحاديث دالة على ظهور الفتن وكثرتها وشدتها والتباسها، وقد انكسر بابها بموت عمر بن الخطاب ﵁، فعن شقيق عن حذيفة ﵁ قال: «كنا جلوسًا عند عمر ﵁ فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا كما قاله، قال: إنك عليه أو عليها لجريء، قلت: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي، قال: ليس هذا أريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحر، قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا، قال: أيكسر أم يفتح؟ قال: يكسر، قال: إذا لا يُغلق أبدًا، قلنا: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما أن دون الغد الليلة، إني

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين، ح(١٩٥٩)، والحاكم (٤/ ٤٣٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٢٦٧).

(٢) رواه الطيالسي في مسنده، ح(٨٤٠)، وأحمد، ح(١٨٤٠٤) وقال الأرناؤوط: «صحيح لغيره»، والحاكم (٤/ ٦٨٣) وسكت عنه.

(٣) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم، من حديث أنس ﵁، ح(٢١٩٧)، وأبو يعلى، ح(٤٢٦٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٨١٠)، وهو مروي عن عدد من الصحابة أيضًا ﵃.

حدثته بحديث ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأل حذيفة، فأمرنا مسروقًا فسأله؟ فقال: الباب عمر»[١].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «ما بينكم وبين أن يرسل عليكم الشر فراسخ، إلا موتة في عنق رجل يموتها، وهو عمر»[٢].

وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: «كتب إليَّ أمير المؤمنين فأمرني أن أسير إلى الهند - والهند في أنفسنا يومئذ البصرة - قال: وأنا لذلك كاره، قال: فقام رجل، فقال لي: يا أبا سليمان، اتق اللَّه، فإن الفتن قد ظهرت. قال: فقال: وابن الخطاب حي، إنما تكون بعده، والناس بذي بلِّيان[٣]، بمكان كذا وكذا، فينظر الرجل، فيتفكر: هل يجد مكانًا لم ينزل به مثل ما نزل بمكانه الذي هو فيه من الفتنة والشر فلا يجده، قال: وتلك الأيام التي ذكر رسول اللَّه ﷺ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، أَيَّامُ الْهَرْجِ» فنعوذ باللَّه أن تدركنا تلك وإياكم الأيامُ»[٤].

فبموت عمر رضي الله عنه انكسر باب الفتن، وظهرت قرونها، فاستفتحت بقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم توالت الفتن يرقق بعضها بعضًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ

---

(١) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، ح(٥٢٥)، ومسلم، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، (٤/ ٢٢١٨) ح(٢٨٩٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٤٤٥)، ونعيم بن حماد في الفتن، ح(٥٢).

(٣) قال ابو عبيد في «غريب الحديث» (٥/ ٣٦): «يعني تفرق الناس وأن يكونوا طوائف مع غير إمام يجمعهم، وبَعُد بعضهم من بعض، وكذلك كل من بعد عنك حتى لا تعرف موضعه فهو بذي بلي».

(٤) رواه ابن أبي شيبة، ح(٣٤٥٣٣)، وأحمد، ح(١٦٨٢٠)، والطبراني في الكبير، ح(٣٨٤١)، قال ابن حجر: «أخرجه أحمد والطبراني بسند حسن». فتح الباري (١٣/ ١٥). وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات وفي بعضهم ضعف». مجمع الزوائد (٧/ ٣٠٧)، وقال البوصيري: «رواه أبوبكر بن أبي شيبة بسند فيه عزرة بن قيس وهو ضعيف». إتحاف الخيرة (٧/ ٥٩)، وقال الألباني: «أخرجه أحمد والطبراني بسند حسن في المتابعات والشواهد. عزرة بن قيس لم يوثقه غير ابن حبان، وسائر رواته ثقات». الصحيحة (٤/ ٢٤٨).

اقْتَرَبَ، مِنْ فِتْنَةٍ عَمْيَاءَ صَمَّاءَ بَكْمَاءَ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَيْلٌ لِلسَّاعِي فِيهَا مِنَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وقال حذيفة ﷺ: «واللَّه لا يأتيهم أمر يضجون منه إلا أردفهم أمر يشغلهم عنه»(٢).

وعنه ﷺ قال: «ليوشكن أن يصب عليكم الشر من السماء حتى يبلغ الفيافي، قال: قيل: وما الفيافي يا أبا عبد اللَّه؟ قال: الأرض القفر»(٣).

ولخطورة الفتن وعظم أثرها بيَّنها النبي ﷺ وذكر أخبارها، قال حذيفة ﷺ: «واللَّه إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول اللَّه ﷺ أسر إلي في ذلك شيئًا لم يحدثه غيري، ولكن رسول اللَّه ﷺ قال وهو يحدث مجلسًا أنا فيه عن الفتن فقال رسول اللَّه ﷺ وهو يعدُّ الفتن: «مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شيئًا، وَمِنْهُنَّ فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ منها صِغَارٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ»، قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري»(٤).

ولن يزال أمر الفتن في ازدياد حتى لا يكون معها دين ولا عقل، وحتى تسلم الناس إلى الدجال، وتقدم: «فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»، قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: «واللَّه لقد رأيناهم صورًا ولا عقول، أجسامًا ولا أحلام، فراش نار وذبَّان طمع، يغدون بدرهمين، ويروحون بدرهمين، يبيع

---

(١) رواه ابن حبان، ح(٦٧٠٥)، قال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالعزيز بن محمد الدراوردي، فقد روى له البخاري تعليقًا ومقرونًا واحتج به مسلم».
وقال الألباني في التعليق على ابن حبان: «صحيح لغيره».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٣٦٢). (٣) المصدر السابق، ح(٣٨٥٥٤).

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، ح(٢٨٩١).

أحدهم دينه بثمن العنز»(١).

وعن أبي موسى ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ». قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْكَذِبُ وَالْقَتْلُ». قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ الْآنَ. قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ، وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ». قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَعَنَا عُقُولُنَا؟ قَالَ: «لَا. إِلَّا أَنَّهُ يَنْزِعُ عُقُولَ أَهْلِ ذَاكُمُ الزَّمَانِ حَتَّى يَحْسَبَ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ»(٢).

وعن حذيفة ﷺ قال: «ما الخمر صرفًا بأذهب بعقول الرجال من الفتنة»(٣).

وعن علي ﷺ قال: «وضع اللَّه في هذه الأمة خمس فتن: فتنة عامة، ثم فتنة خاصة، ثم فتنة عامة، ثم فتنة خاصة، ثم فتنة تموج كموج البحر، يصبح الناس فيها كالبهائم»(٤).

هذا ذهاب العقل والدين، وأما تعاظم الفتن حتى تسوق الناس إلى أعظم الفتن الدجال، فقال النبي ﷺ: «وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ إِلَّا لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ»(٥).

---

(١) رواه أحمد، (٣٠/ ٣٥٤)، والحاكم (٣/ ٦١١).

(٢) رواه أحمد، ح(١٩٦٣٦) قال الأرناؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أسِيد بن المتشمس، فمن رجال ابن ماجه، وهو ثقة» وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٦٨٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٥٠٠)، وأبو نعيم في الحلية، ح(٩١٧) واللفظ له.

(٤) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٢٠٧٣٣)، وابن الجعد، ح(٢١١٩)، وابن أبي شيبة، ح(٣٨٣١٢)، والحاكم (٥/ ٧٠٦-٧٠٧) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال البوصيري: «رواه إسحاق بن راهويه، ورواته ثقات».

(٥) رواه أحمد، ح(٢٣٣٠٤) قال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح»، مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٥)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٨٢).

وعن حذيفة ﷺ قال: «ثلاث فتن والرابعة تسوقهم إلى الدجال التي ترمي بالرضف والتي ترمي بالنَّشف[(١)] والسوداء المظلمة التي تموج كموج البحر والرابعة تسوقهم إلى الدجال»[(٢)].

ولعل هذه الرابعة هي فتنة الدهيماء، فعن عبد اللَّه بن عمر ﷺ قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُعُودًا، فَذَكَرَ الْفِتَنَ، فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ: «هِيَ فِتْنَةُ هَرَبٍ وَحَرَبٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَلُهَا أَوْ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَطَعَتْ تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ، فُسْطَاطُ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطُ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ، إِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ»[(٣)(٤)].

---

(١) قال ابن الأثير: «(النشف) حجارة سود كأنها أحرقت بالنار واذا تركت على رأس الماء طفت ولم تغص فيه وهي التي يحك بها الوسخ عن اليد والرجل، ثم التي تليها ترمى بالرضف، يعني أن الأولى من الفتن لا تؤثر في أديان الناس لخفتها، والتي بعدها كهيئة حجارة قد أحميت بالنار فكانت رضفًا فهي أبلغ في أديانهم وأثلم لأبدانهم». النهاية (٥/ ٥٨). وانظر: لسان العرب (٣/ ١٦٦٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة، ح(٣٨٢٨٧)، ونعيم بن حماد، ح(٩٢)، وأبو نعيم في الحلية، ح(٩١٢) واللفظ له.

(٣) رواه أحمد، ح(٦١٦٨)، قال الأرناؤوط: «رجاله ثقات رجال الصحيح»، وأبو داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، ح(٤٢٤٢)، والحاكم (٥/ ٦٦١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٩٧٤).

(٤) قال الخطيب: «فتنة الأحلاس، والأحلاس: جمع حلس، وإنما شبهها بالحلس لظلمتها والتباسها، أو لأنها تركد وتدوم فلا تقلع، يقال: فلان حلس بيته إذا كان يلازم قعر بيته لا يبرح، ويقال: هم أحلاس الخيل: إذا كانوا يلزمون ظهورها، والدخن: الدخان، يريد أنه سبب إثارتها وهيجها، وقوله: كورك على ضلع يريد - واللَّه أعلم - أنهم يجتمعون على رجل غير خليق للملك ولا مستقل به، لأن الورك لا يستقل على الضلع ولا يلائمها، وإنما يقال في باب المشاكلة هو كرأس على جسد أو كف في ذراع ونحوهما من الكلام، والدهيماء: تصغير الدهماء، ولعله صغرها على طريق المذمة، واللَّه أعلم». الفقيه والمتفقه (١/ ٣٩٥ - ٣٩٦).

وأما جهة خروج الفتن وشدتها، فأكثر الفتن تكون من جهة المشرق، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُشِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ، فَقَالَ: «هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»(١).

وعنه رضي الله عنه قال: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا، فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»(٢).

وعن سالم بن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: «يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة، سمعت أبي عبد اللَّه بن عمر يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ الْفِتْنَةَ تجيء من هاهنا - وَأَوْمَأَ بيده نحو الْمَشْرِقِ - من حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ»، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَمُدِّنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَكَّتِنَا وَمَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَيَمَنِنَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَعِرَاقِنَا، فَقَالَ: إِنَّ بِهَا قَرْنَ الشَّيْطَانِ، وَتهيُّجَ الْفِتَنِ، وَإِنَّ الْجَفَاءَ بِالْمَشْرِقِ»(٤).

وهذه الأحاديث تبين أن المراد بنجد العراق، قال ابن حجر رحمه الله: «وأول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سببًا للفرقة بين المسلمين، وذلك مما

---

(١) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ح(٣٢٧٩)، ومسلم كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان، ح(٢٩٠٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «الفتنة من قبل المشرق»، ح(٧٠٩٤).

(٣) رواه مسلم كتاب الفتن، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان، (٤/ ٢٢٢٩) ح(٢٩٠٥).

(٤) رواه الطبراني في الكبير، ح(١٢٥٥٣)، قال المنذري: «رواه الطبراني في الكبير ورواته ثقات». صحيح الترغيب، ح(١٢٠٤)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير، ورجاله ثقات». مجمع الزوائد (٣/ ٣٠٥). وقال الألباني: «صحيح لغيره». صحيح الترغيب (٢/ ٥٨).

يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة. وقال الخطابي: نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض»[١].

وصدق رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فمن العراق انطلق الثوار الذين خرجوا على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنها ظهر الخوارج والروافض والباطنية والقدرية والجهمية، فأكثر مقالات الضلال والكفر كانت من جهة الشرق، وبها وقعت الحروب بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبها قتل سبط رسول اللَّه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن جهتها خرجت فتنة ابن الأشعث، وفتنة المختار، وفيها ولاية الحجاج التي سفكت فيها الدماء وقتل العلماء، بل جرى في العراق والمشرق من الملاحم والفتن ما لم يجر في غيرها من الجهات، وما ظهور التتار إلا من المشرق، وقد حصل على أيديهم من الشر والدمار ما يعجز عنه الوصف، ويحتار عنده العقل، ولا يزال الشرق مرتكزًا للبدع، ومهدًا للقلاقل، ولن يخرج الدجال ويأجوج ومأجوج إلا من جهته، ولن تكون ملحمة الفرات إلا على ذهبه، ولكن هذا لا يعني أن الشرق لا خير فيه، بل قد شهد الواقع والتاريخ أن أكثر جهابذة العلم والاجتهاد كانوا من المشرق، وأهل الإسلام لا ينقطع خيرهم حيثما كانوا، «والذم إنما يقع في الحقيقة على الحال، لا على المحل، ويكون في حال دون حال، ووقت دون وقت، بحسب حال الساكن، وإن كانت الأماكن تتفاضل، وقد تقع المداولة فيها، فإن اللَّه يداول بين خلقه حتى في البقاع، فمحل معصية في زمن، قد يكون محل طاعة في زمن آخر»[٢]، والعبرة بالعموم، وقد قضى اللَّه أن الإيمان يأرز إلى المدينة والشام في آخر الزمان، وأن الشر يزداد في المشرق حتى يتم بالدجال، لحكمة يريدها سبحانه.

ولما كان أمر الفتن عظيمًا، وهي واقعة في هذه الأمة لا محالة، بين

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٤٧).

(٢) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١١/ ١٨٠ - ١٨١).

النبي ﷺ المخارج منها، وأوضح سبل النجاة، فمن ذلك:

١ - التعوذ بالله منها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا زيد بن ثابت، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»، قُلْنَا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ حَتَّى أَحْفَوْهُ بِالْمَسْأَلَةِ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُ لَكُمْ»، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِيناً وَشِمَالاً فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لَافٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي عَائِذًا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ»(٢).

٢ - اجتنابها بترك التحرك فيها أو الفرار منها أو لزوم البيوت:

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ ألا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فيها خَيْرٌ من الْمَاشِي فيها وَالْمَاشِي فيها خَيْرٌ من السَّاعِي إِلَيْهَا، ألا فإذا نَزَلَتْ أو وَقَعَتْ فَمَنْ كان له إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كانت له غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ وَمَنْ كانت له أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ» قال: فقال رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ من لم يَكُنْ له إِبِلٌ ولا غَنَمٌ ولا أَرْضٌ؟ قال: «يَعْمِدُ إلى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ على حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُ إن اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللَّهم هل بَلَّغْتُ اللَّهم هل بَلَّغْتُ اللَّهم هل بَلَّغْتُ». قال: فقال رَجُلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إن أُكْرِهْتُ حتى يُنْطَلَقَ بِي إلى أَحَدِ الصَّفَّيْنِ أو إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أو يجيء سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي؟ قال: «يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ وَيَكُونُ من أَصْحَابِ النَّارِ»(٣).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ح(٢٨٦٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب التعوذ من الفتن، ح(٧٠٨٩ - ٧٠٩٠ - ٧٠٩١).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كموقع القطر، ح(٢٨٨٧).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ(١) الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ(٣)، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»(٤).

وفي رواية: «إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ»(٥).

وعن المقداد بن الأسود ﷺ قال: «ايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا»(٦).

---

(١) قال ابن عبدالبر في التمهيد (١٩/ ٢١٩): «شعف الجبال عند أهل اللغة: رؤوسها، وشعفة كل شيء: أعلاه».

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، ح(١٩).

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣١): «قوله: «من تشرف لها» بفتح المثناة والمعجمة وتشديد الراء أي تطلع لها بأن يتصدى ويتعرض لها ولا يعرض عنها، وضبط أيضًا من الشرف ومن الإشراف. قوله: «تستشرفه» أي تهلكه بأن يشرف منها على الهلاك، يقال استشرفت الشيء علوته وأشرفت عليه، يريد من انتصب لها انتصبت له ومن أعرض عنها أعرضت عنه، وحاصله أن من طلع فيها بشخصه قابلته بشرها، ويحتمل أن يكون المراد من خاطر فيها بنفسه أهلكته، ونحوه قول القائل: من غالبها غلبته».

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، ح(٨٠٨٩)، ومسلم، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كموقع القطر، ح(٢٨٨٦).

(٥) رواه أحمد، ح(١٩٦٦٢).

(٦) رواه أبو داود، كتاب الفتن، باب في النهي عن السعي في الفتنة، ح(٤٢٦٣)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٩٧٥).

وفي رواية: عن جبير بن نفير قال: «جاء المقداد بن الأسود في حاجة، فقلنا: اجلس حتى نطلب لك حاجتك فجلس، فقال: عجبت لقوم مررت بهم يتمنون الفتن يزعمون ليبلينهم اللَّه فيها ما أبلى رسوله ﷺ وأصحابه ﷺ، ولقد سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، يُرَدِّدُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، إِلَّا مَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ»، وَايْمُ اللَّهِ لَا أَشْهَدُ لأَحَدٍ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى أَعْلَمَ مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ بَعْدَ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا غَلِيَتْ»(١).

٣ - الاجتهاد في العبادة عند ظهور الفتن:

عن مَعْقِلِ بن يسار رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»(٢).

وفي رواية: «الْعِبَادَةُ فِي الْفِتْنَةِ كَالْهِجْرَةِ إِلَيَّ»(٣).

قال النووي رحمه الله: «المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد»(٤).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا يَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ - لِكَيْ يُصَلِّينَ، رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»(٥).

---

(١) رواه البزار، ح(٢١١٢) وقال: «وإسناده إسناد حسن». والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٥٣) ح(٥٩٨).
(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب فضل العبادة في الهرج، ح(٢٩٤٨).
(٣) رواه أحمد، ح(٢٠٣١١). (٤) شرح مسلم (١٨/ ٨٨).
(٥) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ح(٧٠٦٩).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الحديث الندب إلى الدعاء، والتضرع عند نزول الفتنة ولا سيما في الليل لرجاء وقت الإجابة لتكشف أو يسلم الداعي ومن دعا له، وباللَّه التوفيق»(١).

٤ - التمسك بالسنة، ولزوم الجماعة، والسمع والطاعة:

عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(٢).

وفي رواية: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ حَيْثُمَا انْقِيدَ انْقَادَ»(٣).

فأمر بالتمسك بالسنة ولزوم الجماعة عند الفتن والاختلاف الشديد.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٢٣).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ح(٤٢)، واللفظ له، وأبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ح(٤٦٠٧)، والترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة، ح(٢٦٧٦)، والبزار ح(٤٢٠١).

(٣) رواه أحمد، ح(١٧١٤١) قال الأرناؤوط: «حديث صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد حسن». وابن ماجه، كتاب السنة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ح(٤٣).

أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا؟ قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(١).

وهذا أمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم عند الفتن.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي من أخذ الأموال وغير ذلك، فتجب طاعته في غير معصية، وفيه معجزات لرسول اللَّه ﷺ وهي هذه الأمور التي أخبر بها وقد وقعت كلها»(٢).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور، لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم «دعاة على أبواب جهنم» ولم يقل فيهم «تعرف وتنكر» كما قال في الأولين، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة. قال الطبري: والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة، قال: وفي

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، ح(٧٠٨٤)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، ح(١٨٤٧).

(٢) شرح مسلم (١٢/ ٢٣٧).

الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابًا فلا يتبع أحدًا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر»[(١)].

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَنَحْنُ جُلُوسٌ عَلَى بِسَاطٍ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ». قَالُوا: وَكَيْفَ نَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَرَدَّ يَدَهُ إِلَى الْبِسَاطِ فَأَمْسَكَ بِهِ فَقَالَ: «تَفْعَلُونَ هَكَذَا»، وَذَكَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ فَلَمْ يَسْمَعْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: أَلَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: مَا قَالَ؟ قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ»، فَقَالُوا: فَكَيْفَ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: «تَرْجِعُونَ إِلَى أَمْرِكُمُ الأَوَّلِ»[(٢)]. وهذا أمر بلزوم السنة عند الفتن، وفي ذلك دلالة على أن لزوم السنة والجماعة عصمة من الفتن.

٥ - الصبر على كل الأحوال:

عن أُسيد بن حُضير رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»[(٣)].

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه: «سَتَجِدُونَ أَثَرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فإني عَلَى الْحَوْضِ»[(٤)].

وهذا أمر بالصبر على الأثرة والظلم وهي نوع من الفتن حتى الممات.

وعن عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٣٦ - ٣٧).

(٢) رواه الطحاوي في مشكل الآثار، ح(١١٨٤)، والطبراني في المعجم الكبير، ح(٣٣٠٧)، وفي الأوسط، ح(٨٦٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣١٦٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺ للأنصار «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»، ح(٣٧٩٢)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة، ح(٤٨٨٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، ح(٤٣٣١)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، ح(٢٤٨٣).

أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا»، قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَأْمُرُ من أَدْرَكَ مِنَّا ذلك؟ قال: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الذي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الذي لَكُمْ»(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقد أخبر النبي ﷺ أن الأمراء يظلمون ويفعلون أمورًا منكرة، ومع هذا فأمرنا أن نؤتيهم الحق الذي لهم ونسأل اللَّه الحق الذي لنا، ولم يأذن في أخذ الحق بالقتال ولم يرخص في ترك الحق الذي لهم»(٢).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا من معجزات النبوة وقد وقع هذا الإخبار متكررًا ووجد مخبره متكررًا، وفيه الحث على السمع والطاعة وإن كان المتولي ظالمًا عسوفًا فيعطى حقه من الطاعة ولا يخرج عليه ولا يخلع، بل يتضرع إلى اللَّه تعالى في كشف أذاه ودفع شره وإصلاحه»(٣).

وعن سلمة بن يزيد الجُعْفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال: «يا نَبِيَّ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إن قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فما تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عنه ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عنه ثُمَّ سَأَلَهُ في الثَّانِيَةِ أو في الثَّالِثَةِ فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بن قَيْسٍ وقال: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عليهم ما حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ»(٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم، وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم»(٥).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ح(٣٦٠٣)، ومسلم، كتاب الإمامة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، ح(١٨٤٣).

(٢) منهاج السنة (٣/ ٣٩٢).

(٣) شرح مسلم (١٢/ ٢٣٢).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق، ح(١٨٤٦).

(٥) شرح مسلم (١٢/ ٢٢٥).

مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن أبي جمرة: المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ولو بأدني شيء، فكنى عنها بمقدار الشبر، لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق»(٢).

وأكثر فتن أمة الإسلام متعلقة بالمُلك والسلطان، وعدم الصبر على جور أو أثرة، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ عن ذلك: «فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر، ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر»(٣)، وبيَّن النبي ﷺ هذا الباب أتم بيان، وأحاطه بأوامر وأحكام لا يمكن تجاوزها إلا عند غلبة الهوى واستحكام الجهل.

٦ - كف اللسان واليد وترك السلاح عند الفتن:

عن عبد اللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»(٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أمورًا تنكرونها»، ح (٧٠٥٣).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٧). (٣) إعلام الموقعين (٣/ ١٢).

(٤) رواه أحمد، ح(٦٤٨١)، والدارمي، ح(٢٧١٣)، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (بدون تبويب) ح(٢٥٠١) وقال: «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة». والطبراني في الكبير، ح(١٤٦٩٧ - ١٤٦٩٨)، والقضاعي في مسند الشهاب، ح(٣٣٤)، والبيهقي في الشعب، ح(٤٦٢٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٥٣٦) وقال معلقًا على قول الترمذي: «لكن رواه عنه بعض العبادلة الذين حديثهم عنه صحيح عند المحققين من أهل العلم منهم عبد اللَّه بن المبارك فقال في (كتاب الزهد): أنبأنا عبد اللَّه بن لهيعة به. ومنهم عبد اللَّه بن وهب، فرواه في (الجامع) عنه. وأخرجه ابن شاهين في (الترغيب) من طريق ابن وهب عنه به لكنه قرن معه عمرو بن الحارث وهو ثقة؛ ولعل الطبراني أخرجه من هذه الطريق فقد قال المنذري: «رواه الترمذي وقال: حديث غريب والطبراني ورواته ثقات». ونقل المناوي عن الزين العراقي أنه قال: «سند الترمذي ضعيف وهو عند الطبراني بسند جيد». وهذا ذكره العراقي في تخريج الإحياء». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٥).
قلت: رواه الطبراني من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث، كما ظن الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ. وقال الأرناؤوط: «حديث حسن، ابنُ لهيعة - وإن كان سيىء الحفظ - رواه عنه ابنُ المبارك في (الزهد)، ح(٣٨٥)، وابنُ وهب في (الجامع) (١/ ٤٩)، وسماعهما منه صحيح، ومن طريق ابن المبارك أخرجه ابنُ أبي عاصم في (الزهد)، ح(١)، وأبو الشيخ في (الأمثال)، ح(٢٠٧)».

وعن أبي الطفيل عن حذيفة ﵁ أنه قال: «أنا لغير الدجال أخوف علي وعليكم، قال: فقلنا: ما هو يا أبا سريحة؟ قال: فتن كأنها قطع الليل المظلم، قال: فقلنا: أي الناس فيها شر؟ قال: كل خطيب مِصْقَع[١]، وكل راكب موضِع[٢]، قال: فقلنا: أي الناس فيها خير؟ قال: كل غني خفي، قال: فقلت: ما أنا بالغني ولا بالخفي، قال: فكن كابن اللبون لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب»[٣].

وعن أبي هريرة ﵁، عن النَّبِي ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ»[٤].

وعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»[٥].

وتأمل: كسِّروا وقطِّعوا، بصيغة المبالغة، للمبالغة في القضاء على أسباب القتال، قطعًا لدابر الفتن، واستشراف النفس لها.

---

(١) قال ابن الأثير: «الخطيب المصقع أي البليغ الماهر في خطبته الداعي إلى الفتن الذي يحرض الناس عليها وهو مفعل من الصقع: رفع الصوت ومتابعته». النهاية (٣/ ٤٢).

(٢) قال الخطابي: «الموضع: المسرع في الفتنة الساعي فيها». غريب الحديث (٢/ ٤٩٩).

(٣) رواه الحاكم (٥/ ٧٣٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٤) رواه أحمد، ح(٩٦٩١)، قال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، وأبو داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، ح(٤٢٤٩)، والطحاوي في المشكل، ح(٢٢٩٩)، والبيهقي في الشعب، ح(٤٩٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(١٣٠٩١).

(٥) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب التثبت في الفتنة، ح(٣٩٦١)، وأبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب النهي عن السعي في الفتنة، ح(٤٢٥٩)، والطبراني في الأوسط، ح(٨٥٦٣)، والبيهقي في السنن (٨/ ١٩١)، قال الألباني: «هذا إسناد صحيح على شرط البخاري».

٧ - الهجرة إلى الشام في آخر الزمان:

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنِّي رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتُزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»(١).

٨ - لزوم المعلوم من الدين والاهتمام بخاصة النفس:

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «إِذَا مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا» وَشَبَّكَ يُونُسُ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، يَصِفُ ذَاكَ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَصْنَعُ عِنْدَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ عز وجل، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّتِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهُمْ»(٢).

وفي رواية قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ، فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؟ قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ»(٣).

وفي رواية قال له: «كَيْفَ بِكَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَقَدْ مُزِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا، فَصَارُوا هَكَذَا؟» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: اللَّهُ

---

(١) رواه الحاكم (٥/ ٧١٣) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في الدلائل، ح(٢٧٦٦)، وتمام في فوائده، ح(١٢٧٨)، والربعي في فضائل الشام، ح(١١)، وقال الألباني في تخريجه: «حديث صحيح».

(٢) رواه أحمد، ح(٦٥٠٨) وقال الأرناؤوط: «صحيح».

(٣) رواه أحمد، ح(٦٩٨٧)، وأبو داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، ح(٤٣٤٣)، والحاكم (٥/ ٤٠٢) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٢٠٥).

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «اعْمَلْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَوَامَّهُمْ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ؟» قَالَ: وَذَاكَ مَا هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ذَاكَ إِذَا مَرِجَتْ أَمَانَاتُهُمْ وَعُهُودُهُمْ، وَصَارُوا هَكَذَا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَكَيْفَ بِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تَعْمَلُ مَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَتَعْمَلُ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَتَدَعُ عَوَامَّ النَّاسِ»(٢).

فهذا أمر من النبي ﷺ عند قلة أهل الحق، وفساد الديانة، والاختلاف، والتلبس بالفتن، أن يتمسك الإنسان بالمعلوم من الدين، ويترك الشاذ والغريب وما لا يعرف، ويهتم بنفسه وصلاحها، ولا يختلط بالناس فيُعْدوه من جَرَبهم، ويصيبه ما أصابهم.

هذه أهم معالم النجاة من الفتن وشرِّها مما بينه رسول اللَّه ﷺ لأمته، وبسْطها لا يحويه سِفر، واللَّه المستعان.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، ح(٥٩٨٤)، قال الهيثمي: «رواه الطبراني بإسنادين، رجال أحدهما ثقات». مجمع الزوائد (٧/ ٢٧٩).

(٢) رواه ابن حبان، ح(٥٩٥٠)، وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

المبحث الثاني
ظهور مدعي النبوة والكذب على رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ(١) دَجَّالُونَ(٢) كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»(٣).

وفي رواية: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ دَجَّالِينَ كَذَّابِينَ، كُلُّهُمْ يَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ، أَنَا نَبِيٌّ»(٤).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى يَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»(٥).

والأحاديث في هذا كثيرة.

---

(١) قال ابن حجر: «والمراد ببعثهم إظهارهم، لا البعث بمعنى الرسالة». فتح الباري (١٣/ ٨٦). قلت: يؤيده رواية مسلم: «يَنْبَعِثَ». (٤/ ٢٢٤٠).

(٢) قال ابن حجر: «الدجل التغطية والتمويه، ويطلق على الكذب أيضًا، فعلى هذا (كذابون) تأكيد». فتح الباري (٦/ ٦١٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح(٣٦٠٩)، ومسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، (٤/ ٢٢٣٩) ح(٢٩٢٣).

(٤) رواه أحمد، ح(٩٥٤٨)، وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد حسن، تفرد به أحمد». البداية والنهاية (١٩/ ١١٥).

(٥) رواه أحمد، ح(٢٢٣٩٥)، والترمذي، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، ح(٢٢١٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، ورواه أبو داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، ح(٤٢٥٢)، وابن حبان، ح(٧٢٣٨).

وأما عددهم فقد اختلفت الروايات في ذلك، ففي حديث أبي هريرة المتقدم: «قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ»، وفي حديث ثوبان: «ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ»، بالجزم، وكذا في حديث أبي هريرة: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا»(١)، وفي حديث عبد الله بن عمرو: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ سَبْعُونَ كَذَّابًا»(٢)، وفي حديث حذيفة: «فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ وَدَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ: مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»(٣)، وهذه الرواية تجتمع بها الروايات، وهي دالة على أن رواية الثلاثين بالجزم على طريق جبر الكسر، ويؤيد ذلك رواية الصحيحين المتقدمة: «قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ»، وأما رواية: السبعين، فضعيفة، وهي محمولة إن ثبتت على المبالغة في الكثرة لا على التحديد(٤).

وفي قوله ﷺ: «كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ» دلالة على أن هؤلاء يدعون النبوة، وهذا هو سر قوله ﷺ في الحديث الآخر: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، ولكن «ليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقًا فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء، وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة»(٥).

وقد سمى النبي ﷺ بعض هؤلاء الكذابين، فعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ

---

(١) رواه أحمد، ح(١٠٨٢٩) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح».

(٢) رواه الطبراني في الكبير، ح(١٤٤٧٤)، قال ابن حجر: «وسندها ضعيف». فتح الباري (١٣/ ٨٦)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني، وفيه يحيى بن عبدالحميد الحماني وهو ضعيف». مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٣).

(٣) رواه أحمد، ح(٢٣٣٥٨)، قال ابن حجر: «سند جيد». فتح الباري (١٣/ ٨٧)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٢)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٩٩٩).

(٤) انظر: فتح الباري (١٣/ ٨٦ - ٨٧)، والتذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٢٦).

(٥) انظر: فتح الباري (٦/ ٦١٧).

كَذَّابًا: مِنْهُمْ مُسَيْلِمَةُ، وَالعَنْسِيُّ، وَالمُخْتَارُ، وَشَرُّ قَبَائِلِ العَرَبِ بَنُو أُمَيَّةَ، وَبَنُو حَنِيفَةَ، وَثَقِيفٌ»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ظهر مصداق ذلك في آخر زمن النبي ﷺ فخرج مسيلمة باليمامة، والأسود العنسي باليمن، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة، وسجاح التميمية في بني تميم، وقتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ وقتل مسيلمة في خلافة أبي بكر، وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في خلافة عمر، ونقل أن سجاح أيضًا تابت، وأخبار هؤلاء مشهورة عند الإخباريين. ثم كان أول من خرج منهم المختار بن أبي عبيد الثقفي، غلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير فأظهر محبة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين، فتبعهم فقتل كثيرًا ممن باشر ذلك أو أعان عليه فأحبه الناس، ثم زين له الشيطان أن ادعى النبوة وزعم أن جبريل يأتيه، وقتل المختار سنة بضع وستين. ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبدالملك بن مروان فقتل. وخرج في خلافة بني العباس جماعة، وقد أهلك اللَّه تعالى من وقع له ذلك منهم، وبقي منهم من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر»(٢).

وقد ذهب البرزنجي والسفاريني وصديق حسن القنوجي رحمهم اللَّه تعالى إلى أن هذا الشرط مما ظهر وانقضى(٣)، وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال القاضي عياض: هذا الحديث قد ظهر، فلو عُد من تنبأ من زمن النبي ﷺ إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلالته لوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا»(٤).

---

(١) رواه أبو يعلى، ح(٦٨٢٠)، قال ابن حجر: «بإسناد حسن». فتح الباري (٦/ ٦١٧).

(٢) فتح الباري (٦/ ٦١٧) باختصار.

(٣) انظر: الإشاعة لأشراط الساعة ص(٧٩)، والبحور الزاخرة في علوم الآخرة (٢/ ٤٩٥)، ولوامع الأنوار (٢/ ٦٧)، والإذاعة ص(٦١).

(٤) التذكرة (٣/ ١٢٢٦).

وهذا القول فيه نظر، وذلك أن أعظم الدجاجلة وأكبرهم هو الذي يخرج في آخر الزمان، ولا يراد عند الإطلاق إلا هو، وقد جاء في حديث سمرة رضي الله عنه الطويل في خطبة النبي ﷺ حين كسفت الشمس: «وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا آخِرُهُمُ الأَعْوَرُ الدَّجَّالُ»(١)، وجاء في حديث أبي أمامة رضي الله عنه في قصة الدجال: «فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِنَّهُ يَبْدَأُ، فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، ثُمَّ يُثَنِّي فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، وَلَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: «فإنه يخرج أولًا فيدَّعي الإيمان والصلاح ثم يدَّعي النبوة ثم يدَّعي الإلهية»(٣).

وقال ابن كثير رحمه الله معنونًا: «ما ورد في ذكر الكذابين الدجالين الذين هم كالمقدمة بين يدي الدجال الكبير خاتمهم، قبحه اللَّه وإياهم، وجعل نار الجحيم منقلبهم ومثواهم»(٤).

وتقدم قول ابن حجر رحمه الله: «وآخرهم الدجال الأكبر»، وقد دل الواقع على عدم انقطاع هذه السلسلة، فقد تنبأ في القرن الماضي دجال الهند المدعو ميرزا غلام أحمد القادياني لعنه اللَّه، وكثر أتباعه، وتصدى العلماء للرد عليه،

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٠١٧٨)، وابن أبي شيبة، ح(٣٨٦٦٨)، والروياني، ح(٨٤٧)، وابن خزيمة، ح(١٣٩٧)، والطبراني، ح(٦٧٩٧)، والحاكم (١/ ٦٤٥ - ٦٤٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي: «ورجال أحمد رجال الصحيح غير ثعلبة بن عباد وثقه ابن حبان». مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٢)، وقال الألباني: «ورجاله ثقات غير ثعلبة هذا، لم يوثقه غير ابن حبان، ولم يرو عنه غير الأسود هذا». الصحيحة (٨/ ١٧)، وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف لجهالة ثعلبة بن عباد». المسند (٣٣/ ٣٤٩).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، ح(٤٠٧٧)، والروياني، ح(١٢٣٩)، وابن أبي عاصم في السنة، ح(٤٢٩)، والحاكم (٥/ ٧٤٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم».

(٣) فتح الباري (١٣/ ٩١).

(٤) البداية والنهاية (١٩/ ١١٣).

وأخذه اللَّه أخذ عزيز مقتدر[١].

وأما ظهور الكذب على رسول اللَّه ﷺ وهو صورة من صور الدجل، وعلامة من علامات آخر الزمان، فقد كثرت فيه الأحاديث، واشتد فيه الوعيد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا دجالًا، كُلُّهُمْ يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»[٢].

وعنه رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «سَيَكُونُ في آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ ما لم تَسْمَعُوا أَنْتُمْ ولا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»[٣].

وفي رواية: «يَكُونُ في آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ من الْأَحَادِيثِ بِمَا لم تَسْمَعُوا أَنْتُمْ ولا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ ولا يَفْتِنوكُمْ»[٤].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ بين يَدَي السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ»[٥].

وقال عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه: «إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب، فيتفرقون، فيقول الرجل منهم: سمعت رجلًا أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه يحدث»[٦].

وهذا فيه دلالة على أن الإنسان إذا لم يتثبت قد يحدِّث عن الشيطان وهو لا يدري.

وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «إن في البحر شياطين مسجونة

---

(١) انظر: كتاب (القاديانية) لإحسان إلهي ظهير.

(٢) رواه أحمد، ح(٩٨١٨)، قال المحقق: «حديث صحيح»، ورواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب في خبر ابن صائد، وأبو يعلى، ح(٥٩٤٥).

(٣) رواه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، (١/ ١٢).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٢).

(٥) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، ح(١٨٢٢).

(٦) رواه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، (١/ ١٢).

أوثقها سليمان يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنًا»[١].

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه تقرأ شيئًا ليس بقرآن وتقول إنه قرآن لتُغِرَّ به عوام الناس فلا يغترون»[٢].

فعلى المسلم أن يحذر، ولا يحدث أو ينقل كل ما يسمع أو يقرأ، فقد كثرت الأحاديث الباطلة، والروايات المكذوبة، وتداولها الناس عبر وسائلهم الحديثة، وطاروا بها في الآفاق، وقد قال النبي ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[٣]، وقال المغيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ ليس كَكَذِبٍ على أَحَدٍ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ»[٤].

وأما الكذب في حياة الناس: في معاملاتهم وأخبارهم وقصصهم، فقلَّ من يسلم منه في زماننا - إلا من رحم اللَّه -، بل إن البعض يتفنن فيه ليضحك الناس، وآخرون يتعبدون به لمصلحة دينهم ودعوتهم، وأما التجارة فسوق أكثرها لا يقوم إلا على الكذب، وكل هذا من تزيين الشيطان، والانحراف عن الطريق المستقيم.

عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما كان خُلُقٌ أَبْغَضَ إلى رسول اللَّهِ ﷺ من الْكَذِبِ، وَلَقَدْ كان الرَّجُلُ يحدث عِنْدَ النبي ﷺ بِالْكِذْبَةِ فما يَزَالُ في نَفْسِهِ حتى يَعْلَمَ أَنَّهُ قد أَحْدَثَ منها تَوْبَةً»[٥].

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ

---

(١) المصدر السابق.
(٢) شرح مسلم (١/ ٨٠).
(٣) رواه مسلم في المقدمة (١/ ١٠).
(٤) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، ح(١٢٩١)، ومسلم في المقدمة (١/ ١٠).
(٥) رواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب، ح(١٩٧٣) وحسنه، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٠٥٢).

يقول: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ»(١).

والأحاديث في ذم الكذب كثيرة، وقد قال مطرف بن عبد اللَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما يسرني أني كذبت كذبة وأن لي الدنيا كلها»(٢).

فنسأل اللَّه تعالى أن يبصرنا في ديننا، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٠٠٤٦) وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، والترمذي، كتاب الزهد، باب في من تكلم بكلمة ليضحك بها الناس، ح(٢٣١٥) وقال: «هذا حديث حسن»، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، ح(٤٩٩٠). وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ح(١٣٠٩٢).

(٢) انظر: المجالسة للدينوري (٦/ ٢٨٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ١٩٥).

المبحث الثالث
انتشار الأمن

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَكَّةَ، لَا يَخَافُ إِلَّا ضَلَالَ الطَّرِيقِ»(١).

وقد وقع هذا في الصدر الأول، في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم حين فتحت الأمصار، وعمَّ الإسلام الديار، فقوي الإيمان، وانتشر الأمان.

فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: «بَيْنَا أنا عِنْدَ النبي ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إليه الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ، فقال: «يا عَدِيُّ هل رَأَيْت الْحِيرَةَ؟ قلت: لم أَرَهَا وقد أُنْبِئْتُ عنها، قال: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ من الْحِيرَةِ حتى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إلا اللَّهَ»، قلت فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قد سَعَّرُوا الْبِلَادَ؟ «وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى»، قلت: كِسْرَى بن هُرْمُزَ؟ قال: «كِسْرَى بن هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ من ذَهَبٍ أو فِضَّةٍ يَطْلُبُ من يَقْبَلُهُ منه فلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ منه، وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ أحدكم يوم يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ له، فيقولن: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فيقول: بَلَى، فيقول: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وولدا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فيقول: بَلَى، فَيَنْظُرُ عن يَمِينِهِ فلا يَرَى إلا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عن يَسَارِهِ

(١) رواه أحمد، ح(٨٨٣٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٣٣١).

فلا يَرَى إلا جَهَنَّمَ»، قال عَدِيٌّ: سمعت النبي ﷺ يقول: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشق تَمْرَةٍ، فَمَنْ لم يَجِدْ شق تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»، قال عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ من الْحِيرَةِ حتى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إلا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بن هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ ما قال النبي أبو الْقَاسِمِ ﷺ»[1].

والمراد بانتشار الأمن عمومه واتساعه وتمامه، لا أن يكون في مكان دون مكان، مع ما يعتريه من شوائب.

والأمن من اللَّه عز وجل، وقد أناطه اللَّه بالإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

فلما تحقق في الصحابة ما أمر اللَّه، أنجز لهم ما وعد، وكان ذلك في عهد الخلافة الراشدة، فلما شاب أهل الإسلام شيب عليهم، ولا يزالون كذلك حتى يرجعوا إلى دينهم، وتعود الخلافة الراشدة، وذلك في زمن المهدي وعيسى بن مريم، حين يعم الإيمان، فتمتلئ الأرض بالأمان.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَدُقُّ

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ح(٣٥٩٥).

الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»(١).

والأمن من أعظم نعم اللَّه تعالى على الناس، وقد ذكَّر اللَّه العباد بهذه النعمة في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: ٣ - ٤]، وقال ممتنًّا على قوم سبأ: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝١٨﴾ [سبأ: ١٨]، وقال عن رسول اللَّه ﷺ وصحبه: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال عن فقدها: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝١١٢﴾ [النحل: ١١٢]، ولما دعا نبي اللَّه وخليله إبراهيم عليه السلام ربَّه جعل أول مطلوبه الأمن.

قال الرازي رحمه الله: «اعلم أنه عز وجل حكى عن إبراهيم عليه السلام في هذا الموضع أنه طلب في دعائه أمورًا سبعة:

المطلوب الأول: طلب من اللَّه نعمة الأمان وهو قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والابتداء بطلب نعمة الأمن في هذا الدعاء يدل على أنه أعظم أنواع النعم والخيرات، وأنه لا يتم شيء من مصالح الدين والدنيا إلا به، وسئل بعض العلماء: الأمن أفضل أم الصحة؟ فقال: الأمن أفضل، والدليل عليه أن شاة لو انكسرت رجلها فإنها تصح بعد زمان، ثم إنها تقبل على الرعي

---

(١) رواه أحمد، ح(٩٢٧٠)، قال المحقق الأرناؤوط: «حديث صحيح»، وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد قوي». البداية والنهاية (١٩/ ٢٢٤)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢١٨٢).

والأكـل، ولـو أنهـا ربطت في موضـع وربـط بالقرب منهـا ذئب فإنها تمسك عن العلف ولا تتناوله إلى أن تموت، وذلك يدل على أن الضرر الحاصل من الخوف أشد من الضرر الحاصل من ألم الجسد... الخ»[١].

فأسأل اللّه تعالى أن يتمم على المسلمين نعمه، وأن يديم عليهم أمنه، ويوزعهم شكره.

(١) مفاتيح الغيب (١٩/ ١٠٣ - ١٠٤).

المبحث الرابع
التحية على المعرفة

عن الأسود بن يزيد، قال: «أقيمت الصلاة في المسجد، فجئنا نمشي مع عبد الله بن مسعود، فلما ركع الناس، ركع عبد الله وركعنا معه، ونحن نمشي، فمر رجل بين يديه، فقال: السلام عليك يا أبا عبدالرحمن، فقال عبد الله وهو راكع: صدق الله ورسوله، فلما انصرف، سأله بعض القوم: لم قلت حين سلم عليك الرجل: صدق الله ورسوله؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، إِذَا كَانَتِ التَّحِيَّةُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ»[(١)].

وفي رواية: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ»[(٢)].

وفي رواية: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ، لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ»[(٣)].

وهذا أمر مشاهد يلمسه كل أحد في زماننا، وقد بدأ في عصر الصحابة ﷺ كما دل عليه الحديث، ولا يزال في ازدياد، بل إن كثيرًا من الناس في زماننا ليس فقط لا يسلمون إلا على من يعرفون، بل إنهم لا يردون السلام إلا على

---

(١) رواه أحمد، ح(٣٦٦٤) وقال المحقق: «حديث حسن»، ورواه الطبراني، ح(٩٤٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٦٤٨).

(٢) رواه أحمد، ح(٣٩٨٢)، والبخاري في الأدب المفرد، ح(١٠٤٩)، والطحاوي في المشكل، ح(١٥٩٠)، والحاكم (٥/ ١٣٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٦٤٧).

(٣) رواه أحمد، ح(٣٨٤٨) وقال الأرناؤوط: «حديث حسن»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٦٤٨).

من يعرفون كذلك، وهذا أشنع وأقبح، وكل ذلك دال على بعد الناس عن دينهم، وجهلهم بسنة نبيهم ﷺ، وقلة رغبتهم في الخير، فالسلام من أعظم شعائر الإسلام، وما حسدنا أعداؤنا على شيء كما حسدونا على السلام، وهو اسم من أسماء ربنا، وموجب من موجبات المغفرة، وسبب من أسباب المحبة ودخول الجنة، وقد أمر الشرع بإفشائه، وبيَّن أن من حسن إسلام العبد تسليمه على من عرف ومن لم يعرف، وأن أبخل الناس من بخل بالسلام، وما قلت المحبة والتآلف بين المسلمين، إلا لمَّا قلَّ إفشاء السلام بينهم، ولقد كان صحابة رسول اللَّه ﷺ يغدون للأسواق وليس لهم شغل إلا السلام على الناس، فعن الطُفيل بن أبي بن كعب: «أنه كان يأتي عبد اللَّه بن عمر، فيغدو معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق، لم يمر عبد اللَّه بن عمر على سقَّاط، ولا صاحب بيعة، ولا مسكين، ولا أحد، إلا سلم عليه، قال الطفيل: فجئت عبد اللَّه بن عمر يومًا، فاستتبعني إلى السوق، فقلت له: وما تصنع في السوق؟ وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس السوق؟ قال: وأقول: اجلس بنا هاهنا نتحدث، قال: فقال عبد اللَّه بن عمر: يا أبا بطن - وكان الطفيل ذا بطن - إنما نغدو من أجل السلام، نسلم على من لقينا»(١).

---

(١) رواه مالك، ح(٣٥٣٣)، والبخاري في الأدب المفرد، ح(١٠٠٦)، والبيهقي في الشعب، ح(٨٤١١)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص(٣٨٦)، رقم(٧٧٠/ ١٠٠٦)، وعبدالقادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول (٦/ ٥٩٧).

المبحث الخامس
ولادة الأمة ربها أو ربتها

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «سَلُونِي؟» فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ؟ فَجَاءَ رَجُلٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْهِ، فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ ما الْإِسْلَامُ؟ قال: «لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ شيئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ»، قال: صَدَقْتَ، قال: يا رَسُولَ اللَّهِ ما الْإِيمَانُ؟ قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ»، قال: صَدَقْتَ، قال: يا رَسُولَ اللَّهِ ما الْإِحْسَانُ؟ قال: «أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إن لَا تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ»، قال: صَدَقْتَ، قال: يا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قال: «ما الْمَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ من السَّائِلِ، وَسَأُحَدِّثُكَ عن أَشْرَاطِهَا، إذا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا،... إلخ»(١).

وفي رواية: «قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا؛ إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا»(٢).

وفي رواية: «إذا وَلَدَتْ الْأَمَةُ بَعْلَهَا»(٣).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر اللَّه عز وجل، ح(١٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، ح(٤٧٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر اللَّه عز وجل، ح(٩).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر اللَّه عز وجل، ح(٩).

وفي رواية عن ابن عمر ﵄: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عن السَّاعَةِ؟ قال: «ما الْمَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ من السَّائِلِ»، قال: فَأَخْبِرْنِي عن أماراتها؟ قال: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في الْبُنْيَانِ»(١).

وفي رواية عن أبي هريرة وأبي ذر ﵄: «قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: فَنَكَسَ وَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ عَادَ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ عَادَ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَلَفَ بِهِ بِاللَّهِ أَوْ قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ لَهَا عَلَامَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا، إِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ وَالْعُرَاةَ مُلُوكَ الأَرْضِ وَإِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّهَا»(٢).

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «إن مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى رُعَاةُ الشَّاءِ رُءُوسَ النَّاسِ، وَأَنْ يُرَى الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ الْجُوَّعُ يَتَبَارَوْنَ فِي الْبِنَاءِ، وَأَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّهَا، وَرَبَّتَهَا»(٣).

قال النووي ﵀: «ومعنى «ربَّها وربَّتها» سيدها ومالكها، وسيدتها ومالكتها، وأما بعلها فالصحيح في معناه أن البعل هو المالك أو السيد، فيكون بمعنى ربها على ما ذكرناه، قال أهل اللغة: بعل الشيء ربه ومالكه، وقال ابن عباس ﵄ والمفسرون في قوله ﷿: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ [الصافات: ١٢٥]، أي ربًّا، وقيل: المراد بالبعل في الحديث الزوج، ومعناه نحو ما تقدم أنه يكثر بيع السراري حتى يتزوج الإنسان أمه وهو لا يدري، وهذا أيضًا معنى صحيح إلا أن الأول أظهر لأنه إذا أمكن حمل الروايتين في القضية الواحدة على معنى واحد

(١) المصدر السابق، ح(٨).

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، ح(١٦٥)، والنسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب صفة الإيمان والإسلام، ح(٥٠٠٦)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة، ح(٣٧٨)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣/ ٣٤١).

(٣) رواه أحمد، ح(٩١٢٨) وقال ابن كثير: «وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه من هذا الوجه». البداية والنهاية (١٩/ ٢٧٨).

كان أولى والله أعلم»[(١)].

وقد اختلف العلماء - رحمهم الله - في معنى هذا الشرط، وفي زمان وقوعه بناء على ما ترجح عندهم من معنى:

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وقد اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في معنى ذلك: قال ابن التين: اختلف فيه على سبعة أوجه، فذكرها لكنها متداخلة، وقد لخصتها بلا تداخل فإذا هي أربعة أقوال:

الأول: قال الخطابي: معناه اتساع الإسلام، واستيلاء أهله على بلاد الشرك وسبي ذراريهم، فإذا ملك الرجل الجارية واستولدها، كان الولد منها بمنزلة ربها لأنه ولد سيدها»[(٢)]. وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «وهذا إشارة إلى فتح البلاد وكثرة جلب الرقيق، حتى تكثر السراري وتكثر أولادهن فتكون الأمة رقيقة لسيدها وأولاده منه بمنزلته؛ فإن ولد السيد بمنزلة السيد فيصير ولد الأمة بمنزلة ربها وسيدها»[(٣)].

وهذا أشهر الأقوال، وهو قول الأكثر[(٤)].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «وعلى هذا فالذي يكون من أشراط الساعة استيلاء المسلمين، واتساع خطتهم وكثرة الفتوح، وهذا قد كان»[(٥)].

وتعقب ذلك ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ فقال: «لكن في كونه المراد نظر، لأن استيلاد الإماء كان موجودًا حين المقالة، والاستيلاء على بلاد الشرك وسبي ذراريهم

---

(١) شرح مسلم (١/ ١٥٨ - ١٥٩).
(٢) فتح الباري (١/ ١٢٢)، وكلام الخطابي في معالم السنن على مختصر أبي داود (٧/ ٦٧).
(٣) جامع العلوم والحكم ص(٨٦).
(٤) انظر: شرح مسلم للنووي (١/ ١٥٨)، والتدوين في تاريخ قزوين (١/ ١٤٦).
(٥) التذكرة (٣/ ١٢٤٧). وانظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ١٩٩).

واتخاذهم سراري، وقع أكثره في صدر الإسلام، وسياق الكلام يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة»[١].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن فسر هذا بكثرة السراري لكثرة الفتوحات، فقد كان هذا في صدر هذه الأمة كثيرًا جدًّا، وليس هذا بهذه الصفة من أشراط الساعة المتاخمة لوقتها، واللَّه أعلم»[٢].

الثاني: وقيل المراد بذلك: «أن يكثر جلب الرقيق، حتى تجلب البنت فتعتق، ثم تجلب الأم فتشتريها البنت وتستخدمها وهي جاهلة بأنها أمها، وقد وقع هذا في الإسلام»[٣].

وعبر عنه ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «أن تبيع السادة أمهات أولادهم، ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة حتى يشتريها ولدها ولا يشعر بذلك، وعلى هذا فالذي يكون من الأشراط، غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد، أو الاستهانة بالأحكام الشرعية»[٤].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا القول نظر وبعد»[٥].

ووجه بعده واللَّه أعلم أن هذا نادر الوقوع، وعلامات الساعة ظاهرة، والجاهل ليس مستهينًا بالأحكام.

الثالث: وقيل: معناه أن الإماء تلدن الملوك، أو تلد العجم العرب، والعرب ملوك العجم وأرباب لهم، ووجَّهه بعضهم بأن الإماء يلدن الملوك، فتصير الأم من جملة الرعية والملك سيد رعيته، وكان الرؤساء في الصدر الأول يستنكفون غالبًا من وطء الإماء ويتنافسون في الحرائر، ثم انعكس الأمر ولا

---

(١) فتح الباري (١/ ١٢٢).
(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٢٧٣).
(٣) جامع العلوم والحكم ص(٨٦ - ٨٧).
(٤) فتح الباري (١/ ١٢٢).
(٥) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٩٩).

سيما في أثناء دولة بني العباس، ولكن رواية «ربتها» بتاء التأنيث قد لا تساعد على ذلك[(١)].

وهذا القول أبعد من الذي سبقه، لأن الملوك الذين ولدتهم الإماء أقل من القليل.

الرابع: «وقيل: بل أراد بولادة الأمة ربها أنه يكثر عدول الناس عن النكاح إلى التسري فقط، والله أعلم»[(٢)].

الخامس: «وقيل: المراد بقوله: «أن تلد الأمة ربها» أن يكثر العقوق من الأولاد حتى يعامل الولد أمه معاملة أمته بالسب والإهانة، ويشهد لهذا: أنه جاء في رواية «أن تلد المرأة ربها» فلم يخص بالأمة»[(٣)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أوجه الأوجه عندي لعمومه، ولأن المقام يدل على أن المراد حالة تكون مع كونها تدل على فساد الأحوال مستغربة. ومحصله الإشارة إلى أن الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الأمور بحيث يصير المربي مربَّيًا والسافل عاليًا، وهو مناسب لقوله في العلامة الأخرى: أن تصير الحفاة ملوك الأرض»[(٤)].

وهذه لفتة جميلة، ولكن الولد مهما عامل والدته بالسوء فلا يطلق عليه سيدًا.

السادس: ««أن تلد الأمة ربتها» يعني به أن الإماء يكن في آخر الزمان هن المشار إليهن بالحشمة، تكون الأمة تحت الرجل الكبير دون غيرها من الحرائر، ولذلك قرن ذلك بقوله: «وأن ترى الحفاة العراة العالة يتطاولون في البنيان».

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم ص(٨٧)، وفتح الباري (١/ ١٢٢).

(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ٢٠٠).

(٣) المصدر السابق. وانظر: المفهم للقرطبي (١/ ٦٤).

(٤) فتح الباري (١/ ١٢٢).

يعني بذلك أنهم يكونون رءوس الناس، قد كثرت أموالهم، وامتدت وجاهتهم، فليس لهم دأب ولا همة إلا التطاول في البناء»[١].

وهذا القول كسابقه فيه لفتة وإشارة جميلة، ولكن ليس فيه ولادة، والناس في زماننا تطاولوا في البنيان، وليس ثَم أمة، فالقول وإن كان وجيها ففيه بعد والعلم عند اللَّه تعالى، وقد ذكر النووي القول الأول ثم قال: «وقيل في معناه غير ما ذكرناه ولكنها أقوال ضعيفة جدًّا أو فاسدة فتركتها»[٢].

فالقول الأول وهو الأشهر وقول الأكثر أقرب الأقوال واللَّه أعلم، ولكن القول بانقضاء هذا الشرط فيه نظر، وذلك أن هذا القول نتيجة لكثرة الحروب بين المسلمين وأعدائهم وكثرة السبي منهم، والجهاد لا ينقطع، والخيل معقود على نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وكلما دنت الساعة كثرت الملاحم وعظمت، كما سيأتي، والعلم عند اللَّه تعالى.

---

(١) هذا قول ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٧٣).

(٢) شرح مسلم (١/ ١٥٩).

المبحث السادس
التطاول في البنيان

عن أبي هريرة ﷺ قال: «كان رسول اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ ما الْإِيمَانُ؟ قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»، قال: يا رَسُولَ اللَّهِ ما الْإِسْلَامُ؟ قال: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ ولا تُشْرِكَ بِهِ شيئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ»، قال: يا رَسُولَ اللَّهِ ما الْإِحْسَانُ؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إن لَا تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ»، قال: يا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قال: «ما الْمَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ من السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عن أَشْرَاطِهَا، إذا وَلَدَتْ الْأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا، وإذا كانت الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رؤوس الناس فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا، وإذا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ في الْبُنْيَانِ فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا، في خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إلا اللَّه ثُمَّ تَلَا ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾»، قال: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ»، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فلم يَرَوْا شيئًا، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «هذا جِبْرِيلُ جاء لِيُعَلِّمَ الناس دِينَهُمْ»[1].

وفي رواية: «وَسَأُخْبِرُكَ عن أَشْرَاطِهَا، إذا وَلَدَتْ الْأَمَةُ رَبَّهَا، وإذا تَطَاوَلَ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر اللَّه عز وجل، ح(٩).

رُعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمُ في الْبُنْيَانِ»(١).

وفي رواية عن ابن عمر ﷺ: «قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عن السَّاعَةِ؟ قال: «ما الْمَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ من السَّائِلِ»، قال: فَأَخْبِرْنِي عن إمارتها؟ قال: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في الْبُنْيَانِ»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى رُعَاةُ الشَّاءِ رُءُوسَ النَّاسِ، وَأَنْ يُرَى الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ الْجُوَّعُ يَتَبَارَوْنَ فِي الْبِنَاءِ، وَأَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّهَا، وَرَبَّتَهَا»(٣).

وفي رواية عن ابن عباس ﷺ: «قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَحَدِّثْنِي مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، فِي خَمْسٍ مِنَ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إلا هُوَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ وَلَكِنِ إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ بِمَعَالِمَ لَهَا دُونَ ذَلِكَ»، قَالَ: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَحَدِّثْنِي. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ الْأَمَةَ وَلَدَتْ رَبَّتَهَا أَوْ رَبَّهَا، وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الشَّاءِ تَطَاوَلُوا بِالْبُنْيَانِ، وَرَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْجِيَاعَ الْعَالَةَ كَانُوا رُؤوسَ النَّاسِ، فَذَلِكَ مِنْ مَعَالِمِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ أَصْحَابُ الشَّاءِ وَالْحُفَاةُ الْجِيَاعُ الْعَالَةُ؟ قَالَ: «الْعَرَبُ»(٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له، ح(٥٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله عزوجل، ح(٨).

(٣) رواه أحمد، ح(٩١٢٨) وقال ابن كثير: «وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه من هذا الوجه». البداية والنهاية (١٩/ ٢٧٨).

(٤) رواه أحمد، ح(٢٩٢٤) وقال الأرناؤوط معلقًا: «إسناده حسن». وقال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار بنحوه، وفي إسناد أحمد شهر بن حوشب». مجمع الزوائد (١/ ٣٩). وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(١٣٤٥) وقال: «وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد، شهر وهو ابن حوشب سيء الحفظ، ولكن =

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»(١).

وعَنْ مَيْمُونَةَ ﷺ قَالَتْ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ: «مَا أَنْتُمْ إِذَا مَرَجَ الدِّينُ، وَسُفِكَ الدَّمُ، وَظَهَرَتِ الزِّينَةُ، وَشَرُفَ الْبُنْيَانُ، وَاخْتَلَفَتِ الْأَخَوَانُ، وَحُرِّقَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ»(٢).

هذا من العلامات والأشراط التي بدأ ظهورها قريبًا من عصر النبوة، ولم تكن إطالة البنيان معروفة في زمان النبي ﷺ وأصحابه، بل كان بنيانهم قصيرًا بقدر الحاجة(٣)، وإنما بدأ بعدهم حين بسطت على المسلمين الدنيا، وشملت الأسافل، وأهل الفاقة والبادية من رعاء الشاء والإبل، وكثرت الأموال، وركن كثير منهم إلى الدنيا.

قال ابن حجر رحمه الله: «قال القرطبي: المقصود الإخبار عن تبدل الحال، بأن يستولي أهل البادية على الأمر، ويتملكوا البلاد بالقهر فتكثر أموالهم، وتنصرف

= الحديث صحيح ثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة نحوه، ومن حديث عمر بن الخطاب عند مسلم وغيره دون الزيادة».

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، (بدون تبويب)، ح(٧١٢١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٢٤/ ١٠ ح(١٤) وقال الهيثمي: «رواه الطبراني، ورجاله ثقات». مجمع الزوائد (٧/ ٣١٠)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٧٤٤).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم ص(٨٩).

هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان»[١].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعناه أن أهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة والفاقة تبسط لهم الدنيا حتى يتباهون في البنيان واللَّه أعلم»[٢].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومضمون ما ذكر من أشراط الساعة في هذا الحديث يرجع إلى أن الأمور تُوَسَّدُ إلى غير أهلها، كما قال النَّبيُّ ﷺ لمن سأله عن الساعة: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[٣]، فإنَّه إذا صار الحفاة العراة رعاء الشاء - وهم أهل الجهل والجفاء - رؤوس الناس، وأصحاب الثروة والأموال، حتَّى يتطاولوا في البنيان، فإنَّه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا، فإنه إذا رَأَسَ الناسَ من كان فقيرًا عائلًا، فصار مَلِكًا على الناس، سواء كان ملكه عامًا أو خاصًّا في بعض الأشياء، فإنه لا يكاد يعطي الناس حقوقهم، بل يستأثر عليهم بما استولى عليهم من المال، وإذا كان مع هذا جاهلًا جافيًا، فسد بذلك الدين، لأنَّه لا يكون له همة في إصلاح دين الناس ولا تعليمهم، بل همته في جباية المال واكتنازه، ولا يُبالي بما فسد من دينِ الناس، ولا بمن ضاعَ من أهل حاجاتهم»[٤].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم وتكثر أموالهم حتى يتباهون بطول البنيان وزخرفته وإتقانه»[٥].

ولكن من شاهد أهل زماننا رأى أن التطاول في البنيان عم أهل الأرض، ولم يختص به أهل الرئاسة، وعليه فالذي يبدو أن ذكر الحفاة العراة العالة رعاء الشاء والإبل في قضية التطاول ليس مقصودًا بالذات، بدليل قوله ﷺ: «وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ» وقوله: «وَشَرُفَ الْبُنْيَانُ»، فعمم الأمر، ولعل ذكر الرعاء العالة

---

(١) فتح الباري (١/ ١٢٣). وانظر: التذكرة (٣/ ١٢٤٦ - ١٢٤٧).

(٢) شرح مسلم (١/ ١٥٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب العلم، باب فضل العلم، ح(٥٩).

(٤) جامع العلوم والحكم ص(٨٨ - ٨٩).

(٥) المصدر السابق ص(٨٧).

لبيان سعة انتشار الأمر حتى يقع ممن يستبعد منهم ذلك، لقلة ما في أيديهم، وبعدهم عن البنيان، واختصاص الأمر بالعرب لا يصح لضعف الرواية كما تقدم.

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى التطاول في البنيان أن كلًّا ممن كان يبني بيتًا يريد أن يكون ارتفاعه أعلى من ارتفاع الآخر، ويحتمل أن يكون المراد المباهاة به في الزينة والزخرفة أو أعم من ذلك، وقد وجد الكثير من ذلك وهو في ازدياد»(١).

والعموم هو الأنسب والأولى لاتساع معنى النص، ووقوع الناس في كل ذلك.

قال التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتطاول في البنيان يكون بتكثير طبقات البيوت ورفعها إلى فوق، ويكون بتحسين البناء وتقويته وتزويقه، ويكون بتوسيع البيوت وتكثير مجالسها ومرافقها، وكل ذلك واقع في زماننا؛ حين كثرت الأموال، وبسطت الدنيا على الحفاة العراة العالة، فاللَّه المستعان»(٢).

وهذا الأمر علامة على اهتمام الناس بالدنيا، وانغماسهم فيها، وهو لا شك أنه أمر مذموم، وقد قال خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ»(٣)، ولكنه ليس بحرام، ولو زاد عن حاجة الإنسان(٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس كل ما أخبر ﷺ بكونه من علامات الساعة يكون محرمًا أو مذمومًا، فإن تطاول الرعاء في البنيان وفشو المال وكون خمسين امرأة لهن قيم واحد ليس بحرام بلا شك، وإنما هذه علامات، والعلامة لا يشترط فيها شيء من ذلك، بل تكون بالخير والشر والمباح والمحرم والواجب وغيره، واللَّه أعلم»(٥).

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٨٨).
(٢) إتحاف الجماعة (٢/ ١٦٢).
(٣) رواه البخاري، كتاب المرضى، باب نهي تمني المريض الموت، ح(٥٦٧٢)، وقد روي مرفوعًا من طرق عدة، انظر: الصحيحة (٦/ ٧٩٩) ح(٢٨٣١).
(٤) انظر: فتح الباري (١١/ ٩٣).
(٥) شرح مسلم (١/ ١٥٩).

المبحث السابع
زخرفة المساجد وتزيينها والتفاخر بها

عن أنس ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ»(١).

وفي رواية: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ»(٢).

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «لَتُزَخْرِفُنَّهَا كَمَا زَخْرَفَتْهَا الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى»(٣).

وعن أنس ﷺ قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَبَاهَوْنَ بِالْمَسَاجِدِ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا»(٤).

---

(١) رواه أحمد، ح(١٢٣٧٩، ١٢٤٧٣، ١٣٤٠٤، ١٤٠٢٠) وقال الأرناؤوط في تحقيقه: «إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم». وابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب تشييد المساجد، ح(٧٣٩)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، ح(٤٤٩)، والدارمي، ح(١٤٠٨)، وأبو يعلى، ح(٢٧٩٨)، وابن خزيمة، ح(١٣٢٣)، وابن حبان في صحيحه، ح(١٦١٤، ٦٧٦٠)، والطبراني في الأوسط، ح(٨٤٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٤٢١).

(٢) رواه النسائي، كتاب الطهارة، باب المباهاة في المساجد، ح(٦٨٨)، والبغوي في شرح السنة، ح(٤٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٥٨٩٥).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد، ح(٤٤٨)، وابن حبان في صحيحه، ح(١٦١٥) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح»، والبغوي في شرح السنة، ح(٤٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٥٥٥٠).

(٤) رواه أبو يعلى، ح(٢٨١٧)، وابن خزيمة، ح(١٣٢١)، والطبراني في الأوسط، ح(٧٥٥٩)، والبغوي في شرح السنة، ح(٤٦٦)، وابن حجر في تغليق التعليق (٢/ ٢٣٦)، وقال الأرناؤوط في تعليقه على مسند الإمام أحمد (١٩/ ٣٧٣): «إسناده حسن».

وعنه ﷺ قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ»(١).

والمباهاة التفاخر والترائي، قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي يتفاخرون بتشييدها، ويراؤون بتزيينها، كما فعل أهل الكتاب بعد تحريف دينهم، وأنتم تصيرون إلى حالهم، فإذا صرتم كذلك، فقد جاء أشراطها»(٢).

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد من التشييد: رفع البناء وتطويله... وقول ابن عباس: (لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى)، معناه: أن اليهود والنصارى إنما زخرفوا المساجد عندما حرفوا وبدلوا أمر دينهم، وأنتم تصيرون إلى مثل حالهم، وسيصير أمركم إلى المراءاة بالمساجد، والمباهاة بتشييدها وتزيينها»(٣).

وهذه الأحاديث دالة على كراهة أو تحريم زخرفة المساجد والتباهي بها، لأن النهي يقتضي ذلك، خاصة وقد جعله ابن عباس رضي الله عنهما من التشبه بأهل الكتاب، والمقصود من بناء المساجد أن تُكِنَّ الناس من الحر والبرد، وتزيينها يشغل القلوب عن الإقبال على الطاعة، وهي العمارة الحقيقية، وفي قوله ﷺ: «مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ» إشارة إلى أن التشييد لا يحسن مطلقًا، ولو بغير مباهاة، لأنه لو كان حسنًا لأمره اللَّه به، وفيه نوع توبيخ وتأنيب، والنبي ﷺ بنى مسجده المبارك بالطين واللبن، وجعل أعمدته جذوع النخل، وسقفه بالجريد، فربما أمطرت السماءُ فأوحلت أرضَه(٤)، وهذا يدل على أن السنة في بنيان المسجد القصد وترك الزخرفة والتأنق، ولذلك لما نخر جريد النخل في مسجد رسول اللَّه ﷺ على عهد عمر رضي الله عنه واحتاج إلى تجديد، وقد كثرت الفتوح في أيامه واتسع المال، لم يغير المسجد عما كان عليه، بل قال للقائم على

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ح(١٦١٣) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(١٢٧٧٢).

(٢) فيض القدير (٦/ ١٢).

(٣) شرح السنة (٢/ ٣٤٩-٣٥٠).

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد، ح(٤٤٦).

ذلك: «أَكِنَّ النَّاسَ مِنْ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ أَوْ تُصَفِّرَ فَتَفْتِنَ النَّاسَ»(١)، وأول من زخرف المساجد الوليد بن عبدالملك بن مروان، وذلك في أواخر عصر الصحابة، وسكت كثير من أهل العلم عن إنكار ذلك خوفًا من الفتنة(٢).

وزخرفة المساجد علامة على اهتمام الناس بدنياهم، وذلك أنهم أمروا بعمارة المساجد بالبر، وكلما نقص برهم جملوه بالمظاهر، وزخرفوه بالدنيا، وقد قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ فِي الْمَسْجِدِ لَا يُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ»(٣)، وقال أنس ﷺ: «يَتَبَاهَوْنَ بِهَا ثُمَّ لاَ يَعْمُرُونَهَا إِلاَّ قَلِيلاً»(٤)، وقد كان السلف - رحمهم اللَّه - يجنبون مساجدهم ذلك، قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال المروذي: وقلت لأبي عبد اللَّه: إن محمد بن أسلم الطوسي لا يجصص مسجده، ولا بطوس مسجد مجصص إلا قلع جصه؟ فقال أبو عبد اللَّه: هو من زينة الدنيا. قال حرب: قلت لإسحاق - يعني: ابن راهويه -: فتجصيص المساجد؟ قال: أشد وأشد. المساجد لا ينبغي أن تزين، إلا بالصلاة والبر»(٥).

وهذا قول أكثر السلف، «ورخص أبوحنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ في ذلك إذا وقع على سبيل التعظيم للمساجد، ولم يقع الصرف على ذلك من بيت المال. وقال ابن المنير: (لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب أن يصنع ذلك بالمساجد صونًا لها عن الاستهانة). وتعقب بأن المنع إن كان للحث على اتباع السلف في ترك الرفاهية فهو كما قال، وإن كان لخشية شغل بال المصلي بالزخرفة فلا، لبقاء

(١) رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم، كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد، (١/ ٩٧).
(٢) انظر: فتح الباري (١/ ٥٤٠).
(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه، ح(١٣٢٦)، والشاشي في مسنده، ح(٢٦٧)، والطبراني في المعجم الكبير، ح(٩٤٨٩)، والبيهقي في الشعب، ح(٨٣٩٩)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح(٦٤٩).
(٤) رواه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم، كتاب الصلاة، باب بنيان المسجد، (١/ ٩٧).
(٥) فتح الباري لابن رجب (٢/ ٤٧٢).

العلة»[١]. وهذا هو المتوجه، لأن النهي جاء مطلقًا، وقال عمر ﷺ: «إياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس»، فعلة انشغال الذهن ظاهرة، والناظر في أكثر مساجد زماننا يرى أنها قد أصبحت تحفًا من زخرفتها ورونق جمالها، حتى غدا السائحون عليها متهافتين من الشرق والغرب بآلات تصويرهم، فدنست حرمة مساجد، وأغلقت أبوابها، وانقلبت إلى متاحف من أجل ذلك، ناهيك عن تشتت قلب المصلي وشرود ذهنه في الزخارف، وقد قالت عائشة ﷺ: «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي خَمِيصَةٍ لَهُ لَهَا أَعْلَامٌ، فَنَظَرَ إِلَى أَعْلَامِهَا نَظْرَةً، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا عَنْ صَلَاتِي»[٢].

وفي رواية قال ﷺ: «كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عَلَمِهَا وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ فَأَخَافُ أَنْ تَفْتِنَنِي»[٣]. فهذه أعلام ثوب، وقد خشي رسول الله ﷺ منها أن تفتنه في صلاته، فكيف بمن دونه، وقد أحاطت به الزخارف من كل جانب.

وعدم زخرفة المساجد لا يعني عدم الاهتمام بها، أو الإهمال في صنعتها، فالمساجد حرمتها عظيمة، ومكانتها رفيعة، وإنما المقصود الغلو والزيادة عن قدر الحاجة، واشغال القلوب في مكان أحوج ما تكون فيه إلى التفرغ من الدنيا وزينتها، والله أعلم.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٤١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى علمها، ح(٣٧٣)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهة الصلاة في ثوب له أعلام، ح(٥٥٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى علمها، ح(٣٧٣).

المبحث الثامن
الرئاسة والمكانة في الأعراب والبدو وأهل الجهل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ ما الْإِيمَانُ؟ قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»، قال: يا رَسُولَ اللَّهِ ما الْإِسْلَامُ؟ قال: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ ولا تُشْرِكَ بِهِ شيئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ»، قال: يا رَسُولَ اللَّهِ ما الْإِحْسَانُ؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إن لَا تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ»، قال: يا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قال: «ما الْمَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ من السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عن أَشْرَاطِهَا، إذا وَلَدَتْ الْأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا، وإذا كانت الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رؤوس الناس فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا، وإذا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ في الْبُنْيَانِ فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا، في خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إلا اللَّه، ثُمَّ تَلَا ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾»، قال: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ»، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فلم يَرَوْا شيئًا، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «هذا جِبْرِيلُ جاء لِيُعَلِّمَ الناس دِينَهُمْ»(١).

وفي رواية: «قال: يا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ؟ قال: «ما الْمَسْئُولُ عنها بِأَعْلَمَ من السَّائِلِ وَسَأُحَدِّثُكَ عن أَشْرَاطِهَا، إذا رَأَيْتَ الْمَرْأَةَ تَلِدُ رَبَّهَا فَذَاكَ من

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، ح(٤٧٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله عز وجل، ح(٩).

أَشْرَاطِهَا، وإذا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الأرض فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا، وإذا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ في الْبُنْيَانِ فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا»(١).

وفي رواية عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما: «قَالَ: يَا مُحَمَّدُ فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: فَنَكَسَ وَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ عَادَ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ عَادَ فَلَمْ يُجِبْهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَلَفَ بِهِ بِاللَّهِ أَوْ قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ لَهَا عَلَامَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا، إِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ وَالْعُرَاةَ مُلُوكَ الأَرْضِ وَإِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ رَبَّهَا»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى رُعَاةُ الشَّاءِ رُءُوسَ النَّاسِ، وَأَنْ يُرَى الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ الْجُوَّعُ يَتَبَارَوْنَ فِي الْبِنَاءِ، وَأَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّهَا، وَرَبَّتَهَا»(٣).

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَحَدِّثْنِي مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إلا هُوَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسُۢ بِأَيِّ أَرْضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾﴾ وَلَكِن إِنْ شِئْتَ حَدَّثْتُكَ بِمَعَالِمَ لَهَا دُونَ ذَلِكَ»، قَالَ: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَحَدِّثْنِي. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتَ الْأَمَةَ وَلَدَتْ رَبَّتَهَا أَوْ رَبَّهَا، وَرَأَيْتَ أَصْحَابَ الشَّاءِ تَطَاوَلُوا بِالْبُنْيَانِ، وَرَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْجِيَاعَ الْعَالَةَ كَانُوا رُؤوسَ النَّاسِ، فَذَلِكَ

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله عز وجل، ح(١٠).

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، ح(١٦٥)، والنسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب صفة الإيمان والإسلام، (٨/ ٤٧٥) ح(٥٠٠٦)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة، ح(٣٧٨)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٣/ ٣٤١).

(٣) رواه أحمد، ح(٩١٢٨) وقال ابن كثير: «وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه من هذا الوجه». البداية والنهاية (١٩/ ٢٧٨).

مِنْ مَعَالِمِ السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ أَصْحَابُ الشَّاءِ وَالْحُفَاةُ الْجِيَاعُ الْعَالَةُ؟ قَالَ: «الْعَرَبُ»[(١)].

هذا الشرط كسابقه ظهر منذ زمان بعيد ولا يزال يتتابع ويزداد.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد ظهر أكثره، وشاع في الناس معظمه، فوسِّد الأمر إلى غير أهله، وصار رؤوس الناس أسافلتهم عبيدهم وجهالهم فيملكون البلاد والحكم في العباد، فيجمعون الأموال ويطيلون البنيان، كما هو مشاهد في هذه الأزمان، لا يسمعون موعظة، ولا ينزجرون عن معصية، فهم صم بكم عمي»[(٢)].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله ﷺ: «وإذا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الأرض فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا» المراد بهم الجهلة السفلة الرعاع كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ [البقرة: ١٨]، أي لما لم ينتفعوا بجوارحهم هذه فكأنهم عدموها، هذا هو الصحيح في معنى الحديث واللَّه أعلم»[(٣)].

وهذا أمر ظاهر للعيان، منتشر في البلدان، غني عن البيان، ويزيده وضوحًا المبحث الذي يليه، واللَّه المستعان.

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٩٢٤) وقال الأرناؤوط معلقًا: «إسناده حسن». وقال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار بنحوه، وفي إسناد أحمد شهر بن حوشب». مجمع الزوائد (١/ ٣٩). وأخرجه الألباني في الصحيحة، ح(١٣٤٥) وقال: «وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد، شهر و هو ابن حوشب سيىء الحفظ، ولكن الحديث صحيح ثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة نحوه، ومن حديث عمر بن الخطاب عند مسلم وغيره دون الزيادة».

(٢) التذكرة (٣/ ١٢٤٦ - ١٢٤٧).

(٣) شرح مسلم (١/ ١٦٥).

المبحث التاسع
ذهاب الصالحين وقلتهم، وكثرة الأشرار وتسلطهم

عن رُوَيْفِع بن ثابت الأنصاري ﷺ أنه قال: «قُرِّبَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَأَكَلُوا مِنْهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ، إِلَّا نَوَاةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «تَذْهَبُونَ الْخَيِّرَ فَالْخَيِّرَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا مِثْلُ هَذَا»(١).

وعن عبد اللَّه بن عمرو ﷺ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيطَتَهُ(٢) مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَبْقَى فِيهَا عَجَاجَةٌ(٣)، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا»(٤).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغَرْبَلُونَ فِيهِ غَرْبَلَةً، يَبْقَى مِنْهُمْ حُثَالَةٌ، قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ،

---

(١) رواه ابن حبان، ح(٧٢٢٥) وقال المحقق الأرناؤوط: «حديث حسن لغيره»، ورواه الطبراني في الكبير، ح(٤٤٩٢)، والحاكم (٥/ ٦١٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(١٧٨١).

(٢) قال ابن الجوزي: «أي من يختاره من أهل الخير». غريب الحديث (١/ ٥٢٩).

(٣) قال ابن الأثير: «العجاج: الغوغاء والأراذل ومن لا خير فيه». النهاية (٢/ ١٨٤).

(٤) رواه أحمد، ح(٦٩٦٤) وقال الأرناؤوط: «رجاله ثقات رجال الشيخين»، ورواه الحاكم (٥/ ٦٢١) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن كان الحسن سمعه من عبد اللَّه بن عمرو»، وقال ابن حجر: «سند جيد»، فتح الباري (١٣/ ٩١)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد مرفوعًا وموقوفًا ورجالهما رجال الصحيح»، مجمع الزوائد (٨/ ١٣)، وقال البوصيري: «رواه أبو يعلى ورجاله ثقات، وأحمد بن حنبل مرفوعًا وموقوفًا»، إتحاف الخيرة المهرة (٨/ ١٠٠).

وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا فَكَانُوا هَكَذَا»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ، وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَى أَمْرِ خَاصَّتِكُمْ، وَتَدَعُونَ أَمْرَ عَامَّتِكُمْ»(١).

فالصالحون يذهبون الخيِّر فالخيِّر، ويقل عددهم، ويكثر الأشرار والأراذل، ويتمكنون من الدنيا، فيعلو قدرهم، وترفع منزلتهم، ويوسد الأمر إليهم.

عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُوضَعَ الأَخْيَارُ وَتُرْفَعَ الأَشْرَارُ».

وفي رواية: قال رسول اللَّه ﷺ: «مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ تُرْفَعَ الأَشْرَارُ وتُوضَعَ الأَخْيَارُ»(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعُ ابْنُ لُكَعٍ»(٣).

وفي رواية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلُكَعِ ابْنِ لُكَعٍ(٤)»(٥).

وتقدم قوله ﷺ: «وإذا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الأرض فَذَاكَ من أَشْرَاطِهَا»(٦).

---

(١) رواه أحمد، ح(٧٠٤٩) وقال الأرناؤوط: «صحيح». وانظر: الصحيحة (١/ ٣٦٨).

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين، ح(٤٨٢)، والحاكم (٥/ ٧٦٧ - ٧٦٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسنادين ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»، مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٦)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٨٢١).

(٣) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في أشراط الساعة، ح(٢٢٠٩) وقال: «هذا حديث حسن». وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٤٣١).

(٤) قال الخطابي: «معناه اللئيم بن اللئيم». غريب الحديث (٣/ ١٠٣).

(٥) رواه أحمد، ح(٨٦٩٧) وقال ابن كثير: «إسناد جيد قوي». البداية والنهاية (١٩/ ٢٧٧).

(٦) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر اللَّه عز وجل، ح(١٠).

وقال ﷺ: «إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»(١).

فارتفاع الأسافل والأراذل واستئثارهم بالدنيا شرط من أشراط الساعة، وعلامة على قرب قيامها، وهو دال على تغير الأحوال، وانقلاب الموازين، وانعكاس الحقائق.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»(٢).

وفي رواية: «قَبْلَ السَّاعَةِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ». قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»(٤).

وفي رواية عن عوف بن مالك رضي الله عنه: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ سِنِينَ خَدَّاعَةً يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الْمَرْءُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب فضل العلم، ح(٥٩).

(٢) رواه أحمد، ح(٧٩١٢) وقال الأرناؤوط: «حديث حسن».

(٣) رواه أحمد، ح(٨٤٥٩) وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد ولم يخرجوه من هذا الوجه». البداية والنهاية (١٩/ ٢٧٧).

(٤) رواه أحمد، ح(١٣٢٨٩) وقال ابن كثير: «جيد قوي تفرد به أحمد من هذا الوجه». البداية والنهاية (١٩/ ١١٩).

التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[١].

وهذا أمر ظاهر مشاهد، وهو من جملة الفتن التي ابتلي بها أهل آخر الزمان.

فعن أبي هريرة ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، يَظْهَرُ النِّفَاقُ، وَتُرْفَعُ الأَمَانَةُ، وَتُقْبَضُ الرَّحْمَةُ، وَيُتَّهَمُ الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ غَيْرُ الأَمِينِ، أَنَاخَ بِكُمُ الشُّرْفُ الْجُونُ[٢]»، قَالُوا: وَمَا الشُّرْفُ الْجُونُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»[٣].

ولا يزال الشر وأهله يزداد في الناس حتى لا يبقى إلا الأشرار، وعليهم تقوم الساعة، كما سيأتي، فعلى المسلم أن يبادر زمانه، ويجتهد في الصالحات، ويقبل على نفسه، ويأخذ ما يعرف، ويترك ما ينكر، ولا يغتر بالمظاهر، ولا ينخدع بالفتن، واللَّه المستعان.

---

(١) رواه البزار، ح(٢٧٤٠). وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ح(١٨٨٧، ٢٢٥٣).

(٢) قال الخطابي: «الشُّرُف الجُون، مضمومة الشين والراء، جمع شَارِف، والجيم من الجُون مضمومة أيضًا، يريد الإبل المَسَانّ، والجون: السود، شبه بها الفتن». غريب الحديث (٣/ ٢٤٣). وقال ابن الأثير: «شبه الفتن في اتصالها وامتداد أوقاتها بالنوق المسنة السود». النهاية (٢/ ٤٦٣).

(٣) رواه ابن حبان، ح(٦٧٠٦)، والحاكم (٤/ ٥٧٩) وقال: «صحيح الإسناد». وحسنه الألباني في موارد الظمآن (١/ ٤٦٢)، وانظر: الصحيحة (٧/ ٥٩٠ - ٥٩١).

المبحث العاشر
اتباع سَنَن الأمم الماضية

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَفَارِسَ وَالرُّومِ؟ فَقَالَ: «وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ(٢)»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»(٣).

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه: «أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم، ح (٧٣١٩).

(٢) قال النووي: «السنن بفتح السين والنون، وهو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ فقد وقع ما أخبر به ﷺ». شرح مسلم (١٦/ ٢١٩ - ٢٢٠). وقال ابن حجر: «قال عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه». فتح الباري (١٣/ ٣٠١). وانظر: إكمال المعلم (٨/ ٨٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ح(٧٣١٩)، ومسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، ح(٢٦٦٩).

مُوسَى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ سُنَّةً سُنَّةً»(١).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ(٢)»(٣).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ(٤)»(٥).

وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تَتْرُكُ هَذِهِ الْأُمَّةُ شَيْئًا مِنْ سَنَنِ الأَوَّلِيْنَ حَتَّى تَأْتِيَهُ»(٦).

هذه الأحاديث دالة على أن هذه الأمة لاسيما الأشرار منها يتبعون سنن من سبقهم من الأمم، وأن هذا الأمر قد بدأت بوادره في العصر الأول، ولا يزال يكثر في الناس حتى لا يدعوا شيئًا من سنن الأولين إلا أتوه.

---

(١) رواه أحمد، ح(٢١٨٩٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، والطيالسي، ح(١٤٤٣)، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، ح(٢١٨٠) وقال الألباني في تعليقه: «صحيح»، وأبو يعلى، ح(١٤٤١)، وابن حبان، ح(٦٧٠٢)، والطبراني، ح(٣٢٩١).

(٢) قال ابن الأثير: «أي تعملون مثل أعمالهم كما تقطع إحدى النعلين على قدر النعل الأخرى. والحذو: التقدير والقطع». النهاية (١/ ٣٥٧).

(٣) رواه الطبراني في الكبير، ح(٦٠١٧)، قال الألباني: «ورجاله ثقات ورواه عن ابن لهيعة يحيى بن إسحاق السَّيْلَحِيني وهو من قدماء أصحابه». الصحيحة (٧/ ٩١٦).

(٤) قال ابن الأثير: «أي كما تقدر كل واحدة منهما على قدر صاحبتها وتقطع، يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان». النهاية (٤/ ٢٨).

(٥) رواه أحمد، ح(١٧١٣٥) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب، وباقي رجاله ثقات»، والطبراني، ح(٧١٤٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٣٣١٢) وقال: «وهذا إسناد حسن في الشواهد؛ فإن شهرًا مختلف فيه، وبعضهم يحسن حديثه، وبخاصة من رواية عبدالحميد بن بهرام عنه، وله شواهد كثيرة».

(٦) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٣١٣)، قال المناوي: «وقال الهيثمي رجاله ثقات»، فيض القدير (٦/ ٥٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٢١٩).

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأخبر ﷺ أن أمته قبل قيام الساعة يتبعون المحدثات من الأمور والبدع والأهواء المضلة كما اتبعتها الأمم من فارس والروم، حتى يتغير الدين عند كثير من الناس، وقد أنذر ﷺ في كثير من حديثه أن الآخر شر، وأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، وأن الدين إنما يبقى قائمًا عند خاصة من المسلمين لا يخافون العداوات، ويحتسبون أنفسهم على اللَّه في القول بالحق، والقيام بالمنهج القويم في دين اللَّه»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد وقع معظم ما أنذر به ﷺ وسيقع بقية ذلك»(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا كله خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك، والذم لمن يفعله، فعلم أن مشابهتها اليهود والنصارى، وفارس والروم، مما ذمه اللَّه ورسوله، ولا يقال: فإذا كان الكتاب والسنة قد دلا على وقوع ذلك، فما فائدة النهي عنه؟ لأن الكتاب والسنة أيضًا قد دلا على أنه لا يزال في هذه الأمة طائفة متمسكة بالحق الذي بعث به محمد ﷺ إلى قيام الساعة، وأنها لا تجتمع على ضلالة، ففي النهي عن ذلك تكثير لهذه الطائفة المنصورة، وتثبيتها، وزيادة إيمانها، فنسأل اللَّه المجيب أن يجعلنا منها»(٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس هذا إخبارًا عن جميع الأمة، بل قد تواتر عنه: أنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة، فعلم بخبره الصدق أنه في أمته قوم متمسكون بهديه، الذي هو دين الإسلام محضًا، وقوم منحرفون إلى شعبة من شعب اليهود، أو إلى شعبة من شعب النصارى، وإن كان الرجل لا يكفر بكل انحراف، بل وقد لا يفسق أيضًا، بل قد يكون الانحراف كفرًا، وقد يكون فسقًا، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأ»(٤).

وهذا الأمر وللأسف قد فشا في زماننا وشاع حتى لا يكاد أحد يسلم

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٣٦٥). (٢) فتح الباري (١٣/ ٣٠١).
(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٧٠ - ١٧١). (٤) المصدر السابق (١/ ٨١).

منه، بل إنك لتجد الكثير من أبناء هذه الأمة من ساسة ومثقفين ومن دونهم، قد استقر في أنفسهم أنه لا يمكن لأهل الإسلام أن يتقدموا في حضارتهم ويرتقوا بمجتمعاتهم إلا بالتقليد والتبعية واستيراد ثقافة الغير، ناهيك عن الهمج الغوغاء الذين يتقمصون كل ساقطة، ويقلدون كل ظاهرة، وفي هذا أبلغ بيان عن عمق جهل الناس بإسلامهم، وبعدهم عن دينهم، وتسلط أعدائهم عليهم.

قال ابن خلدون رَحِمَهُ اللَّهُ: «المغلوب مُوْلَع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدًا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه، ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدًا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله، وانظر ذلك في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائمًا، وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زي الحامية وجند السلطان في الأكثر لأنهم الغالبون لهم، حتى أنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسري إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير، كما هو في الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة، فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر للَّه»(١).

وهذا حال أكثر أهل زماننا والأمر للَّه.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ص(١٤٧).

المبحث الحادي عشر
كثرة التجارة وفشوها وتقارب الأسواق

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ»(١).

وعن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يَفِيضَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ، وَيَظْهَرَ الْقَلَمُ، وَتَفْشُوَ التِّجَارَةُ»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ، وَتَتَقَارَبَ الْأَسْوَاقُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ» قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ»(٣).

وهذا أمر واقع ظاهر لا خفاء فيه أبدًا، فالتجارة فاشية، والمال مستفيض،

---

(١) رواه أحمد، ح(٣٨٧٠) قال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، والبخاري في الأدب المفرد، ح(١٠٤٩)، والحاكم (٥/ ١٣٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٦٤٧).

(٢) رواه أحمد ح(٧٨) من الملحق المستدرك على المسند (٣٩/ ٥١٩) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، والنسائي، كتاب البيوع، باب التجارة، ح(٤٤٦٨)، والحاكم (٢/ ٢٩٧) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٧٦٧).

(٣) رواه أحمد، ح(١٠٧٢٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. غير سعيد بن سمعان، فقد روى له البخاري في القراءة خلف الإمام، وأصحاب السنن غير ابن ماجه، وهو ثقة»، وابن حبان، ح(٦٧١٨)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سمعان وهو ثقة»، مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٧)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٧٧٢).

والأسواق متقاربة، والتقارب قد يكون في البنيان، وقد يكون في سرعة تبادل السلع ووصولها، وقد يكون في الأسعار ومعرفة مقدارها، وكل ذلك مشاهد في زماننا، والأمر في ازدياد خاصة مع تقدم الآلات والتقنيات[١]، بل إن الأمر وصل إلى الافتتان بجمع المال من كل وجه، وخاض كثير من الناس في الحرام، وتنافسوا، وتحاسدوا، وتدابروا، وتباغضوا، وقد قال النبي ﷺ: «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ»[٢].

وفي رواية: «وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[٣].

وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «إذا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قال عبدالرحمن بن عَوْفٍ: نَقُولُ كما أَمَرَنَا اللَّه. قال رسول اللَّهِ ﷺ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ»[٤].

هذا أثر ذلك في زمانهم، فكيف بزماننا؟ وقد ربط النبي ﷺ بين تقارب الأسواق وقرب قيام الساعة وظهور الفتن وكثرة الكذب وكثرة القتل، وكل ذلك مشاهد في زماننا، واللَّه المستعان.

(١) انظر: إتحاف الجماعة (٢/ ١٩٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ح(٦٤٢٥)، ومسلم، كتاب الزهد، (بدون تبويب)، ح(٢٩٦١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب، ح(٣١٥٨)، ومسلم، كتاب الزهد، (بدون تبويب)، ح(٢٩٦١).

(٤) رواه مسلم، كتاب الزهد، (بدون تبويب)، ح(٢٩٦٢).

المبحث الثاني عشر
ظهور الفحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة، والتناكر بين الناس

عن عبد اللَّه بن عمرو ﵄ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ[١]، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَسُوءُ الْمُجَاوَرَةِ، وَحَتَّى يُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ وَيُخَوَّنَ الأَمِينُ»[٢].

وعن أنس ﵁ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ الْفُحْشُ، وَالتَّفَحُّشُ وَسُوءُ الْجِوَارِ، وَقَطْعُ الأَرْحَامِ، وَيُخَوَّنُ الأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ الْخَائِنُ»[٣].

---

(١) قال ابن منظور: «الفُحْش والفَحْشاءُ والفاحِشةُ، القبيحُ من القول والفعل، وجمعها الفَواحِش، وفي الحديث: «إن اللَّه يُبْغِضُ الفاحِشَ المُتَفَحِّشَ» فالفاحِشُ ذو الفحش والخَنا من قول وفعل، والمُتَفَحِّشُ الذي يتكلَّفُ سَبَّ الناس ويتعمَّدُه، وقد تكرر ذكر الفُحْش والفاحشة والفاحش في الحديث، وهو: كل ما يَشتد قُبْحُه من الذنوب والمعاصي، قال ابن الأثير: وكثيرًا ما تَرِدُ الفاحشةُ بمعنى الزنا، ويسمى الزنا فاحشةً». لسان العرب (٥/ ٣٣٥٥).

(٢) رواه أحمد، ح(٦٥١٤) قال الأرناؤوط: «صحيح لغيره»، والبزار، ح(٢٤٣٢)، والطبراني في الكبير، ح(١٤٥٠٧)، والحاكم (١/ ٢٥٧) وقال: «هذا حديث صحيح فقد اتفق الشيخان على الاحتجاج بجميع رواته غير أبي سبرة الهذلي، وهو تابعي كبير مبين ذكره في المسانيد والتواريخ، غير مطعون فيه، وله شاهد من حديث قتادة، عن أبي بريدة». وقال الهيثمي: «رواه البزار، وفيه عبدالرحمن بن مغراء، وثقه أبو زرعة وجماعة، وضعفه ابن المديني، وبقية رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٧). وقال البوصيري: «رواه مسدد، ورواته ثقات». إتحاف الخيرة (٨/ ١٠١).

(٣) رواه البزار، ح(٧٥١٥)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(٢٦١٤)، وفي الأوسط، ح(١٣٥٦)، وقال الهيثمي: «رواه البزار، وفيه شبيب بن بشر وهو لين، ووثقه ابن حبان وقال: يخطئ، وبقية رجاله رجال الصحيح». وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات وفي بعضهم خلاف». مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٧ و٢٨٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٥٨٩٤).

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ»(١).

وعن حذيفة ﷺ قال: «سئل رسول اللَّه ﷺ عن الساعة؟ فقال: «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ بِمَشَارِيطِهَا وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا، إِنَّ بَيْنَ يَدَيْهَا فِتْنَةً وَهَرْجًا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْفِتْنَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَالْهَرْجُ مَا هُوَ؟ قَالَ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: «الْقَتْلُ، وَيُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرُ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ أَنْ يَعْرِفَ أَحَدًا»(٢).

وهـذه أمور ظاهرة منتشرة، قد وقعت كما أخبر النبي ﷺ، وهي في ازدياد يومًا بعد يوم، تسري في الناس سريان النار في الهشيم، فالفحش في القول والعمل يسمع ويشاهد في كل حين ومكان، والأرحام بين تدابر وتهاجر، لا يتواصلون إلا لحاجة، ولا يتزاورون إلا لمناسبة، بل تمضي السنوات والبعض لا علم له بأرحامه مع توافر وسائل الصلة، وأما الجيران فكثير منهم لا يعرف جاره، ولا يراعي حرمته، ولا يؤدي حقه، وأما التناكر فقد درج الناس على قلة التعارف، وانغلقوا على معارف الوظائف، وإن كان في الناس أخيار، وأهل صلاح وتواصل وحسن جوار، لأن هذه أخلاق الإسلام، ولن تنعدم ما بقي مسلم، ولكن الخير في إدبار، والشر في إقبال، والأشراط لابد من وقوعها، وواجب المسلم الاستمساك بدينه، وتصبير نفسه على مرضاة ربه، وإن كثر المخالفون، وقل المستمسكون، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١].

---

(١) رواه أحمد، ح(٣٨٧٠) قال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، والبخاري في الأدب المفرد، ح(١٠٤٩)، والحاكم (٥/ ١٣٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٦٤٧).

(٢) رواه أحمد، ح(٢٣٣٠٦) وقال الأرناؤوط: «صحيح لغيره»، وقال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٧٧١).

المبحث الثالث عشر
كثرة الشح

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ، وَالْبُخْلُ»(١).

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ وَيُلْقَى الشُّحُّ(٢) وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قالوا: وما الْهَرْجُ؟ قال: «الْقَتْلُ»(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ ولا يَزْداد النّاسُ على الدُّنْيا إلاّ حِرْصًا ولا يَزْدادونَ مِنَ اللَّهِ إلَّا بُعْدًا»(٤).

---

(١) رواه ابن حبان، ح(٦٨٤٤)، والطبراني في الأوسط، ح(٣٧٦٧)، والحاكم (٥/ ٧٥٨) وقال: «هذا حديث رواته كلهم مدنيون، ممن لم ينسبوا إلى نوع من الجرح»، وأبو نعيم في الحلية، ح(٥٧٧١)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن سليمان بن والبة ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات»، وصححه الألباني في الصحيحة بمجموع الطرق والشواهد، ح(٣٢١١).

(٢) قال النووي: «ويلقى الشح هو بإسكان اللام وتخفيف القاف أي يوضع في القلوب». شرح مسلم (١٦/ ٢٢١). وقال ابن حجر: «المراد إلقاؤه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى، ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره، ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير، وليس المراد وجود أصل الشح لأنه لم يزل موجودًا». فتح الباري (١٣/ ١٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، ح(٧٠٦١)، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح(٦٩٦٤)، واللفظ له.

(٤) رواه الشاشي في مسنده، ح(٧٥٧)، من طريق بشير بن سلمان، والحاكم (٥/ ٤٦١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ولكن وقع في إسناده: بشير بن زاذان، ولذلك تعقبه الذهبي بقوله: «قلت: هذا منكر، وبشير ضعفه الدارقطني، واتهمه ابن الجوزي». وقال ابن حجر: قلت: بشير ضعفه الدارقطني لكن رويناه في الجزء الرابع من الأول حديث المخلص: عن ابن صاعد، عن أبي عمر الإمام، عن مخلد بن يزيد، ثنا بشير بن سلمان، أبو إسماعيل». إتحاف المهرة (١٠/ ٢٦٧). =

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَـزْدَادُ الأَمْـرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَا يَزْدَادُ النَّاسُ إِلَّا شُحًّا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ»(١).

الشح داء دويٌّ وخلق ذميم، وتفشيه في الناس علامة على بعدهم من ربهم، وشدة حرصهم على دنياهم، وهو نذير على أن الساعة قد أزفت، وأن الشر قد ازداد.

والبخل ثمرة الشح، قال ابن القيم رحمه الله: «والفرق بين الشح والبخل، أن الشح هو شدة الحرص على الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه، والبخل منع إنفاقه بعد حصوله، وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره، وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]»(٢).

وهذا فيه دلالة على أن الشح هلاك، وعلى أن من لا يتقيه لا يكون من المفلحين، وقد قال النبي ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هِيَ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالشُّحُّ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ

= ورواه القضاعي في مسند الشهاب، ح(٥٩٧)، وابن أبي عاصم في الزهد، ح(٢٧٩)، وتمام في فوائده، ح(١٠٨١)، كلهم من طريق بشير بن سلمان، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٥١٠) وقال: «وقال الحاكم: صحيح الإسناد. وهو كما قال، أو قريب منه فإن في مخلد بن يزيد كلامًا يسيرًا. لكن وقع عنده بشير بن زاذان، ولذلك تعقبه الذهبي بقوله: قلت: هذا منكر، وبشير ضعفه الدارقطني، واتهمه ابن الجوزي. قلت: وهذا غير بشير بن سلمان، هذا ضعيف، وذاك ثقة من رجال مسلم، وهو صاحب هذا الحديث كما وقع في المصادر المذكورة، فلا تغتر بتعقب الذهبي المذكور ولا بمتابعة المناوي له بقوله عقبه: فأنى له الصحة؟!».

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٩/ ٣٥٧) ح(٨٣٥) وقال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٨/ ١٤).

(٢) الوابل الصيب ص(٤٩).

إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»(١).

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اتَّقُوا الشُّحَّ فإن الشُّحَّ أَهْلَكَ من كان قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ على أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»(٢).

وفي رواية: «وَإِيَّاكُمْ والشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ، فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ، فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ، فَفَجَرُوا»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلَاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَالْيَقِينَ، وَيَهْلِك آخِرُهَا بِالْبُخْلِ وَالأَمَلِ»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ(٥)»(٦).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَةَ؟ قَالُوا: الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، وَلَكِنَّا نُبَخِّلُهُ. قَالَ: «أَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟! بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ»(٧).

---

(١) رواه النسائي، كتاب الوصايا، باب اجتناب أكل مال اليتيم، ح(٣٦٧١)، وصححه الألباني في تعليقه على سنن النسائي.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ح(٢٥٧٨).

(٣) رواه أحمد، ح(٦٤٨٧)، والطيالسي، ح(٢٣٨٦).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٧٦٥٠)، والبيهقي في الشعب، ح(١٠٣٥٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٣٤٢٧).

(٥) قال ابن مفلح: «أصل الهلع الجزع، والهالع هنا ذو الهلع، ومعناه أنه إذا استخرج منه الحق الواجب عليه هلع وجزع منه، والجبن الخالع هو الشديد الذي يخلع فؤاده من شدته». الآداب الشرعية (٣/ ٣٠٣).

(٦) رواه ابن أبي شيبة، ح(٢٧١٤١)، وأحمد، ح(٨٠١٠) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في الجرأة والجبن، ح(٢٥١١)، وابن حبان، ح(٣٢٥٠)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٥٦٠).

(٧) رواه ابن أبي شيبة، ح(١٠٣٥٨)، والبخاري في الأدب، ح(٢٩٦)، والحاكم (٤/ ٢٣٢) وقال: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧١٠٤).

فالشح خلق ذميم، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو داء دوي يقدح في المروءة»(١).

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد يَحْدُث عن البخل من الأخلاق المذمومة... أربعةُ أخلاق، ناهيك بها ذمًّا، وهي: الحرص، والشَّرَه، وسوءُ الظن، ومنعُ الحقوق،... وإذا آل البخيل إلى ما وصفنا من هذه الأخلاق المذمومة، والشيم اللئيمة، لم يبق معه خيرٌ مُرجى، ولا صلاح مأمول»، قال: «وآفة من بلي بالجمع والاستكثار، ومني بالإمساك والادخار، أن يستولي عليه حب المال وبُعد الأمل، فيبعثه حبُ المال على الحرص في طلبه، ويدعوه بُعد الأمل إلى الشح به، والحرص والشح أصل لكل ذم، وسبب لكل لومٍ، لأن الشح يمنع من أداء الحقوق، ويبعث على القطيعة والعقوق... وأما الحرص فيسلب فضائل النفس لاستيلائه عليها، ويمنع من التوفر على العبادة لتشاغله عنها، ويبعث على التورط في الشبهات لقلة تحرزه منها، وهذه الثلاث خصال وهي جامعات الرذائل، وسالبات الفضائل»(٢).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ: الْإِيمَانُ، وَالشُّحُّ»(٣).

فظهور الشح في الناس علامة فساد دينهم وضعف إيمانهم، وهو في ازدياد، فنسأل اللَّه تعالى أن يجنبنا مساوئ الأخلاق، ويقينا شر الأنفس، ويختم لنا بخير.

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٣١١).
(٢) أدب الدنيا والدين ص(٣٠٠ - ٣٥٦).
(٣) رواه أحمد ح(٨٤٧٩) وقال الأرناؤوط: «صحيح وهذا إسناد قوي»، والحاكم (٢/ ٣٨٩) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

المبحث الرابع عشر
رفع العلم وظهور الجهل

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا»(١).

وفي رواية: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»(٢).

وفي رواية: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ»(٣).

وعن شقيق قال: «كنت مع عبد الله وأبي موسى فقالا: قال النبي ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ وَيُلْقَى الشُّحُّ(٥) وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ» قالوا: وما الْهَرْجُ؟ قال: «الْقَتْلُ»(٦).

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ح(٨٠)، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح(٢٦٧١).

(٢) رواه البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ح(٨١).

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب يقل الرجال ويكثر النساء، ح(٥٢٣١).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، ح(٧٠٦٢).

(٥) قال النووي: «ويلقى الشح هو بإسكان اللام وتخفيف القاف أي يوضع في القلوب». شرح مسلم (١٦/ ٢٢١).

(٦) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، ح(٧٠٦١)، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح(٦٩٦٤)، واللفظ له.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا كله إخبار من النبي بأشراط الساعة، وقد رأينا هذه الأشراط عيانًا وأدركناها، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وألقي بالشح في القلوب، وعمَّت الفتن، وكثر القتل»(١).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ معقبًا: «الذي يظهر أن الذي شاهده كان منه الكثير مع وجود مقابله، والمراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر، وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم فلا يبقى إلا الجهل الصرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم لأنهم يكونون حينئذ مغمورين في أولئك، وكذا القول في باقي الصفات، والواقع أن الصفات المذكورة وجدت مباديها من عهد الصحابة ثم صارت تكثر في بعض الأماكن دون بعض، والذي يعقبه قيام الساعة استحكام ذلك كما قررته، وقد مضى من الوقت الذي قال فيه ابن بطال ما قال نحو ثلاثمائة وخمسين سنة والصفات المذكورة في ازدياد في جميع البلاد؛ لكن يقل بعضها في بعض ويكثر بعضها في بعض، وكلما مضت طبقة ظهر النقص الكثير في التي تليها»(٢).

وهذا في زماننا أظهر وأكثر.

وقد جاء الحديث بلفظ: «يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ»، «وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ»، «يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ»، «يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ»، وجاء تفسير ذلك في أحاديث أخر:

فعن عبد اللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(٣).

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٢). (٢) فتح الباري (١٣/ ١٦).
(٣) رواه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ح(١٠٠)، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح(٢٦٧٣).

وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ (أَعْطَاكُمُوهُ) انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ»(١).

وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْتَزِعُ الْعِلْمَ من الناس انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَرْفَعُ الْعِلْمَ مَعَهُمْ وَيَبْقَى فِي النَّاسِ رُءُوسًا جُهَّالًا يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة، ليس محوه من صدور حفَّاظه، ولكن معناه: أن يموت حملتهُ، ويتخذ الناس جُهالًا يحكمون بجهالاتهم، فيَضِلُّون ويُضِلُّون»(٣).

وقال القرطبي رحمه اللَّه: «وهو نص في أن رفع العلم لا يكون بمحوه من الصدور، بل: بموت العلماء، وبقاء الجهال الذين يتعاطون مناصب العلماء في الفتيا والتعليم، يفتون بالجهل، ويعلمونه، فينتشر الجهل ويظهر، وقد ظهر ذلك ووجد على نحو ما أخبر ﷺ فكان ذلك دليلًا من أدلة نبوته، وخصوصًا في هذه الأزمان، إذ قد ولي المدارس والفتيا كثير من الجهال والصبيان وحرمها أهل ذلك الشأن»(٤).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظاهر في أن العلم لا ينتزع من صدور العلماء بعد أن وهبهم اللَّه إياه»(٥).

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَقَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ»»، فسأله أعرابي فَقَالَ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام، باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، ح(٧٣٠٧).
(٢) رواه مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح(٢٦٧٣).
(٣) شرح مسلم (١٦/ ٢٢٣ - ٢٢٤).
(٤) المفهم (٦/ ٧٠٥).
(٥) البداية والنهاية (١٩/ ٤٣).

كَيْفَ يُرْفَعُ الْعِلْمُ مِنَّا وَبَيْنَ أَظْهُرِنَا الْمَصَاحِفُ وَقَدْ تَعَلَّمْنَا مَا فِيهَا، وَعَلَّمْنَا نِسَاءَنَا وَذَرَارِيَّنَا وَخَدَمَنَا؟ قَالَ: فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْسَهُ وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ حُمْرَةٌ مِنَ الْغَضَبِ، قَالَ: فَقَالَ: «أَيْ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَهَذِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى بَيْنَ أَظْهُرِهِمُ الْمَصَاحِفُ لَمْ يُصْبِحُوا يَتَعَلَّقُونَ بِحَرْفٍ مِمَّا جَاءَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ ذَهَابِ الْعِلْمِ أَنْ يَذْهَبَ حَمَلَتُهُ» ثَلَاثَ مِرَارٍ[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي حديث أبي أمامة من الفائدة الزائدة: أن بقاء الكتب بعد رفع العلم بموت العلماء لا يغني من ليس بعالم شيئًا»[٢].

هذا هو المعنى الأول لذهاب العلم وقبضه.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَدْرُسُ الإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا» فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ، ثَلَاثًا[٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا دال على أن العلم قد يرفع من صدور الرجال

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٢٢٩٠) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف». وقال ابن حجر: «ولهذه الزيادة شواهد من حديث عوف بن مالك وابن عمرو وصفوان بن عسال وغيرهم، وهي عند الترمذي والطبراني والدارمي والبزار بألفاظ مختلفة، وفي جميعها هذا المعنى». أي قبض العلم بقبض العلماء. فتح الباري (١٣/ ٢٨٦).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٢٨٦).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، ح(٤٠٤٩)، والحاكم (٥/ ٦٦٩) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وقال ابن حجر: «سند قوي». فتح الباري (١٣/ ١٦).

في آخر الزمان، حتى إن القرآن يسرى عليه فيرفع من المصاحف والصدور، ويبقى الناس بلا علم ولا قرآن»[١].

وعن شداد بن معقل أن عبد اللّه بن مسعود ﵁ قال: «لَيُنْتَزَعَنَّ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنَ أَظْهُرِكُم، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ، كَيْفَ يُنْتَزَعُ وَقَدْ أَثْبَتْنَاهُ فِي صُدُورِنَا وَأَثْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: يُسْرَى عَلَيْهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَا يَبْقَى فِي قَلْبِ عَبْدٍ مِنْهُ وَلَا مُصْحَفٍ مِنْهُ شَيءٌ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ فُقَرَاءَ كَالْبَهَائِمِ، ثُمَّ قَرَأَ عَبْدُاللَّهِ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ »[٢].

قال ابن تيمية ﵀: «يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف»[٣].

قال ابن كثير ﵀: «والمقصود: أن العلم يرفع في آخر الزمان، ويكثر الجهل في رواية، وفي رواية: وينزل الجهل. أي يلهم أهل ذلك الزمان الجهل، وذلك من قهر اللّه عليهم، وخذلانه إياهم، نعوذ باللّه من ذلك، ثم لا يزالون كذلك في تزايد من الجهالة والضلالة، إلى منتهى الآجال، كما في الحديث الأخير: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ على أَحَدٍ يقول اللّه اللّه»[٤]، «ولاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إلا على شِرَارِ الناس»[٥]»[٦].

قال القرطبي ﵀: «هذا إنما يكون بعد موت عيسى ﵇، لا عند خروج يأجوج ومأجوج، فإن عيسى ﵇ إنما ينزل مجدِّدًا لما درس من هذه الشريعة»[٧].

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٤٤).

(٢) رواه عبدالرزاق، ح(٥٩٨٠)، ومن طريقه الطبراني في الكبير، ح(٨٦٩٨)، وقال ابن حجر: «سنده صحيح لكنه موقوف». فتح الباري (١٣/ ١٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٨ - ١٩٩).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، ح(١٤٨).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب قرب الساعة، ح(٢٩٤٩).

(٦) البداية والنهاية (١٩/ ٤٥).

(٧) التذكرة (٣/ ١٢٦١).

وهذا أمر ظاهر، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إذا نَزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ» فقلت لابن أبي ذِئْبٍ: إِنَّ الْأَوْزَاعِيَّ حدثنا عن الزُّهْرِيِّ عن نَافِعٍ عن أبي هُرَيْرَةَ: «وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»، قال ابن أبي ذِئْبٍ: تَدْرِي ما أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟ قلت: تُخْبِرُنِي؟ قال: فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ[(١)].

فالرفع رفعان: رفع بقبض حملة العلم، ويعقبه زيادة الفتن، والثاني رفع للعلم ذاته برفع مادته من الأرض ومن الصدور، ويعقبه قيام الساعة، وهذا في آخر الزمان حين تخلو الأرض من الخير، فيرفع العلم ليبقى الشر وأهله، وعليهم تقوم الساعة.

ولعل هنا يظهر سر تنوع ألفاظ الحديث «يَقِلَّ الْعِلْمُ»، «وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ»، «ويُرْفَعَ الْعِلْمُ»، بحسب الأزمان واللَّه أعلم.

والمراد بالعلم هنا: علم الكتاب والسنة، وهو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السلام؛ فإن العلماء هم ورثةُ الأنبياء وبذهابهم يذهب العلم، وتموت السنن، وتظهر البدع، وأما علوم الدنيا فهي في ازدياد، والنبي ﷺ قد أخبر أنه كلما تقارب الزمان نقص العلم، فدل على أن علم الدنيا ليس مرادًا.

قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الخبر كالدليل على أن ما لم ينقص من العلم ليس بعلم الدين في الحقيقة، إذ أخبر المصطفى ﷺ أن العلم ينقص عند تقارب الزمان. وفيه دليل على أن ضد العلم يزيد، وكل شيء زاد مما لم يكن مرجعه إلى الكتاب والسنة فهو ضد العلم، ولست أعلم العلوم كلها إلا في الزيادة إلا هذا الجنس الواحد من العلم، وهو الذي لا يكون للإسلام قوام إلا به»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح(١٥٥).
(٢) كتاب المجروحين من المحدثين (١/ ٢٠).

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ وما لم يجئ عنهم فليس بعلم»(١).

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر مجموعة من العلماء وعلومهم: «وفي الجملة: وما أوتوا من العلم إلا قليلًا، وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل في أناس قليل ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل فحسبنا اللَّه ونعم الوكيل»(٢).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولقد كان أكثر اشتغال العلماء بالحديث في الأعصار الخاليات، حتى لقد كان يجتمع في مجلس الحديث من الطالبين ألوف متكاثرات، فتناقص ذلك وضعفت الهمم فلم يبق إلا آثار من آثارهم قليلات، واللَّه المستعان على هذه المصيبة وغيرها من البليات»(٣).

وأما علوم الدنيا فهي للدنيا ولذلك تزداد، والأجر فيها على قدر النية والحاجة إليها، ولا تسمى علمًا حقيقيًا، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦ - ٧] فنفى عنهم العلم مع إثباته لهم علم الدنيا.

وأعلم هذه الأمة صحابة رسول اللَّه ﷺ، ثم التابعون، ثم تابعوهم من أهل القرون الثلاثة الأُول المثْنى عليهم، ثم لا يزال العلم في نقصان كلما بَعُد الزمان من عهد النبوة، واستقبل الناس الساعة، حتى يأتي عليهم زمان لا يدرون من الدين شيئًا، ولا يعرفون مُحرمًا، قال أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قد أوشك العلم أن يذهب، ويظهر الجهل حتى يضرب الرجل أمه بالسيف من الجهل»(٤).

(١) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٥)، وتاريخ دمشق (٣٥/ ٢٠١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٠)، والبداية والنهاية (١٢/ ٤٤٩).
(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣١).
(٣) شرح مسلم (١/ ٤).
(٤) رواه عبدالرزاق، ح(١٥٩).

المبحث الخامس عشر
التماس العلم عند الأصاغر

عن أبي أمية الجمحي ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنَّ مِنْ أشراطِ السَّاعةِ أنْ يُلْتَمَسَ العلمُ عِنْدَ الأصاغِرِ»(١).

وقال ابن مسعود ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاهم من قبل أصاغرهم هلكوا»(٢).

والأصاغر هم أهل البدع أو من ليس للعلم أهلًا من المتطفلين على العلم

(١) رواه ابن المبارك في الزهد، ح(٥٢)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٦١) ح(٩٠٨)، واللالكائي في الاعتقاد، ح(١٠٢)، وأبونعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٨٢٩) ح(٦٦٨٣)، والداني في الفتن، ح(٤٣٥)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم، ح(١٠٥١، ١٠٥٢)، والهروي في ذم الكلام (٥/ ٧٥) ح(١٤١٠)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٥٥)، والمقدسي في العلم (٢/ ١٦) وقال: «إسناده حسن». وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف». مجمع الزوائد (١/ ١٣٥). ورمز إليه السيوطي بالضعف في الجامع الصغير، ونقل المناوي كلام الهيثمي مقرًّا له. انظر: فيض القدير (٢/ ٥٣٣). وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٦٩٥) وقال: «وهذا إسناد جيد لأن حديث ابن لهيعة صحيح إذا كان من رواية أحد العبادلة عنه وابن المبارك منهم. فما نقله المناوي عن الهيثمي أنه أعله بقوله: فيه ابن لهيعة ضعيف، ليس بجيد، ولذلك قال الحافظ المقدسي عقبه: «وإسناده حسن».

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد، ح(٧٦٤)، والطبراني في الكبير، ح(٨٥٩٨، ٨٥٩٠، ٨٥٩١، ٨٥٩٢)، وعبدالرزاق في المصنف، ح(٢٠٤٤٦، ٢٠٤٨٣)، واللالكائي في الاعتقاد، ح(١٠١)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم، ح(١٠٥٧، ١٠٥٨)، والهروي في ذم الكلام (٥/ ٧٧)، والبيهقي في المدخل (١/ ٢٤٦). وقال الهيثمي: «رجاله موثوقون». مجمع الزوائد (١/ ١٣٥). وقال الألباني: «وإسناده صحيح»، وقال: «وهو شاهد قوي - أي للحديث المتقدم - لأنه لا يقال بالرأي». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣١٠).

من أهل الجهل والسفل وحديثي السن.

قال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بلغني عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل البدع، ولا يذهب إلى السن، وهذا وجه، قال أبو عبيد: والذي أرى أنا في الأصاغر أن يؤخذ العلم عمن كان بعد أصحاب النبي ﷺ، ويقدَّم ذلك على رأي الصحابة وعلمهم، فهذا هو أخذ العلم من الأصاغر، قال أبو عبيد: ولا أُرى عبد اللَّه أراد إلا هذا»(١).

ولا يظهر كبير اختلاف بين قول ابن المبارك وما عقَّب به أبو عبيد، لأن تقديم علم من بعد الصحابة على علم الصحابة من مسالك أهل البدع، ومن تضييع العلم، وتقدم قريبًا قول الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ وما لم يجئ عنهم فليس بعلم»(٢).

وقد روى اللالكائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الحربي في معنى أثر ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «معناه أن الصغير إذا أخذ بقول رسول اللَّه والصحابة والتابعين فهو كبير، والشيخ الكبير إن أخذ بقول أبي حنيفة وترك السنن فهو صغير»(٣).

فكل من ابتعد في العلم عن علم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ضعف علمه وكثر خطؤه، وذلك أنهم شهدوا التنزيل، وعلموا التأويل، وقد جعل اللَّه تعالى اتباعهم سبيلًا لمرضاته(٤)، كما جعلهم رسوله ﷺ أمنة لأمته(٥).

---

(١) غريب الحديث (٤/ ٢٦٠ - ٢٦١). وانظر: ذم الكلام للهروي (٥/ ٧٦ - ٧٧)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٢/ ٨٥).

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٥)، وتاريخ دمشق (٣٥/ ٢٠١)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٢٠)، والبداية والنهاية (١٢/ ٤٤٩).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٨٥).

(٤) قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

(٥) قال ﷺ: «أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة، ح(٢٥٣١).

قال الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونعوذ باللَّه من خلاف أصحاب رسول اللَّه ﷺ، والخروج عن مذاهبهم، فإن ذلك كالاستكبار عن كتاب اللَّه، ومن استكبر عن كتاب اللَّه، وعن مذاهب أصحاب رسول اللَّه ﷺ وتابعيهم فيه، كان حريًّا أن يمنعه اللَّه فهمه»(١).

وقال ابن عبدالبر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد تقدم من تفسير ابن المبارك وأبي عبيد لمعنى الأصاغر في هذا الباب ما رأيت.

وقال بعض أهل العلم: إن الصغير المذكور إنما يراد به الذي يستفتى ولا علم عنده، وإن الكبير هو العالم في أي سن كان، وقالوا: الجاهل صغير وإن كان شيخًا، والعالم كبير وإن كان حدثًا. واستشهدوا بقول الأول:

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ
وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ صَغِيرٌ إذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ

واستشهدوا بأن عبد اللَّه بن عباس كان يستفتى وهو صغير، وأن معاذ بن جبل وعتاب بن أسيد كانا يفتيان الناس وهما صغيرا السن، وولاهما رسول اللَّه ﷺ الولايات مع صغر سنهما، ومثل هذا في العلماء كثير.

وقال آخرون: إنما معنى ذلك أن العلم إذا لم يكن عن الصحابة كما جاء في حديث ابن مسعود، ولا كان له أصل في القرآن والسنة والإجماع فهو علم يهلك به صاحبه، ولا يكون حامله إمامًا ولا أمينًا ولا مرضيًا، كما قال ابن مسعود، وإلى هذا نزع أبو عبيد رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد يحتمل حديث هذا الباب أن يكون أراد أن أحق الناس بالعلم والتفقه أهل الشرف والدين والجاه، فإن العلم إذا كان عندهم لم تأنف النفوس من الجلوس إليهم، وإذا كان عند غيرهم وجد الشيطان إلى احتقارهم السبيل، وأوقع

(١) شرح مشكل الآثار (٢/ ١٨٢).

في نفوسهم أثرة الرضا بالجهل أنفة من الاختلاف إلى من لا حسب له ولا دين، وجعل ذلك من أشراط الساعة وعلاماتها، ومن أسباب رفع العلم»[(١)].

وقال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى ذلك: «فقال ابن المبارك: هم أهل البدع، وهو موافق؛ لأن أهل البدع أصاغر في العلم، ولأجل ذلك صاروا أهل بدع.

وقال الباجي: يحتمل أن يكون الأصاغر من لا علم عنده. قال: وقد كان عمر يستشير الصغار، وكان القراء أهل مشاورته كهولًا وشبَّانًا. قال: ويحتمل أن يريد بالأصاغر من لا قدر له ولا حال، ولا يكون ذلك إلا بنبذ الدين والمروءة. فأما من التزمهما فلا بد أن يسمو أمره، ويعظم قدره.

وقال الفريابي: كان سفيان الثوري إذا رأى هؤلاء النبط يكتبون العلم تغير وجهه، فقلت: يا أبا عبد اللَّه! أراك إذا رأيت هؤلاء يكتبون العلم يشتد عليك. قال: كان العلم في العرب وفي سادات الناس، وإذا خرج عنهم وصار إلى هؤلاء النبط والسفلة غير الدين.

وهذه الآثار أيضًا إذا حملت على التأويل المتقدم اشتدت واستقامت، لأن ظواهرها مشكلة، ولعلك إذا استقريت أهل البدع من المتكلمين أو أكثرهم، وجدتهم من أبناء سبايا الأمم، ومن ليس له أصالة في اللسان العربي، فعما قريب يفهم كتاب اللَّه على غير وجهه، كما أن من لم يتفقه في مقاصد الشريعة فهمها على غير وجهها»[(٢)].

فتلخص مما مضى أن معنى الأصاغر عند العلماء: هم أهل البدع، وحدثاء الأسنان، ومن لا علم عندهم، ومن يأخذون علمهم من غير الكتاب والسنة والصحابة، والسفلة الذين سقطت مروءتهم، وجُهل أصلهم، ومن لا يفقهون

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣١٤ - ٣١٦) باختصار.

(٢) الاعتصام (٢/ ٢٨١ - ٢٨٢) باختصار.

العلم على وجهه لنقص آلتهم وضعف فهومهم.

وأما وجه ذم التماس العلم عند أصاغر السن، فقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى أثر ابن مسعود المتقدم: «قال ابن قتيبة: يريد لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ ولم يكن علماؤهم الأحداث، لأن الشيخ قد زالت عنه ميعة الشباب وحدته وعجلته وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة، فلا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطمع، ولا يستذله الشيطان استذلال الحدث، ومع السن الوقار والجلالة والهيبة، والحدث قد تدخل عليه هذه الأمور التي أمنت على الشيخ، فإذا دخلت عليه وأفتى، هلك وأهلك»(١).

فالعلم يؤخذ عن الأكابر، وقد قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «انظروا عمن تأخذون هذا العلم فإنما هو الدين»(٢).

والوصية الجامعة في هذا قول النبي ﷺ: «الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ»(٣)، والله تعالى أعلم.

---

(١) الفقيه والمتفقه (٢/ ١٥٦).

(٢) رواه الخطيب في الكفاية ص(١٢١)، وروي نحوه عن الضحاك بن مزاحم ومحمد بن سيرين.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، ح(٥٥٩)، وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، والطبراني في الأوسط، ح(٨٩٩١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٣٨) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية، ح(١١٨١٩)، والقضاعي في مسند الشهاب، ح(٣٦، ٣٧)، والبيهقي في الشعب، ح(١٠٤٩٣)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، ح(٣٥٢)، والخرائطي في مكارم الأخلاق، ح(٣٨٣)، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية (١/ ٤٣٥): «إسناده جيد»، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(١٧٧٨).

المبحث السادس عشر
كثرة الكتابة وانتشارها

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ذكر عن النبي ﷺ: «أَنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ»(١).

وعن عمرو بن تَغْلِبَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يَفِيضَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ، وَيَظْهَرَ الْقَلَمُ، وَتَفْشُوَ التِّجَارَةُ»(٢).

وفي رواية: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَكْثُرَ التُّجَّارُ وَيَظْهَرَ الْقَلَمُ»(٣).

قال ابن عبدالبر رحمه الله: «قوله: «وفشو القلم» فإنه أراد ظهور الكِتاب وكثرة الكُتّاب»(٤).

وقال ابن الأثير رحمه الله: «يعني أن يكثر الذين يكتبون، فإن الكتابة كانت قليلة في العرب»(٥).

وقد ظهر هذا الأمر في هذا الزمان ظهور باهرًا، وانتشرت آلات الطباعة

---

(١) رواه أحمد، ح(٣٨٧٠) قال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، والبخاري في الأدب المفرد، ح(١٠٤٩)، والحاكم (٥/ ١٣٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٦٤٧).

(٢) رواه أحمد (٣٩/ ٥١٩) ح(٧٨) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، والنسائي في الكبرى، ح(٦٠٤٥).

(٣) رواه الطيالسي في مسنده، ح(١٢٦٧).

(٤) التمهيد (١٧/ ٢٩٧).

(٥) أسد الغابة (٤/ ٢١٤).

والتصوير، وكثر الكُتاب، وتوفرت الكتب وتنوعت، ولكن قل القراء، وضعفت الهمم، وظهر الجهل، ونقص العلم، واللَّه المستعان.

وفي هذا الشرط دلالة على أنه ليس كل ما ذكر من أشراط الساعة يكون شرًّا، بل ذلك على الغالب والأكثر، وفيه ما هو خير كانتشار الأمن، واستفاضة المال واللَّه أعلم.

المبحث السابع عشر
ظهور الزنا وانتشاره

عن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَظْهَرَ الزِّنَا وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»(١).

وفي رواية: «إِنَّ من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَفْشُوَ الزِّنَا وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ وَتَبْقَى النِّسَاءُ حتى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ»(٢).

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بينَ يدَيِ السّاعةِ يظهرُ الرِّبا، والزِّنى، والخمرُ»(٣).

قال ابن حجر رحمه الله: « قوله: «وَيَظْهَرَ الزِّنَا» أي يشيع ويشتهر بحيث لا يتكاتم به لكثرة من يتعاطاه»(٤).

وقال رحمه الله: «وقال القرطبي في المفهم: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت، خصوصًا في هذه الأزمان»(٥).

قلت: قد مضى على وفاة القرطبي رحمه الله ثمان مائة وست وسبعون سنة، وقد

---

(١) رواه البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل، ح(٨١).

(٢) رواه مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح(٢٦٧١).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٧٦٩٥، ٨١٥٨)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٤/ ١١٨). وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٤١٥).

(٤) فتح الباري (١٢/ ١١٥). (٥) المصدر السابق (١/ ١٧٩).

رأى ما رأى، فكيف بزماننا هذا؟ لا شك أن الأمر أظهر وأفظع، ولا يخفى على أحد، ولا يزال يزداد، حتى يستحل الناس الأمر، ويتهارجون تهارج الحمر في الطرقات.

عن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ(١) الْحِرَ(٢) وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ- لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣).

وعن عبد اللَّه بن عمرو ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ

---

(١) قال ابن حجر: «وقوله: «يستحلون» قال ابن العربي: يحتمل أن يكون المعنى يعتقدون ذلك حلالاً، ويحتمل أن يكون ذلك مجازًا على الاسترسال أي يسترسلون في شربها كالاسترسال في الحلال، وقد سمعنا ورأينا من يفعل ذلك». فتح الباري (١٠/ ٥٥). وقال التويجري: «يعني أنهم يسترسلون في ركوب الفرج الحرام ولبس الحرير وشرب الخمر واستماع المعازف كما يسترسلون في الاستمتاع بالشيء الحلال. وكلا الأمرين واقع في زماننا: الاسترسال، واعتقاد الحل، ولا سيما في لبس الحرير وشرب بعض أنواع الخمر واستماع المعازف». إتحاف الجماعة (٢/ ١٥٧).

(٢) «الحر»: الفرج، والمعنى يستحلون الزنا. انظر: فتح الباري (١٠/ ٥٥).

(٣) رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، ح(٥٥٩٠). وهو حديث صحيح متصل، لا حجة قائمة لمن طعن فيه، قال ابن القيم: «ولم يصنع من قدح في صحة هذا الحديث شيئًا كابن حزم نصرة لمذهبه الباطل في إباحة الملاهي، وزعم أنه منقطع لأن البخاري لم يصل سنده به، وجواب هذا الوهم من وجوه: أحدها: أن البخاري قد لقي هشام بن عمار وسمع منه، فإذا قال: قال هشام فهو بمنزلة قوله عن هشام.

الثاني: أنه لو لم يسمع منه فهو لم يستجز الجزم به عنه إلا وقد صح عنه أنه حدث به، وهذا كثيرًا ما يكون لكثرة من رواه عنه عن ذلك الشيخ وشهرته، فالبخاري أبعد خلق اللَّه من التدليس.

الثالث: أنه أدخله في كتابه المسمى بالصحيح محتجًا به، فلولا صحته عنده لما فعل ذلك.

الرابع: أنه علقه بصيغة الجزم دون صيغة التمريض، فإنه إذا توقف في الحديث أو لم يكن على شرطه يقول: ويروى عن رسول اللَّه ﷺ ويذكر عنه ونحو ذلك: فإذا قال: قال رسول اللَّه ﷺ فقد جزم وقطع بإضافته إليه.

الخامس: أنا لو أضربنا عن هذا كله صفحًا فالحديث صحيح متصل عند غيره». إغاثة اللَّهفان ص(٢٥٨ - ٢٥٩). وانظر زيادة لذلك: تغليق التعليق (٥/ ١٧ - ٢٢) وفتح الباري (١٠/ ٥٢ - ٥٣) وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٩١).

حَتَّى يَتَسَافَدُوا فِي الطَّرِيقِ تَسَافُدَ الْحَمِيرِ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَاكَ لَكَائِنٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ لَيَكُونَنَّ»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَفْنَى هَذِهِ الأُمَّةُ حَتَّى يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ فَيَفْتَرِشَهَا فِي الطَّرِيقِ، فَيَكُونَ خِيَارُهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنْ يَقُولُ: لَوْ وَارَيْتَهَا وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ»(٢).

وعن النواس بن سمعان ﷺ - في حديث طويل - أن رسول الله ﷺ قال: «وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ(٣) فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(٤).

وهذا في آخر الأمر عند خلو الأرض من الإيمان وأهله.

وظهور هذه الفاحشة من أعظم أسباب ظهور الطواعين والأمراض المستعصية في الناس، وحلول العقوبات الإلهية عليهم.

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: «أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا...» الخ»(٥).

(١) رواه البزار، ح(٣٤٠٨)، وابن حبان، ح(٦٧٦٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، وأخرجه الهيثمي وقال: «رواه البزار والطبراني، ورجال البزار رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٧)، وقال ابن حجر: «أخرجه البزار والطبراني وصححه ابن حبان والحاكم». فتح الباري (١٣/ ٨٤)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٤٨١).

(٢) رواه أبو يعلى، ح(٦١٨٣)، وقال الهيثمي: «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٣٣١)، وقال البوصيري: «رواه مسدد موقوفًا، وأبو يعلى مرفوعًا ورواته ثقات». إتحاف الخيرة (٨/ ٩٢)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٨٩).

(٣) قال النووي: «أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك، والهرج بإسكان الراء الجماع». شرح مسلم (١٨/ ٧٠).

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح(٢٩٣٥).

(٥) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، ح(٤٠١٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(١٠٦).

وفي رواية: «وَلا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ، إِلا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ففي هذه الأحاديث أن الطاعون قد يقع عقوبة بسبب المعصية»(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ»(٣).

وعن ميمونة زوج النبي ﷺ قالت: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا، فَيُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِقَابٍ»(٤).

فالزنا من أعظم المفاسد في الأرض، وهو خراب الدنيا والدين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزنا يجمع خلال الشر كلها، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢] فأخبر سبحانه عن فحشه في نفسه، وهو القبيح الذي قد تناهى قبحه حتى استقر فحشه في العقول حتى عند كثير من الحيوان، كما ذكر البخاري في صحيحه(٥) عن عمرو بن ميمون الأودي قال: «رأيت في الجاهلية قردًا زنا بقردة، فاجتمع القرود عليها فرجموها حتى ماتت». ثم أخبر عن غايته بأنه ساء سبيلًا، فإنه سبيل هلكة وبوار وافتقار في الدنيا وعذاب وخزي ونكال في الآخرة»(٦).

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٤٦١) من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم». وقال ابن حجر: «سند جيد». فتح الباري (١٠/ ١٩٣).

(٢) فتح الباري (١٠/ ١٩٣).

(٣) رواه الطبراني في الكبير، ح(٤٦٢)، والبيهقي في الشعب، ح(٥١٤٣)، والحاكم (٢/ ٣٣٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٤) رواه أحمد، ح(٢٦٨٣٠)، قال ابن حجر: «وسنده حسن». فتح الباري (١٠/ ١٩٣).

(٥) كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية، ح(٣٨٤٩).

(٦) روضة المحبين، ص(٣٥٨)، والجواب الكافي، ص(١٥٠).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٣٢] شامل لجميع الطرق التي تقرب إلى الزنا، وفيه قطع للفساد من أصله، وسدٌّ لبابه من أوله، ولذلك نهى الإسلام عن النظر إلى غير المحارم، لأنه رائد الشهوة ورسولها، فأمر المؤمنين بغض الأبصار، وجعل زنا العين النظر، وحرم السماع الذي يثير الشهوة، ونهى عن المعازف كلها، كما نهى عن الخلوة بالأجنبية، والدخول على النساء، ونهى المرأة عن السفر بلا محرم، وعن التبرج والسفور، والتعطر والتبخر عند الخروج، والخضوع بالقول عند التخاطب، وأمرها بالقرار في البيوت، كما نهى عن المصافحة بين الأجانب، والاختلاط بغير المحارم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال: أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة.

فمن أعظم أسباب الموت العام: كثرة الزنا، بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، والمشي بينهم متبرجات متجملات، ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية - قبل الدين - لكانوا أشد شيء منعًا لذلك»[١].

وهذا حال كثير من المجتمعات في عصرنا.

وعلى كل فالزنا خطره عظيم، وظهوره دلالة على فساد الزمان، واقتراب الساعة، وهو في ازدياد، فنسأل اللّٰه اللطف والعافية.

---

(١) الطرق الحكمية (٢/ ٧٢٤).

المبحث الثامن عشر
كثرة شرب الخمر

عن أنس ﷺ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ وَيَكْثُرَ الزِّنَا وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ وَيَقِلَّ الرِّجَالُ وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»(١).

وفي رواية: «إِنَّ من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَفْشُوَ الزِّنَا وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ وَتَبْقَى النِّسَاءُ حتى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ»(٢).

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بينَ يدَيِ السّاعةِ يظهرُ الرِّبا، والزِّنى، والخمرُ»(٣).

قال ابن حجر ﷺ: «المراد كثرة ذلك واشتهاره»(٤).

وهذا في زماننا ظاهر في أغلب البلدان، ولا يزال في ازدياد حتى يستحله طوائف من الناس، ويسمونه بغير اسمه.

فعن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب يقل الرجال ويكثر النساء، ح(٥٢٣١).
(٢) رواه مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح(٢٦٧١).
(٣) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٧٦٩٥، ٨١٥٨)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٤/ ١١٨). وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٤١٥).
(٤) فتح الباري (١/ ١٧٨).

أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ(١) الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ- لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٢).

وعن عبادة بن الصامت ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ»(٣).

وفي رواية: «يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ»(٤).

وعن عبد الله بن مُحَيْرِيزٍ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»(٥).

وعن عائشة ﵂ قالت: سمعت رَسُولَ اللَّهِ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ ما يُكْفَأُ» قال زَيْدٌ: يَعْنِي الْإِسْلَامَ «كما يُكْفَأُ الْإِنَاءُ» يعني الْخَمْرِ، فَقِيلَ: كيف يا رَسُولَ اللَّهِ وقد بَيَّنَ اللَّه فيها ما بَيَّنَ؟ قال رسول اللَّهِ ﷺ: «يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا فَيَسْتَحِلُّونَهَا»(٦).

---

(١) قال ابن حجر: «وقوله: «يستحلون» قال ابن العربي: يحتمل أن يكون المعنى يعتقدون ذلك حلالاً، ويحتمل أن يكون ذلك مجازًا على الاسترسال أي يسترسلون في شربها كالاسترسال في الحلال، وقد سمعنا ورأينا من يفعل ذلك». فتح الباري (١٠/ ٥٥).

(٢) رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، ح(٥٥٩٠).

(٣) رواه أحمد، ح(٢٢٧٠٩) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح»، والبزار، ح(٢٧٢٠)، والشاشي، ح(١٢٩٦)، وقال ابن حجر: «وسنده جيد». فتح الباري (١٠/ ٥١).

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب الأشربة، باب الخمر يسمونها بغير اسمها، ح(٣٣٨٥)، وصححه الألباني في تعليقه.

(٥) رواه أحمد، ح(١٨٠٧٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين»، والطيالسي، ح(٥٨٧)، والنسائي، كتاب الأشربة، باب منزلة الخمر، ح(٥٦٧٤)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٤١٤).

(٦) رواه الدارمي، كتاب الأشربة، باب مما يكون الخمر، ح(٢٢٠٠)، قال ابن حجر: «وللدارمي بسند لين وأخرجه ابن أبي عاصم من وجه آخر عن عائشة». فتح الباري (١٠/ ٥٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٨٩).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا نص من رسول اللَّه ﷺ أن هؤلاء الذين استحلوا هذه المحارم كانوا متأولين فيها، حيث زعموا أن الشراب الذي شربوه ليس هو الخمر، وإنما له اسم آخر»(١).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا الحديث وعيد شديد على من يتحيل في تحليل ما يحرم بتغيير اسمه، وأن الحكم يدور مع العلة، والعلة في تحريم الخمر الإسكار، فمهما وجد الإسكار وجد التحريم ولو لم يستمر الاسم. قال ابن العربي: هو أصل في أن الأحكام إنما تتعلق بمعاني الأسماء لا بألقابها، ردًّا على من حمله على اللفظ»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما استحلال الخمر باسم آخر فكما استحل من استحل المسكر من غير عصير العنب وقال: لا أسميه خمرًا وإنما هو نبيذ، وكما يستحلها طائفة من المجان إذا مزجت ويقولون: خرجت عن اسم الخمر، كما يخرج الماء بمخالطة غيره له عن اسم الماء المطلق، وكما يستحلها من يستحلها إذا اتخذت عقيدًا ويقول: هذه عقيد لا خمر، ومعلوم أن التحريم تابع للحقيقة والمفسدة لا للاسم والصورة، فإن إيقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر اللَّه وعن الصلاة لا تزول بتبديل الأسماء والصور عن ذلك، وهل هذا إلا من سوء الفهم وعدم الفقه عن اللَّه ورسوله؟»(٣).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما أتي هؤلاء من حيث استحلوا المحرمات بما ظنوه من انتفاء الاسم، ولم يلتفتوا إلى وجود المعنى المحرم وثبوته، وهذا بعينه هو شبهة اليهود في استحلال بيع الشحم بعد جمله، واستحلال أخذ الحيتان يوم الأحد بما أوقعوها به يوم السبت في الحفائر والشباك من فعلهم يوم الجمعة وقالوا: ليس هذا صيد يوم السبت ولا استباحة لنفس الشحم، بل الذي يستحل الشراب

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٦).
(٢) فتح الباري (١٠/ ٥٦).
(٣) إعلام الموقعين (٣/ ٩٤ - ٩٥).

المسكر زاعمًا أنه ليس خمرًا مع علمه أن معناه معنى الخمر ومقصوده مقصوده وعمله عمله أفسد تأويلًا، فإن الخمر اسم لكل شراب مسكر كما دلت عليه النصوص الصحيحة الصريحة.

فهؤلاء إنما شربوا الخمر استحلالًا لما ظنوا أن المحرم مجرد ما وقع عليه اللفظ، وأن ذلك اللفظ لا يتناول ما استحلوه، وكذلك شبهتهم في استحلال الحرير والمعازف»(١).

والحال في زماننا أسوأ، والأسماء أكثر، حتى إن الخمر ليتوافر في بعض بلاد الإسلام كما يتوافر الماء، ويشرب علانية بلا نكير، مع ما جاء فيه من وعيد شديد، وزواجر وتهديد.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ في الدُّنْيَا فَمَاتَ وهو يُدْمِنُهَا لم يَتُبْ، لم يَشْرَبْهَا في الْآخِرَةِ»(٢).

وعن جابر رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ من جَيْشَانَ وَجَيْشَانُ من الْيَمَنِ فَسَأَلَ النبي ﷺ عن شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ من الذُّرَةِ يُقَالُ له الْمِزْرُ؟ فقال النبي ﷺ: «أَوَ مُسْكِرٌ هو؟» قال: نعم. قال رسول اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ على اللَّهِ عز وجل عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ من طِينَةِ الْخَبَالِ». قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ وما طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قال: «عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أو عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ

(١) إغاثة اللهفان ص(٣٥٠ - ٣٥١).
(٢) رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، ح(٢٠٠٣).
(٣) المصدر السابق، ح(٢٠٠٢).

السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[(١)].

وعن عبد اللَّه بن عمرو ﵄ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ وَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ مَاتَ وَهِيَ فِي بَطْنِهِ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً»[(٢)].

ومع هذا الوعيد الشديد يزداد الأمر انتشارًا وفشوًّا، مما ينذر بليل بلاء قد ادلهم ظلامه، وسيل عذاب قد انعقد غمامه، لاسيما وقد صاحبه في الانتشار في زماننا المخدرات بأنواعها، وسرت في الناس سريان النار في الهشيم، وتعاطاها الصغير والكبير، فأسكرت أضعاف سكر الخمر، ودمرت العقول، وهدمت الإيمان، وشتّتت الأسر، وقطعت الأرحام، وأتلفت الأموال، في مفاسد لا تعد ولا تحصى، تنبئ بانسلاخ أهلها من الفضائل والأخلاق، وقد أجمع العلماء على حرمتها، وحذروا من سبيل أهلها.

قال ابن حجر الهيتمي ﵀: «وحكى القرافي وابن تيمية الإجماع على تحريم الحشيشة، قال: ومن استحلها فقد كفر»[(٣)].

وقال الذهبي ﵀: «والحشيشة المصنوعة من ورق القُنَّب[(٤)] حرام بالإجماع يحد شاربها كما يحد شارب الخمر»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأشربة، باب قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾، ح(٥٥٧٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، ح(٥٧).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٣٦٦٧)، والدارقطني من طريقين، ح(٤٠٤١ - ٤٠٤٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(١٨٥٤)، وشعيب الأرناؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان (١٢/ ١٧٠).

(٣) الزواجر (١/ ٤١٧).

(٤) «بكسر القاف أو ضمها وفتح النون مشددة، نبات حولي زراعي ليفي من الفصيلة القنبية، تفتل لحاؤه حبالًا، والقنب الهندي نوع من القنب، يستخرج منه المخدر الضار المعروف بالحشيش والحشيشة».
انظر: لسان العرب (٥/ ٣٧٤٧)، والمعجم الوسيط (٢/ ٣٤٩).

(٥) الكبائر ص(٨٦).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحشيشة الصلبة حرام، سواء سكر منها أو لم يسكر، والسكر منها حرام باتفاق المسلمين»(٢).

وقال ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا ثبت أن هذه كلها مسكرة أو مخدرة، فاستعمالها كبيرة وفسق كالخمر، فكل ما جاء في وعيد شاربها يأتي في مستعمل شيء من هذه المذكورات لاشتراكهما في إزالة العقل المقصود للشارع بقاؤه»(٣).

وظهور هذه الأمور في الناس شارة على بعدهم عن دينهم، ومدى نجاح أعدائهم في غزوهم، والأمر للَّه من قبل ومن بعد.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٣٩).
(٢) الفتاوى الكبرى (٣/ ٤٢٢).
(٣) الزواجر (١/ ٤١٧).

المبحث التاسع عشر
ظهور المعازف واستحلالها

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ[(١)] الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ[(٢)] وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ[(٣)] يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ[(٤)]، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الْفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ[(٥)] وَيَضَعُ الْعَلَمَ[(٦)] وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(٧)].

---

(١) قال ابن تيمية: «المستحل للشيء هو الذي يأخذه معتقدًا حله، فيشبه أن يكون استحلالهم المعازف باعتقادهم أن آلات اللَّهو مجرد سماع صوت فيه لذة وهذا لا يحرم كألحان الطيور، واستحلال الحرير وسائر أنواعه باعتقادهم أنه حلال للمقاتلة، وقد سمعوا أنه يباح لبسه عند القتال عند كثير من العلماء، فقاسوا سائر أحوالهم على تلك». الفتاوى الكبرى (٦/ ٢٩) باختصار.

(٢) قال ابن القيم: «المعازف هي آلات اللَّهو كلها لا خلاف بين أهل اللغة في ذلك». إغاثة اللَّهفان (١/ ٢٦٠)، وقال ابن حجر: «(والمعازف) بالعين المهملة والزاي بعدها فاء جمع معزفة بفتح الزاي وهي آلات الملاهي، وفي حواشي الدمياطي: المعازف الدفوف وغيرها مما يضرب به، ويطلق على الغناء عزف، وعلى كل لعب عزف». فتح الباري (١٠/ ٥١).

(٣) قال ابن حجر: «(عَلَم) بفتحتين والجمع أعلام وهو الجبل العالي». فتح الباري (١٠/ ٥٥).

(٤) أي يرجع الراعي إليهم عشاء بماشيتهم. انظر: فتح الباري (١٠/ ٥٥).

(٥) أي يهلكهم ليلاً. فتح الباري (١٠/ ٥٦). (٦) أي يوقعه عليهم. المصدر السابق. (١٠/ ٥٦).

(٧) رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، ح(٥٥٩٠). قال ابن القيم: «ولم يصنع من قدح في صحة هذا الحديث شيئًا كابن حزم نصرة لمذهبه الباطل في إباحة الملاهي وزعم أنه منقطع لأن البخاري لم يصل سنده به، وقال: وهذا القدح باطل من وجوه:

أحدها: أن البخاري قد لقي هشام بن عمار وسمع منه فإذا روى عنه معنعنًا حمل على الاتصال اتفاقًا لحصول المعاصرة والسماع، فإذا قال: قال هشام، لم يكن فرق بينه وبين قوله: عن هشام أصلًا. =

وهذا دليل واضح على تحريم المعازف، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولو كانت حلالًا لما ذمهم على استحلالها ولما قرن استحلالها باستحلال الخمر»(١).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «النبي ﷺ ذكر الذين يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف على وجه الذم لهم وأن اللَّه معاقبهم، فدل هذا الحديث على تحريم المعازف، والمعازف هي آلات اللَّهو عند أهل اللغة وهذا اسم يتناول هذه الآلات كلها»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإذا كان هؤلاء، إنما شربوا الخمر استحلالًا لما ظنوا أن المحرم مجرد ما وقع عليه اللفظ وظنوا أن لفظ الخمر لا يقع على غير

= الثاني: أن الثقات الأثبات قد رووه عن هشام موصولًا، قال الإسماعيلي في صحيحه: أخبرني الحسن حدثنا هشام بن عمار بإسناده ومتنه، والحسن هو ابن سفيان.

الثالث: أنه قد صح من غير حديث هشام قال الإسماعيلي في الصحيح: حدثنا الحسن حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم حدثنا بشر حدثنا ابن جابر عن عطية بن قيس قال: قام ربيعة الجرشي في الناس فذكر حديثًا فيه طول، قال: فإذا عبدالرحمن بن غنم فقال: يمينًا حلفت عليها، حدثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري، واللَّه يمينًا أخرى حدثني أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: فذكر الحديث، ورواه عثمان بن أبي شيبة حدثنا زيد بن الحباب قال: أخبرني معاوية بن صالح حدثني حاتم بن حريث عن مالك بن أبي مريم قال: تذاكرنا الطلاق فدخل علينا عبدالرحمن بن غنم فقال: حدثني أبو مالك الأشعري أنه سمع رسول اللَّه ﷺ فذكر الحديث بلفظه.

الرابع: أن البخاري لو لم يلق هشامًا ولم يسمع منه فإدخاله هذا الحديث في صحيحه وجزمه به يدل على أنه ثابت عنده عن هشام، فلم يذكر الواسطة بينه وبينه إما لشهرتهم، وإما لكثرتهم، فهو معروف مشهور عن هشام تغني شهرته به عن ذكر الواسطة.

الخامس: أن البخاري له عادة صحيحة في تعليقه وهي حرصه على إضافته الحديث إلى من عقله عنه إذا كان صحيحًا عنده، فيقول وقال فلان: وقال رسول اللَّه ﷺ، وإن كان فيه علة، قال: ويذكر عن فلان أو ويذكر عن رسول اللَّه ﷺ، ومن استقرأ كتابه علم ذلك، وهنا قد جزم بإضافة الحديث إلى هشام، فهو صحيح عنده.

السادس: أنه قد ذكره محتجًا به مدخلًا له في كتابه الصحيح أصلًا لا استشهادًا، فالحديث صحيح بلا ريب». حاشية الترمذي (١٠/ ١٥٣ - ١٥٥) وإغاثة اللَّهفان ص(٢٥٨ - ٢٥٩). وانظر: تغليق التعليق (٥/ ١٧ - ٢٢) وفتح الباري (١٠/ ٥٢ - ٥٣) وسلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٩١).

(١) إغاثة اللَّهفان (١/ ٢٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٣٥).

عصير العنب النيِّئ، فمعلوم أن شبهتهم في استحلال الحرير والمعازف أظهر، فإنه قد أبيح الحرير للنساء مطلقًا وللرجال في بعض الأحوال، وكذلك الغناء والدف قد أبيح للنساء في العرس ونحوه، وقد أبيح منه الحداء وغيره، وليس في هذا النوع من دلائل التحريم ما في الخمر، فظهر بهذا أن القوم الذين يخسف بهم ويمسخون إنما يفعل ذلك بهم من جهة التأويل الفاسد الذي استحلوا به المحارم بطريق الحيلة فأعرضوا عن مقصود الشارع وحكمته في تحريم هذه الأشياء، ولذلك مسخوا قردة وخنازير، كما مسخ أصحاب السبت بما تأولوا من التأويل الفاسد الذي استحلوا به المحارم، وخسف ببعضهم، كما خسف بقارون، لأن في الخمر والحرير والمعازف من الكبر والخيلاء ما في الزينة التي خرج فيها قارون على قومه، فلما مسخوا دين اللَّه مسخهم اللَّه، ولما تكبروا عن الحق أذلهم اللَّه، وقد جاء ذكر المسخ والخسف عند هذه الأمور في عدة أحاديث»[(١)].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْزَفُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ، وَالْمُغَنِّيَاتِ، يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ»[(٢)].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ[(٣)]

---

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٠ - ٤١).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، ح(٤٠٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان، ح(٥٢٢٧)، وقال ابن تيمية: «وإسناد ابن ماجه إلى معاوية بن صالح صحيح، وسائر إسناده حسن». الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٧). وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١٣٦).

(٣) قال ابن منظور: «الخسف سُؤُوخُ الأَرض بما عليها، وخَسَفَ اللَّه به الأَرضَ خَسْفًا أي غابَ به فيها». لسان العرب (٢/ ١١٥٧).

وَمَسْخٌ[(١)] وَقَذْفٌ[(٢)]»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَتِ القَيْنَاتُ[(٣)] وَالمَعَازِفُ وَشُرِبَتِ الخُمُورُ»[(٤)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة وهو مقيد في أكثر الأحاديث بأصحاب الغناء وشاربي الخمر وفي بعضها مطلق»[(٥)].

وهذه العقوبة تدل على غلظ حرمة هذه الأمور، وعظم ضررها.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الغناء رقية الزنا وهو من أعظم الأسباب لوقوع الفواحش، ويكون الرجل والصبي والمرأة في غاية العفة والحرية حتى يحضره فتنحل نفسه وتسهل عليه الفاحشة ويميل لها فاعلًا مفعولًا به أو كلاهما كما يحصل بين شاربي الخمر وأكثر»[(٦)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والغناء أشد لهوًا وأعظم ضررًا من أحاديث الملوك وأخبارهم؛ فإنه رقية الزنا ومنبت النفاق وشرك الشيطان وخمرة العقل، وصده عن القرآن أعظم من صد غيره من الكلام الباطل؛ لشدة ميل النفوس إليه ورغبتها فيه،

---

(١) قال ابن القيم: «المسخ على صورة القردة والخنازير واقع في هذه الأمة ولابد، وهو في طائفتين: علماء السوء الكاذبين على اللَّه ورسوله الذين قلبوا دين اللَّه تعالى وشرعه فقلب اللَّه تعالى صورهم كما قلبوا دينه، والمجاهرين المتهتكين بالفسق والمحارم، ومن لم يمسخ منهم في الدنيا مسخ في قبره أو يوم القيامة». إغاثة اللَّهفان (١/ ٣٤٥).

(٢) أي رمي بالحجارة من السماء. انظر: تحفة الأحوذي (٦/ ٤١٨)، وفيض القدير (٤/ ٥٩٦).

(٣) قال ابن حجر: ««القينات» جمع قينة بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها نون هي المغنية، وتطلق أيضًا على الأمة مطلقًا». فتح الباري (٧/ ٢٥٨).

(٤) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، ح(٢٢١٢) وقال: «وقد روي هذا الحديث، عن الأعمش، عن عبدالرحمن بن سابط، عن النبي ﷺ مرسلًا. وهذا حديث غريب». والروياني في مسنده، ح(١٤٢)، وقال المنذري في الترغيب: «رواه الترمذي من رواية عبد اللَّه بن عبدالقدوس وقد وثق وقال: حديث غريب، وقد روي عن الأعمش عن عبدالرحمن بن سابط مرسلًا». وقال الألباني: «حسن لغيره». صحيح الترغيب (٢/ ٦٠٥) ح(٢٣٧٩).

(٥) إغاثة اللَّهفان (١/ ٢٥٨). (٦) مجموع الرسائل والمسائل (٥/ ١٠٢).

فإن الآيات تضمنت ذم استبدال لهو الحديث بالقرآن ليضل عن سبيل اللَّه بغير علم ويتخذها هزوًا، وإذا يتلى عليه القرآن ولى مدبرًا كأن لم يسمعه كأن في أذنيه وقرًا، هو الثقل والصمم، وإذا علم منه شيئًا استهزأ به، فمجموع هذا لا يقع إلا من أعظم الناس كفرًا وإن وقع بعضه للمغنين ومستمعيهم فلهم حصة ونصيب من هذا الذم»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعلوم عند الخاصة والعامة: أن فتنة سماع الغناء والمعازف أعظم من فتنة النوح بكثير، والذي شاهدناه نحن وغيرنا وعرفناه بالتجارب: أنه ما ظهرت المعازف وآلات اللَّهو في قوم وفشت فيهم واشتغلوا بها إلا سلط اللَّه عليهم العدو وبلوا بالقحط والجدب وولاة السوء، والعاقل يتأمل أحوال العالم وينظر واللَّه المستعان»(٢).

ولذلك لعنه ﷺ واتفق العلماء على تحريمه، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: مِزْمَارٌ عِنْدَ نِعْمَةٍ، وَرَنَّةٌ عِنْدَ مُصِيبَةٍ»(٣).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير قول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [لقمان: ٦]: «وهذا دليل على أن الغناء محظور، قال الطبري: فقد أجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه. وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد وعبيد اللَّه العنبري، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ»(٤). و«مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ مَاتَ

---

(١) إغاثة اللَّهفان (١/ ٢٥٨ - ٢٥٩). (٢) مدارج السالكين (١/ ٥٠٠).

(٣) رواه البزار، ح(٧٥١٣)، والضياء في الأحاديث المختارة، ح(٢٢٠٠)، وقال المنذري: «ورواته ثقات». صحيح الترغيب، ح(٣٥٢٧)، وقال الهيثمي: «رواه البزار ورجاله ثقات». مجمع الزوائد (٣/ ١٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٤٢٧).

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب السواد الأعظم، ح(٣٩٥٠)، وقال الكناني: «هذا إسناد ضعيف لضعف أبي خلف الأعمى». مصباح الزجاجة (٢/ ٢٧٢)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ح(٢٨٩٦).

مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً»(١). قال أبو الفرج: وقال القفال من أصحابنا: لا تقبل شهادة المغني والرقاص. قلت: وإذ قد ثبت أن هذا الأمر لا يجوز فأخذ الأجرة عليه لا تجوز. وقد ادعى أبو عمر بن عبدالبر الإجماع على تحريم الأجرة على ذلك»(٢).

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذهب الأئمة الأربعة: أن آلات اللَّهو كلها حرام، فقد ثبت في صحيح البخاري وغيره أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون من أمته من يستحل الحر والحرير والخمر والمعازف، وذكر أنهم يمسخون قردة وخنازير، و(المعازف) هي الملاهي كما ذكر ذلك أهل اللغة، جمع معزفة وهي الآلة التي يعزف بها: أي يصوت بها، ولم يذكر أحد من أتباع الأئمة في آلات اللَّهو نزاعًا، إلا أن بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي ذكر في اليراع وجهين بخلاف الأوتار ونحوها؛ فإنهم لم يذكروا فيها نزاعًا. وأما العراقيون الذين هم أعلم بمذهبه وأتبع له فلم يذكروا نزاعًا لا في هذا ولا في هذا، بل صنف أفضلهم في وقته أبو الطيب الطبري شيخ أبي إسحاق الشيرازي في ذلك مصنفًا معروفًا، ولكن تكلموا في الغناء المجرد عن آلات اللَّهو: هل هو حرام؟ أو مكروه؟ أو مباح؟ وذكر أصحاب أحمد لهم في ذلك ثلاثة أقوال، وذكروا عن الشافعي قولين، ولم يذكروا عن أبي حنيفة ومالك في ذلك نزاعًا، وذكر زكريا بن يحيى الساجي وهو أحد الأئمة المتقدمين المائلين إلى مذهب الشافعي، أنه لم يخالف في ذلك من الفقهاء المتقدمين إلا إبراهيم بن سعد من أهل البصرة، وما ذكره أبو عبدالرحمن السلمي وأبو القاسم القشيري وغيرهما: عن مالك وأهل المدينة في

---

(١) هذا اللفظ رواه عبدالرزاق، ح(٣٧٧٩)، وأحمد، ح(١٥٦٨١) مطولاً، وهو عند البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «سترون بعدي أمورًا تنكرونها»، ح(٧٠٥٤) بلفظ: «فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». ورواه مسلم، كتاب الفتن، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، ح(١٨٤٩) ولفظه: «فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ».

(٢) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ٥٦).

ذلك فغلط، وإنما وقعت الشبهة فيه لأن بعض أهل المدينة كان يحضر السماع، إلا أن هذا ليس قول أئمتهم وفقهائهم، بل قال إسحاق بن عيسى الطباع: سألت مالكًا عما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء؟ فقال: إنما يفعله عندنا الفساق، وهذا معروف في كتاب أصحاب مالك وهم أعلم بمذهبه ومذهب أهل المدينة من طائفة في المشرق لا علم لها بمذهب الفقهاء، ومن ذكر عن مالك أنه ضرب بعود فقد افترى عليه»[(١)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأئمة الأربعة متفقون على تحريم المعازف التي هي آلات اللَّهو كالعود ونحوه، ولو أتلفها متلف عندهم لم يضمن صورة التالف»[(٢)].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد صحت الأخبار عن النبي ﷺ بذم من يستمع القينات في آخر الزمان، وهو إشارة إلى تحريم سماع آلات الملاهي المأخوذة عن الأعاجم»[(٣)].

وأقوال أهل العلم في هذا الباب كثيرة جدًّا، وما ذكر غيض من فيض، ولكن ومع اتفاق الأئمة، وعظم ضرر آلات الملاهي على الدين والدنيا، فقد فتن بها أهل الإسلام أيما فتنة، فشاعت وذاعت، حتى غدت من مسلمات الحياة عند كثير من الناس، وتربى عليها الصغير، وهرم عليها الكبير، وتعاطاها الغني والفقير، والوضيع والكبير، فغذوا بها أرواحهم، وقضوا فيها أوقاتهم، وسمع هديرها في كل مكان، وجلب لها القينات بأغلى الأثمان، حتى صار إنكارها مما يدهش الأسماع، ويوجب الإنكار، وهذا إن دل فإنما يدل على أنها قد أسكرت العقول، وأمرضت القلوب، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعازف هي خمر النفوس، تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل حميا الكؤوس، فإذا سكروا بالأصوات حل فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش وإلى الظلم»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٧٦ - ٥٧٧).
(٢) منهاج السنة (٥/ ١٠٢).
(٣) فتح الباري لابن رجب (٦/ ٧٩).
(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤١٧).

ولا يغتر مغتر بمتلبس أفتى بالجواز، وتوسع بالشبه، وعارض الصريح من الأدلة، وخالف العدول من الأئمة، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتوسع حزب الشيطان في ذلك إلى صوت امرأة جميلة أجنبية، أو صبي أمرد صوته فتنة وصورته فتنة، يغني بما يدعو إلى الزنا والفجور وشرب الخمور، مع آلات اللَّهو التي حرمها رسول اللَّه ﷺ في عدة أحاديث، مع التصفيق والرقص وتلك الهيئة المنكرة التي لا يستحلها أحد من أهل الأديان، فضلًا عن أهل العلم والإيمان، ويحتجون بغناء جويريتين غير مكلفتين بنشيد الأعراب ونحوه في الشجاعة ونحوها في يوم عيد بغير شبابة ولا دف ولا رقص ولا تصفيق، ويدعون المحكم الصريح لهذا المتشابه، وهذا شأن كل مبطل.

نعم نحن لا نحرم ولا نكره مثل ما كان في بيت رسول اللَّه ﷺ على ذلك الوجه، وإنما نحرم نحن وسائر أهل العلم والإيمان السماع المخالف لذلك وباللَّه التوفيق»(١).

وقد قال ابن الأثير الأديب رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا تكن ممن تبع الرأي والنظر، وترك الآية والخبر، فحكمة اللَّه مطوية فيما يأمر به على ألسنة رسله، وليست مما يستنبطه ذو العلم بعلمه، ولا يستدل عليه ذو العقل بعقله، ولو كان من عند غير اللَّه لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا»(٢).

فالأمر خطير، والتساهل كبير، والمسلمون من نكبة إلى أخرى، وأكثرهم لا يتوبون ولا هم يذَّكرون، واللَّه المستعان وعليه التكلان.

---

(١) إغاثة اللَّهفان (١/ ٢٥٧).

(٢) نقلاً عن الحاوي للفتاوي للسيوطي (١/ ٤٠١).

المبحث العشرون
ظهور الكاسيات العاريات

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا[(١)]: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ[(٢)] لاَ يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[(٣)].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُوجٍ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِنّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ، الْعَنُوهُنَّ، فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَتْ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لَخَدَمْنَ نِسَاؤُكُمْ نِسَاءَهُمْ، كَمَا يَخْدِمْنكُمْ نِسَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ»[(٤)].

---

(١) قال القرطبي: «أي: لم يوجد في عصره منهما أحدٌ، لطهارة أهل ذلك العصر الكريم، ويتضمن ذلك: أن ذينك الصنفين سيوجدان، وكذلك كان». المفهم (٥/ ٤٤٩).

(٢) قال القرطبي: «أسنمة: جمع سنام، وسنام كل شيء: أعلاه. والبخت: جمع بختية، وهي ضرب من الإبل عظام الأجسام، عظام الأسنمة، شبَّه رؤوسهن بها لما رفعن من ضفائر شعورهن أعلى أوساط رؤوسهن تزينًا وتصنعًا، وقد يفعلن ذلك بما يكثرن به شعورهن». المفهم (٥/ ٤٥٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات، ح(٢١٢٨).

(٤) رواه أحمد، ح(٧٠٨٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف»، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٢/ ٣٦)، ورواه ابن حبان، ح(٥٧٥٣)، والحاكم (٥/ ٦٢٢) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي بقوله: «عبد الله وإن كان قد احتج به مسلم فقد ضعفه أبو داود والنسائي، وقال أبو حاتم: هو قريب من ابن لهيعة». وقال الهيثمي: «رواه أحمد، والطبراني في الثلاثة، ورجال أحمد رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٥/ ١٣٧). وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٢٦٨٣).

وفي رواية: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِه الْأُمَّةِ رِجَالٌ يرَكَبونَ عَلَى المياثِرِ[(١)] حَتَّى يَأْتُوا أَبوابَ مَسَاجِدِهِم، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ،...» الحديث[(٢)].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالشُّحُّ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَتَظْهَرَ ثِيَابٌ يَلْبَسُهَا نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ»[(٣)].

هذه الأحاديث من معجزات رسول اللَّه ﷺ ودلائل نبوته، ولعله لم يسبق أن انتشرت هذه الأمور كما انتشرت في زماننا هذا، وعلى النعت الذي وصفه رسول اللَّه ﷺ، وإن كان الأمر قد بدأ من زمان بعيد، قال ابن كثير ﵀: «وقد عمَّ البلاء بهن في زماننا هذا، ومن قبله أيضًا، وهذا من أكبر دلالات النبوة، إذ وقع الأمر في الخارج طبق ما أخبر به ﵇»[(٤)].

وقال النووي ﵀: «هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان وفيه ذم هذين الصنفين»[(٥)].

وقال ابن تيمية ﵀: «وهؤلاء ظهروا بعده بمدة طويلة، وظهر النسوة بعد ذلك بسنين كثيرة، وعلى رءوسهن عمائم كأسنمة الجمال البخاتي، يسمون

---

(١) قال ابن الأثير: «الميثرة بالكسر مفعلة من الوثارة يقال: وثر وثارة فهو وثير أي وطيء لين، وأصلها موثرة فقلبت الواو ياء لكسرة الميم، وهي من مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج ويتخذ كالفراش الصغير ويحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب تحته على الرحال فوق الجمال، ومنه حديث ابن عباس قال لعمر: (لو اتخذت فراشًا أوثر منه) أي أوطأ وألين». النهاية (٥/ ١٤٩ - ١٥٠).

(٢) رواه الحاكم (٥/ ٦٢٢) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٤١٢).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٧٤٨)، والطحاوي في المشكل، ح(٣٩٣٣)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح غير محمد بن الحارث بن سفيان وهو ثقة». مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٧). وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٣٢١١).

(٤) البداية والنهاية (٩/ ٣٠١).

(٥) شرح مسلم (١٤/ ١١٠).

العمامة سنام الجمل»[١].

وقد اشتملت هذه الأحاديث على صفات عدة:

الأولى: قوله ﷺ: «قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ».

قال النووي رحمه الله: «فأما أصحاب السياط فهم غلمان والي الشرطة»[٢].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «الإشارة بأصحاب السياط يشبه أن يكون للظلمة من أصحاب الشرط»[٣].

وفي هذا دلالة على ازدياد الظلم وجور السلطان في آخر الزمان، وقد أخبر النبي ﷺ عن كثرة الشرط وظلمهم للناس في آخر الزمان.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ»، أَوْ قَالَ: «يَخْرُجُ رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فِي آخِرِ الزَّمَانِ مَعَهُمْ أَسْيَاطٌ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ الْبَقَرِ يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَيَرُوحُونَ فِي غَضَبِهِ»[٤].

وفي رواية: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ شُرْطَةٌ[٥]، يَغْدُونَ فِي غَضِبِ اللَّهِ، وَيَرُوحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ»[٦].

---

(١) الجواب الصحيح (٦/ ١٢٢).

(٢) شرح مسلم (١٧/ ١٩٠).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٥٦٧).

(٤) رواه أحمد، ح(٢٢١٥٠) وقال الأرناؤوط: «صحيح لغيره وهذا إسناد حسن»، والطبراني في الكبير، ح(٨٠٠٠)، وفي الأوسط، ح(٥٢٥١)، والحاكم (٥/ ٦٢٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الأوسط والكبير، ورجال أحمد ثقات». مجمع الزوائد (٥/ ٢٣٤)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٨٩٣).

(٥) «شُرَط السلطان نخبة أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم، وسموا بذلك لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها، وقال ابن الأعرابي: هم الشُرَط والنسبة إليهم شُرَطي والشُرْطة والنسبة إليهم شُرْطي». انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٦٠).

(٦) رواه الطبراني في الكبير، ح(٧٦١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٣٦٦٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَنْ تَرَى قَوْمًا في أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ يَغْدُونَ في غَضَبِ اللَّهِ وَيَرُوحُونَ في سَخَطِ اللَّهِ».

وفي رواية: «إن طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَوْشَكْتَ أَنْ تَرَى قَوْمًا يَغْدُونَ في سَخَطِ اللَّهِ وَيَرُوحُونَ في لَعْنَتِهِ في أَيْدِيهِمْ مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ»(١).

وعن عابس الغفاري ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا: إِمْرَةَ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ، وَبَيْعَ الْحُكْمِ، وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَنَشْوًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَهُ يُغَنِّيهِمْ، وَإِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فِقْهًا»(٢).

وعن أبي هريرة وأبي سعيد ﷺ قالا: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلَا يَكُونَنَّ عَرِيفًا، وَلَا شُرْطِيًا، وَلَا جَابِيًا، وَلَا خَازِنًا»(٣).

فهذه الروايات تبين أن المراد بالشُرط هم أعوان السلطان وحراسه، وكثرتهم تدل على كثرة الظلم، إذ لو كان العدل قائمًا لما احتيج إلى كثرة الشرط، ولَمَا وصفهم بأنهم شرار الناس، وأنهم يغدون في سخط اللَّه، ويروحون في لعنته، وقد استحقوا هذا الوصف لأنهم يظلمون الناس، ويضربونهم بسياطهم.

فظهور الظلم وأعوانه علامة من علامات آخر الزمان.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ح(٢٨٥٧).

(٢) رواه أحمد، ح(١٦٠٤٠) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح». وابن أبي شيبة، ح(٣٨٨٩١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ح(١٠٢٣، ١٠٢٤)، والطحاوي في المشكل ح(١٣٨٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٤ - ٣٦) ح(٥٧ - ٦١)، وفي الأوسط ح(٨٧٣٦)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٩٧٩).

(٣) رواه ابن حبان، (٤٥٨٦)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٣٦٠).

الصفة الثانية: قوله ﷺ: «وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ»، «نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ، عَلَى رُءُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ»، «وَتَظْهَرَ ثِيَابٌ يَلْبَسُهَا نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ».

قال ابن عبدالبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما معنى قوله: «كاسيات عاريات» فإنه أراد اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف، ولا يستر، فهن كاسيات بالاسم عاريات في الحقيقة، إذ لا تسترهن تلك الثياب»[١].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما الكاسيات ففيه أوجه، أحدها: معناه كاسيات من نعمة اللّه عاريات من شكرها، والثاني: كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير والاهتمام لآخرتهن والاعتناء بالطاعات، والثالث: تكشف شيئًا من بدنها إظهارًا لجمالها، فهن كاسيات عاريات، والرابع: يلبسن ثيابًا رقاقًا تصف ما تحتها كاسيات عاريات في المعنى»[٢].

وهذه المعاني حق وظاهرة، ولكن رواية: «وَتَظْهَرَ ثِيَابٌ يَلْبَسُهَا نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ» تبين أن المراد لباس الظاهر، ولذلك اقتصر أكثر العلماء على تفسيره.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد فسر قوله: «كاسيات عاريات» بأن تكتسي ما لا يسترها، فهي كاسية وهي في الحقيقة عارية، مثل من تكتسي الثوب الرقيق الذي يصف بشرتها، أو الثوب الضيق الذي يبدي تقاطيع خلقها مثل عجيزتها وساعدها ونحو ذلك، وإنما كسوة المرأة ما يسترها فلا يبدي جسمها ولا حجم أعضائها لكونه كثيفًا واسعًا»[٣].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنساء الكاسيات العاريات، أي عليهن لبس لا تواري سوآتهن، بل هو زيادة في العورة، وإبداء للزينة»[٤].

---

(١) التمهيد (١٣/ ٢٠٢) والاستذكار (٢٦/ ١٨٢). (٢) شرح مسلم (١٧/ ١٩٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٤٦). (٤) البداية والنهاية (٩/ ٣٠١).

وكل هذه المعاني ظاهرة في زماننا، والأمر لا يحتاج إلى علم ومعرفة بعد شهود الواقع بأبلغ بيان، بل لعل اتباع لفظ العاريات للكاسيات لقصد الدلالة على أن العري هو الغاية، وأن هذا الكساء الذي لا يستر إنما هو كما قال ابن كثير: «زيادة في العورة، وإبداء للزينة»، وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل.

وأما قوله: «مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ»، وهو وصف للنساء الكاسيات العاريات فللعلماء في معناه عدة أوجه:

الأول: مائلات: زائغات عن طاعة اللَّه تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها. ومميلات: يعلمن غيرَهن مثل فعلهن.

الثاني: مائلات: عن الحق، مميلات: لأزواجهن إلى أهوائهن.

الثالث: مائلات: أي متبخترات في مشيهن، مميلات لأكتافهن.

الرابع: مائلات: إلى الرجال، مميلات لهم بما يبدين من زينتهن وغيرها.

الخامس: مائلات: يمتشطن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا، مميلات: يمشطن غيرهن(١).

وأما قوله: «رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ»، «عَلَى رُءُوسِهِنّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ»، وهو وصف أيضًا للنساء الكاسيات العاريات.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه يعظمن رؤوسهن بالخمر والعمائم وغيرها مما يلف على الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت، هذا هو المشهور في تفسيره»(٢).

وفي هذا ذم لوصل شيء بالشعر، وقد تكاثرت الأحاديث في النهي عن ذلك:

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ جَارِيَةً مِنْ الأَنْصَارِ تَزَوَّجَتْ وَأَنَّهَا مَرِضَتْ فَتَمَعَّطَ شَعَرُهَا فَأَرَادُوا أَنْ يَصِلُوهَا فَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ

---

(١) انظر: الاستذكار (٢٦/ ١٨٢)، وشرح مسلم للنووي (١٤/ ١١٠) و(١٧/ ١٩٠ - ١٩١).

(٢) شرح مسلم (١٧/ ١٩١).

وَالْمُسْتَوْصِلَةَ[(١)]»[(٢)].

وفي رواية: «أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ زَوَّجَتِ ابْنَتَهَا فَتَمَعَّطَ شَعَرُ رَأْسِهَا فَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجَهَا أَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ فِي شَعَرِهَا، فَقَالَ: «لَا إِنَّهُ قَدْ لُعِنَ الْمُوصِلَاتُ»[(٣)].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «جَاءَتْ امْرَأَةٌ إلى النبي ﷺ فقالت: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لي ابْنَةً عُرَيِّسًا أَصَابَتْهَا حَصْبَةٌ فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا، أفأصله؟ فقال: «لَعَنَ اللَّه الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ»[(٤)].

وعن علقمة عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: «لَعَنَ اللَّه الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ، قال: فَبَلَغَ ذلك امْرَأَةً من بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لها: أُمُّ يَعْقُوبَ، وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَتَتْهُ فقالت: ما حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ؟ فقال عبد اللَّهِ: وما لي لَا أَلْعَنُ من لَعَنَ رسول اللَّهِ ﷺ وهو في كِتَابِ اللَّهِ، فقالت الْمَرْأَةُ: لقد قرأت ما بين لَوْحَي الْمُصْحَفِ فما وَجَدْتُهُ، فقال: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لقد وَجَدْتِيهِ قال اللَّه عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، فقالت الْمَرْأَةُ: فَإِنِّي أَرَى شيئًا من هذا على امْرَأَتِكَ الْآنَ، قال: اذْهَبِي فَانْظُرِي، قال: فَدَخَلَتْ

---

(١) قال ابن حجر: ««الواصلة» أي التي تصل الشعر سواء كان لنفسها أم لغيرها «والمستوصلة» أي التي تطلب فعل ذلك ويفعل بها». فتح الباري (١٠/ ٣٧٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ح(٥٩٣٤)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق اللَّه، ح(٢١٢٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية، ح(٥٢٠٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ح(٥٩٣٥)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق اللَّه، ح(٢١٢١).

على امْرَأَةِ عبدِاللَّهِ فلم تَرَ شيئًا، فَجَاءَتْ إليه فقالت: ما رأيت شيئًا، فقال: أَمَا لو كان ذلك لم نُجَامِعْهَا»(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: «زَجَرَ النبي ﷺ أَنْ تَصِلَ الْمَرْأَةُ بِرَأْسِهَا شيئًا»(٢).

وعن حُمَيْدِ بن عبدالرحمن بن عوف: «أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ عَامَ حَجَّ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ - وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ كَانَتْ بِيَدِ حَرَسِيٍّ -: أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ وَيَقُولُ: «إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ»(٣).

وعن سعيد بن الْمُسَيَّبِ قَالَ: «قَدِمَ مُعَاوِيَةُ الْمَدِينَةَ آخِرَ قَدْمَةٍ قَدِمَهَا فَخَطَبَنَا فَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعَرٍ قَالَ: مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ الْيَهُودِ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّاهُ الزُّورَ، يَعْنِي الْوَاصِلَةَ فِي الشَّعَرِ»(٤).

وفي رواية: أَنَّ مُعَاوِيَةَ قال ذَاتَ يَوْمٍ: «إِنَّكُمْ قد أَحْدَثْتُمْ زِيَّ سَوْءٍ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ نهى عن الزُّورِ، قال: وَجَاءَ رَجُلٌ بِعَصًا على رَأْسِهَا خِرْقَةٌ، قال مُعَاوِيَةُ: ألا وَهَذَا الزُّورُ، قال قَتَادَةُ: يَعْنِي ما يُكَثِّرُ بِهِ النِّسَاءُ أَشْعَارَهُنَّ من الْخِرَقِ»(٥).

وفي رواية: قال معاوية رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ

---

(١) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق اللَّه، ح(٢١٢٥).

(٢) المصدر السابق، ح(٢١٢٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ح(٥٩٣٢)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق اللَّه، ح(٢١٢٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، ح(٥٩٣٨)، ومسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق اللَّه، ح(٢١٢٧).

(٥) رواه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والمتفلجات والمغيرات خلق اللَّه، ح(٢١٢٧).

أَدْخَلَتْ فِي شَعَرِهَا مِنْ شَعَرٍ غَيْرِهَا، فَإِنَّمَا تُدْخِلُهُ زُورًا»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه الأحاديث صريحة في تحريم الوصل ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقًا وهذا هو الظاهر المختار»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الحديث أن وصل الشعر من المعاصي الكبائر للعن فاعله، وفيه أن المعين على الحرام يشارك فاعله في الإثم»(٣).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وهذا الحديث حجة للجمهور في منع وصل الشعر بشيء آخر، سواء كان شعرًا أم لا، ويؤيده حديث جابر»(٤).

وقال: «ومنهم من أجاز الوصل مطلقًا سواء كان بشعر آخر أو بغير شعر إذا كان بعلم الزوج وبإذنه، وأحاديث الباب حجة عليه»(٥).

وقال: «وفي هذه الأحاديث حجة لمن قال: يحرم الوصل في الشعر والوشم والنمص على الفاعل والمفعول به، وهي حجة على من حمل النهي فيه على التنزيه، لأن دلالة اللعن على التحريم من أقوى الدلالات، بل عند بعضهم أنه من علامات الكبيرة»(٦).

وهذا القول لا يجوز العدول عنه، ودلالة الأحاديث على التحريم صريحة، فالنبي ﷺ بين أن فاعله ملعون، وأن الفعل زور مهما كان نوع الموصول، وزجر عن ذلك، وبيَّن أن بني إسرائيل هلكوا حين أحدثته نساؤهم، يحذر أمته مثل ذلك، ولهذا قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ الْيَهُود»، ونهى عن طاعة الزوج في ذلك، فكيف يجوّز بإذن الزوج، أو إذا كان من غير الشعر،

---

(١) رواه أحمد، ح(١٦٩٢٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح ورجاله ثقات». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٠٠٨).

(٢) شرح مسلم (١٤/ ١٠٣).

(٣) المصدر السابق (١٤/ ١٠٥).

(٤) فتح الباري (١٠/ ٣٧٥).

(٥) المصدر السابق (١٠/ ٣٧٥).

(٦) المصدر السابق (١٠/ ٣٧٧).

وقد نص على ذلك في الحديث، وكيف يحمل على الكراهة مع اللعن والزجر ووصف الزور وترتب الهلاك عليه، والتحريم يثبت بأقل من هذا بكثير، واللعن يدل على أنه من المعاصي الكبائر، وقد انتشر في زماننا وشاع، بل تفنن فيه النساء، حتى استُبدلت الشعور بغيرها، واستُجلبت الوصلات وتعددت ألوانها، وجُمعت الشعور على الرؤوس كالسنام، بل وصلت رموش الأعين، ونُمصت الحواجب، وفُتحت لذلك الدور، حتى تولى الرجالُ تزيين النساء، وعمت الفتن في الأرجاء، وقلت الغيرة وترحل الحياء، وضعفت القوامة واستحكمت الأهواء، حتى إن الرجال ليأتون المساجد ونساؤهم خلفهم يستحقون اللعن من سوء أفعالهن وتبرجهن وكأنَّ أمرًا لم يكن.

وفي الحديث دلالة على عظم ضرر فتنة النساء، وخطورة تبرجهن، لقوله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا» وقوله: «الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ» وقوله: «لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»، وهذا من أشد الوعيد، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن زعم أن هذا الحديث ليس بصحيح بما فيه من الوعيد الشديد فإنه جاهل ضال عن الشرع يستحق العقوبة التي تردعه، وأمثاله من الجهال الذين يعترضون على الأحاديث الصحيحة عن رسول اللَّه ﷺ والأحاديث الصحيحة في الوعيد كثيرة، وهذا أمر متفق عليه بين المسلمين»(١).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله ﷺ: «لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ» يتأول التأويلين السابقين في نظائره، أحدهما: أنه محمول على من استحلت حرامًا من ذلك مع علمها بتحريمه، فتكون كافرة مخلدة في النار لا تدخل الجنة أبدًا. والثاني: يحمل على أنها لا تدخلها أول الأمر مع الفائزين واللَّه تعالى أعلم»(٢).

وقال ابن عبدالبر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله: «لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ» فهذا عندي محمول

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٤٦). (٢) شرح مسلم (١٧/ ١٩١).

على المشيئة، وأن هذا جزاؤهن، فإن عفا اللَّه عنهن فهو أهل العفو والمغفرة، لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»[(١)].

وعلى كل فهذا وعيد بالنار والحرمان من الجنة، وهو تحذير شديد للنساء من التبرج والسفور ولبس الذي لا يستر من الثياب، والميل عن الحق والعفة وإمالة الناس إلى الباطل، وقد قال النبي ﷺ: «شَرُّ نِسائِكُمْ المُتبرِّجاتُ المُتَخَيِّلَاتُ وَهُنَّ المُنافِقاتُ، لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْهُنَّ إلا مِثْلُ الغُرابِ الأَعْصَمِ»[(٢)].

وعن عمارة بن خزيمة قال: «بينما نحن مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة فإذا نحن بامرأة عليها حبائر لها وخواتيم وقد بسطت يدها على الهودج، فَقَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الشِّعْبِ إِذْ قَالَ: «انْظُرُوا، هَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا؟» فَقُلْنَا: نَرَى غِرْبَانًا فِيهَا غُرَابٌ أَعْصَمُ أَحْمَرُ الْمِنْقَارِ وَالرِّجْلَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ، إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُنَّ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فِي الْغِرْبَانِ»[(٣)].

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أراد قلة من يدخل الجنة منهن؛ لأن هذا الوصف في الغراب عزيز»[(٤)].

الصفة الثالثة: قوله ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُوجٍ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ، يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ». «سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ رِجَال يرَكَبونَ عَلَى المياثِرِ حَتَّى يَأْتُوا أَبوابَ مَسَاجِدِهِم».

هذا الحديث ورد في مورد الذم لمن استحق اللعن من النساء لسوء

---

(١) التمهيد (١٣/ ٢٠٢).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى ح(١٣٨٦٠)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٨٤٩).

(٣) رواه أحمد، ح(١٧٧٧٠) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح». وقال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله ثقات». مجمع الزوائد (١٠/ ٣٩٩)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٨٥٠).

(٤) فيض القدير (٣/ ٦٥٧).

أفعالهن، وهؤلاء الرجال هم أزواجهم، وقد وصفهم بأنهم يركبون على المياثر إلى المساجد، والمياثر الأصل فيها أنها تصنع من الحرير، فركوب الرجال عليها يدل على وقوعهم في المحرمات، لأن الحرير محرم على الذكور، وسيستحل في آخر الزمان، ولعل هذا هو السبب في عدم مبالاتهم بعري نسائهم من خلفهم، وذلك أن من استسهل الحرام لنفسه استسهله لغيره، والنساء في الغالب من شاكلة الأزواج، ويتطبعن بأطباعهم، وفي كل ذلك دلالة على عظم الفساد، وكثرة الفتن، وضعف الإيمان.

وقد استنبط بعض العلماء من هذا الحديث الإشارة إلى ما حصل في زماننا من ظهور السيارات الفارهة التي تركب إلى أبواب المساجد.

قال التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إشارة إلى السيارات، فإنها تشبه الرحال الصغار، والرحال: جمع رحل، وهي هاهنا الدور والمنازل، وفي السيارات مياثر وطيئة لينة، وقد صارت في هذه الأزمان مراكب لعموم الناس من رجال ونساء، وكثير من الناس يركبونها إلى المساجد، وخصوصًا في الجمعة والعيدين»(١).

وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «رواية الحاكم مفسرة للرواية الأولى، وبالجمع بينهما يكون المعنى أن السروج التي يركبونها تكون وطيئة لينة، وأنها كأشباه الرحال، أي من حيث سعتها، وذلك يعني أن هذه السروج التي يركبها أولئك الرجال في آخر الزمان ليست سروجًا حقيقية توضع على ظهور الخيل، وإنما هي أشباه الرحال، وأنت إذا تذكرت أن (الرحال) جمع رحل، وأن تفسيره كما في (المصباح المنير) وغيره: «كل شيء يعد للرحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير» إذا علمت هذا يتبين لك بإذن اللَّه أن النبي ﷺ يشير بذلك إلى هذه المركوبة التي ابتكرت في هذا العصر، ألا وهي السيارات، فإنها وثيرة وطيئة لينة كأشباه

---

(١) إتحاف الجماعة (٢/ ١٣٨ - ١٣٩).

الرحال، ويؤيد ذلك أنه ﷺ سماها «بيوتًا». ثم قال: «هذا هو الوجه في تأويل هذا الحديث عندي، فإن أصبت فمن اللَّه، وإن أخطأت فمن نفسي، واللَّه تعالى هو المسؤول أن يغفر لي خطئي وعمدي، وكل ذلك عندي»[١].

قلت: الأمر على الاحتمال، ولكن يشكل عليه قوله ﷺ في وصفهم: «نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ»، وقد ركب السيارات كثير من أهل الفضل والدين، ونساؤهم عفيفات مستورات والعلم عند اللَّه تعالى.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٤١٤ - ٤١٦) باختصار.

المبحث الحادي والعشرون
كثرة القتل

عن أبي هريرة ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ». قَالُوا وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ»(١).

وعن شقيق قال: «كنت مع عبد اللَّه وأبي موسى فقالا: قال النبي ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ»(٢).

وفي رواية عن ابن مسعود ﵁: «بين يَدَيْ السَّاعَةِ أَيَّامُ الْهَرْجِ يَزُولُ فيها الْعِلْمُ وَيَظْهَرُ فيها الْجَهْلُ» قال أبو مُوسَى: «وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ»(٣).

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ وَيُلْقَى الشُّحُّ وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ»، قالوا: وما الْهَرْجُ؟ قال: الْقَتْلُ»(٤).

وعن عابس الغفاري ﵁ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا: إِمْرَةَ السُّفَهَاءِ، وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ، وَبَيْعَ الْحُكْمِ، وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَنَشْوًا يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ يُقَدِّمُونَهُ يُغَنِّيهِمْ، وَإِنْ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ح(٢٨٨٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، ح(٧٠٦٢).

(٣) المصدر السابق ح (٧٠٦٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، ح(٧٠٦١)، ومسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح(٦٩٦٤) واللفظ له.

كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ فِقْهًا»[١].

وعن وَابِصَةَ الْأَسَدِيِّ قال: «إِنِّي بِالْكُوفَةِ فِي دَارِي، إِذْ سَمِعْتُ عَلَى بَابِ الدَّارِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَأَلِجُ؟ قُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّلَامُ فَلِجْ، فَلَمَّا دَخَلَ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ، أَيَّةُ سَاعَةِ زِيَارَةٍ هَذِهِ؟ وَذَلِكَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ: طَالَ عَلَيَّ النَّهَارُ، فَذَكَرْتُ مَنْ أَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يُحَدِّثُنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُحَدِّثُهُ، قَالَ: ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنِي، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَكُونُ فِتْنَةٌ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمُضْطَجِعِ، وَالْمُضْطَجِعُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَاعِدِ، وَالْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ الرَّاكِبِ، وَالرَّاكِبُ خَيْرٌ مِنَ الْمُجْرِي، قَتْلَاهَا كُلُّهَا فِي النَّارِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَتَى ذَلِكَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ أَيَّامَ الْهَرْجِ»، قُلْتُ: وَمَتَى أَيَّامُ الْهَرْجِ؟ قَالَ: «حِينَ لَا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ»، قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «اكْفُفْ نَفْسَكَ وَيَدَكَ، وَادْخُلْ دَارَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَيَّ دَارِي؟ قَالَ: «فَادْخُلْ بَيْتَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي؟ قَالَ: «فَادْخُلْ مَسْجِدَكَ، وَاصْنَعْ هَكَذَا - وَقَبَضَ بِيَمِينِهِ عَلَى الْكُوعِ - وَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ، حَتَّى تَمُوتَ عَلَى ذَلِكَ»[٢].

عَنْ أَسِيدِ بْنِ الْمُتَشَمِّسِ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ

---

(١) رواه أحمد، ح(١٦٠٤٠) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح». وابن أبي شيبة، ح(٣٨٨٩١)، والطحاوي في المشكل، ح(١٣٨٩)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٩٧٩).

(٢) رواه عبدالرزاق، ح(٢٠٧٢٧)، وابن أبي شيبة، ح(٣٨٥٨٤)، وأحمد، ح(٤٢٨٦، ٤٢٨٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه»، والطبراني في الكبير، ح(٩٧٧٤)، والحاكم (٤/ ٤٧٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: «رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات». مجمع الزوائد (٧/ ٣٠٢). وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٢٥٤).

حَدِيثًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَاهُ؟ فَقُلْنَا: بَلَى يَرْحَمُكَ اللَّهُ. قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنَا: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ». قِيلَ: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ». قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ الْآنَ إِنَّا لَنَقْتُلُ كُلَّ عَامٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ أَلْفًا. قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ، وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ، وَيَقْتُلَ أَخَاهُ، وَيَقْتُلَ عَمَّهُ، وَيَقْتُلَ ابْنَ عَمِّهِ». قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ ومَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «لَا، إِنَّهُ لَتُنْزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ، يَحْسِبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ»(١).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَه، وَأَخَاهُ، وَأَبَاهُ»(٢).

وفي رواية: عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ» قُلْنَا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَأَبَاهُ». قَالَ: فَرَأَيْنَا مَنْ قَتَلَ أَبَاهُ زَمَانَ الْأَزَارِقَةِ(٣).....

---

(١) رواه أحمد، ح(١٩٤٩٢، ١٩٦٣٦، ١٩٧١٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب التثبت في الفتنة، ح(٣٩٥٩)، والبزار، ح(٣٠٤٧)، وأبو يعلى، ح(٧٢٤٧)، وابن حبان، ح(٦٧١٠)، والحاكم (٥/ ٧٢٧) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٦٨٢).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، ح(١١٨) وحسنه الألباني في تعليقه، وفي الصحيحة، ح(٣١٨٥).

(٣) فرقة من فرق الخوارج، أتباع رجل منهم يقال له نافع بن الأزرق الحنفي، ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عددًا وأشد منهم شوكة، خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز فغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في أيام عبد اللَّه بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحي، وكان جبارًا فتاكًا، ومن أشد الخوارج تطرفًا، ولهم اعتقادات فارقوا بها سائر فرق الخوارج، وقالوا بإبطال رجم من زنى وهو محصن، وأن من قذف رجلًا محصنًا فلا حد عليه، ومن قذف امرأة محصنة فعليه الحد، وقطعوا يد السارق من المنكب، وأوجبوا ذلك في كل سرقة وإن قلت، وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها، وأباحوا دم الأطفال والنساء ممن لم يكن في عسكرهم، وكان من عاداتهم فيمن هاجر إليهم أن يمتحنوه بأن يسلموا إليه أسيرًا من أسرى مخالفيهم وأطفالهم ويأمرونه بقتله، فإن قتله صدقوه بأنه منهم، وإلا قتلوه، ويزعمون أن أطفال مخالفيهم مشركون، ويزعمون أنهم يخلدون في النار، وقد أطبقوا على أن ديار مخالفيهم ديار كفر، وأن رد أماناتهم لا تجب، ويحرمون قتل اليهود =

.... »(١).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وهو أخطر باب فتح على المسلمين، وما زال يستشري في الناس ويزداد، فكلما خمدت فتنة اشتعلت فتن، وكلما هدأت بلدة انفجرت بلدان، نكبات متوالية، ودماء جارية، حتى كأن دماء المسلمين أرخص من مائهم، وديار المسلمين مسرحًا لسفك دمائهم، وقد قال ابن الأثير المؤرخ رَحِمَهُ اللَّهُ عن حال زمانه: «الذي سلم من هاتين الطائفتين - يعني التتر والفرنج - فالسيف بينهم مسلول، والفتنة قائمة على ساق»(٢)، فكيف لو رآى فتننا وأسلحتنا التي لا تذر شيئًا أتت عليه إلا جعلته كالرميم، وأصلته نارًا من جحيم، لا تفرق بين حجر وشجر، ولا بين بهيمة وبشر، بل قد يجرب عدونا أسلحته في صدورنا بأيدينا وأموالنا، في سكرة من العقول، وحمأة من العداوة، واستحكام من الهوى، وبعد من الدين، وقد قال ربنا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وهذا من أشد وعيد القرآن، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله»(٣).

= والنصارى والمجوس، ويقولون أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر وخرج بها عن الإسلام جملة ويكون مخلدًا في النار مع سائر كفار الملل، ويكفِّرون عليًّا رضي الله عنه في التحكيم ويكفرون الحكمين أبا موسى وعمرو بن العاص وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار جميعًا، ويسمون من لم يهاجر إلى ديارهم من موافقيهم مشركًا وإن كان موافقًا لهم في مذهبهم، إلى غير ذلك من البدع والضلالات المهلكة. انظر: تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٨ - ٥٦٥، ٥٦٦ - ٥٦٨، ٦١٣، ٦١٤)، ومقالات الإسلاميين (١/ ١٥٧ - ١٦٢)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٢٥ - ٥٣)، ولسان الميزان (٦/ ١٤٤ - ١٤٥)، والملل والنحل (١/ ١٠٩ - ١١٠)، والفرق بين الفرق، ص(٥٠ - ٥٢)، والتبصير في الدين، (ص٢٩ - ٣٠)، والأعلام (٨/ ٣١٥ - ٣١٦)، والخطط للمقريزي (٢/ ٣٥٤).

(١) رواه أبو يعلى، ح(٧٢٣٤).

(٢) الكامل (١٠/ ٤٠١).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ١٩٩).

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا، أَوْ مُؤْمِنٌ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»(١).

فالدماء أمرها عظيم، وعاقبة الولوغ فيها وخيمة.

فعن جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَحُولَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمٍ يُهْرِيقُهُ كَأَنَّمَا يَذْبَحُ دَجَاجَةً، كُلَّمَا تَقَدَّمَ لِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ»(٢).

وفي رواية: «لَا يَحُولَنَّ بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَهُوَ يَرَى بَابَهَا مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَهْرَاقَهُ بِغَيْرِ حِلِّهِ»(٣).

وعن سالم بن أبي الْجَعْد عن ابن عباس ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ:

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في تعظيم قتل المؤمن، ح(٤٢٧٠)، وابن حبان، ح(٥٩٨١)، والحاكم (٥/ ٥٠٢) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ورواه أحمد من حديث معاوية ﷺ، ح(١٦٩٠٧) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح لغيره وإسناده حسن»، والنسائي، كتاب تحريم الدم، ح(٣٩٥٥)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٦٥) ح(٨٥٨)، وفي الأوسط، ح(٥١٣٥). ورواه البزار من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، ح(٢٧٣٠). وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٥١١)، وقال: «الحديث في ظاهره مخالف لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، لأن القتل دون الشرك قطعًا فكيف لا يغفره الله، وقد وافق المناوي تبعًا لغيره بحمل الحديث على ما إذا استحل وإلا فهو تهويل وتغليظ. وخير منه قول السندي في حاشيته على النسائي: «وكأن المراد كل ذنب ترجى مغفرته ابتداء إلا قتل المؤمن، فإنه لا يغفر بلا سبق عقوبة وإلا الكفر، فإنه لا يغفر أصلًا ولو حمل على القتل مستحلًا لا يبقى المقابلة بينه وبين الكفر (يعني لأن الاستحلال كفر ولا فرق بين استحلال القتل أو غيره من الذنوب، إذ كل ذلك كفر). ثم لابد من حمله على ما إذا لم يتب وإلا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له، كيف وقد يدخل القاتل والمقتول الجنة معًا كما إذا قتله وهو كافر ثم آمن وقتل». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٩).

(٢) رواه الطبراني في الكبير ح(١٦٦٢)، والأوسط، ح(٨٤٩٥)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط والكبير، ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٢٩٧)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٣٧٩).

(٣) رواه عبدالرزاق، ح(١٨٢٥٠)، والطبراني في الكبير، ح(١٦٦٠)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير، وله طريق تأتي في قتال أهل البغي، ورجاله موثقون». مجمع الزوائد (١/ ١٨٥)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ١١٣٣).

أَرَأَيْتَ رَجُلًا قَتَلَ رَجُلًا مُتَعَمِّدًا؟ قَالَ: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾، قَالَ: لَقَدْ أُنْزِلَتْ فِي آخِرِ مَا نَزَلَ، مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا نَزَلَ وَحْيٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، ثُمَّ اهْتَدَى؟ قَالَ: وَأَنَّى لَهُ بِالتَّوْبَةِ، وَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ: رَجُلٌ قَتَلَ رَجُلًا مُتَعَمِّدًا، يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آخِذًا قَاتِلَهُ بِيَمِينِهِ، أَوْ بِيَسَارِهِ، وَآخِذًا رَأْسَهُ بِيَمِينِهِ، أَوْ بِشِمَالِهِ، تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا فِي قُبُلِ الْعَرْشِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ عَبْدَكَ فِيمَ قَتَلَنِي؟»(١).

وفي رواية: «سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ رَجُلٍ قَتَلَ مُؤْمِنًا، ثُمَّ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى، قَالَ: وَيْحَكَ وَأَنَّى لَهُ الْهُدَى، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ، يَقُولُ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا بِالْقَاتِلِ، يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟» وَاللَّهِ لَقَدِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَمَا نَسَخَهَا بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَهَا، قَالَ: وَيْحَكَ، وَأَنَّى لَهُ الْهُدَى؟!»(٢).

وفي رواية: عن جندب بن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: «وَإِنَّ فُلَانًا أَخْبَرَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَعَلِّقًا بِالْقَاتِلِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ سَلْهُ فِيمَ قَتَلَنِي، فَيَقُولُ: فِي مُلْكِ فُلَانٍ»، فَاتَّقِ لَا تَكُونُ ذَلِكَ الرَّجُلَ»(٣).

وعن نافع بن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَأَلَهُ سَائِلٌ فَقَالَ: «يَا أَبَا الْعَبَّاسِ هَلْ لِلْقَاتِلِ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَالْمُتَعَجِّبِ مِنْ شَأْنِهِ:

---

(١) رواه أحمد، ح(٢١٤٢) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح».

(٢) رواه أحمد، ح(١٩٤١) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم، ح(٤٠١٠)، وصححه الألباني في تعليقه، والطبراني في الكبير، ح(١٢٥٩٧).

(٣) رواه أحمد، ح(٢٣١٦٥) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم، ح(٤٠٠٩)، وصححه الألباني في تعليقه. وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٢٩٤).

مَاذَا تَقُولُ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْمَسْأَلَةَ، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ؟ سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا رَأْسُهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ، مُتَلَبِّبًا قَاتِلَهُ بِيَدِهِ الأُخْرَى يَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا، حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ الْعَرْشَ، فَيَقُولُ الْمَقْتُولُ لِلَّهِ: رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ عز وجل لِلْقَاتِلِ: تَعِسْتَ، وَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّارِ»(١).

وعن سعيد بن جُبَيْرٍ قال: «قُلتُ لابْنِ عَبَّاسٍ: أَلِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا من تَوْبَةٍ؟ قال: لَا قال: فَتَلَوْتُ عليه هذه الآيَةَ التي في الْفُرْقَانِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى آخِرِ الْآيَةِ، قال: هذه آيَةٌ مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا﴾»(٢)(٣).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، ح(١٠٧٤٢)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٦٩٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ العقوبة، ح(٤٧٦٢)، ومسلم، كتاب التفسير، (٤/ ٢٣١٨) ح(٣٠٢٣) واللفظ له.

(٣) هذه الأحاديث عن ابن عباس تدل على أنه يرى أن قاتل المؤمن متعمدًا ليس له توبة، قال ابن كثير: «وقد روي هذا عن ابن عباس من طرق كثيرة»، وقال: «وممن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف زيد بن ثابت وأبو هريرة وعبد الله بن عمر وأبو سلمة بن عبدالرحمن وعبيد بن عمير والحسن وقتادة والضحاك بن مزاحم، نقله ابن أبي حاتم...» والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل، فإن تاب وأناب وخشع وخضع وعمل عملًا صالحًا بدل الله سيئاته حسنات، وعوض المقتول من ظلامته وأرضاه عن طلابته، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى قوله ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا﴾ [الفرقان: ٧٠] الآية. وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل والله أعلم. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية. وهذا عام في جميع الذنوب من كفر وشرك وشك ونفاق وقتل وفسق وغير ذلك، كل من تاب أي من ذلك تاب الله عليه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فهذه الآية عامة في جميع الذنوب ما عدا الشرك، وهي مذكورة في هذه السورة الكريمة بعد هذه الآية وقبلها لتقوية الرجاء والله أعلم، وثبت في الصحيحين خبر الإسرائيلي الذي قتل مائة =

وفي هذه الأحاديث إشارة إلى أن القاتل قد لا يوفق للتوبة والعمل الصالح

= نفس ثم سأل عالمًا هل لي من توبة؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة، ثم أرشده إلى بلد يعبد اللَّه فيه فهاجر إليه فمات في الطريق فقبضته ملائكة الرحمة، كما ذكرناه غير مرة، وإذا كان هذا في بني إسرائيل فلأن يكون في هذه الأمة التوبة مقبولة بطريق الأولى والأحرى، لأن اللَّه وضع عنا الآصار والأغلال التي كانت عليهم وبعث نبينا بالحنيفية السمحة. فأما الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ [النساء: ٩٣] الآية. فقد قال أبو هريرة وجماعة من السلف: هذا جزاؤه إن جازاه، ومعنى هذه الصيغة أن هذا جزاؤه إن جوزي عليه، وكذا كل وعيد على ذنب، لكن قد يكون ذلك معارض من أعمال صالحة تمنع وصول ذلك الجزاء إليه على قولي أصحاب الموازنة والإحباط، وهذا أحسن ما يسلك في باب الوعيد واللَّه أعلم بالصواب، وبتقدير دخول القاتل في النار، أما على قول ابن عباس ومن وافقه أنه لا توبة له، أو على قول الجمهور حيث لا عمل له صالحًا ينجو به، فليس بمخلد فيها أبدًا، بل الخلود هو المكث الطويل. وقد تواترت الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ: «أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان» وأما حديث معاوية: «كل ذنب عسى اللَّه أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا» فعسى للترجي، فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين لا ينتفي وقوع ذلك في أحدهما وهو القتل لما ذكرنا من الأدلة، وأما من مات كافرًا فالنص أن اللَّه لا يغفر له البتة، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الآدميين، وهي لا تسقط بالتوبة، ولكن لابد من ردها إليهم، ولا فرق بين المقتول والمسروق منه والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين، فإن الإجماع منعقد على أنها لا تسقط بالتوبة، ولكنه لا بد من ردها إليهم في صحة التوبة، فإن تعذر ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة، لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة، إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة، أو يعوض اللَّه المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها ورفع درجته فيها ونحو ذلك واللَّه أعلم». تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢١١). وقال الألباني: «في رواية البخاري المتقدمة عن ابن عباس أنه قال: «لا توبة للقاتل عمدًا»، وهذا مشهور عنه، له طرق كثيرة كما قال ابن كثير وابن حجر، والجمهور على خلافه، وهو الصواب الذي لا ريب فيه، وآية (الفرقان) صريحة في ذلك، ولا تخالفها آية (النساء) لأن هذه في عقوبة القاتل وليست في توبته، وهذا ظاهر جدًا، وكأنه لذلك رجع إليه كما وقفت عليه في بعض الروايات عنه، رأيت أنه لابد من ذكرها لعزتها، وإغفال الحافظين لها: الأولى: ما رواه عطاء بن يسار عنه: أنه أتاه رجل، فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا. قال: «تب إلى اللَّه ﷻ، وتقرب إليه ما استطعت». فذهبت فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: «إني لا أعلم عملًا أقرب إلى اللَّه ﷻ من بر الوالدة». أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ح(٤) بسند صحيح على شرط الصحيحين. الثانية: ما رواه سعيد عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾، قال: ليس لقاتل توبة، إلا أن يستغفر اللَّه. أخرجه ابن جرير =

لعظم جرمه، بل قد تضيق عليه نفسه ويضيق عليه دينه حتى ينسلخ منه.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ(١) مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»(٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا(٣)، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ»(٤).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ(٥) الْأُمُورِ الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ»(٦).

فالدماء ورطة الورطات، ورأس الزلات، وعيدها لا يجارى، وعقوبتها لا تدانى.

= (٥/ ١٣٨) بسند جيد، ولعله يعني أنه لا يغفر له، على قوله الأول، ثم استدرك على نفسه فقال: «إلا أن يستغفر اللَّه». واللَّه أعلم». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٧١١ - ٧١٢).

(١) قال ابن حجر: «وفي رواية الكشميهني: «من ذنبه» فمفهوم الأول أن يضيق عليه دينه ففيه إشعار بالوعيد على قتل المؤمن متعمدًا بما يتوعد به الكافر، ومفهوم الثاني أنه يصير في ضيق بسبب ذنبه ففيه إشارة إلى استبعاد العفو عنه لاستمراره في الضيق المذكور. وقال ابن العربي: الفسحة في الدين سعة الأعمال الصالحة حتى إذا جاء القتل ضاقت لأنها لا تفي بوزره، والفسحة في الذنب قبوله الغفران بالتوبة حتى إذا جاء القتل ارتفع القبول». فتح الباري (١٢/ ١٨٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، ح(٦٨٦٢).

(٣) قال القاري: «والمعنى أن المؤمن لا يزال موفقًا للخيرات، مسارعًا إليها ما لم يصب دمًا حرامًا، فإذا أصاب ذلك أعيا وانقطع عنه ذلك لشؤم ما ارتكبه من الإثم». مرقاة المفاتيح (٧/ ٢٤).

(٤) رواه أبو داود، كتاب الفتن، باب تعظيم قتل المؤمن، ح(٤٢٧٠)، والشاشي، ح(١٢٥٧)، والطبراني في الأوسط، ح(٩٢٢٩)، وفي الصغير، ح(١١٠٨)، وفي مسند الشاميين، ح(١٣٠٩، ١٣١٠)، والبيهقي في السنن (٨/ ٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٦٩٣).

(٥) قال ابن حجر: قوله: «(إن من ورطات) بفتح الواو والراء، جمع ورطة بسكون الراء وهي الهلاك يقال: وقع فلان في ورطة أي في شيء لا ينجو منه». فتح الباري (١٢/ ١٨٨).

(٦) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، ح(٦٨٦٣).

فعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَتْلُ مُؤْمِنٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا»(١).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ(٢)، فَأَدْرَكْتُ رَجُلاً فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ. فَطَعَنْتُهُ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ»(٣).

وفي رواية قال: «فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ، بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ»(٤).

وعن صفوان بن مُحْرِزٍ: «أَنَّ جُنْدَبَ بن عبداللَّهِ الْبَجَلِيَّ بَعَثَ إِلى

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، ح(١٣٩٥)، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم، ح(٣٩٩٧) واللفظ له، وصححه الألباني في تعليقه، والبزار، ح(٢٣٩٣)، والطبراني في معاجمه الثلاثة، ح(٥٩٤، ٤٣٤٩، ١٤٢٥٦)، والبيهقي في الشعب، ح(٤٩٥٦)، ورواه ابن ماجه من حديث البراء، أبواب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلمًا، ح(٢٦١٩)، وقال ابن الملقن: «هذا الخبر مشهور، وقد أسند من وجوه صحيحة لا مطعن لأحد في رجالها». البدر المنير (٨/ ٣٤٦).

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري (١/ ١٠٤): «قوله: «الحرقات من جهينة» وأحدها الحرقة بالضم ثم الفتح قبائل منهم».

(٣) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا اللَّه، ح(٩٦).

(٤) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾، ح(٦٨٧٢)، ومسلم كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا اللَّه، ح(٩٦).

عَسْعَسِ بن سَلَامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابن الزُّبَيْرِ فقال: اجْمَعْ لي نَفَرًا من إِخْوَانِكَ حتى أُحَدِّثَهُمْ، فَبَعَثَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ فلما اجْتَمَعُوا جاء جُنْدَبٌ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَصْفَرُ فقال: تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ حتى دَارَ الْحَدِيثُ، فلما دَارَ الْحَدِيثُ إليه حَسَرَ الْبُرْنُسَ عن رَأْسِهِ فقال: إني أَتَيْتُكُمْ ولا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عن نَبِيِّكُمْ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا من الْمُسْلِمِينَ إلى قَوْمٍ من الْمُشْرِكِينَ، وأنهم الْتَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ من الْمُشْرِكِينَ إذا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إلى رَجُلٍ من الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ له فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا من الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، قال: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بن زَيْدٍ، فلما رَفَعَ عليه السَّيْفَ، قال: لَا إِلَهَ إلا اللَّه، فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إلى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ حتى أخبره خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فقال: «لِمَ قَتَلْتَهُ؟» قال: يا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعَ في الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَّى له نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عليه فلما رَأَى السَّيْفَ قال: لَا إِلَهَ إلا اللَّه، قال رسول اللَّهِ ﷺ: «أَقَتَلْتَهُ؟» قال: نعم. قال: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إلا اللَّه إذا جَاءَتْ يوم الْقِيَامَةِ؟» قال: يا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لي، قال: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إلا اللَّه إذا جَاءَتْ يوم الْقِيَامَةِ؟» قال: فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ على أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إلا اللَّه إذا جَاءَتْ يوم الْقِيَامَةِ»(١).

وعن المقداد بن عمرو الكندي رضي الله عنه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ لَقِيتُ كَافِرًا فَاقْتَتَلْنَا فَضَرَبَ يَدِي بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ وَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلهِ آقْتُلُهُ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقْتُلْهُ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنَّهُ طَرَحَ إِحْدَى يَدَيَّ ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا آقْتُلُهُ؟ قَالَ: «لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ وَأَنْتَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ»(٢).

فانظر تعنيف النبي ﷺ لحبه أسامة، حتى تمنى من شدته أنه لم يكن أسلم

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا اللَّه، ح(٩٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، ح(٦٨٦٥).

قبل ذلك اليوم، قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما تمنى أسامة أن يتأخر إسلامه إلى يوم المعاتبة، ليسلم من تلك الجناية السابقة، وكأنه استصغر ما كان منه من الإسلام والعمل الصالح قبل ذلك، في جنب ما ارتكب من تلك الجناية، لما حصل في نفسه من شدة إنكار النبي ﷺ لذلك وعظمه»(١).

وأسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان متأولًا قاصدًا نصرة الدين، مقاتلًا لرجل من المشركين قد دلت القرائن أنه لم ينطق بـ(لا إله إلا اللَّه) إلا لما رأى بارقة السيف، فأراد حقن دمه فحسب، لأنه مشرك من أصله ولم يكن مسلمًا، وجاء مقاتلًا، وقتل عددًا من المسلمين، حتى كاد أن لا يسلم منه أحد، فإذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له وقتله، ولم يكن عند أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثال سابق يبني عليه، ولا وقت للتشاور والنظر.

وانظر لحكمه ﷺ في مسلم يلقى كافرًا في الحرب فيقتتلان، حتى يقطع الكافر يد المسلم، ثم يغلبه المسلم، فيلوذ الكافر بشجرة ويقول متقيًا: أسلمت للَّه، فلا يجوِّز للمسلم أن يقتله، فإن قتله كان بمنزلته قبل أن يسلم.

فكيف سيفعل بـ(لا إله إلا اللَّه) من استخف بدماء أهل الإيمان، وأزهق أرواح الأبرياء من النساء والولدان.

عن عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ في الدِّمَاءِ»(٢).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لما كان من أمر الناس ما كان من أمر الفتنة، أتوا عبد اللَّه بن عمر، فقالوا: أنت سيد الناس وابن سيدهم، والناس بك راضون، اخرج نبايعك، فقال: لا واللَّه لا يهراق فِيَّ محجمة من دم ولا في سببي ما كان فِيَّ

(١) المفهم (١/ ٢٩٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، ح(٦٥٣٣)، ومسلم، كتاب القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، ح(١٦٧٨) واللفظ له.

الروح، قال: ثم أتي فخوف، فقيل له: لتخرجن أو لتقتلن على فراشك، فقال مثل قوله الأول، قال الحسن: فوالله ما استقلوا منه شيئًا حتى لحق بالله تعالى»(١).

وفي رواية: عن عاصم(٢) قال: «قال مروان(٣) لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «هلم نبايعك فإنك سيد العرب وابن سيدها. فقال ابن عمر: فكيف أصنع بأهل المشرق؟ قال: نقاتلهم. قال: والله ما يسرني أن العرب دانت لي سبعين عامًا وأنه قتل في سببي رجل واحد»(٤).

وقال البخاري رحمه الله: «باب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢] قال ابن عباس: من حرم قتلها إلا بحق ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]»(٥).

فالدماء حرمتها عظيمة، و«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»(٦)، و«كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»(٧)، ولذلك قطع الإسلام كل سبب قد

---

(١) رواه أبونعيم في الحلية (١/ ٣٦٥) ح(١٠٠٥). وانظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٦).

(٢) هو عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود، الإمام الكبير المقرئ، أبوبكر الأسدي، مولده في إمارة معاوية رضي الله عنه، وهو معدود في صغار التابعين، توفي في آخر سنة سبع وعشرين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٥٦) وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٣/ ٤٧٣).

(٣) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص الخليفة الأموي التابعي، كاتب عثمان رضي الله عنه وابن عمه، تملك على الشام ومصر تسعة أشهر وثمانية عشر يومًا، وذلك سنة ٦٥هـ. انظر: تاريخ الطبري (٧/ ٣٤، ٨٣) وسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٧٦).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف ص(١٠٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣١/ ١٨٦).

(٥) صحيح البخاري (٩/ ٣).

(٦) رواه أحمد، ح(٨٩٣١) وقال الأرناؤوط: «إسناده قوي»، والترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح(٢٦٢٧) وقال: «هذا حديث حسن صحيح». والشطر الأول منه رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح(١٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، ح(٤٠ - ٤١).

(٧) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ح(٢٥٦٣).

يؤدي إلى أذية المسلم، وجعل الولوج في هذا الباب منافيًا للإيمان وهدي الإسلام، فعن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(٢).

وعنه رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا»(٣).

وأما قطع الأسباب:

فعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا أَوْ قَالَ: فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ»(٤).

وفي رواية: «إذا مَرَّ أحدكم في مَجْلِسٍ أو سُوقٍ وَبِيَدِهِ نَبْلٌ فَلْيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنِصَالِهَا»(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ: «من أَشَارَ إلى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»، ح(٧٠٧٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»، ح(٦٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»، ح(٧٠٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»، ح(٦٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا، ح (٧٠٧٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا، ح (٩٨).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا، ح (٧٠٧٥)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها، ح (٢٦١٥).

(٥) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها، ح(٢٦١٥).

فإن الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حتى يَدَعَهُ وَإِنْ كان أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»(١).

وفي رواية: «الْمَلَائِكَةُ تَلْعَنُ أَحَدَكُمْ إِذَا أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ»(٢).

وعن أبي بكرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا الْمُسْلِمَانِ حَمَلَ أَحَدُهُمَا على أَخِيهِ السِّلَاحَ فَهُمَا على جُرْفِ جَهَنَّمَ فإذا قَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ دَخَلَاهَا جميعًا»(٣).

وفي رواية: «إِذَا أَشَارَ الرَّجُلُ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ فَهُمَا عَلَى جُرُفِ جَهَنَّمَ فَإِذَا قَتَلَهُ وَقَعَا فِيهِ جَمِيعًا»(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ في يَدِهِ فَيَقَعُ في حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ»(٥).

وعن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَزِعَ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: «مَا يُضْحِكُكُمْ؟»، فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»(٦).

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ح(٢٦١٦).

(٢) رواه البزار، ح(٩٩٢٣)، وابن حبان، ح(٥٩٤٤)، والطبراني في الأوسط، ح (٤٤٤٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ح(٢٨٨٨).

(٤) رواه الطيالسي، ح(٩٢٥)، والنسائي، كتاب تحريم الدم، باب تعظيم الدم، ح(٤١٢٧)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٢٣١).

(٥) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «من حمل علينا السلاح فليس منا»، ح(٧٠٧٢)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ح(٢٦١٧).

(٦) رواه أحمد، ح(٢٣٠٦٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح». وقال البوصيري: «هذا إسناد رواته ثقات». إتحاف الخيرة (٦/ ٦٤) ح(٥٣٤٧). ورواه الطبراني في الكبير (٢١/ ١١٦) ح(١٣٥) من حديث النعمان بن بشير، وقال الهيثمي: «رجال الكبير ثقات».

وفي رواية: «فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»(١).

قال المناوي رحمه الله: ««لا يحل لمسلم أن يروع» بالتشديد أي يفزع «مسلمًا» وإن كان هازلًا، كإشارته بسيف أو حديدة أو أفعى أو أخذ متاعه فيفزع لفقده، لما فيه من إدخال الأذى والضرر عليه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»(٢).

وفي هذه الأحاديث حسم للمادة من أولها، وردم لباب الشر من أصله، ولكن إذا ضعف الدين واستحكمت الفتن، نزعت العقول، وحكمت المناهج الردية، وحضرت الشبه الغوية، فاستخف الناس بالدماء، وجروا على الأمة البلاء، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ رِدْئًا لِلإِسْلَامِ، غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ، الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي؟ قَالَ: «بَلِ الرَّامِي»(٣).

وكلما دنت الساعة استحرَّ القتل في أهل الإسلام، حتى إنه سيأتي عليهم زمان لا يدرون فيم يتقاتلون من كثرة قتالهم واختلافهم!! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حتى يَأْتِيَ على الناس يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ ولا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ». فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، ح(٥٠٠٤) وصححه الألباني في تعليقه، ورواه القضاعي في مسند الشهاب، ح(٨٧٨).

(٢) فيض القدير (٦/ ٤٤٧).

(٣) رواه ابن حبان، ح(٨١)، والبزار، ح(٢٧٩٣) وقال: «وهذا الحديث بهذا اللفظ لا نعلمه يروى إلا عن حذيفة بهذا الإسناد، وإسناده حسن، والصلت هذا رجل مشهور من أهل البصرة، وما بعده فقد استغنينا عن تعريفهم لشهرتهم». وقال الهيثمي: «رواه البزار وإسناده حسن». مجمع الزوائد (١/ ١٨٨). وقال ابن كثير: «هذا إسناد جيد، والصلت بن بهرام كان من ثقات الكوفيين، ولم يُرم بشيء سوى الإرجاء، وقد وثقه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بنُ معين، وغيرهما». تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٩).

ذلك؟ قال: «الْهَرْجُ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ في النَّارِ»(١).

وعلى كلٍ فالسيف عقوبة هذه الأمة وكفارة لها، وقد قال النبي ﷺ: «عُقُوبَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ السَّيْفِ»(٢).

وعن أبي بردة(٣) قال: «بينا أنا واقف في السوق في إمارة زياد(٤) إذ ضربت بإحدى يدي على الأخرى تعجبًا، فقال رجل من الأنصار - قد كانت لوالده صحبة مع رسول الله ﷺ -: مما تعجب يا أبا بردة؟ قلت: أعجب من قوم دينهم واحد ونبيهم واحد ودعوتهم واحدة وحجهم واحد وغزوهم واحد يستحل بعضهم قتل بعض، قال: فلا تعجب فإني سمعت والدي أخبرني أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ أمتي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ لَيس عَلَيْهَا في الآخِرَةِ حِسَابٌ وَلا عَذَابٌ، إنمَّا عَذَابُها فِي الْقَتْلِ وَالزَّلازل وَالفِتَن»(٥).

وفي رواية: من حديث أبي موسى ﷺ: «أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا عَذَابٌ فِي الآخِرَةِ، عَذَابُهَا فِي الدُّنْيَا الْفِتَنُ، وَالزَّلَازِلُ، وَالْقَتْلُ»(٦).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩٠٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة، ح(٩٣٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ح(٢٩١٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٠٢) ح(٤٦٠)، وعزاه ابن حجر لأبي يعلى وقال: «رجاله ثقات». بذل الماعون ص(٢١٤). وقال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٢٢٥)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٣٤٧).

(٣) هو ابن أبي موسى الأشعري الصحابي، قال ابن حجر: «ثقة من الثالثة، مات سنة أربع ومائة وقيل غير ذلك، وقد جاز الثمانين». تقريب التهذيب ص(١١١٢).

(٤) هو زياد بن أبيه، ولد عام الهجرة، وأسلم زمن الصديق، ناب لعلي ﷺ إقليم فارس، ولي الكوفة والبصرة زمن معاوية ﷺ، وكان من نبلاء الرجال، رأيًا، وعقلًا، وحزمًا، ودهاء، وفطنة، وكان كاتبًا بليغًا، وخطيبًا مفوهًا، مات في الطاعون سنة ثلاث وخمسين. انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٩٤).

(٥) رواه الحاكم (٥/ ٣٦١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

(٦) رواه أحمد، ح(١٩٦٧٨)، وأبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ما يرجى في القتل، ح(٤٢٧٨)، والبزار، ح(٣٠٩٠) وقال: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى من حديث أبي بكر بن أبي موسى إلا من رواية البخترى بن المختار عنه، وقد روي عن أبي بردة عن أبي موسى من غير وجه». وأبو يعلى، =

وفي رواية: عن سليمان بن داود الخَوْلاني[(١)] قال: «سمعت عمر بن عبدالعزيز يقول لأبي بردة: حدِّثنا بحديث ليس بينك وبين أبيك أحد ولا بين أبيك وبين رسول اللَّه ﷺ فيه أحد، فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ مُبَارَكَةٌ مَرْحُومَةٌ، لَا عَذَابَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّمَا عَذَابُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْفِتَنِ»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، لَا عَذَابَ عَلَيْهَا إِلَّا مَا عَذَّبَتْ هِيَ أَنْفُسَهَا، قَالَ: قُلْتُ: وَكَيْفَ تُعَذِّبُ أَنْفُسَهَا؟ قَالَ: أَمَا كَانَ يَوْمُ النَّهَرِ عَذَابٌ؟ أَمَا كَانَ يَوْمُ الجَمَلِ عَذَابٌ؟ أَمَا كَانَ يَوْمُ صِفِّينَ عَذَابٌ؟»[(٣)].

فالحمد للَّه على النعم، ونعوذ به من الضلال والفتن.

= ح(٧٢٧٧)، والروياني، ح(٥٠٥)، والبيهقي في الشعب، ح(٩٣٤٢)، والقضاعي في مسند الشهاب، ح(٩٦٩، ١٠٠٠)، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعلم له علة ولم يخرجاه وله شاهد صحيح». المستدرك (١/ ٢١٩). وقال ابن حجر: «أخرجه أبو داود بسند حسن». بذل الماعون ص(٢١٣). وقال البوصيري: «رواته ثقات». إتحاف الخيرة (٨/ ٩٣)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٩٥٩).

(١) هو سليمان بن داود الخولاني الدمشقي الداراني، كان حاجبًا لعمر بن عبدالعزيز ومقدَّمًا عنده، قال ابن حجر: «صدوق، من السابعة». تقريب التهذيب ص(٤٠٧). وانظر: تهذيب الكمال (١١/ ٤١٦).

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين ح(٦٦٧) وقال ابن حجر: «رجاله ثقات». بذل الماعون ص(٢١٤)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما القاسم - رجل من أهل حمص - ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح غير عمرو بن قيس السكوني، وهو ثقة». مجمع الزوائد (١٠/ ٧٠).

(٣) رواه أبو يعلى، ح(٦٢٠٤) وصحح ابن حجر إسناده في بذل الماعون ص(٢١٤)، وقال: « وهذا معنى حديث أبي موسى: «عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل»، فهو شاهد قوي له، ومثله لا يقال بالرأي، وهو محمول على معظم الأمة المحمدية، لثبوت أحاديث الشفاعة، أن قومًا يعذبون ثم يخرجون من النار ويدخلون الجنة».

وقال الصنعاني: «واعلم أن هذه الأحاديث وأمثالها في فضل الأمة هي للمجموع من حيث هو فلا ينافيه خروج أفراد منه، وهذا مثل أحاديث: عصمتها من الضلال، فإنه للمجموع لا للأفراد، وبهذا تجتمع الأحاديث المخوفة والمبشرة». التنوير شرح الجامع الصغير (٣/ ٢٤٠). وقال الألباني: «واعلم أن المقصود بـ(الأمة) هنا غالبها، للقطع بأنه لا بد من دخول بعضهم النار للتطهير، أفاده المناوي، خلافًا لمن جهل». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٢٤٩).

المبحث الثاني والعشرون
ظهور الربا

عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَ يَدَيِ السّاعةِ يَظهرُ الرِّبا، والزِّنى، والخمرُ»(١).

وهذا أمر ظاهر منطبق على أهل زماننا، منتشر في أرضنا، بل لا تجد اقتصادًا إلا وهو يقوم على الربا، ولا تكاد تنجز معاملة مالية إلا بالربا، حتى إنه من شدة الظهور والانتشار ليستغرب فئام من الناس تحريمه، ويستبعدون تقدم اقتصاد أو تجارة بدونه، فهو عندهم ضرورة التعاملات المالية، ومبدأ عقد الصفقات التجارية، مع غفلة عن الوعيد الشديد، والتحريم الأكيد، وذلك أن الربا ذنب توعد اللّه عليه بالخلود في النيران، وبين منافاته للإيمان، وأذن بالحرب على أهله مدى الأزمان، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، هذا بيان حال أهل الربا وحكمه، ثم قال سبحانه: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦]، وهذا بيان حال الربا وأنه

(١) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٧٦٩٥، ٨١٥٨) وقال المنذري: «رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح». صحيح الترغيب (٢/ ٣٧٨)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٤/ ١١٨)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٤١٥).

ممحوق لا بركة فيه أبدًا، ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]، وهذا نداء لمن آمن بالله أن يتقيه ويذر الربا إن كان صادقًا في إيمانه، وإلا فليأذن بحرب من الله، وليوقن بالخسارة المحتمة، وقد قال النبي ﷺ: «الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ(١)»(٢).

وفي رواية: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا، إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ»(٣).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ»(٤).

وعن عبد الله بن حنظلة - غسيل الملائكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله ﷺ: «دِرْهَمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً»(٥).

---

(١) قال ابن الأثير: «القل بالضم القلة، كالذل والذلة، أي أنه وإن كان زيادة في المال عاجلاً فإنه يؤول إلى نقص كقوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦]». النهاية (٤/ ١٠٤).

(٢) رواه أحمد، ح(٣٧٥٤) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح»، والبزار، ح(٢٠٤٢)، وأبو يعلى، ح(٥٠٤٢، ٥٣٤٨، ٥٣٤٩)، والطبراني في الكبير، ح(١٠٥٣٨)، والحاكم (٢/ ٣٣٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، والبيهقي في الشعب، ح(٥١٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، ح(١٨٦٣).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، ح(٢٢٧٩)، وقال البوصيري في زوائده: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات». وحسنه ابن حجر في الفتح (٤/ ٣١٥).

(٤) رواه الحاكم (٢/ ٣٣٨) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. والبيهقي في الشعب، ح(٥١٣١)، وروى ابن ماجه الشطر الأول منه، كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، ح(٢٢٧٥) وقال في الزوائد: «إسناده صحيح». وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٥٨٥٢).

(٥) رواه أحمد، ح(٢١٩٥٧)، والبزار، ح(٣٣٨١)، والدارقطني، ح(٢٤٨٦)، والطبراني في الأوسط، ح(٢٦٨٢)، وقال المنذري: «رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال أحمد رجال الصحيح». صحيح الترغيب (٢/ ٣٧٦). وقال الهيثمي: «رواه أحمد، والطبراني في الكبير، والأوسط، ورجال أحمد =

وعن سَمُرَة بن جُنْدُب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «رأيت اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إلى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ فَانطَلَقْنَا حتى أَتَيْنَا على نَهَرٍ من دَمٍ فيه رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بين يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الذي في النَّهَرِ فإذا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ في فيه فَرَدَّهُ حَيْثُ كان، فَجَعَلَ كُلَّمَا جاء لِيَخْرُجَ رَمَى في فيه بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كما كان، فقلت: ما هذا؟ فقال: الذي رَأَيْتَهُ في النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا»(١).

وعن جابر رضي الله عنه قال: «لَعَنَ رسول اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وموكله وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وقال: هُمْ سَوَاءٌ»(٢).

فهذا وعيد شديد لمن تساهل في الربا، ولم يتوق شر هذه المعاملة، وقد شهد عصرنا نكبات اقتصادية، وزلازل مالية، بسبب الربا، والتعامل الحرام بالمال، ولم يسلم من ذلك إلا من سلم من الربا، ومع ذلك فقد ازدادت فتنة المال، وانغمس الناس في جمعه، ووقعوا في الشبه والحرام، وأعرضوا عن منهج الإسلام، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ لكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ»(٣).

= رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٤/ ١١٧). وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٠٣٣).
وروي موقوفًا عن كعب قال: «لَأَنْ أَزْنِيَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ آكُلَ دِرْهَمَ رِبًا يَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي أَكَلْتُهُ حِينَ أَكَلْتُهُ رِبًا». رواه أحمد، ح(٢١٩٥٨) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح إلى كعب الأحبار». ورواه الدارقطني، ح(٢٤٨٧) وقال: «هذا أصح من المرفوع». وقال الألباني: «في حكم المرفوع لأنه لا يقال بمجرد الرأي كما لا يخفى». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٢٩).

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب آكل الربا وشاهده وكاتبه، ح(٢٠٨٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله، ح(١٥٩٨).

(٣) رواه أحمد، ح(١٧٤٧١) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح»، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، ح(٢٣٣٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ح(٢٥١٦)، والنسائي في الكبرى، ح(١١٧٩٥)، وابن حبان، ح(٣٢٢٣)، والطبراني في الكبير (١٩/ ١٧٩) ح(٤٠٤)، والأوسط ح(٣٢٩٥)، والحاكم (٥/ ٤٥٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٥٩٢).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»[1].

فنسأل اللَّه تعالى السلامة من كل شبهة، والنجاة من كل فتنة.

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب من لم يبال من حيث كسب المال، ح(٢٠٥٩)، وباب قول اللَّه تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾، ح(٢٠٨٣).

المبحث الثالث والعشرون
ضياع الأمانة(١) ورفعها

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا أُسْنِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»(٢).

وفي رواية: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ(٣) الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»(٤).

قال ابن الملقن رحمه الله: «جواب عام، دخل فيه تضييع الأمانة وما كان في

---

(١) قال النووي: «وأما الأمانة فالظاهر أن المراد بها التكليف الذي كلف اللَّه تعالى به عباده، والعهد الذي أخذه عليهم. قال الإمام أبو الحسن الواحدي رحمه الله في قول اللَّه تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]: «قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الفرائض التي افترضها اللَّه تعالى على العباد. وقال الحسن: هو الدين، والدين كله أمانة. وقال أبو العالية: الأمانة ما أمروا به وما نهوا عنه. وقال مقاتل: الأمانة الطاعة. قال الواحدي: وهذا قول أكثر المفسرين. قال: فالأمانة في قول جميعهم الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب واللَّه أعلم. وقال صاحب التحرير: الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ وهي عين الإيمان فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف واغتنم ما يرد عليه منها وجد في إقامتها واللَّه أعلم». شرح مسلم (٢/ ١٦٨). وانظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٨٨ - ٤٨٩)، وفتح الباري (١٣/ ٤٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ح(٦٤٩٦).

(٣) قال ابن حجر: قوله: «"إذا وسد" أي أسند، وأصله من الوسادة، وكان من شأن الأمير عندهم إذا جلس أن تثنى تحته وسادة، فقوله: وسد أي جعل له غير أهله وسادًا، فتكون إلى بمعنى اللام وأتى بها ليدل على تضمين معنى أسند». فتح الباري (١/ ١٤٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب العلم، باب من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، ح(٥٩).

معناها مما لا يجري على طريق الحق؛ كاتخاذ العلماء الجهال عند موت أهل العلم، واتخاذ ولاة الجور، وحكام الجور عند غلبة الباطل وأهله»(١).

وقال الأشقر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وضْع الرجل المناسب في المكان المناسب أحد القواعد الهامة التي لا تصلح حياة البشر بدونها، ولذلك فإن الفترات التي تولى فيها الحكم أصحاب الكفاءات العالية من أصحاب الصلاح والتقى فترات مضيئة مشرقة في تاريخ الأمة الإسلامية، وأكبر مقتل يفسد نظام الحياة أن يتولى الحكم والولايات والمناصب أقوام غير أكفاء يقودون الحياة بأهوائهم، ويترك الأخيار القادرون على تسيير الأمور على النحو الأمثل والأفضل»(٢).

«فإذا ضيع من يتولى أمر الناس الأمانة - والناس تبع لمن يتولى أمرهم - كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصلاح حال الولاة صلاح لحال الرعية، وفساده فساد لهم.

ثم إن إسناد الأمر إلى غير أهله دليل واضح على عدم اكتراث الناس بدينهم، لأنهم يولون من لا يهتم بدينه، وهذا إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وهذه هي مناسبة ذكر البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ لهذا الحديث في كتاب العلم»(٣).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومناسبة هذا المتن لكتاب العلم أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط، ومقتضاه أن العلم ما دام قائمًا ففي الأمر فسحة»(٤).

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ(٥) رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا

---

(١) التوضيح (٢٩/ ٥٧١). (٢) القيامة الصغرى ص(١٨٥).

(٣) أشراط الساعة للوابل، ص(١٣٠) بتصرف يسير. (٤) فتح الباري (١/ ١٤٣).

(٥) قال النووي: «معناه حدثنا حديثين في الأمانة وإلا فروايات حذيفة كثيرة في الصحيحين وغيرهما. قال صاحب التحرير وعنى بأحد الحديثين قوله: (حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال) وبالثاني: قوله: (ثم حدثنا عن رفع الأمانة إلى آخره)». شرح مسلم (٢/ ١٦٨).

وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ، حَدَّثَنَا أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ(١) قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ(٢)، وَحَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا قَالَ: يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ الْوَكْتِ(٣)، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ فَيَبْقَى أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ(٤) كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ(٥)، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ فَيُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَا أَعْقَلَهُ وَمَا أَظْرَفَهُ وَمَا أَجْلَدَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ(٦) وَمَا أُبَالِي أَيَّكُمْ بَايَعْتُ(٧)

---

(١) قال النووي: «أما الجذر فهو بفتح الجيم وكسرها لغتان وبالذال المعجمة فيهما، وهو الأصل. قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: مذهب الأصمعي في هذا الحديث فتح الجيم وأبو عمرو يكسرها». شرح مسلم (٢/ ١٦٨).

(٢) قال ابن حجر: «فيه إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل أن يتعلموا السنن، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي ﷺ واجبًا كان أو مندوبًا». فتح الباري (١٣/ ٣٩).

(٣) قال النووي: «بفتح الواو وإسكان الكاف وبالتاء المثناة من فوق وهو الأثر اليسير، كذا قاله الهروي. وقال غيرة هو سواد يسير. وقيل: هو لون يحدث مخالف للون الذي كان قبله». شرح مسلم (٢/ ١٦٨).

(٤) قال النووي: «بفتح الميم وإسكان الجيم وفتحها لغتان حكاهما صاحب التحرير، والمشهور الإسكان يقال منه مجلت يده بكسر الجيم تمجل بفتحها مجلًا بفتحها أيضًا، ومجلت بفتح الجيم تمجل بضمها مجلًا بإسكانها لغتان مشهورتان وأمجلها غيرها، قال أهل اللغة والغريب: المجل هو التنفط الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها ويصير كالقبة فيه ماء قليل». شرح مسلم (٢/ ١٦٩).

(٥) قال النووي: «الجمر والدحرجة معروفان، ونفط بفتح النون وكسر الفاء، ويقال: تنفط بمعناه، ومنتبرًا مرتفعًا وأصل هذه اللفظة الارتفاع ومنه المنبر لارتفاعه وارتفاع الخطيب عليه، وقوله: نفط ولم يقل نفطت مع أن الرجل مؤنثة: إما أن يكون ذكر نفط اتباعًا للفظ الرجل، وإما أن يكون اتباعًا لمعنى الرجل وهو العضو». شرح مسلم (٢/ ١٦٩).

(٦) قال ابن حجر: «يشير إلى أن حال الأمانة أخذ في النقص من ذلك الزمان، وكانت وفاة حذيفة في أول سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بقليل، فأدرك بعض الزمن الذي وقع فيه التغير فأشار إليه». فتح الباري (١٣/ ٣٩ - ٤٠).

(٧) قال النووي: «معنى المبايعة هنا البيع والشراء المعروفان، ومراده أنى كنت أعلم أن الأمانة لم ترتفع وأن في الناس وفاء بالعهود فكنت أقدم على مبايعة من اتفق غير باحث عن حاله وثوقًا بالناس وأمانتهم؛ فإنه إن كان مسلمًا فدينه وأمانته تمنعه من الخيانة وتحمله على أداء الأمانة، وإن كان كافرًا =

لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال صاحب التحرير(٢): معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلوب شيئًا فشيئًا، فإذا زال أول جزء منها زلَّ نورها وخلفته ظلمة كالوكت وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة، وهذه الظلمة فوق التي

= فساعيه وهو الوالي عليه كان أيضًا يقوم بالأمانة في ولايته فيستخرج حقي منه، وأما اليوم فقد ذهبت الأمانة فما بقي لي وثوق بمن أبايعه ولا بالساعي في أدائهما الأمانة، فما أبايع إلا فلانًا وفلانًا يعني أفرادًا من الناس أعرفهم وأثق بهم، قال صاحب التحرير والقاضي عياض رحمهما اللَّه: وحمل بعض العلماء المبايعة هنا على بيعة الخلافة وغيرها من المعاقدة والتحالف في أمور الدين، قالا: وهذا خطأ من قائله، وفي هذا الحديث مواضع تبطل قوله، منها قوله: ولئن كان نصرانيًا أو يهوديًا ومعلوم أن النصراني واليهودي لا يعاقد على شيء من أمور الدين واللَّه أعلم». شرح مسلم (٢/ ١٧٠). وقال ابن حجر: «مراده المبايعة في السلع ونحوها، لا المبايعة بالخلافة ولا الإمارة. وقد اشتد إنكار أبي عبيد وغيره على من حمل المبايعة هنا على الخلافة وهو واضح». فتح الباري (١٣/ ٤٠).

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ح(٦٤٩٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب، ح(١٤٣).

(٢) قال النووي في أول شرحه لمسلم (١/ ١٤٥-١٤٦): «وقال الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه التحرير في شرح صحيح مسلم». اهـ فهو ابن العلامة الحافظ، شيخ الإسلام، أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي التيمي الأصبهاني الملقب بقوام السنة مصنف كتاب الترغيب والترهيب، والحجة في بيان المحجة، وسير السلف الصالحين، ولد محمد هذا سنة خمسمائة، ونشأ وصار إمامًا في اللغة والعلوم، حتى ما كان يتقدمه كبير أحد في الفصاحة والبيان والذكاء، وكان أبوه يفضله على نفسه في اللغة وجريان اللسان، له تصانيف كثيرة، منها شرح على الصحيحين مات قبل إتمامهما فأتمهما والده، حيث مات في ريعان شبابه سنة ست وعشرين وخمسمائة، وله ستة وعشرون سنة، ولم أعثر على ذكر لوجود شرحه هذا، وإنما النووي يكثر النقل عنه في شروحه مما يدل على نفاسته وتحريره، ولعله من جملة ما فقد من تراث أهل الإسلام في عدوان التتر وإهلاكهم لبلاد المسلمين، أو من جملة ما تدسه المكتبات والخزائن الظاهرة والمستورة في الشرق أو الغرب في غياهبها مما يحفز أصحاب الهمم على التنقيب وكشف الأسرار واستخراج الكنوز والآثار. انظر: ترجمته في سير أعلام النبلاء ضمن ترجمة أبيه (٢٠/ ٨٣-٨٤)، وطبقات الأسنوي (١/ ٣٦١)، وشذرات الذهب (٤/ ١٠٥-١٠٦).

قبلها ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه، واعتقاب الظلمة إياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى التنفط»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعنى أن الأمانة تذهب حتى لا يبقى منها إلا الأثر الموصوف في الحديث»(٢).

وقال: «وحاصل الخبر أنه أنذر برفع الأمانة وأن الموصوف بالأمانة يسلبها حتى يصير خائنًا بعد أن كان أمينًا، وهذا إنما يقع على ما هو شاهد لمن خالط أهل الخيانة فإنه يصير خائنًا لأن القرين يقتدي بقرينه»(٣).

وقد دل هذا الأثر على أن الأمانة بدأ نقصانها من العصر الأول، ويؤيد هذا قوله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الأَمَانَةُ»(٤).

وهي من أعظم خصال الدين، وأظهر علامات الإيمان، ولذلك قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»(٥).

وفي هذا إشارة إلى أن ضياع الأمانة نتيجة لضياع الدين، والناس كلما دنوا من الساعة قلَّ دينهم، فقلَّت أماناتهم، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً»(٦).

---

(١) شرح مسلم (٢/ ١٦٩).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٩).

(٣) المصدر السابق (١٣/ ٣٩).

(٤) رواه الطبراني في الكبير، ح(٧١٨٢)، والقضاعي في مسند الشهاب، ح(٢١٥، ٢١٧)، والضياء في الأحاديث المختارة، ح(١٥٨٣)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(١٧٣٩).

(٥) رواه أحمد، ح(١٢٣٨٣)، وعبد بن حميد في المنتخب، ح(١١٩٨)، والبزار، ح(٧١٩٦)، وأبو يعلى، ح(٢٤٥٨)، والطحاوي في المشكل، ح(٣٨٩٧)، وابن حبان، ح(١٩٤)، والطبراني في الأوسط، ح(٢٦٠٦)، وقال البغوي: «هذا حديث حسن». شرح السنة (١/ ٧٥).

(٦) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، ح(٦٤٩٨).

قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللَّهُ: «يريد ﷺ أن الناس كثير والمرضي منهم قليل، كما أن المائة من الإبل لا تكاد تصاب فيها الراحلة الواحدة.

وهذا الحديث إنما يراد به القرون المذمومة في آخر الزمان، ولذلك ذكره البخاري هنا»[١] أي في باب رفع الأمانة.

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٩/ ٥٧٣).

المبحث الرابع والعشرون
كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه ذكر عن النبي ﷺ: «أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ، وَقَطْعَ الْأَرْحَامِ، وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ، وَظُهُورَ الْقَلَمِ»(١).

قال ابن حجر رحمه الله: «وقال القرطبي: شهادة الزور هي الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس أو أخذ مال أو تحليل حرام أو تحريم حلال، فلا شيء من الكبائر أعظم ضررًا منها ولا أكثر فسادًا بعد الشرك بالله»(٢).

فشهادة الزور كذب في الشهادة لإبطال الحق، وكتمان شهادة الحق منع للشهادة لإبطال الحق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي لا تخفوها وتغلوها ولا تظهروها، قال ابن عباس وغيره: شهادة الزور من أكبر الكبائر وكتمانها كذلك، ولهذا قال: ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾، قال السدي: يعني فاجر قلبه. وهذه كقوله تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾ [المائدة: ١٠٦]»(٣).

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ

---

(١) رواه أحمد، ح(٣٨٧٠) قال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، والبخاري في الأدب المفرد، ح(١٠٤٩)، والحاكم (٥/ ١٣٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٦٤٧).

(٢) فتح الباري (١٠/ ٤١٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٣).

بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ[(١)] - ثَلاَثًا -: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ» وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَمَازَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ»[(٢)].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وشهادة الزور: هي الشهادة بالكذب والباطل، وإنما كانت من أكبر الكبائر؛ لأنها يتوصل بها إلى إتلاف النفوس والأموال، وتحليل ما حرم اللَّه تعالى، وتحريم ما أحل، فلا شيء من الكبائر أعظم ضررًا، ولا أكثر فسادًا منها بعد الشرك، واللَّه تعالى أعلم»[(٣)].

وقال ابن حجر: «قوله: (وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا) يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريمه وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعًا على الناس والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعًا، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد، بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالبًا»[(٤)].

---

(١) قال النووي: «وأما قوله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قول الزور أو شهادة الزور» فليس على ظاهره المتبادر إلى الأفهام منه، وذلك لأن الشرك أكبر منه بلا شك، وكذا القتل، فلابد من تأويله، وفي تأويله ثلاثة أوجه، أحدها: أنه محمول على الكفر، فإن الكافر شاهد بالزور وعامل به. والثاني: أنه محمول على المستحل فيصير بذلك كافرًا. والثالث: أن المراد من أكبر الكبائر كما قدمناه في نظائره، وهذا الثالث هو الظاهر أو الصواب، فأما حمله على الكفر فضعيف، لأن هذا خرج مخرج الزجر عن شهادة الزور في الحقوق، وأما قبح الكفر وكونه أكبر الكبائر فكان معروفًا عندهم ولا يتشكك أحد من أهل القبلة في ذلك، فحمله عليه يخرجه عن الفائدة، ثم الظاهر الذي يقتضيه عموم الحديث وإطلاقه والقواعد أنه لا فرق في كون شهادة الزور بالحقوق كبيرة بين أن تكون بحق عظيم أو حقير». شرح مسلم (٢/ ٨٧ - ٨٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ح(٢٦٥٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ح(٨٧).

(٣) المفهم (١/ ٢٨٢).

(٤) فتح الباري (٥/ ٢٦٣).

فشهادة الزور سبب للظلم وضياع الحقوق، وظهورها دليل على ضعف الإيمان، وعدم الخوف من الرحمن، ولذلك قرنت بالإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكررها النبي ﷺ لشناعتها، وتعديها، ولكثرة الوقوع فيها، وعدم اهتمام الناس بها، ومن نظر في حياة الناس علم مدى تقحمهم في هذا الأمر الشديد، مع ما قد ورد فيه من الزجر والتهديد، فكم منهم يشهد بالباطل، ويحلف على ذلك، وقد قال النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ»(١).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ مَصْبُورَةٍ كَاذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ بِوَجْهِهِ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ»(٣).

وعن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»(٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، ح(٧٤٤٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة، ح(٢٢٥٨٩)، وأبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب التغليظ في الأيمان الفاجرة، ح(٣٢٤٢)، والحاكم (٤/ ٢٩٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٣٣٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب يحلف المدعى عليه حيثما وجبت عليه اليمين ولا يصرف من موضع إلى غيره، ح(٢٦٧٣).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق المسلم بيمين فاجرة بالنار، ح(١٣٧).

فلا يجوز لأحد أن يشهد بالكذب، لا على الأنظمة والحكومات ولا على الأفراد والجماعات، وذلك أن كثيرًا من الناس قد يتساهل في الأمر خاصة إذا كان متعلقًا بالحكومة والنظام، فيشهد لصاحبه أو لذي رحمه ليبسر شأنًا من شؤونه وهو كاذب، ويظن أن الكذب والشهادة بالباطل على الحكومة والنظام مما يتساهل فيه لأجل ذلك، ولا شك أن هذا ظلم للنفس وللغير، وإعانة على منكر، فأخلاق أهل الإسلام والإيمان كما قال اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] والقوام: صيغة مبالغة: أي كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط، فلا تراعوا الغني لغناه ولا الفقير بزعمكم رحمة له، بل اشهدوا بالحق على من كان، ولو كان أقرب قريب، ولا تتبعوا شهوات أنفسكم، فتجوروا لعداوة بينكم، بل قوموا لربكم واتقوه، فإنه خبير بحالكم ومجازيكم بأعمالكم.

فلا تجوز الشهادة إلا بعلم وحق، قال تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف: ٨١]، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

المبحث الخامس والعشرون
ظهور موت الفجأة

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى الْهِلَالُ قَبَلًا[١] فَيُقَالُ: لِلَيْلَتَيْنِ، وَأَنْ تُتَّخَذَ الْمَسَاجِدُ طُرُقًا[٢] وَأَنْ يَظْهَرَ مَوْتُ الْفَجْأَةِ[٣]»[٤].

(١) قال ابن الأثير: «أي يرى ساعة ما يطلع لعظمه ووضوحه من غير أن يتطلب وهو بفتح القاف والباء». النهاية (٤/ ٨).

(٢) قال المناوي: «للمارة يدخل الرجل من باب ويخرج من باب فلا يصلي فيه تحية». فيض القدير (٦/ ١٠).

(٣) قال ابن حجر: «وموت الفجأة وقوعه بغير سبب من مرض وغيره». فتح الباري (٣/ ٢٥٤). وقال المناوي: «فيسقط الإنسان ميتًا وهو قائم يكلم صاحبه أو يتعاطى مصالحه». فيض القدير (٦/ ١٠).

(٤) رواه والطبراني في الأوسط، ح(٩٣٧٦)، وفي الصغير، ح(١١٣٢)، وعنه الضياء في المختارة، ح(٢٣٢٧)، وقال الطبراني في الصغير: «لم يروه عن الشعبي إلا العباس بن ذريح ولا عنه إلا شريك تفرد به عبد الكبير».

ولعله يعني وصل الحديث، لأنه قد روي مرسلًا عن شريك من غير طريق عبد الكبير هذا:
فرواه علي بن الجعد في مسنده، ح(٢٣٩٨)، عن شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي مرسلًا.
ورواه أبو عمرو الداني في الفتن، ح(٣٩٩) عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود عن الشعبي مرسلًا. قال الدارقطني: «غريب من حديث الشعبي عنه، تفرد به العباس بن ذَريح عنه، وتفرد به شريك عن العباس، وتفرد به عبدالكبير بن المعافى بن عمران عن شريك». الأفراد (١/ ١٢٩ أطرافه) ح(٩٥١). وقال في العلل: «يرويه عبدالكبير بن المعافى، عن شريك، عن العباس بن ذريح، عن الشعبي، عن أنس عن النبي ﷺ. وغيره يرويه عن الشعبي مرسلًا، والله أعلم». (١٢/ ١٦٣). وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط عن شيخه الهيثم بن خالد المصيصي وهو ضعيف». مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٥). قلت: هو متابع عند ابن الجعد والداني كما تقدم، ولذلك حسنه الألباني بالشواهد في الصحيحة (٥/ ٣٧٠) ولكنه لم يجزم، وإنما قال: «في مرتبة الحسن إن =

وموت الفجأة يفجأ الإنسان ويبغته من غير مقدمات، وهذا أمر مشاهدٌ في هذا الزمان، وهو ما يسميه الناس بالسكتة القلبية أو الدماغية ونحو ذلك، أو بسبب كثرة حوادث النقل الحديثة من سيارات وقطارات وطائرات ونحو ذلك، فعلى العاقل أن ينتبه لنفسه.

فعن عبيد بن خالد - رضي الله عنه وكان من أصحاب النبي ﷺ - قال: «مَوْتُ الْفَجْأَةِ(١) أَخْذَةُ أَسَفٍ(٢)»، وحدث به مرة عن النبي ﷺ»(٣).

= شاء الله». والحديث رمز لضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٦/ ١٠ مع الفيض). ولم أقف على تحسين لغير الألباني، والنفس لا تطمئن لذلك، لاسيما وقد قال ابن حجر معلقًا على حديث «مَوْتُ الْفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسَفٍ»: «ليس في الباب حديث صحيح غيره». سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٢/ ٧٨) نقلًا عن: تخريج المختصر (ق ١/ ٧٦). وقد تابع أكثر المصنفين في هذا الباب على عد ذلك من الأشراط، فأردت التنبيه على أن الحديث قد لا يقوى لذلك، والله تعالى أعلم.

(١) قال العظيم آبادي: «بضم الفاء مدًّا وبفتحها وسكون الجيم قصرًا، قال ابن الأثير في النهاية: يقال: فجئه الأمر فجأة وفجاءة بالضم والمد وفاجأه مفاجأة إذا جاءه بغتة من غير تقدم سبب، وقيده بعضهم بفتح الفاء وسكون». عون المعبود (٨/ ٢٦٠).

(٢) قال ابن حجر: ««أسف» أي غضب وزنًا ومعنى، وروي بوزن فاعل أي غضبان» فتح الباري (٣/ ٢٥٤). وقال العيني: «ومعناه: أنه فعل ما أوجب الغضب عليه والانتقام منه بأن أماته بغتة من غير استعداد ولا حضور لذلك». عمدة القاري (٨/ ٢٢١). قال ابن بطال: «والأسف: الغضب، ويحتمل أن يكون ذلك، والله أعلم، لما في موت الفجأة من خوف حرمان الوصية، وترك الإعداد للمعاد، والاغترار الكاذبة، والتسويف بالتوبة». شرح البخاري (٣/ ٣٧٨). وقال ابن حجر: «وقد نقل عن أحمد وبعض الشافعية كراهة موت الفجأة، ونقل النووي عن بعض القدماء أن جماعة من الأنبياء والصالحين ماتوا كذلك، قال النووي: وهو محبوب للمراقبين. قلت: وبذلك يجتمع القولان». فتح الباري (٣/ ٢٥٥). وانظر: عمدة القاري (٨/ ٢٢١).

(٣) رواه أحمد، ح(١٥٤٩٦) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح». وأبو داود، كتاب الجنائز، باب موت الفجأة، ح(٣١١٠)، والبيهقي في السنن (٣/ ٣٧٨)، وقال النووي: «رواه أبو داود بالوجهين بإسناد صحيح». الخلاصة (٢/ ٩٠٣). وقال ابن حجر: «أخرجه أبو داود من حديث عبيد بن خالد السلمي ورجاله ثقات، إلا أن راويه رفعه مرة ووقفه أخرى». فتح الباري (٣/ ٢٥٤). وقال المنذري: «وحديث عبيد هذا أخرجه أبو داود ورجال إسناده ثقات والوقف فيه لا يؤثر، فإن مثله لا يؤخذ بالرأي، وكيف وقد أسنده مرة الراوي والله عز وجل أعلم». نقله عنه العظيم آبادي في عون المعبود (٨/ ٢٦٠).

وكان البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول:

«اغتنم في الفراغِ فضلَ ركوعٍ فعسى أن يكون موتك بَغْتَهْ
كم صحيحٍ رأيت من غير سُقمٍ ذهبتْ نفسه الصحيحةُ فلتهْ»[١].

(١) ذكره عنه ابن حجر في هدي الساري (١/ ٤٨١) وقال: «وكان من العجائب أنه هو وقع له ذلك أو قريبًا منه».

المبحث السادس والعشرون
تقارب الزمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ»(١).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونُ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ أَوِ الْخُوصَةِ»(٢).

اختلف العلماء رحمهم اللّه بالمراد في هذا الشرط إلى عدة أقوال:

القول الأول: «معناه تقارب أحوال أهل الزمان في قلة الدين، حتى لا يكون فيهم من يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر لغلبة الفسق وظهور أهله، أو في ترك طلب العلم خاصةً والرضا بالجهل، وذلك أن الناس لا يتساوون في العلم، لأن درج العلم تتفاوت، وإنما يتساوون إذا كانوا جهالًا»(٣).

القول الثاني: «المراد بذلك هو ما يكون في زمان المهدي وعيسى عليه السلام

---

(١) رواه البخاري، كتاب الكسوف، باب ما قيل في الزلازل والآيات، ح(١٠٣٦).

(٢) رواه أحمد، ح(١٠٩٤٣) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح»، والترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في تقارب الزمان، ح(٢٣٣٢)، وابن حبان، ح(٦٨٤٢)، وقال ابن كثير: «وهذا الإسناد على شرط مسلم». البداية والنهاية (١٩/ ٢٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٤٢٢).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٣).

من استلذاذ الناس للعيش وتوفر الأمن، وغلبة العدل، وذلك أن الناس يستقصرون أيام الرخاء وإن طالت، وتطول عليهم مدةُ الشدة وإن قصرت»[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتعقَّبه الكرماني بأنه لا يناسب أخواته من ظهور الفتن وكثرة الهرج وغيرهما. وأقول: إنما احتاج الخطابي إلى تأويله بما ذكر لأنه لم يقع النقص في زمانه، وإلا فالذي تضمنه الحديث قد وجد في زماننا هذا؛ فإنا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا وإن لم يكن هناك عيش مستلذ»[٢].

القول الثالث: «معنى تقارب الزمان استواء الليل والنهار»[٣].

القول الرابع: «معناه قصر الأعمار وقلة البركة فيها»[٤]. فتقصر «الأعمار بالنسبة إلى كل طبقة، فالطبقة الأخيرة أقصر أعمارًا من الطبقة التي قبلها»[٥].

القول الخامس: «المراد تسارع الدول إلى الانقضاء، والقرون إلى الانقراض، فيتقارب زمانهم وتتدانى أيامهم»[٦].

القول السادس: معناه قرب يوم القيامة، ودنو زمان الساعة[٧].

القول السابع: المراد قصرُ الزمان حقيقة، وسرعتُه سرعة حقيقية، بحيث

(١) عزاه ابن بطال في شرح البخاري (١٠/ ١٣) للخطابي، وانظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٠٩١)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٦).
(٢) فتح الباري (١٣/ ١٦).
(٣) ذكره ابن حجر في الفتح (١٣/ ١٦) وعزاه لبعضهم دون تسمية.
(٤) التذكرة للقرطبي (٣/ ١٠٩٠). (٥) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٦).
(٦) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٧)، وعزاه للبيضاوي، وفيه بعد ظاهر.
(٧) حكاه القرطبي في التذكرة (٣/ ١٠٩٠)، والنووي في شرح مسلم (١٦/ ٢٢١)، ووهاه الكرماني في شرح البخاري (٦/ ١٢٣) وقال: «هذا كلام مهمل لا طائل تحته»، وتعقبه ابن حجر بقوله: «وليس كما قال، بل معناه قرب الزمان العام من الزمان الخاص وهو يوم القيامة، وعند قربه يقع ما ذكر من الأمور المنكرة». فتح الباري (٢/ ٥٢٢).

تقصر مدة الأيام، وذلك في آخر الزمان، على نحو ما جاء في الحديث: «فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَيَكُونُ الشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَاحْتِرَاقِ السَّعَفَةِ»(١).

«ونقل ابن التين عن الداودي أن معنى حديث الباب أن ساعات النهار تقصر قرب قيام الساعة ويقرب النهار من الليل، قال ابن حجر: وتخصيصه ذلك بالنهار لا معنى له»(٢).

القول الثامن: المراد التقارب والقصر المعنوي، بحيث تقل البركة من الزمان، ويصير الانتفاع باليوم كالانتفاع بالساعة في قلة البركة والشعور بسرعة الانقضاء.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذي تضمنه الحديث قد وجد في زماننا هذا، فإنا نجد من سرعة مر الأيام ما لم نكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا، وإن لم يكن هناك عيش مستلذ، والحق أن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان، وذلك من علامات قرب الساعة»(٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون المراد بتقارب الزمان قصره على ما وقع في حديث: «لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر»، وعلى هذا فالقصر يحتمل أن يكون حسيًّا، ويحتمل أن يكون معنويًا، أما الحسي فلم يظهر بعد، ولعله من الأمور التي تكون قرب قيام الساعة(٤)، وأما المعنوي فله مدة

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٠٩٠)، وشرح السنة للبغوي (١٥/ ٢٧)، وكشف مشكل الصحيحين لابن الجوزي (٣/ ٣٣٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٧). ولعل معناه ومراد الداوودي أن تقارب الزمان: استواء الليل والنهار، كما تقدم في القول الثالث، والله أعلم.

(٣) فتح الباري (١٣/ ١٦ - ١٧).

(٤) وقوع هذا في آخر الزمان ليس بالأمر البعيد، ويؤيده أن أيام الدجال ستطول، حتى يكون اليوم كالسنة وكالشهر وكالجمعة في الطول، فكما أن الأيام تطول فكذلك قد تقصر لاختلال نظام العالم وقرب زوال الدنيا، والله أعلم.

منذ ظهر، يعرف ذلك أهل العلم الديني ومن له فطنة من أهل السبب الدنيوي، فإنهم يجدون أنفسهم لا يقدر أحدهم أن يبلغ من العمل قدر ما كانوا يعملونه قبل ذلك، ويَشْكُون ذلك، ولا يدرون العلة فيه، ولعل ذلك بسبب ما وقع من ضعف الإيمان لظهور الأمور المخالفة للشرع من عدة أوجه، وأشد ذلك الأقوات، ففيها من الحرام المحض ومن الشبه ما لا يخفى، حتى إن كثيرًا من الناس لا يتوقف في شيء، ومهما قدر على تحصيل شيء هجم عليه ولا يبالي، والواقع أن البركة في الزمان وفي الرزق وفي النبت إنما يكون من طريق قوة الإيمان واتباع الأمر واجتناب النهي، والشاهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] انتهى ملخصًا»[(١)].

ونَقل عن النووي والقاضي عياض أنهم قالوا عن هذا القول: «وهذا أظهر وأكثر فائدة وأوفق لبقية الأحاديث»[(٢)].

القول التاسع: معناه ما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين الناس وما بين المدن والأقاليم وقِصر المسافة بسبب اختراع وسائل الاتصالات والمواصلات[(٣)].

قال محمد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أظهر من كل ما قالوه، وأليق بكونه إخبارًا عن غيب لا مجال للرأي فيه، ولا يعرف إلا بوحي من اللَّه تعالى، وما قالوه يختلف باختلاف الناس في كل زمان، - ثم ذكر ما ذهب إليه عياض والنووي وابن حجر من أن المعنى نزع البركة من الزمان - قال: وهذا وهم ظاهر، ونحن نقول إن بعض ما يعمل الآن في ساعة واحدة، لم يكن يمكن عمله في يوم، وما يعمل في يوم واحد كان يحتاج فيه إلى أسبوع الخ»[(٤)].

---

(١) فتح الباري (١٣/ ١٧). (٢) المصدر السابق (١٣/ ١٧).

(٣) اختار هذا القول: محمد رشيد رضا في تفسيره المنار (٩/ ٤٨٥ - ٤٨٦)، والتويجري في إتحاف الجماعة (١/ ٤٩٧ - ٤٩٨)، وابن باز في تعليقه على فتح الباري (٢/ ٥٢٢).

(٤) تفسير المنار (٩/ ٤٨٥ - ٤٨٦).

وهذا القول قد يكون ظاهرًا في زماننا، ولكن القطع بأن هذا القول هو الأظهر والأليق من كل ما قالوه، وما عداه وهم ظاهر، فيه نظر، وذلك أنه ورد في أحاديث الملحمة الكبرى قبل الدجال أن القتال فيها يكون بالسيوف وعلى الخيول، وكذا في أحاديث الدجال وابن مريم، - على ما سيأتي في موضعه - مما ينبئ بتعطل هذه الآلات، فكيف يفسر تقارب آخر الزمان بها؟!

ثم القول: أن ما قالوه: «من نزع البركة من الزمان» يختلف باختلاف الناس في كل زمان، صحيح، ولكن الحكم للغالب، وهم يحكون هذا عن أنفسهم وخواص أهل زمانهم، ولا يزال الأمر يتناقص، فنحن ورغم ما حصل عندنا من تقدم وآلات ووسائل، نجد أنفسنا عاجزين عن بلوغ ما قدمه الأوائل للإسلام في شتى الميادين، بل قد عجزنا عن الاستفادة مما تركوه، وبعث ما قد سطروه، مما يدلنا على أن اللَّه تعالى قد أودع في أوقاتهم من البركة ما قد تعجز عقول الأواخر عن إدراكها.

فالقول أن معنى تقارب الزمان: نزع البركة منه، وقد ظهرت مباديه وهو في ازدياد، أو أنه أمر حسي على ظاهر الأحاديث لم يظهر بعد، أقرب الأقوال واللَّه تعالى أعلم.

المبحث السابع والعشرون
التشدق في الكلام، والتكسب باللسان

عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا يَأْكُلُ الْبَقَرُ بِأَلْسِنَتِهَا»(١).

قال البرزنجي رحمه الله: «ومعناه: يمدحون الناس ويظهرون محبتهم نفاقًا ويطرونهم، ويمدحون أنفسهم حتى يتوسلوا إلى أخذ الأموال منهم»(٢).

وقال علي القاري رحمه الله: «أي يجعلون ألسنتهم وسائل أكلهم، كالبقرة تأخذ العلف بلسانها، قال التوربشتي: ضرب للمعنى مثلًا يشاهده الراؤون من حال البقر ليكون أثبت في الضمائر، وذلك أن سائر الدواب تأخذ من نبات الأرض بأسنانها، فضرب بها المثل لمعنيين، أحدهما: أنهم لا يهتدون من المآكل إلا إلى ذلك سبيلًا، كما أن البقرة لا تتمكن من الاحتشاش إلا بلسانها، والآخر: أنهم في مغزاهم ذلك كالبقرة التي لا تستطيع أن تميز في رعيها بين الرطب والشوكة وبين الحلو والمر، بل تلف الكل بلسانها لفًّا، فكذلك هؤلاء الذين يتخذون ألسنتهم ذريعة إلى مآكلهم، لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الحلال والحرام، سماعون للكذب أكالون للسحت»(٣).

وقد جاء في هذا المعنى رواية عن عمر بن سعد بن أبي وقاص رحمه الله قال:

---

(١) رواه أحمد، ح(١٥٩٧) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حسن لغيره، رجاله رجال الصحيح إلا أن زيد بن أسلم لم يسمع من سعد»، وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١١٦).

(٢) الإشاعة لأشراط الساعة ص(١٥١).

(٣) مرقاة المفاتيح (٩/ ٤٥).

«كانت لي حاجة إلى أبي، فقدَّمت بين يدي حاجتي كلامًا مما يحدث الناس يوصلون لم يكن يسمعه، فلما فرغت قال: يا بني قد فرغت من كلامك؟ قلت: نعم. قال: ما كنت من حاجتك أبعد، ولا كنت فيك أزهد مني منذ سمعت كلامك هذا، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «سَيَكُونُ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرُ مِنَ الأَرْضِ»[(١)].

وقد وجد هذا الشيء في كثير من أهل هذا الزمان وهو أمر يمقته اللَّه تعالى، فعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ[(٢)] تَخَلُّلَ الْبَاقِرَةِ[(٣)] بِلِسَانِهَا»[(٤)].

وفي رواية: «الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقَرَةُ»[(٥)].

والبليغ: المبالغ في فصاحة الكلام وبلاغته، أو المتكلم بالكلام البليغ بالتكلف دون الطبع والسليقة.

---

(١) رواه أحمد، ح(١٥١٧)، وقال الأرناؤوط: «حسن لغيره»، والبزار في مسنده، ح(١١٩٣، ١٢١٢)، عن عائشة بنت سعد عن أبيها، والشاشي في مسنده، ح(١٢٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١١٦): «رواه أحمد والبزار من طرق وفيه راو لم يسم، وأحسنها ما رواه أحمد عن زيد بن أسلم، عن سعد، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن زيد بن أسلم لم يسمع من سعد، واللَّه أعلم»، وأورده الألباني في سلسلته الصحيحة، ح(٤١٩)، وقال بعد ذكر طرقه: «وجملة القول أن الحديث بهذه الطرق حسن إن شاء اللَّه تعالى أو صحيح».

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (٢/ ٧٣): «هو الذي يتشدق في الكلام ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفًا».

(٣) الباقرة: ويقال: الباقورة، والأبقور: هي البقر بلغة أهل اليمن. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ١٤٥)، والمغرب في ترتيب المعرب لأبي الفتح المطرزي (١/ ٨٢)، وعمدة القاري للعيني (٩/ ٢٦).

(٤) رواه أحمد، ح(٦٥٤٣، ٦٧٥٨) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده حسن»، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في التشدق في الكلام، ح(٥٠٠٥)، وصححه الألباني في تعليقه، والطبراني في الكبير، ح(١٤٣٥٩)، وفي الأوسط، ح(٥٠٩١).

(٥) رواه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في الفصاحة والبيان، ح(٢٨٥٣)، والبزار في مسنده، ح(٢٤٥٢)، والبهقي في شعب الإيمان، ح(٤٦١٨)، وصححه عبدالقادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول لابن الأثير (١١/ ٧٣١).

والتشبيه بالبقر يدل على الذم، وسوء الفعل، والتشدق في الكلام، وملء الفم به، والتفاخر بالفصاحة، والخلط بين الحق والباطل، وكل هذا مما يبغضه اللَّه تعالى، والمرضي من الكلام ما يكون قدر الحاجة، ويوافق ظاهره باطنه على منوال الشريعة.

قال نعيم بن حماد رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمعت ابن المبارك يقول: أدركت أصحابنا يقطعون الكلام - يريد أنهم كانوا يخافون حديث النبي ﷺ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ»»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يكره التقعير في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون وزخارف القول، فكل ذلك من التكلف المذموم، وكذلك تكلف السجع، وكذلك التحري في دقائق الإعراب ووحشي اللغة في حال مخاطبة العوام، بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظًا يفهمه صاحبه فهمًا جليًّا ولا يستثقله»(٢).

وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِئُكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ»(٣).

وفي رواية: من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «شِرَارُ أُمَّتِي الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ وَخِيَارُ أُمَّتِي أَحَاسِنُهُمْ أَخْلَاقًا»(٤).

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ««الثرثارون»: أي الذين يكثرون الكلام تكلفًا وتشدقًا،

---

(١) رواه البيهقي في الشعب، ح(٤٦٢٤). (٢) الأذكار ص(٢٥٦).

(٣) رواه أحمد، ح(١٧٧٣٢، ١٧٧٤٣) وقال الأرناؤوط: «حسن لغيره»، وابن حبان في صحيحه، ح(٤٨٢)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(٣٤٩٠)، والبيهقي في شعب الإيمان، ح(٤٦١٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١): «رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح». ورواه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، ح(٢٠١٨) من حديث جابر، وصححه الألباني في الصحيحة ح(٧٩١).

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة، ح(١٣٠٨) وصححه الألباني في تعليقه.

والثرثرة كثرة الكلام وترديده، «المتفيهقون» أي الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم ويتفصحون فيه، «المتشدقون» الذين يتكلمون بأشداقهم ويتمقعرون في مخاطبتهم»(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الحَيَاءُ وَالعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالبَذَاءُ وَالبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ»(٢).

قال الترمذي رحمه الله: «والعي قلة الكلام، والبذاء: هو الفحش في الكلام، والبيان: هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسعون في الكلام ويتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي اللّه»(٣).

ولا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ بما يأسر القلوب، ويفتح الأسماع.

قال النووي رحمه الله: «واعلم أنه لا يدخل في الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب، لأن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة اللّه عز وجل، ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر»(٤). واللّه تعالى أعلم.

---

(١) فيض القدير (٣/ ٦١٩)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٢٠٩)، (٣/ ٤٨٢).

(٢) رواه أحمد، ح(٢٢٣١٣)، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في العي، ح(٢٠٢٧) وحسنه، والطحاوي في المشكل، ح(٢٩٨٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٥) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقد احتجا برواته عن آخرهم».

(٣) سنن الترمذي (٤/ ٣٧٥). (٤) الأذكار ص(٢٥٦).

الفصل الثالث
الأشراط الصغرى التي لم تظهر بعد

المبحث الأول: انتفاخ الأهلة

المبحث الثاني: حسر الفرات عن جبل من ذهب

المبحث الثالث: خروج القحطاني والجهجاه

المبحث الرابع: كثرة المطر وقلة النبات

المبحث الخامس: ظهور الخسف والمسخ والقذف في هذه الأمة

المبحث السادس: تمني الموت من شدة البلاء والفتن

المبحث السابع: صدق رؤيا المؤمن

المبحث الثامن: كثرة الزلازل والموت

المبحث التاسع: خروج المهدي ونزول الخلافة بالشام

المبحث العاشر: كثرة الروم وقتالهم المسلمين (الملحمة الكبرى)

المبحث الحادي عشر: فتح القسطنطينية ورومية

المبحث الثاني عشر: كثرة النساء وقلة الرجال

المبحث الثالث عشر: قتال اليهود واستئصالهم

المبحث الرابع عشر: عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا

المبحث الخامس عشر: كلام الجمادات والدواب

المبحث السادس عشر: الريح التي تقبض أرواح المؤمنين

المبحث السابع عشر: هدم الحبشة للكعبة في آخر الزمان
المبحث الثامن عشر: نفي المدينة لشرارها ثم خرابها آخر الزمان
المبحث التاسع عشر: عودة الشرك إلى الأرض

المبحث الأول
انتفاخ الأهلة

عن عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ انْتِفَاخُ[١] الأَهِلَّةِ»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ انْتِفَاخُ الأَهِلَّةِ، حَتَّى يُرَى الْهِلَالُ لِلَيْلَةٍ، فَيُقَالُ: لِلَيْلَتَيْنِ»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى الْهِلَالُ قَبَلًا[٤] فَيُقَالُ: لِلَيْلَتَيْنِ»[٥].

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية ٥/ ٨٩: «انتفاخ الأهلة أي عظمها ورجل منتفخ ومنفوخ أي سمين».

(٢) رواه الطبراني في الكبير، ح(١٠٤٥١)، وابن عدي في الكامل (٤/ ٢٨٩)، والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٧٦٣ - ٧٦٤)، وأعلّوه بعبدالرحمن بن يوسف، فقال ابن عدي: «ليس بمعروف، والحديث منكر عن الأعمش بهذا الإسناد، ولا أعرف لعبدالرحمن بن يوسف غيره»، وقال العقيلي: «مجهول في النسب والرواية، حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلا به»، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٤٦): «فيه عبدالرحمن بن يوسف، ذكر له في الميزان هذا الحديث وقال مجهول».

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٦٨٤٦)، وفي الصغير، ح(٨٧٧)، وفي مسند الشاميين، ح(٣٣٥٦)، وقال: «تفرد به مبشر بن إسماعيل»، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ١٤٦): «رواه الطبراني في الصغير، وفيه عبدالرحمن بن الأزرق الأنطاكي، ولم أجد من ترجمه»، وأقره الألباني على جهالته، وزاد أنه لم يعرف ولده محمد بن عبدالرحمن، لكن استأنس بقول الطبراني في تفرد مبشر به، وأن هذا يدل على عدم تفرد محمد بن عبدالرحمن وأبيه. سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٣٦٦).

(٤) قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٨): «أي يرى ساعة ما يطلع لعظمه ووضوحه من غير أن يُتَطَلَّب، وهو بفتح القاف والباء».

(٥) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٩٣٧٦)، وفي الصغير، ح(١١٣٢) وقال: «لم يرو هذا الحديث عن العباس بن ذريح إلا شريك تفرد به عبد الكبير بن المعافى». قلت: ولعله يعني وصل الحديث، لأنه =

هذه الأحاديث يفسر بعضها بعضًا، وأن المراد من انتفاخ الأهلة كبر حجمها عند ظهورها، بحيث تكون واضحة لا تحتاج إلى تطلب، ويُظن أنها لليلتين وهي لليلة واحدة، وأن ذلك علامة على قرب الساعة، ولكن اختلف العلماء - رحمهم اللَّه تعالى - في هذه العلامة، هل هي مما ظهرت مباديها ولا تزال في ازدياد ولما تكتمل بعد[١]، أو هي مما لم تظهر بعد، والذي يبدو أن هذه العلامة مما لم تظهر بعد، وذلك أن قوله ﷺ: «انْتِفَاخُ الأَهِلَّةِ» جمع يدل على تكرر الأمر وكثرته، وهذا مما لم يحصل بعد، ولو حصل لتواتر العلم به، كالشأن في بقية الأمارات التي انقضت، أو هي موجودة الآن ولما تنقضي بعد، ولا يزال الناس يختلفون في أول الأهلة، ولو كانوا يرونها قَبَلًا منتفخة كابن ليلتين ما اختلفوا، واللَّه تعالى أعلم[٢].

ولا تعلق لهذه العلامة في حكم دخول الشهر بحيث يزاد في الشهر يومًا نظرًا لحجم الهلال ويحسب لليلتين، فلا دخل لصغر الهلال وكبره في إثبات دخول الشهر، وإنما العبرة بالرؤية، قال أبو البَخْتَري[٣] رَحِمَهُ اللَّهُ: «خرجنا للعمرة،

= قد روي مرسلًا عن شريك من غير طريق عبد الكبير، فرواه علي بن الجعد في مسنده، ح(٢٣٩٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه، عن وكيع عن شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي مرسلًا، وأبو عمرو الداني في الفتن، ح(٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٩) من طرق عن حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود عن الشعبي مرسلًا، قال الألباني في الصحيحة (٥/ ٣٦٧): «وهذا إسناد مرسل حسن، لما عرف من حال ابن بهدلة». وقال السخاوي عن طرق هذه الأحاديث: «وبعضها يتقوى ببعض»، المقاصد الحسنة، ح(١٢٠٣)، ونحوه قال العجلوني في كشف الخفاء، ح(٢٥٤٥)، وصحح الألباني حديث أبي هريرة في الصحيحة، ح(٢٢٩٢) وقال: «لكن الحديث صحيح عندي على كل حال، فإن له شواهد تقويه»، وقال عن حديث أنس بعد أن ذكر طرقه: «وبالجملة، فهذه الطرق وإن كانت لا تخلو من ضعف، فبعضها يتقوى ببعض كما قال السخاوي في المقاصد الحسنة». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٣٦٩).

(١) اختار هذا القول: البرزنجي في الإشاعة ص(١٤٣)، والسفاريني في لوامع الأنوار (٢/ ٦٨) وغيرهما.

(٢) انظر: القيامة الصغرى للأشقر ص(٢٠٤)، والتعليق على السنن الواردة في الفتن للداني (٤/ ٧٩٤ - ٧٩٥).

(٣) قال النووي: «هو بفتح الموحدة وإسكان الخاء المعجمة وفتح التاء واسمه سعيد بن فيروز ويقال: بن عمران ويقال: بن أبي عمران الطائي، توفي سنة ثلاث وثمانين عام الجماجم». شرح مسلم (٧/ ١٩٩).

فلما نزلنا ببطن نخلة تراءينا الهلال، فقال بعض القوم: هو ابن ثلاث. وقال بعض القوم: هو ابن ليلتين. قال: فلقينا ابن عباس فقلنا: إنا رأينا الهلال، فقال بعض القوم: هو ابن ثلاث. وقال بعض القوم: هو ابن ليلتين. فقال: أي ليلة رأيتموه؟ قال: فقلنا: ليلة كذا وكذا. فقال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ مَدَّهُ لِلرُّؤْيَةِ فَهُوَ لِلَيْلَةٍ رَأَيْتُمُوهُ»(١).

وفي رواية: قال: «أهللنا رمضان ونحن بذات عرق، فأرسلنا رجلًا إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قد أَمَدَّهُ لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ»(٢).

فهؤلاء الرهط استشكلوا حال الهلال، ورأوا أنه أكبر من ابن ليلة لعلوه، فبين لهم ابن عباس أنه ابن ليلة، وأنه لا عبرة بعلوه، لأن اللَّه عز وجل يمده لأجل رؤيته.

قال النووي رحمه الله في تبويبه: «بيان أنه لا اعتبار بكبر الهلال وصغره وأن اللَّه تعالى أمده للرؤية فإن غم فليكمل ثلاثون»(٣).

(١) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب بيان أنه لا اعتبار بكبر الهلال وصغره وأن اللَّه تعالى أمده للرؤية فإن غم فليكمل ثلاثون، ح(١٠٨٨).

(٢) المصدر السابق، ح(١٠٨٨).

(٣) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/ ١٩٨).

المبحث الثاني
حسر الفرات عن جبل من ذهب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ(١) الْفُرَاتُ(٢) عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»(٣).

وفي رواية: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عن كَنْزٍ(٤) من ذَهَبٍ فَمَنْ حَضَرَهُ فلا يَأْخُذْ منه شيئًا»(٥).

وعن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل(٦) رحمه الله قال: «كنت واقفًا مع

(١) قال النووي: «هو بفتح الياء المثناة تحت وكسر السين أي ينكشف لذهاب مائه». شرح مسلم (١٨/ ١٨).

(٢) هو النهر المعروف المشهور بالعراق، وأصله من الجنة، قال ﷺ: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ من أَنْهَارِ الْجَنَّةِ». رواه مسلم، كتاب الجنة، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة، ح(٢٨٣٩). وانظر: شرح النووي لمسلم (١٧/ ١٧٦)، وفتح الباري (٧/ ٢١٣ - ٢١٤).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، ح(٢٨٩٤). وزاد في رواية: «فقال أبي: إن رأيته فلا تقربنه». وزاد بن حبان ح(٦٦٩١): «قال: يا بني إن أدركته فلا تكونن ممن يقاتل عليه» والقائل هو أبو الصالح السمان الراوي عن أبي هريرة لابنه سهيل.

(٤) قال ابن حجر: «وتسميته كنزًا باعتبار حاله قبل أن ينكشف، وتسميته جبلاً للإشارة إلى كثرته». فتح الباري (١٣/ ٨٠).

(٥) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار، ح(٧١١٩)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، ح(٢٨٩٤).

(٦) هو عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل الهاشمي، تابعي ثقة، ولد في حياة النبي ﷺ، بايعه أهل البصرة أميرًا عليهم بعد موت يزيد، وكتبوا إلى ابن الزبير بذلك فأقرهم، وكان من أبناء الثمانين، وحديثه في الكتب الستة، وكان كثير الحديث، مات سنة ثلاث وثمانين. انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٢٠٠ - ٢٠١).

أبي بن كعب رضي الله عنه فقال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا. قلت: أجل. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عن جَبَلٍ من ذَهَبٍ فإذا سمع بِهِ الناس سَارُوا إليه، فيقول من عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا الناس يَأْخُذُونَ منه لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ، قال: فَيَقْتَتِلُونَ عليه فَيُقْتَلُ من كل مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ»[1].

اشتملت هذه الأحاديث على فوائد وأحكام عدة:

الأولى: قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ».

وهذا فيه دلالة على أن انحسار الفرات عن جبل من ذهب من علامات الساعة، وليس في الأحاديث إشارة إلى وقت ذلك وزمانه، وذهب بعض العلماء إلى أن هذه العلامة تكون قبيل ظهور المهدي ومن إرهاصات خروجه، قال البرزنجي رحمه الله: «أما الأمارات الدالة على خروجه، فمنها: أن ينشق الفراتُ فينحسر عن جبل من ذهب»[2]، وقد يستدل لهذا بقول علي رضي الله عنه: «الفتن أربعٌ: فتنةُ السراء، وفتنة الضراء، وفتنة كذا فذكر معدن الذهب، ثم يخرج رجلٌ من عترة النبي ﷺ يُصلحُ اللَّهُ على يديه أمرَهم»[3].

وهذا فيه أن المهدي يخرج بعد فتنة معدن الذهب، وجاء في حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ» ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ: «فَإِذَا

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، ح(٢٨٩٥).

(٢) الإشاعة لأشراط الساعة ص(١٨٣).

(٣) رواه نعيم بن حماد في الفتن، ح(٩٤)، وقال السيوطي في الحاوي (٢/ ٦٧): «سند صحيح على شرط مسلم».

رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»[(١)].

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ح(٤٠٨٤)، والبزار في مسنده، ح(٤١٦٣)، والروياني في مسنده، ح(٦٣٧)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٥٧)، واختلف في تصحيحه وتضعيفه، فممن صححه: البزار في مسنده (١٠/ ١٠٠) حيث قال: «وهذا الحديث قد رُوِيَ نحو كلامه من غير هذا الوجه بهذا اللفظ وهذا اللفظ لا نعلمه إلَّا في هذا الحديث وإن كان قد روى أكثر معنى هذا الحديث فإنا اخترنا هذا الحديث لصحته وجلالة ثوبان وإسناده إسناد صحيح»، وكذلك الحاكم في المستدرك (٥/ ٦٥٧) بقوله: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» وأقره الذهبي، وأيضًا القرطبي في التذكرة (٣/ ١٢٠١) بقوله: «إسناد صحيح»، وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٦٢) بقوله: «وهذا إسناد قوي صحيح»، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٣/ ٢٦٣)، وشعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند (٣٧/ ٧١) وقال: «ورجاله ثقات رجال الصحيح، لكن خالف الثوريَّ في إسناده عبدُالوهاب بن عطاء، فأخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٢)، وعنه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٦) من طريق يحيى بن أبي طالب، عن عبدالوهاب بن عطاء، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان موقوفًا».

وضعفه جماعة: قال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل: «حدثني أبي قال: قيل لابن علية في هذا الحديث؟ فقال: كان خالد يرويه فلم يُلتَفَت إليه، ضعَّفَ ابنُ علية أمره، يعني: حديث خالد، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، عن النبي ﷺ في الرايات». العلل (٢/ ٣٢٥). وقال ابن كثير: «رواه بعضهم عن ثوبان فوقفه، وهو أشبه، واللَّه أعلم». البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٣). وقال الذهبي: «أراه منكرًا، وقد رواه الثوري، وعبدالعزيز بن المختار، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، فقال: عن أسماء، عن ثوبان». ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٨). وقال الألباني: «منكر... وقد ذهل من صححه عن علته، وهي عنعنة أبي قلابة، فإنه من المدلسين كما تقدم نقلُه عن الذهبي وغيره، ولعله لذلك ضعف الحديث ابنُ علية من طريق خالد، كما حكاه عنه أحمد في العلل وأقره، لكن الحديث صحيح المعنى، دون قوله: «فإن فيها خليفة اللَّه المهدي» فقد أخرجه ابن ماجه من طريق علقمة عن ابن مسعود مرفوعًا نحو رواية ثوبان الثانية، وإسناده حسن بما قبله، فإن فيه يزيد بن أبي زياد وهو مختلف فيه فيصلح للاستشهاد به، وليس فيه أيضًا ذكر خليفة اللَّه ولا خراسان، وهذه الزيادة خليفة اللَّه ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهدًا لها، فهي منكرة كما يفيده كلام الذهبي السابق، ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة اللَّه، لما فيه من إيهام ما لا يليق باللَّه تعالى من النقص والعجز، وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فقال في الفتاوى (٣٥/ ٤٤ - ٤٥): «وقد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربي، أن الخليفة هو الخليفة عن اللَّه، مثل نائب اللَّه، واللَّه تعالى لا يجوز له خليفة، ولهذا قالوا لأبي بكر: يا خليفة اللَّه! فقال: لست بخليفة اللَّه، ولكن خليفة رسول اللَّه ﷺ، حسبي ذلك، بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره، قال النبي ﷺ: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللَّهم اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا»، وذلك لأن اللَّه حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين، =

وهذا الحديث مختلف في تصحيحه، ومختلف في تفسير المراد بالكنز الوارد فيه، فمن قائل إنه كنز الكعبة، ومن قائل إنه كنز الفرات، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والظاهر أن المراد بهذا الكنز المذكور كنز الكعبة، يقتتلون عنده؛ ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى إذا كان في آخر الزمان خرج المهدي من بلاد المشرق، وقيل: من مكة. لا من سرداب سامرا، كما تزعمه الرافضة من أنه محبوس فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، وهذا من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، وهوس شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، من كتاب ولا سنة ولا معقول صحيح ولا بيان»(١).

قال التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا نظر، لما تقدم في باب النهي عن تهييج الترك والحبشة - ثم ذكر حديث إخراج الحبشة لكنز الكعبة - ثم قال: والأقرب في الكنز المذكور في حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه الكنز الذي يحسر عنه الفرات، وقد يكون غيره. والله أعلم»(٢).

قلت: ما استشكله رَحِمَهُ اللَّهُ ليس فيه إشكال، وما استدل به ليس فيه استدلال، وذلك أنه جاء في حديث ثوبان: «ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ»، فالحديث فيه أنهم يقتتلون عليه ولا يصير لهم، لأن الذي يصير إليه الكنز هو ذو السويقتين من الحبشة، ثم كنز الفرات لا يقتتل عليه ثلاثة فحسب، بل كما جاء في الرواية: «يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ»، وفي الرواية الأخرى: «فإذا سمع بِهِ الناس سَارُوا إليه»، وكنز الكعبة معلوم خبره ومكانه من عهد الجاهلية، والذي يقتتل عليه هم

= ليس له شريك ولا ظهير، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة، ويكون لحاجة المستخلف، وسمي خليفة، لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى، وهو منزه عنها، فإنه حي قيوم شهيد لا يموت ولا يغيب... ولا يجوز أن يكون أحد خلفًا منه ولا يقوم مقامه، إنه لا سمي له ولا كفء، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به». سلسلة الأحاديث الضعيفة، (١/ ١٩٧ - ١٩٨) ح(٨٥).

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٦٢). (٢) إتحاف الجماعة (٢/ ١٨٧).

العرب فحسب، قال ﷺ: «لَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»(١).

فالذي استظهره ابن كثير من أن الكنز الوارد في حديث ثوبان هو كنز الكعبة هو الأظهر والله أعلم.

وقد ذكر ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكنز الوارد في حديث ثوبان بأنه كنز الفرات احتمالًا حيث قال عن حديث ثوبان: «فهذا إن كان المراد بالكنز فيه الكنز الذي في حديث الباب دل على أنه إنما يقع عند ظهور المهدي وذلك قبل نزول عيسى وقبل خروج النار جزمًا والله أعلم»(٢).

قلت: لعل في أثر علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدم غنية عن الاستدلال بهذا، وأن حسر الفرات يحتمل أن يكون قبيل خروج المهدي بقليل على ما ذهب إليه البرزنجي والله أعلم.

الثانية: قوله ﷺ «يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ»، «فإذا سمع بِهِ الناس سَارُوا إليه فيقول من عِنْدَهُ: لَئِنْ تَرَكْنَا الناس يَأْخُذُونَ منه لَيُذْهَبَنَّ بِهِ كُلِّهِ، قال: فَيَقْتَتِلُونَ عليه فَيُقْتَلُ من كل مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ» وهذا هو علة النهي في قوله ﷺ: «فَمَنْ حَضَرَهُ فلا يَأْخُذْ منه شيئًا».

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو الذي يدل عليه الحديث»(٣).

---

(١) رواه أحمد، ح(٧٩١٠، ٨١١٤، ٨٣٥١، ٨٦١٩) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، وابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٣٩٩)، وابن الجعد في مسنده، ح(٢٨١٠)، وابن حبان في صحيحه، ح(٦٨٢٧)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٤٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٩٨): «رواه أحمد، ورجاله ثقات». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٥٧٩، ٢٧٤٣).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٨١).

(٣) التذكرة (٣/ ١٢٤٣).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «السبب في النهي عن الأخذ منه ما يترتب على طلب الأخذ منه من الاقتتال»[(١)].

هذا أظهر الحِكم، لأن أخذه شركة في الفتنة، ويقع بسببه اقتتال، فلا يمكن لأحد أن يصل إليه إلا بالاقتتال، وقد قال النبي ﷺ: «سَتَكُونُ مَعَادِنُ يَحْضُرُهَا شِرَارُ النَّاسِ»[(٢)].

ومما قيل غير ذلك:

«إن النهي عن الأخذ لتقارب الأمر وظهور أشراطه، فإن الركون إلى الدنيا والاستكثار منها مع ذلك جهل واغترار»[(٣)].

وقيل: «إنما نهي عن الأخذ منه لأنه للمسلمين فلا يؤخذ إلا بحقه، ومن أخذه وكثر المال ندم لأخذه ما لا ينفعه»[(٤)].

وقيل: «يحتمل أن يكون لأنه يجري مجرى المعدن، فإذا أخذه أحدهم ثم لم يجد من يخرج حق اللّٰه إليه لم يوثق بالبركة من اللّٰه فيه، فكان الانقباض عنه أولى»[(٥)].

وقيل: «الحكمة في ذلك لكونه يقع في آخر الزمان عند الحشر الواقع في الدنيا وعند عدم الظهور أو قلته فلا ينتفع بما أخذ منه، ولعل هذا هو السر في إدخال البخاري له في ترجمة خروج النار»[(٦)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ مرجحًا: «ووضح أن السبب في النهي عن الأخذ منه ما يترتب على طلب الأخذ منه من الاقتتال فضلًا عن الأخذ ولا مانع أن يكون ذلك

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٨١).

(٢) رواه أحمد، ح(٢٣٦٤٥) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حسن لغيره»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٨٨٥).

(٣) التذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٤٣).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٨١)، وعزاه لابن التين.

(٥) التذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٤٣).

(٦) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٨١).

عند خروج النار للمحشر(١)، لكن ليس ذلك السبب في النهي عن الأخذ منه»(٢).

الثالثة: قوله ﷺ «حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ»، «أَنْ يَحْسِرَ عن كَنْزٍ من ذَهَبٍ».

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتسميته كنزًا باعتبار حاله قبل أن ينكشف، وتسميته جبلًا للإشارة إلى كثرته»(٣).

الرابعة: قوله ﷺ: «فَمَنْ حَضَرَهُ فلا يَأْخُذْ منه شيئًا».

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا يشعر بأن الأخذ منه ممكن، وعلى هذا فيجوز أن يكون دنانير ويجوز أن يكون قطعًا ويجوز أن يكون تبرًا»(٤).

وقد زعم بعض المتأخرين(٥) أن معنى الذهب في هذا الحديث (البترول)، وأن الفرات قد حسر عن الذهب البترولي الأسود، قال التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أن النبي ﷺ نص على جبل الذهب نصًا لا يحتمل التأويل، ومن حمل ذلك على البترول الأسود؛ فقد حمل الحديث على غير ما أريد به، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه.

يوضح ذلك الوجه الثاني: أن البترول ليس بذهب حقيقة ولا مجازًا، وأما تسمية بعض الناس له بالذهب الأسود؛ فليس مرادهم أنه نوع من أنواع الذهب، وإنما يقصدون بذلك أنه يحصل من ثمنه الذهب الكثير؛ فلذلك يطلقون عليه اسم الذهب الأسود؛ اعتبارًا بما يستثمر منه.

---

(١) لعل المانع أن النار تحشر الكفار، والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وخطاب النبي ﷺ موجه لأهل الإسلام، والنار آخر الأشراط الكبرى، وحسر الفرات من الأشراط الصغرى، والله أعلم.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٨١). (٣) فتح الباري (١٣/ ٨٠).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٨٠).

(٥) قاله: محمد فهيم أبو عبية في تعليقه على النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/ ٢٠٨).

الوجه الثالث: أن النبي ﷺ أخبر أن الفرات يحسر عن جبل من ذهب؛ أي: ينكشف عنه لذهاب مائه، فيظهر الجبل بارزًا على وجه الأرض؛ وهذا لم يكن إلى الآن، وسيكون فيما بعد بلا ريب، وبحور البترول الأسود لم ينحسر الفرات عنها، وليست في مجرى النهر، وإنما هي في باطن الأرض، واستخراجها إنما يكون بالتنقيب عنها بالآلات من مسافة بعيدة في بطن الأرض.

الوجه الرابع: أن الذي جاء في الحديث الصحيح هو «حسر الفرات عن كنز من ذهب»، وفي الرواية الأخرى: «عن جبل من ذهب»، وتخصيص الفرات بالنص ينفي أن يكون ذلك في غيره، ومن المعلوم أن بحور البترول ليست في نهر الفرات، وإنما هي في مواضع كثيرة في مشارق الأرض ومغاربها، وهي في البلاد العربية المجاورة للعراق أكثر منها في العراق.

الوجه الخامس: أن البترول من المعادن السائلة، والذي أخبر النبي ﷺ بانحسار الفرات عنه هو الذهب المعروف عند الناس، وهو من المعادن الجامدة، ومن جعل المعدنين سواء؛ فقد ساوى بين شيئين مختلفين.

الوجه السادس: أن النبي ﷺ أخبر أن الناس إذا سمعوا بانحسار الفرات عن جبل الذهب؛ ساروا إليه، فيكون عنده مقتلة عظيمة، يقتل فيها من كل مائة تسعة وتسعون، وهذا لم يكن إلى الآن، ومن المعلوم أن البترول الأسود قد وجد في العراق منذ زمان طويل، ولم يسر الناس إليه عند ظهوره، ولم يكن بسبب خروجه قتال ألبتة.

الوجه السابع: أن النبي ﷺ نهى من حضر جبل الذهب أن يأخذ منه شيئًا، ومن حمله على البترول الأسود؛ فلازم قوله أن يكون الناس منهيين عن الأخذ منه، وهذا معلوم البطلان بالضرورة»[1].

---

(١) إتحاف الجماعة (٢/ ١٨٥ - ١٨٦).

المبحث الثالث
خروج القحطاني والجهجاه

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ[١] يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ»[٢].

وقال محمد بن جبير بن مطعم[٣]: «بلغ معاوية ﷺ أن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ يحدث أنه سيكون ملك من قحطان، فغضب معاوية، فقام فأثنى على اللَّه بما هو أهله ثم قال: أما بعد فإنه بلغني أن رجالًا منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب اللَّه ولا تؤثر عن رسول اللَّه ﷺ فأولئك جهالكم، فإياكم والأماني التي تضل أهلها، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ»[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حتى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ له الْجَهْجَاهُ»[٥].

---

(١) هو: قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح، وجماع أنساب أهل اليمن من حمير وكندة وهمدان تنتهي إليه. انظر: فتح الباري (٦/ ٥٣٧، ٥٤٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب ذكر قحطان، ح(٣٥١٨)، وكتاب الفتن، باب تغير الزمان حتى يعبدوا الأوثان، ح(٧١١٧)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩١٠).

(٣) هو محمد بن جبير بن مطعم القرشي، تابعي إمام ثبت، كان أحد العلماء الأشراف، صاحب كتب وعناية بالعلم، قيل: إنه مات في خلافة عمر بن عبدالعزيز. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قريش، ح(٣٥٠٠).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩١١).

وفي رواية: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي يُقَالُ لَهُ: جَهْجَاهُ»[١].

فمن علامات قرب الساعة ودنو قيامها وتغير الزمان أن يحكم الناس رجل من قحطان وآخر من الموالي يقال له: الجهجاه، ولم يرد في الأحاديث اسم لهذا القحطاني، ولا لزمانه، ولا لحال إسلامه وإيمانه، وغاية ما ورد فيه أنه يخرج قبل قيام الساعة ويملك ويحكم وينساق الناس له، بحيث يسوقهم بعصاه، وهو إما: كناية عن استقامة الناس، وانقيادهم إليه، واتفاقهم عليه، والعصا ضرب بها المثل لطاعتهم له، وإما: علامة على خشونته عليهم وعسفه بهم وظلمه لهم، فهو يسوق الناس بعصاه حقيقة كما تساق الإبل والماشية لشدة عنفه وعدوانه[٢].

وذكر ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن إيراد البخاري حديث القحطاني في باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان، إشارة إلى أن ملك القحطاني يقع في آخر الزمان بعد يأجوج ومأجوج عند قبض أرواح أهل الإيمان ورجوع كثير ممن يبقى بعدهم إلى عباده الأوثان، وهم المعبر عنهم بشرار الناس الذين تقوم عليهم الساعة»، قال: «فينتظم من ذلك أن الحبشة إذا خربت البيت خرج عليهم القحطاني فأهلكهم، وأن المؤمنين قبل ذلك يحجون في زمن عيسى بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم، وأن الريح التي تقبض أرواح المؤمنين تبدأ بمن بقي بعد عيسى ويتأخر أهل اليمن بعدها، ويمكن أن يكون هذا مما يفسر به قوله: «الإيمان يمان» أي يتأخر الإيمان بها بعد فقده من جميع الأرض، وقد أخرج مسلم حديث القحطاني عقب حديث تخريب الكعبة ذو السويقتين، فلعله رمز إلى هذا»[٣].

---

(١) رواه أحمد، ح(٨٣٦٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والترمذي، كتاب الفتن، (بلا تبويب)، ح(٢٢٢٨) وقال: «حديث حسن غريب»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٤٤١).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٣٥)، وفتح الباري (٦/ ٥٤٦)، (١٣/ ٧٧)، وعمدة القاري (١٦/ ٨٧).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٧٨، ١١٥).

وكل هذا احتمال لا يعول عليه في علم الغيب، والحديث علم من أعلام النبوة، وعلامة من علامات الساعة، اللَّه أعلم بحال صاحبه وزمانه، وأما إنكار معاوية ﷺ على عبد اللَّه بن عمرو ﷺ فقال ابن حجر ﷺ: «وفي إنكار معاوية ذلك نظر لأن الحديث الذي استدل به مقيد بإقامة الدين فيحتمل أن يكون خروج القحطاني إذا لم تقم قريش أمر الدين وقد وجد ذلك، فإن الخلافة لم تزل في قريش والناس في طاعتهم إلى أن استخفوا بأمر الدين فضعف أمرهم وتلاشى إلى أن لم يبق لهم من الخلافة سوى اسمها المجرد في بعض الأقطار دون أكثرها»(١).

وقال ﷺ: «فإن كان حديث عبد اللَّه بن عمرو مرفوعًا موافقًا لحديث أبي هريرة فلا معنى لإنكاره أصلًا، وإن كان لم يرفعه وكان فيه قدر زائد يشعر بأن خروج القحطاني يكون في أوائل الإسلام فمعاوية معذور في إنكار ذلك عليه، وقوله: (ليست في كتاب اللَّه) أي القرآن، وهو كذلك، فليس فيه تنصيص على أن شخصًا بعينه أو بوصفه يتولى الملك في هذه الأمة المحمدية، وقوله: (لا يؤثر) فيه تقوية، لأن عبد اللَّه بن عمرو لم يرفع الحديث المذكور إذ لو رفعه لم يتم نفي معاوية أن ذلك لا يؤثر عن رسول اللَّه ﷺ، ولعل أبا هريرة لم يحدث بالحديث المذكور حينئذ فإنه كان يتوقى مثل ذلك كثيرًا، وإنما يقع منه التحديث به في حالة دون حالة وحيث يأمن الإنكار عليه، قوله: (فإياكم والأماني التي تضل أهلها)، الأماني: جمع أمنية راجع إلى التمني، ومناسبة ذكر ذلك تحذير من يسمع من القحطانيين من التمسك بالخبر المذكور فتحدثه نفسه أن يكون هو القحطاني، وقد تكون له قوة وعشيرة فيطمع في الملك ويستند إلى هذا الحديث فيضل لمخالفته الحكم الشرعي في أن الأئمة من قريش»(٢).

ولا يصح حمل القحطاني على ذي السويقتين من الحبشة، لأن هذا من

---

(١) فتح الباري (٦/ ٥٣٦).

(٢) فتح الباري (١٣/ ١١٥ - ١١٦) باختصار.

قحطان، وذاك من الحبشة[١]، وكذلك لا يصح أن يفسر بالجهجاه، لأنه من الموالي[٢].

وأما خروج الجهجاه وملكه فهو شرط آخر من أشراط الساعة، وقوله ﷺ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»، أي لا تنقطع الأيام، وتأتي القيامة «حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي» أي يحكم، وذلك على سبيل التغلب، لأنه من الموالي، وهم المماليك، والناس لا ينقادون لهؤلاء إلا بالتغلب[٣]، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٩/ ٢٤٤) ذكر ذلك ابن كثير احتمالاً ثم رده فقال: «وقد يكون هذا الرجل هو ذا السويقتين، ويحتمل أن يكون غيره؛ فإن هذا من قحطان، وذاك من الحبشة. فالله أعلم».

(٢) ذكر ذلك القرطبي في التذكرة (٣/ ١٢٣٥) فقال: «ولعل هذا الرجل القحطاني هو الرجل الذي يقال له: الجهجاه، وأصل الجهجهة الصياح بالسبع، وهذه الصفة توافق ذكر العصا والله أعلم». قال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٧٨): «ويرد هذا الاحتمال إطلاق كونه من قحطان فظاهره أنه من الأحرار، وتقييده في جهجاه بأنه من الموالي».

(٣) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦/ ٤٨٣).

المبحث الرابع
كثرة المطر وقلة النبات

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمْطَرَ النَّاسُ مَطَرًا لَا تُكِنُّ مِنْهُ بُيُوتُ الْمَدَرِ وَلَا تُكِنُّ مِنْهُ إِلَّا بُيُوتُ الشَّعَرِ»(١).

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمْطَرَ النَّاسُ مَطَرًا عَامًّا، وَلَا تَنْبُتَ الْأَرْضُ شَيْئًا»(٢).

وعن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَيْسَتْ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا وَلَكِنْ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا ولا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا»(٣).

فهذا فيه أن من أشراط الساعة وعلامات دنو القيامة أن يمطر الناس مطرًا عامًّا شديدًا لا ينبت شيئًا ولا يكن منه إلا بيوت الشعر، وهو من العلامات التي لم تأت بعد، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر وقوع المطر الشديد قبل يوم القيامة»(٤)، وليس هذا هو المطر العام الذي يكون في زمن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعد موت يأجوجَ ومأجوجَ، لأن ذاك تخرجُ الأرض بركتها بعده، ولا يُكن منه شيء، وهذا لا تنبت الأرض منه شيئًا، وتكن منه بيوت الشعر، قال النبي ﷺ عن ذلك:

---

(١) رواه أحمد، ح(٦٥٦٤) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٢٦٦).

(٢) رواه أحمد، ح(١٢٤٢٩) وقال الأرناؤوط: «صحيح»، وأبو يعلى في مسنده، ح(٤٣٤٠)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٧٧٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة، ح(٢٩٠٤).

(٤) البداية والنهاية (١٩/ ٢٦٩).

«... وَيَبْعَثُ اللَّه يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ من كل حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ على بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ ما فيها وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لقد كان بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حتى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا من مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّه عليهم النَّغَفَ في رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فرسى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى الأرض فلا يَجِدُونَ في الأرض مَوْضِعَ شِبْرٍ إلا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّه طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّه ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّه مَطَرًا لَا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حتى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ من الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا...»(١).

وجاء في حديث المهدي عليه السلام: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الأَرْضُ نَبَاتَهَا»(٢).

ولعل هذا المطر يكون قبل زمن الدجال، أو معه، فقد جاء في وصف الدجال قول النبي ﷺ: «وَإِنَّهُ يُمْطِرُ السَّمَاءَ وَلَا تُنْبِتُ الأَرْضُ، وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِي الأَرْضِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا حَتَّى يَبْلُغَ مِنْهَا كُلَّ مَنْهَلٍ»(٣).

ولكن هذا من باب الفتنة وليس بمطر عام، فقد جاء في رواية: «وَمَعَهُ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، يَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ»(٤)، ولذلك لا تنبت الأرض لانعدام الماء وليس من كثرة المطر الذي هو شرط من أشراط الساعة، ولكن لا مانع أن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٥/ ٧٧٢) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٧١١).

(٣) رواه أحمد، ح(١٤٩٥٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وابن أبي شيبة، ح(٣٨٦٦١)، والطحاوي في مشكل الآثار، ح(٥٦٩٢)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٩٣٤).

(٤) رواه أحمد، ح(١٤٩٥٤).

يقع هذا الشرط في زمانه، أو بعد الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، وذلك أن سني الرخاء وكثرة بركة الأرض تبدأ بعد هلاك يأجوج ومأجوج، وتستمر إلى خروج الريح، قال ﷺ: «ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(١).

والمهدي يسقيه اللَّه الغيث وتخرج الأرض نباتها في زمانه، فيكون هذا الشرط إما قبل المهدي، وإما بعد الريح، هذا أقرب الاحتمالات، والأمر كله غيب، وما علينا إلا أن نؤمن ونسلم، والعلم عند اللَّه تعالى.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).

المبحث الخامس
ظهور الخسف والمسخ والقذف في هذه الأمة

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مَسْخٌ وَخَسْفٌ وَقَذْفٌ»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ هَـذِهِ الأُمَّـةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا ظَهَرَ الخَبَثُ»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي أَوْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَسْخٌ، وَخَسْفٌ، وَقَذْفٌ، وَذَلِكَ فِي أَهْلِ الْقَدَرِ»(٣).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ- يَعْنِي الْفَقِيرَ- لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٤).

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الخسوف، ح(٤٠٥٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(١٧٨٧) وقال: «للحديث شواهد كثيرة تشهد لصحته».

(٢) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في الخسف، ح(٢١٨٥) وقال: هذا «حديث غريب من حديث عائشة، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعبد الله بن عمر تكلم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه».

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الخسوف، ح (٤٠٦١)، والترمذي، كتاب القدر، باب (بلا عنوان)، ح (٢١٥٢) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب». وقال الألباني: «وإسناده حسن». سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٩٤.

(٤) رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به، كتاب الأشربة، باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه، ح(٥٥٩٠).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْزَفُ عَلَى رُؤُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ، وَالْمُغَنِّيَاتِ، يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ»(١).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ(٢) وَمَسْخٌ(٣) وَقَذْفٌ(٤)»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: «إِذَا ظَهَرَتِ القَيْنَاتُ(٥) وَالمَعَازِفُ وَشُرِبَتِ الخُمُورُ»(٦).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «يَا أَنَسُ، إِنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا، وَإِنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ، أَوِ الْبُصَيْرَةُ، فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا، أَوْ دَخَلْتَهَا، فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا(٧)، وَكِلاَءَهَا(٨)، ....

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، ح(٤٠٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان، ح(٥٢٢٧)، وقال ابن تيمية: «وإسناد ابن ماجه إلى معاوية بن صالح صحيح، وسائر إسناده حسن». الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٧). وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١٣٦).

(٢) قال ابن منظور: «الخسف سُؤُوخُ الأرض بما عليها، وخَسَف الله به الأرض خَسْفًا أي غابَ به فيها». لسان العرب (٢/ ١١٥٧).

(٣) قال ابن القيم: «المسخ على صورة القردة والخنازير واقع في هذه الأمة ولابد، وهو في طائفتين: علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله الذين قلبوا دين الله تعالى وشرعه فقلب الله تعالى صورهم كما قلبوا دينه، والمجاهرين المتهتكين بالفسق والمحارم، ومن لم يمسخ منهم في الدنيا مسخ في قبره أو يوم القيامة». إغاثة اللهفان (١/ ٣٤٥).

(٤) أي رمي بالحجارة من السماء. انظر: تحفة الأحوذي (٦/ ٤١٨) وفيض القدير (٤/ ٥٩٦).

(٥) قال ابن حجر: ««القينات» جمع قينة بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها نون هي المغنية، وتطلق أيضًا على الأمة مطلقًا». فتح الباري (٧/ ٢٥٨).

(٦) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، ح(٢٢١٢) وقال: «وقد روي هذا الحديث عن الأعمش عن عبدالرحمن بن سابط عن النبي ﷺ مرسلًا وهذا حديث غريب». وسكت عنه المنذري في الترغيب، وقال الألباني: «حسن لغيره». صحيح الترغيب (٢/ ٦٠٥).

(٧) السباخ: «بكسر السين جمع سبخة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر». عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/ ٤٢٠).

(٨) قال ابن الأثير: «الكلاء بالتشديد والمد، والمكلأ شاطئ النهر والموضع الذي تربط فيه السفن، ومنه سوق الكلاء بالبصرة». النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٩٤).

وَسُوقَهَا[١]، وَبَابَ أُمَرَائِهَا[٢]، وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا[٣]، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَرَجْفٌ، وَقَوْمٌ يَبِيتُونَ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ»[٤].

والخسف سؤوخ الأرض بما عليها وذهابها به، بحيث تنشق وتبتلع ما عليها، فيقال: خسف اللَّه به الأرض، وخسف المكان: ذهب في الأرض.

والمسخ: تحويل الصورة إلى صورة قبيحة، كأن تحول صورة الإنسان إلى صورة حمار أو قرد أو خنزير، وقد يكون معنويًا، بحيث يمسخ الباطن، ويمحى منه الخير، ولكن المناسب للأحاديث مسخ الظاهر حقيقة[٥].

والقذف: الرمي بالحجارة من السماء، بحيث يمطر الناس حجارة، وهو مرادف للرجم.

وبكل هذه العقوبات عاقب اللَّه أممًا سابقة لما طغوا وعصوا وتمردوا، وقد قال اللَّه تعالى عقب ذلك: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٣]، فكل من سلك مسلك الأمم الهالكة أصابه ما أصابهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا ريب أن العقوبات التي أنزلها اللَّه في الأرض، بقيت آثارها سارية في الأرض تطلب ما يشاكلها من الذنوب التي هي آثار تلك الجرائم التي عذبت بها الأمم»[٦].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة وهو مقيد

---

(١) أي احذر سوقها، قال العظيم آبادي: «إما لحصول الغفلة فيها أو لكثرة اللغو بها أو فساد العقود ونحوها». عون المعبود (١١/ ٤٢٠).

(٢) قال العظيم آبادي: «أي لكثرة الظلم الواقع بها». عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/ ٤٢٠).

(٣) الضواحي: الأطراف والناحية البارزة، وهو أمر بالعزلة. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/ ٤٢٠).

(٤) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب في ذكر البصره، ح(٤٣٠٧) وصححه الألباني في تعليقه، وفي صحيح الجامع الصغير، ح(٧٨٥٩).

(٥) انظر: فتح الباري (١٠/ ٥٦).

(٦) الداء والدواء ص(٤٣).

في أكثر الأحاديث بأصحاب الغناء وشاربي الخمر وفي بعضها مطلق»[١].

وهذه الثلاثة من الأشراط الصغرى التي اختلف العلماء في تحديدها هل هي من الصغرى التي انقضت، أو من التي ظهرت ولم تنقض، أو من التي لم تظهر بعد، ولا يدخل فيها الخسوفات الثلاثة الكبرى التي تكون قبيل الساعة، فذاك شرط آخر سيأتي بيانه في الأشراط الكبرى، وهو خسف مجرد، وأما هذا فمعه مسخ وقذف، والراجح فيه أنه من العلامات الصغرى التي لم تظهر بعد[٢]، وذلك أن الأشراط المتعلقة بفساد الناس يكثر وقوعها كلما دنت الساعة، وتنتشر وتظهر، نظرًا لوقوع الناس في مسبباتها، وبعدهم عن دينهم، فالمسخ والقذف والخسف في هذا الشرط يقع لأهل المعاصي من شاربي الخمور وأصحاب المعازف، وهي في ازدياد، ولا يكاد يسمع أحد بمسخ أو قذف، إلا ما يذكر من حوادث نادرة في الأزمان الغابرة!! ومن شأن الأشراط أن تكون علامة ظاهرة، فالقول بأن هذا الشرط مما ظهر وانقضى بعيد، وممكن أن يجعل ضمن الأشراط التي ظهرت مباديها ولما تنقضي بعد إذا صح ما ذكر من قصص في ذلك[٣]، وإن كان الأرجح أنه مما لم يظهر، والناس مقبلون على شر لبعدهم عن دينهم وكثرة معاصيهم. والله تعالى أعلم.

وليعلم أن هذه الأمور يجعلها الله تعالى تخويفًا للعباد، وعقوبة لأهل الفساد، كي يعتبر الناس، ويرجعوا إلى ربهم ويعلموا أن الساعة قد أزفت، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، والله المستعان.

---

(١) إغاثة اللَّهفان (١/ ٢٥٨).

(٢) عدَّ البرزنجي والسفاريني أن هذا الشرط مما ظهر وانقضى. انظر: الإشاعة ص(١٠٤ - ١١٠)، ولوامع الأنوار (٢/ ٦٧).

(٣) انظر: الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي ص(١٠٥ - ١١٠).

المبحث السادس
تمني الموت من شدة البلاء والفتن

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ»[١].

وفي رواية: «والذي نفسي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ»[٢].

وفي رواية: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولَ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، مَا بِهِ حُبُّ لِقَاءِ اللَّهِ»[٣].

فهذا خبر من رسول اللَّه ﷺ عن تغير الزمان، وما يحدث فيه من المحن، والبلاء، والفتن، وأن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال[٤]، وفيه بيان أن هذا التمني يكون بسبب كثرة الفتن والبلاء، وليس لأنه يحبُّ لقاءَ اللَّه تعالى تدينًا، ولكن لما نزل به من شدة البلاء، وفي قوله ﷺ: «حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور، ح(٧١١٥)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٧٤٨٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٧٤٨٦).

(٣) رواه أحمد، ح(١٠٨٦٦) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٥٧٨).

(٤) انظر: التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ١٤٦).

عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ»، «إشارة إلى قوة هذا التمني، لأن الذي يتمنى الموت بسبب الشدة التي تحصل عنده قد يذهب ذلك التمني أو يخف عند مشاهدة القبر والمقبور فيتذكر هول المقام فيضعف تمنيه، فإذا تمادى على ذلك دل على تأكد أمر تلك الشدة عنده حيث لم يصرفه ما شاهده من وحشة القبر وتذكر ما فيه من الأهوال عن استمراره على تمني الموت»(١).

فالبلاء سيزداد، وقد قال حذيفة ﷺ: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَمَنَّوْنَ فِيهِ الدَّجَّالَ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي وَأُمِّي، مِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «مِمَّا يَلْقَوْنَ مِنَ الْعَنَاءِ وَالْعَنَاءِ»(٢).

وفي هذا الحديث دلالة على أن هذا العناء يكون قبل الدجال، وأنه عام لجميع الناس.

قال زين الدين العراقي(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس يلزم أن يكون في كل البلدان ولا في كل الأزمنة ولا لجميع الناس بل يصدق هذا بأن يتفق لبعضهم في بعض الأقطار، وقد ذكر ابن عبد البر(٤) والقاضي عياض(٥) أن ذلك قد وقع»(٦).

قلت: التمرغ على القبور وتمني الموت نعم لم يذكر أحد أنه يعم الناس،

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٧٥).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٤٢٨٩)، والبزار في مسنده، ح(٢٨٤٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨٥): «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، ورواه البزار بنحوه ورجاله ثقات». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٩٠).

(٣) هو زين الدين عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن العراقي الكردي الشافعي، كان من الحفاظ، رحل إلى دمشق وحلب والحجاز والإسكندرية، وأخذ عن كبار العلماء، وله مصنفات كثيرة، منها: (تقريب الأسانيد)، وشرحه (طرح التثريب)، توفي سنة ٨٠٦هـ. انظر: شذرات الذهب (٧/ ٥٥-٥٦).

(٤) انظر: التمهيد (١٨/ ١٤٦).

(٥) انظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم (٨/ ٢٢٤).

(٦) طرح التثريب (٣/ ٢٣٩).

ولا يلزم أن يكون في كل البلدان، وأما البلاء فهو أعم، والتمرغ على القبور نتيجة من نتائجه، وقوله ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَمَنَّوْنَ فِيهِ الدَّجَّالَ مِمَّا يَلْقَوْنَ مِنَ الْعَنَاءِ وَالْعَنَاءِ»، يدل على الشدة والتواصل، وما شاهده ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ قد لا يكاد يذكر في جنب ما حل بالأمة بعده من غزو التتر وخراب الأندلس، وقد قال النبي ﷺ: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أُمَّتَكُمْ هذه جُعِلَ عَافِيَتُهَا في أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فيقول الْمُؤْمِنُ: هذه مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فيقول الْمُؤْمِنُ: هذه هذه»(٢).

فالفتن ستترادف حتى يرقق بعضها بعضًا، والبلاء سيزداد حتى يتمنى الناس الموت ويغبطون أهل المقابر، قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والله لا يأتيهم أمر يضجون منه، إلا أردفهم أمر يشغلهم عنه»(٣).

وقوله ﷺ: «وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ»، «مَا بِهِ حُبُّ لِقَاءِ اللَّهِ»، «سيق مساق الذم والإنكار، وفيه إيماء إلى أنه لو فعل ذلك بسبب الدين لكان محمودًا، ويؤيده ثبوت تمني الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف. قال النووي: «لا كراهة في ذلك بل فعله خلائق من السلف منهم عمر بن الخطاب وعيسى(٤) الغفاري وعمر بن عبدالعزيز وغيرهم»(٥).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، ح(٧٠٦٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء للخلفاء، ح(١٨٤٤).

(٣) رواه ابن أبي شيبة، ح(٣٨٣٦٢).

(٤) كذا في الأصل، والصواب: عابس أو عبس الغفاري، وحديثه رواه أحمد ح(١٦٠٤٠)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ح(١٠٢٣، ١٠٢٤)، والطحاوي في المشكل ح(١٣٨٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٤-٣٦) ح(٥٧ - ٦١)، وفي الأوسط ح(٨٧٣٦).

(٥) فتح الباري (١٣/ ٧٥)، وكلام النووي في شرح مسلم (١٧/ ٨)، وانظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١١٤١).

وأما قوله ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»(١).

فقال النووي رحمه الله: «فيه التصريح بكراهة تمني الموت لضر نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضررًا في دينه أو فتنة فيه فلا كراهة فيه، لمفهوم هذا الحديث وغيره، وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم، وفيه أنه إن خاف ولم يصبر على حاله في بلواه بالمرض ونحوه فليقل: اللَّهم أحيني إن كانت الحياة خيرًا لي، إلخ، والأفضل الصبر والسكون للقضاء»(٢).

(١) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة، ح(٦٣٥١)، ومسلم، كتاب العلم، باب تمني كراهة الموت لضر نزل به، ح(٢٦٨٠).

(٢) شرح مسلم للنووي (١٧/ ٦ - ٧).

المبحث السابع
صدق رؤيا المؤمن

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ، لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»(١).

وفي رواية: «إِذَا قَرُبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ»(٢).

وفي رواية أخرى: «فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَا تَكَادُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا»(٣).

هذا الشرط من المبشرات لأهل الإيمان، لاسيما حين تقترب الساعة، ويرفع العلم، ويدرس الإسلام، وتحل الغربة.

قال ابن بطال رحمه الله: «معناه - والله أعلم - إذا اقتربت الساعة وقبض أكثر العلم ودرست معالم الديانة بالهرج والفتنة، فكان الناس على فترة من الرسل يحتاجون إلى مذكر ومجدد لما درس من الدين كما كانت الأمم قبلنا تذكر

---

(١) رواه أحمد، ح(١٠٥٩٠) واللفظ له، والبخاري، كتاب التعبير، باب القيد في المنام، ح(٧٠١٧)، ومسلم، كتاب الرؤيا، (بدون تبويب)، ح(٢٢٦٣).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب تعبير الرؤيا، باب أصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثًا، ح(٣٩١٧) وصححه الألباني في تعليقه على ابن ماجه.

(٣) رواه أحمد، ح(٧٦٤٢) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، والترمذي، كتاب الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ الميزان والدلو، ح(٢٢٩١)، والطبراني في الأوسط، ح(٣٩٣)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٥٥٦) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

بالنبوة، فلما كان نبينا محمد ﷺ خاتم الرسل، وما بعده من الزمان ما يشبه الفترة، عوضوا مما مُنع من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة التي هي جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة الآتية بالتبشير والإنذار»(١).

فالرؤى فيها بشارة وتثبيت عند الفتن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ». قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»(٢).

زاد مالك رحمه الله: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ(٣)»(٤).

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وجملة القول أن الرؤيا الصادقة من الله، وأنها من النبوة، وأن التصديق بها حق، وفيها من بديع حكمة الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه»(٥).

وقوله ﷺ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ»، بمعنى قوله ﷺ: «إِذَا قَرُبَ الزَّمَانُ»، و«فِي آخِرِ الزَّمَانِ»، فالروايات يفسر بعضها بعضًا، فيكون المعنى: «آخر الزمان المقارب للقيامة»(٦)، ولا يصح أن يفسر اقتراب الزمان، باعتدال الزمان، واستواء الليل والنهار، في وقت الربيع وتفتق الأزهار، حيث يزعم المعبرون أنه أصدق

---

(١) شرح البخاري لابن بطال (٩/ ٥٣٨ - ٥٣٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات، ح(٦٩٩٠).

(٣) قال ابن عبد البر: «ظاهره أن لا تكون الرؤيا من النبوة جزءًا من ستة وأربعين إلا على ذلك الشرط للرجل الصالح أو منه». التمهيد (٥/ ٥٧). وانظر: فتح الباري (١٢/ ٤٠٦).

(٤) الموطأ، ح(٣٥١٤) عن عطاء بن يسار عن النبي ﷺ مرسلاً. قال ابن عبد البر: «وحديث عطاء بن يسار المذكور في هذا الباب يتصل معناه من وجوه ثابتة من حديث ابن عباس وحذيفة وابن عمر، وعائشة، وأم كرز الخزاعية». التمهيد (٥/ ٥٥). وقال: «أحاديث هذا الباب كلها صحاح ثابتة في معنى حديث مالك». التمهيد (٥/ ٥٨).

(٥) التمهيد (١/ ٢٨٥).

(٦) المفهم للقرطبي (٦/ ١١)، وانظر: غريب الحديث للخطابي (١/ ٩٤)، وشرح البخاري لابن بطال (٩/ ٥٣٩)، وشرح مسلم للنووي (١٥/ ٢٠)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٤٠٥).

الأزمان لوقوع التعبير[١]، وذلك أنه يخالف الحديث من جهتين: من جهة مخالفته للروايات الأخرى المفسرة، ومن جهة نص الحديث على صدق رؤيا المؤمن، ووقت الربيع يستوي فيه الكل[٢].

وقوله ﷺ: «لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه إشارة إلى غلبة الصدق على الرؤيا وإن أمكن أن شيئًا منها لا يصدق، والراجح أن المراد نفي الكذب عنها أصلًا، لأن حرف النفي الداخل على (كاد) ينفي قرب حصوله، والنافي لقرب حصول الشيء أدل على نفيه نفسه، ذكره الطيبي»[٣].

فيكون المعنى: المبالغة في نفي الكذب، أي لم تقرب أن تكذب فضلًا عن أن تكذب[٤].

و«معنى كون رؤيا المؤمن في آخر الزمان لا تكاد تكذب: أنها تقع غالبًا على الوجه الذي لا يحتاج إلى تعبير فلا يدخلها الكذب»[٥]، و«لا تكون إلا صادقة، لأن المغيبات تنكشف حينئذ والخوارق تظهر، ولأن أكثر العلم يقبض بقبض العلماء، وتندرس معالم الدين»[٦]، والمؤمن في ذلك الوقت يكون غريبًا،

---

(١) قال أبو داود: «إذا اقترب الزمان يعني إذا اقترب الليل والنهار يعني يستويان». سنن أبي داود (٤/ ٣٠٤). وقال الخطابي: «بلغني عن أبي داود أنه كان يقول: تقارب الزمان استواء الليل والنهار، وهو إن شاء اللَّه معنى سديد، والمعبرون يزعمون أن أصدق الأزمان لوقوع التعبير وقت انفتاق الأنوار ووقت ينع الثمار وإدراكها وهما الوقتان يتقارب فيهما الزمان ويعتدل الليل والنهار، وفيه وجه آخر وهو أن يراد بتقارب الزمان قرب انتهاء أمده وقد جاء ذلك مرفوعًا». غريب الحديث (١/ ٩٤). قال ابن حجر في الفتح (١٢/ ٤٠٥): «يُبعد الأول التقييد بالمؤمن، فإن الوقت الذي تعتدل فيه الطبائع لا يختص به، وقد جزم ابن بطال بأن الأول هو الصواب»، أي القول بأن المراد قرب الساعة.

(٢) انظر: شرح البخاري لابن بطال (٩/ ٥٣٩)، وشرح مسلم للنووي (١٥/ ٢٠)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٤٠٥)، وفيض القدير للمناوي (١/ ٢٩١).

(٣) فتح الباري (١٢/ ٤٠٦).

(٤) انظر: فيض القدير للمناوي (١/ ٣٧٥).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٤٠٦) ونقله عن ابن أبي جمرة.

(٦) فيض القدير (١/ ٣٧٥).

ويقل أنيسه ومعينه، فيكرم بالرؤيا الصادقة، ويكون فيها بعض غنى.

واختلف العلماء - رحمهم اللَّه تعالى - في تحديد معنى آخر الزمان، وحاصل ما اجتمع من كلامهم ثلاثة أقوال[١]:

أحدها: حين يذهب غالب العلم بأمور الديانة بذهاب غالب أهله، وينزل الجهل، يعوض الناس بالمرأى الصادقة ليجدد لهم ما قد درس من العلم.

والثاني: حين يقل عدد المؤمنين، ويغلب الكفر والجهل والفسق على الموجودين، يؤنس المؤمن ويعان بالرؤيا الصادقة إكرامًا له وتسلية.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلى هذين القولين لا يختص ذلك بزمان معين بل كلما قرب فراغ الدنيا وأخذ أمر الدين في الاضمحلال تكون رؤيا المؤمن الصادق أصدق»[٢].

والثالث: أن ذلك خاص بزمان عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك أن أهل ذلك الزمان أحسن هذه الأمة بعد الصدر المتقدم حالًا، وأصدقهم أقوالًا، فكانت رؤياهم لا تكذب.

قال ابن حجر: «وأولها أولاها، واللَّه أعلم»[٣].

قلت: والقول الثاني لا يبعد عن القول الأول كثيرًا، بل قد يتلازمان، واللَّه أعلم.

وقوله ﷺ: «وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا»، وفي رواية: «وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا»[٤].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظاهره أنه على إطلاقه»[٥].

---

(١) انظر: فتح الباري (١٢/ ٤٠٦ - ٤٠٧)، والمفهم في شرح مسلم (٦/ ١١).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٤٠٧).

(٣) المصدر السابق (١٢/ ٤٠٧).

(٤) رواه مسلم، كتاب الرؤيا، (بدون تبويب)، ح(٢٢٦٣).

(٥) المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج (١٥/ ٢٠).

وذلك أن «من كثر صدقه تنور قلبه، وتقوى إدراكه، فانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة والاستقامة، وأيضًا فإن من كان غالب حاله الصدق في يقظته استصحب ذلك في نومه، فلا يرى إلا صدقًا. وعكس ذلك: الكاذب والمخلط يفسد قلبه ويظلم، فلا يرى إلا تخليطًا وأضغاثًا، هذا غالب حال كل واحد من الفريقين، وقد يندر فيرى الصادق ما لا يصح، ويرى الكاذب ما يصح، لكن ذلك قليل»(١).

وحكى القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ عن بعض العلماء أن هذا يكون في آخر الزمان عند دروس معالم الديانة وانقطاع العلم وموت العلماء والصالحين(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأول أظهر، لأن غير الصادق في حديثه يتطرق الخلل إلى رؤياه وحكايته إياها»(٣).

وقوله ﷺ: «وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ».

استشكل العلماء - رحمهم اللَّه - معنى كون الرؤيا الصالحة جزءًا من النبوة، وأقرب التفاسير أن ذلك من جهة كشف الغيب الذي لا يطلع عليه إلا بالوحي، فلما كشفت الرؤيا الصالحة بعض الغيب كانت جزءًا من النبوة التي هي إنباء بالغيب، وأيضًا الرؤيا خبر صادق من اللَّه لا كذب فيه، كما أن النبوة نبأ صادق من اللَّه لا يجوز عليه الكذب، فشابهت الرؤيا النبوة في صدق الخبر واللَّه تعالى أعلم(٤).

وليعلم أن الرؤيا الصالحة غاية أمرها أن تكون من المبشرات التي تسر المؤمن ولا تغره، فهو لا يعلق قلبه بها، ولا يبني عليها دينه، لأنه ليس كل ما

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم (٦/ ١١ - ١٢).
(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢١١)، وشرح مسلم للنووي (١٥/ ٢٠).
(٣) شرح مسلم للنووي (١٥/ ٢٠). وانظر: فيض القدير للمناوي (١/ ٣٧٥).
(٤) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم (٦/ ١٢ - ١٧)، وشرح مسلم للنووي (١٥/ ٢٠ - ٢٢)، وفتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٦٣ - ٣٦٥).

يراه الإنسان في منامه يكون صحيحًا، أو له تفسير، فعن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ: مِنْهَا أَهَاوِيلُ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ بِهَا ابْنَ آدَمَ، وَمِنْهَا مَا يَهُمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقَظَتِهِ فَيَرَاهُ فِي مَنَامِهِ، وَمِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»(١).

قال البغوي رحمه الله: «فيه بيان أن ليس كل ما يراه الإنسان في منامه يكون صحيحًا، ويجوز تعبيره، إنما الصحيح منها ما كان من اللّه عز وجل، وما سوى ذلك أضغاث أحلام لا تأويل لها»(٢).

وقال أبو سلمة(٣) رحمه الله قال: «إن كنت لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي. قال: فَلَقِيتُ أَبَا قَتَادَةَ فقال: وأنا كنت لَأَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي حتى سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ من اللَّهِ فإذا رَأَى أحدكم ما يُحِبُّ فلا يُحَدِّثْ بها إلا من يُحِبُّ وَإِنْ رَأَى ما يَكْرَهُ فَلْيَتْفُلْ عن يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ من شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا ولا يُحَدِّثْ بها أَحَدًا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»(٤).

وفي رواية: قال أبو سلمة: «إن كنت لأرى الرؤيا أثقل علي من جبل فما هو إلا أن سمعت بهذا الحديث فما أباليها»(٥).

فالشيطان قد يتلاعب بالإنسان، فقد جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال: «يا رَسُولَ اللَّهِ رأيت في الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ. قال: فَضَحِكَ النبي ﷺ وقال: «إذا

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب تعبير الرؤيا، باب الرؤيا ثلاث، ح(٣٩٠٧). وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة، والألباني في الصحيحة، ح(١٨٧٠).

(٢) شرح السنة (١١/ ٢١١).

(٣) هو أبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف الزهري المدني، روى عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، وكان ثقة إمامًا فقيهًا كثير الحديث، وكان من سادات قريش، مات سنة أربع وتسعين وقيل أربع ومائة. انظر: تهذيب التهذيب (١٢/ ١١٥).

(٤) رواه مسلم، كتاب الرؤيا، (بدون تبويب)، ح(٢٢٦١).

(٥) المصدر السابق ح(٢٢٦١).

لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ فلا يُحَدِّثْ بِهِ الناس»[١].

وأكثر الرؤى أضغاث أحلام وحديث نفس، وقد يدخل الشيطان على الإنسان من باب الرؤى، ويزين له الباطل.

قال المروزي[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أدخلت إبراهيم الحصري على أبي عبد اللَّه - وكان رجلًا صالحًا - فقال: إن أمي رأت لك منامًا، هو كذا وكذا، وذكرت الجنة. فقال: يا أخي، إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا، وخرج إلى سفك الدماء، وقال: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره»[٣].

وعن الحسن بن قحطبة[٤] رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «استؤذن لشريك بن عبد اللَّه القاضي، على المهدي وأنا حاضر، فقال: علي بالسيف، فأحضر.

قال الحسن: فاستقبلتني رعدة لم أملكها، ودخل شريك، فسلم، فانتضى المهدي السيف، وقال: لا سلم اللَّه عليك يا فاسق.

فقال شريك: يا أمير المؤمنين، إن للفاسق علامات يعرف بها، شرب الخمور، وسماع المعازف، وارتكاب المحظورات، فعلى أي ذلك وجدتني؟ قال: قتلني اللَّه إن لم أقتلك.

قال: ولم ذلك يا أمير المؤمنين، ودمي حرام عليك؟ قال: لأني رأيت في

---

(١) رواه مسلم، كتاب الرؤيا، باب لا يخبر بتلعب الشيطان به في المنام، ح(٢٢٦٨).

(٢) هو «أحمد بن محمد بن الحجاج أبو بكر المروزي الفقيه، أحد الأعلام وأجل أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، حمل عن أحمد علمًا كثيرًا، ولزمه إلى أن مات، وصنف في الحديث والسنة والفقه، وهو الذي تولى غماض أحمد بن حنبل وغسله، توفي في سادس جمادى الأولى سنة خمس وسبعين ومائتين، ودفن إلى جانب الإمام أحمد بن حنبل». الوافي بالوفيات للصفدي (٧/ ٢٥٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٧).

(٤) هو الحسن بن قحطبة الطائي: أحد القادة الشجعان المقدمين في بدء العصر العباسي، استخلفه المنصور على أرمينية، ثم استقدمه لمساعدة أبي مسلم الخراساني على قتال عبد اللَّه بن علي، ودخل بلاد الروم غازيًا فأوغل فيها، وأبلى بلاء حسنًا، توفي في بغداد سنة ١٨١هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٢١١-٢١٢).

المنام، كأني مقبل عليك أكلمك، وأنت تكلمني من قفاك، فأرسلت إلى المعبر، فسألته عنها، فقال: هذا رجل يطأ بساطك، وهو يسر خلافك.

فقال شريك: يا أمير المؤمنين، إن رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب عليه السلام، وإن دماء المسلمين لا تسفك بالأحلام.

فنكس المهدي رأسه، وأشار إليه بيده: أن اخرج، فانصرف.

قال الحسن: فقمت فلحقته، فقال: أما رأيت صاحبك، وما أراد أن يصنع؟ فقلت: اسكت - للَّه أبوك - ما ظننت أني أعيش حتى أرى مثلك»[١].

ولأجل هذا، كان الصحابة رضي الله عنهم لا يفرحون بالرؤى كثيرًا، فعن الحسين بن خارجة[٢] رحمه الله قال: «لما كانت الفتنة الأولى أشكلت علي، فقلت: اللَّهم أرني من الحق أمرًا أتمسك به، فأريت فيما يرى النائم الدنيا والآخرة، وكان بينهما حائط غير طويل، وإذا أنا تحته، فقلت: لو تسلقت هذا الحائط حتى أنظر إلى قتلى أشجع فيخبروني. قال: فأهبطت بأرض ذات شجر، فإذا نفر جلوس. فقلت: أنتم الشهداء، قالوا: نحن الملائكة، قلت: فأين الشهداء؟ قالوا: تقدم إلى الدرجات، فارتفعت درجة اللَّه أعلم بها من الحسن والسعة، فإذا أنا بمحمد ﷺ وإذا إبراهيم شيخ، وهو يقول لإبراهيم: استغفر لأمتي، وإبراهيم يقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك أهراقوا دماءهم، وقتلوا إمامهم، فهلا فعلوا كما فعل سعد خليلي، فقلت: واللَّه لقد رأيت رؤيا لعل اللَّه ينفعني بها، أذهب فأنظر مكان سعد، فأكون معه، فأتيت سعدًا فقصصت عليه القصة، قال: فما أكثر بها فرحًا، وقال: لقد خاب من لم يكن إبراهيم خليله. قلت: مع أي الطائفتين أنت؟ قال: ما أنا مع واحدة منهما، قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: ألك غنم؟ قلت: لا. قال:

(١) رواه وكيع في أخبار القضاة (٣/ ١٥٦)، والتنوخي في الفرج بعد الشدة (١/ ٢٨٣).

(٢) هو أبو مالك حسين بن خارجة الأشجعي التابعي، قال ابن حجر: «أورده عبدان في الصحابة وقال أحمد بن سيار: لم يذكروا له صحبة وهو كبير». الإصابة (٢/ ٦١)، وانظر: الثقات لابن حبان (٤/ ١٥٥)، وأسد الغابة لابن الأثير (٢/ ٢٤).

فاشتر شاء، فكن فيها حتى تنجلي»[١].

فهذا سعد الصحابي رضي الله عنه لما أخبر بهذه البشارة العظيمة «فما أكثر بها فرحًا»، لم يفرح بها ويعتمد عليها، وإنما دل المسترشد إلى التمسك بالسنة عند الفتن، والعمل بقول رسول اللَّه ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»[٢].

واللَّه تعالى أعلم.

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٣٨)، (٥/ ٦٤٣) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وابن شبة في تاريخ المدينة (٤/ ١٢٥١)، وابن أبي الدنيا في المنامات، ح(١٧٤)، وابن عبد البر في التمهيد (١٩/ ٢٢٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٠/ ٣٧٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: «رجاله ثقات». سير أعلام النبلاء (١/ ١٢٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتن، ح(١٩).

المبحث الثامن
كثرة الزلازل والموت

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ»[١].

وعن سلمة بن نفيل ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مُوتَانٌ[٢] شَدِيدٌ، وَبَعْدَهُ سَنَوَاتُ الزَّلَازِلِ»[٣].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ»[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، ح(١٠٣٦)، وكتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح(٧١٢١).

(٢) قال ابن حجر: «قوله: «مُوتان» بضم الميم وسكون الواو، قال القزاز: هو الموت. وقال غيره: الموت الكثير الوقوع، وقال ابن الجوزي: يغلط بعض المحدثين فيقول «مَوَتان» بفتح الميم والواو، وإنما ذاك اسم الأرض التي لم تحيى بالزرع والإصلاح». فتح الباري (٦/ ٢٧٨).

(٣) رواه أحمد، ح(١٦٩٦٤) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح، رجاله ثقات، على غرابة في متنه»، والدارمي في السنن، ح(٥٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ح(٢٤٦١)، وأبو يعلى في مسنده، ح(٦٨٦١)، وابن حبان في صحيحه، ح(٦٧٧٧)، والطبراني في الكبير، ح(٦٣٥٦)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٣٧) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي وقال: «والخبر من غرائب الصحيح»، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني والبزار وأبو يعلى ورجاله ثقات»، مجمع الزوائد (٧/ ٣٠٦).

(٤) رواه أحمد، ح(١١٣٢٦، ١١٤٨٤) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده ضعيف لجهالة حال العلاء بن بشر: وهو المُزني، فقد انفرد بالرواية عنه المُعلى بن زياد: وهو القُرْوسي، ولم يوثر توثيقه إلا عن ابن حبان، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح». وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ح(١٥٨٨) وقال: «وهذا إسناد ضعيف، العلاء بن بشير مجهول، كما قال ابن المديني، وتبعه الحافظ وغيره، لم يرو عنه =

وعن عبد اللّه بن حوالة الأزدي ﵁ قال: «وضع رسول اللّه ﷺ يده على رأسي، أو هامتي فقال: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»[(١)].

اختلف العلماء - رحمهم اللّه تعالى - في وقت هذا الشرط فذهب القرطبي والبرزنجي والسفاريني وصديق حسن خان إلى أن الزلازل مما ظهر وانقضى[(٢)].

والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أنها تكون مع نزول الخلافة الأرض المقدسة، ثم تزداد وتستمر إلى ما شاء اللّه، فالمهدي يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، وإذا نزلت الخلافة الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والأمور العظام، ولعل هذا يكون سبب تحول الجبال عن أماكنها، وغور المياه في الأرض، وقيء الأرض أثقالها من الذهب والفضة.

فعن سمرة ﵁ قال: قال رسول اللّه ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَزُولَ

= سوى المعلى بن زياد كما في الميزان. نعم قد جاء الحديث من طريق أخرى عن أبي الصديق، ولكنه مختصر، ليس فيه هذا التفصيل الذي رواه العلاء، وإسناده صحيح»، وقال في الصحيحة (٧/ ١٧٣١): «ورجاله ثقات رجال مسلم؛ غير العلاء بن بشير، وهو مجهول؛ كما في التقريب. لكن قد توبع على بعضه عند الحاكم». والحديث أثنى عليه ابن كثير في جامع المسانيد (١/ ٨٤٣) بقوله: «هذا سياق حسن»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣١٤): «رواه الترمذي وغيره باختصار كثير. رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات». وقال السيوطي في الحاوي (٢/ ١٦٢): «وأخرج أحمد في مسنده وأبو يعلى بسند جيد» ثم ذكر الحديث. قلت: ويشهد لمعناه حديث ابن حوالة الآتي.

(١) رواه أحمد، ح(٢٢٤٨٧)، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة، ح(٢٥٣٥)، والحاكم (٥/ ٦٠٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وعبدالرحمن بن زغب الإيادي معروف في تابعي أهل مصر». ووافقه عليه الذهبي في تلخيصه. وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٥/ ٢١٧): «والإسناد لا بأس به»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٣٨).

(٢) انظر: التذكرة (٣/ ١٢٢٦، ١٢٦٤)، والإشاعة ص(١٠٦)، ولوامع الأنوار (٢/ ٦٧)، والإذاعة ص(٩٢).

الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، وَتَرَوْنَ الأُمُورَ الْعِظَامَ الَّتِي لَمْ تَكُونُوا تَرَوْنَهَا»(١).

وعن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ قال: «يُوشِكُ أن تطلبُوا في قُراكُم هذه طَسْتًا من ماءٍ فلا تَجدونَهُ، يَنْزَوِي كلُّ ماءٍ إلى عُنْصُرِهِ؛ فيكون في الشام بَقِيَّةُ المؤمنين والماءُ»(٢).

وعن عبد اللَّه بن عمرو ﷺ قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، ح(٦٨٥٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٢٦): «رواه الطبراني، وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف». وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٦١) وقال: «ورجاله ثقات، غير عفير بن معدان، وهو ضعيف كما في التقريب. وبه أعله الهيثمي في المجمع. وأقول: قد رواه معمر عن قتادة عن الحسن مرسلًا. أخرجه عبدالرزاق في المصنف، فالعلة عنعنة الحسن، فإنه مع اختلاف العلماء في سماعه من سمرة، فإنه قد رماه بعضهم بالتدليس، وقد عنعنه كما ترى، فمن المحتمل أنه تلقاه عن ثعلبة بن عِبَادٍ العبدي البصري، فإنه قد رواه الأسود بن قيس عن ثعلبة قال: «شهدت يومًا خطبة لسمرة بن جندب، فذكر في خطبته حديثًا عن رسول اللَّه ﷺ فقال: - فذكر صلاة النبي ﷺ صلاة الكسوف، ثم خطبته بعدها، وفيها: «واللَّه! لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا، آخرهم الأعور الدجال... ولن يكون ذلك كذلك حتى تروا أمورًا يتفاقم شأنها في أنفسكم وتساءلون بينكم: هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرًا؟ وحتى تزول جبال عن مراتبها، ثم على إثْرِ ذلك يكون القبض». أخرجه أحمد، والطبراني، وبعض أصحاب السنن، وصححه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم ورجاله ثقات؛ غير ثعلبة هذا؛ لم يوثقه غير ابن حبان، ولم يرو عنه غير الأسود هذا، وهو مخرج في ضعيف أبي داود، لكن له طريق أخرى يتقوى بها من رواية جعفر بن سعد بن سمرة عن خُبيب بن سليمان بن سمرة عن أبيه عن سمرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «سوف ترون قبل أن تقوم الساعة أشياء تستنكرونها عظامًا، يقولون: هل كنا حدثنا بهذا؛ فإذا رأيتم ذلك فاذكروا اللَّه تعالى، واعلموا أنها أوائل الساعة...» حتى قال: «سوف ترون جبالًا تزول قبل حق الصيحة». أخرجه البزار والطبراني في الكبير من طريقين عن جعفر بن سعد... قلت: وهو إسناد ضعيف، خبيب هذا مجهول، وأبوه ضعيف، وجعفر ليس بالقوي. والحديث سكت عليه الحافظ في الفتح، وله شاهد صحيح مختصر جدًّا من حديث الزهري: حدثني أنس بن مالك أن رسول اللَّه ﷺ خرج حين زاغت الشمس، فصلى الظهر، فقام على المنبر، فذكر الساعة، فذكر أن فيها أمورًا عظامًا، ثم قال... الحديث. أخرجه البخاري، وأحمد». باختصار يسير.

(٢) رواه الحاكم (٥/ ٧٠٦) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٧٨) وذكر تصحيح الحاكم والذهبي وقال: «وهو كما قالا، والحديث وإن كان موقوفًا؛ فهو في حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي، كما هو ظاهر».

لَحِقَ بِالشَّامِ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فلا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»(٢).

وكل هذا لم يظهر بعد، وللزلازل تأثير في ذلك.

وقوله ﷺ: «وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ»، قريب من قوله ﷺ: «سَنَوَاتُ الزَّلَازِلِ»، وهو يبين أن كثرة الزلازل واستمرارها هو المراد بهذا الشرط، وليس وقوع آحاد ذلك وتباين الأوقات بينها، قال ابن حجر رحمه الله: «قوله: «وتكثر الزلازل» قد وقع في كثير من البلاد الشمالية والشرقية والغربية كثير من الزلازل، ولكن الذي يظهر أن المراد بكثرتها شمولها ودوامها، وقد وقع في حديث سلمة بن نفيل عند أحمد، وبين يدي الساعة سنوات الزلازل»(٣).

ولعل انقطاع الماء من القرى وبقاء بقية منه في الشام، سبب لنزول الخلافة الأرض المقدسة، وتجمع بقية المؤمنين حولها، ثم قيام الملاحم الكبرى فيها، واللَّه أعلم.

وأكثر الزلازل تكون جهة الشرق، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول اللَّه ﷺ استقبل مطلع الشمس فقال: «مِنْ هَاهُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، مِنْ هَاهُنَا الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ»(٤).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ح(١٩٧٩١)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح(١٠١٣).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٨٧).

(٤) رواه أحمد، ح(٦٠٩١) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حديث صحيح»، والطبراني في معجمه الأوسط، ح(٨٠٠٣)، وفي الصغير، ح(٨٦٤).

وفي رواية قال ﵁: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا(١)، فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»(٢).

وأما قوله ﷺ: «بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ مُوتَانٌ شَدِيدٌ، وَبَعْدَهُ سَنَوَاتُ الزَّلَازِلِ».

فيه دلالة على أن هذا الموت الشديد يكون قبل الزلازل، ولعله الموت الذي يحصد العرب قبل الدجال فيقل عددهم مع المهدي ؑ؛ فعن عائشة ﵂ قالت: «دخل عليَّ رسول ﷺ وهو يقول: «يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكِ أَسْرَعُ أُمَّتِي بِي لَحَاقًا»، قَالَتْ: فَلَمَّا جَلَسَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، لَقَدْ دَخَلْتَ وَأَنْتَ تَقُولُ كَلَامًا ذَعَرَنِي، فَقَالَ: «وَمَا هُوَ؟» قَالَتْ: تَزْعُمُ أَنَّ قَوْمِي أَسْرَعُ أُمَّتِكَ بِكَ لَحَاقًا، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَتْ: وَعَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «تَسْتَحْلِيهِمُ الْمَنَايَا، فَتَنَفَّسُ عَلَيْهِمْ أُمَّتُهُمْ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: فَكَيْفَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ، أَوْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «دَبًى، يَأْكُلُ شِدَادُهُ ضِعَافَهُ، حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِمُ السَّاعَةُ»، وَالدَّبَى: الْجَنَادِبُ الَّتِي لَمْ تَنْبُتْ أَجْنِحَتُهَا»(٣).

وعنها ﵂: «أن رسول اللَّه ﷺ ذَكَرَ جَهْدًا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الدَّجَّالِ فَقَالُوا: أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «غُلَامٌ شَدِيدٌ يَسْقِي أَهْلَهُ الْمَاءَ، وَأَمَّا الطَّعَامُ فَلَيْسَ» قَالُوا: فَمَا طَعَامُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّهْلِيلُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «الْعَرَبُ

---

(١) المراد بنجد: العراق وما بعدها من جهة المشرق كما تقدم في مبحث ظهور الفتن.

(٢) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «الفتنة من قبل المشرق»، ح(٧٠٩٤).

(٣) رواه أحمد ح(٢٤٥١٩، ٢٤٥٩٦) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «رجاله ثقات رجال الشيخين»، والبزار في مسنده ح(٢٢١)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٨): «رواه أحمد، والبزار ببعضه، والطبراني في الأوسط ببعضه أيضًا، وإسناد الرواية الأولى عند أحمد رجال الصحيح، وفي بقية الروايات مقال»، وصححه الألباني في الصحيحة ح(١٩٥٣).

يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ»[١].

وعن أم شَرِيك بنت أبي الْعَكَرِ ﵂ أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لَيَفِرَّنَّ الناسُ من الدَّجَّالِ في الْجِبَالِ». قالت أُمُّ شَرِيكٍ: يا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قال: «هُمْ قَلِيلٌ»[٢].

وفي رواية: قالت: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ، يَمْشِي الْقَهْقَرَى، لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ»[٣].

فالعرب سيقلون في آخر الزمان، ولكن قوله ﷺ: «بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ مُوتَانٌ شَدِيدٌ»، عام لا يخص العرب، ويدل على أن الناس يموتون بسبب غير القتل، ولا يمكن حمله على الريح التي تقبض أرواح المؤمنين في آخر الزمان، لأن هذا الموت يكون قبل سنوات الزلازل، وهي قبل الدجال فيما يظهر، والريح بعد ذلك بمدة، وهي خاصة بأهل الإيمان، وقد يكون من أسبابه

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٤٤٧٠) وقال الأرناؤوط: «إسناده فيه ضعف وانقطاع»، وأبو يعلى في مسنده، ح(٤٦٠٧)، وقال ابن كثير: «تفرد به أحمد، وإسناده صحيح فيه غرابة، وتقدم في حديث أسماء، وأبي أمامة شاهد له، والله أعلم». البداية والنهاية (١٩/ ١٧٧)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٥)، و قال البوصيري: «رواه أبو يعلى الموصلي بسند فيه علي بن زيد بن جدعان، وأحمد بن حنبل، ورواته ثقات. وله شاهد من حديث ابن عمر، رواه الحاكم، وصححه». إتحاف الخيرة المهرة (٨/ ١٢٩)، وصححه الألباني في الصحيحة بالشواهد، ح(٣٠٧٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(٢٩٤٥).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، وخروج عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج، ومأجوج، ح(٤٠٧٧).

القحط والجوع الذي يصيب الناس قبل الدجال، فقد ورد في حديث الدجال أن رسول اللَّه ﷺ قال: «وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ، يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُقْطِرُ قَطْرَةً، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ، فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ»، قِيلَ: فَمَا يُعِيشُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ قَالَ: «التَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ»(١). وهذه كرامة من اللَّه لأهل الإيمان، واللَّه أعلم متى يكون هذا الموت، وما سببه، ومن هم أهله، ولكن قال عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيطَتَهُ(٢) مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ»(٣).

وعن الْمُسْتَوْرِدِ الْفِهْرِيِّ رضي الله عنه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»(٤).

واللَّه تعالى أعلم.

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٧٥).

(٢) قال ابن الجوزي: «أي من يختاره من أهل الخير». غريب الحديث (١/ ٥٢٩).

(٣) رواه أحمد، ح(٦٩٦٤) وقال الأرناؤوط: «رجاله ثقات رجال الشيخين»، ورواه الحاكم (٥/ ٦٢١) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن كان الحسن سمعه من عبد اللَّه بن عمرو»، وقال ابن حجر: «سند جيد»، فتح الباري (١٣/ ٩١)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد مرفوعًا وموقوفًا ورجالهما رجال الصحيح»، مجمع الزوائد (٨/ ١٣)، وقال البوصيري: «رواه أبو يعلى ورجاله ثقات، وأحمد بن حنبل مرفوعًا وموقوفًا»، إتحاف الخيرة المهرة (٨/ ١٠٠).

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، ح(٢٨٩٨).

المبحث التاسع
خروج المهدي ونزول الخلافة بالشام

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فتكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا[١]، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيًّا[٢]، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ» ثُمَّ سَكَتَ[٣].

فيه دلالة على أن آخر الأمر يكون خلافة على منهاج النبوة، وهي الخلافة الكاملة العادلة، وهذا في آخر الزمان يتحقق في خلافة المهدي وعيسى بن مريم عليه السلام، فالمهدي يملؤها عدلًا وقسطًا، ويكون آخر خليفة قرشي، ثم يسلمها لعيسى بن مريم وينهي ملك قريش، قال ﷺ: «فَيَكُونُ

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢٥٣): «ملك عضوض: أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضًا. والعضوض: من أبنية المبالغة».

(٢) قال في النهاية (١/ ٢٣٦): «أي عتو وقهر». وقال في مرقاة المفاتيح (٩/ ٥٦٥): «أي جبروتية وسلطنة عظموتية».

(٣) رواه الطيالسي في مسنده، ح(٤٣٩)، وأحمد، ح(١٨٤٠٦) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده حسن»، والبزار في مسنده، ح(٢٧٩٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٨١): «رواه أحمد، والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في الأوسط ورجاله ثقات». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٥) ونقل عن العراقي أنه قال: «هذا حديث صحيح، وإبراهيم بن داود الواسطي وثقه أبو داود الطيالسي وابن حبان، وباقي رجاله محتج بهم في الصحيح».

عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مُقْسِطًا، يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ، وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ، وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرَّهُ، وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمْلَأُ الأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلَأُ الإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ»(١).

وفي رواية: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا مُقْسِطًا وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ الإِمارَةَ»(٢).

وبعد عيسى عليه السلام يقبض أهل الإيمان بالريح كما سيأتي بيانه في موضعه، وقد قال عبد اللَّه بن حوالة الأزدي رضي الله عنه: «وضع رسول اللَّه ﷺ يده على رأسي، أو هامتي فقال: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»(٣).

وهذا فيه بيان لوقت الخلافة التي تكون في آخر الأمر، ومكان وجودها،

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٧٥).

(٢) رواه عبدالرزاق في مصنفه، ح(٢٠٨٤٤)، وقال الألباني: «وإسناده كلهم ثقات غير الرجل الذي لم يسم وهو من كبار التابعين إن لم يكن صحابيًا فإن زيدًا هذا تابعي روى عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة نفسه وابن عمر وغيرهما، وهو إن كان موقوفًا فهو في حكم المرفوع لأنه من المغيبات التي لا تقال بمجرد الرأي». قصة المسيح الدجال ص(١١٥).

(٣) رواه أحمد، ح(٢٢٤٨٧)، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة، ح(٢٥٣٥)، والحاكم (٥/ ٦٠٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وعبدالرحمن بن زغب الإيادي معروف في تابعي أهل مصر». ووافقه عليه الذهبي في تلخيصه. وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٥/ ٢١٧): «والإسناد لا بأس به»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٣٨).

وما يصاحبها من بلايا وأمور عظام تؤذن بقرب الساعة، وهي أشراطها الكبرى وما يصاحبها من أمور، ولذلك لا يصح أن تحمل على ملك بني أمية[(١)]؛ لأنه لم يصاحبها ما ذكر في هذا الحديث، وكذلك لا يصح أن يحمل حديث حذيفة المتقدم على عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ؛ «لأن خلافته كانت قريبة العهد بالخلافة الراشدة ولم تكن بعد ملكين: ملك عاض وملك جبرية»[(٢)]. واللَّه أعلم.

فالخلافة هنا خلافة بين يدي الساعة، والأحاديث الواردة في ذلك لم تصف خلافة بالعدل والكمال إلا خلافة المهدي وعيسى بن مريم.

والمهدي هو محمد بن عبد اللَّه، العلوي الفاطمي الحسني، من آل بيت النبي ﷺ وذريته، من أولاد فاطمة رضي الله عنها، يخرج في آخر الزمان، يؤيدُ اللَّهُ به الدين، ويملأُ الأرض عدلًا وقسطًا، كما ملئت ظلمًا وجورًا، ويمكِّن اللَّه لأهل الإسلام وينعمُ عليهم برغد العيش، فَتُنزل السماءُ بركتها، وتخرجُ الأرض زرعها، ويعطي المال بغير عدد، ويمكث سبع سنين أو أكثر بقليل.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «في زمانه تكون الثمارُ كثيرة، والزروعُ غزيرة، والمالُ وافر، والسلطان قاهر، والدين قائمٌ ظاهر، والعدو ملومٌ مخذول داخر، والبلادُ آمنة، والأمر والنهي قائم، والرزق دارٌ دائم، وهو أحدُ الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وليس هو بالمنتظر الذي تزعمُ الرافضة، وترتجي ظهوره من سرداب سامرَّا، فإن ذلك ما لا حقيقة له، ولا عين ولا أثر، ويزعمون أنه محمد بن الحسن العسكري، وأنه دخل السردابَ وعُمُره خمسُ سنين، وأما ما سنذكره فقد نطقت به الأحاديثُ المرويةُ عن رسول اللَّه ﷺ وأنه يكون في آخر الزمان»[(٣)].

والأحاديث المروية عن النبي ﷺ في المهدي قد نص غير واحد من أهل

---

(١) قاله الخطابي في معالم السنن (٢/ ٢٤٦).

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١/ ٣٥)، وانظر: مرقاة المفاتيح لعلي القاري (٩/ ٥٦٥).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٥٥، ٦٤).

العلم أنها متواترة تواترًا معنويًا يفيد العلم القطعي بخروج المهدي في آخر الزمان.

قال أبو الحسين محمد بن الحسين الآبري[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد تواترت الأخبارُ واستفاضت عن رسول اللّه ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبعَ سنين، وأنه يملأ الأرض عدلًا وأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يخرجُ فيساعدُه على قتل الدجال، وأنه يؤمُ هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه»[٢].

وقال البرزنجي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر»[٣].

وقال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد كثرت بخروجه الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عُدَّ من معتقداتهم - ثم ذكر بعض الأحاديث والآثار الواردة في ذلك وأسماء بعض الصحابة الذين رووها - ثم قال: وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدونٌ في عقائد أهل السنة والجماعة»[٤].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا فيها الصحيح والحسن والضعيف

---

(١) هو الحافظ الإمام أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبري - نسبة إلى آبر قرية من قرى سجستان - السجستاني، ويقال: السجزي، مصنف كتاب مناقب الشافعي، سمع من ابن خزيمة والسراج، توفي سنة ٣٦٣هـ في رجب عن نحو ثمانين سنة. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٩٥٤)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (١/ ٣٨٣).

(٢) نقل هذا القول جمع من الأئمة، منهم: القرطبي في التذكرة (٣/ ١٢٠٥)، والمزي في تهذيب الكمال (٢٥/ ١٤٩)، وابن القيم في المنار المنيف ص(١٤٢)، وابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٩٤)، والسخاوي في فتح المغيث (٣/ ٤١)، والسيوطي في العرف الوردي من الحاوي (٢/ ١٦٥)، وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ص(٩٩)، وعلي القاري في رسالة المهدي ص(٢٥)، والبرزنجي في الإذاعة ص(١٧٥)، والكتاني في نظم المتناثر ص(٢٢٨).

(٣) الإشاعة لأشراط الساعة ص(١٧٥). (٤) لوامع الأنوار (٢/ ٨٤).

المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف المتواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الاصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي، فهي كثيرة جدًّا، لها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك»[١].

وقال صديق حسن القنوجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياتها كثيرة جدًّا، تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد» إلى أن قال: «لا شك أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين شهر ولا عام، لما تواتر من الأخبار في الباب، واتفق عليه جمهور الأمة خلفًا عن سلف، إلَّا من لا يعتد بخلافه» إلى أن قال: «فلا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود المنتظر، المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حد التواتر»[٢].

وقال الكتاني[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتتبع ابن خلدون في مقدمته طرق أحاديث خروجه مستوعبًا لها على حسب وسعة علمه فلم تسلم له من علة، لكن ردوا عليه بأن الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرة جدًّا تبلغ حد التواتر، وهي عند أحمد والترمذي وأبي داود وابن ماجه والحاكم والطبراني وأبي يعلى الموصلي والبزار وغيرهم من دواوين الإسلام من السنن والمعاجم والمسانيد،

(١) نظم المتناثر ص(٢٢٧) نقلاً عن (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح) للشوكاني.

(٢) الإذاعة ص(١١٢).

(٣) هو أبو عبد اللَّه محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي، مؤرخ محدث، مكثر من التصنيف. مولده ووفاته بفاس. رحل إلى الحجاز مرتين، وهاجر بأهله إلى المدينة فأقام بها مدة، ثم انتقل إلى دمشق ثم عاد إلى المغرب، فتوفي في بلده سنة ١٣٤٥هـ. من مصنفاته نظم المتناثر في الحديث المتواتر، والرسالة المستطرفة، وسلوة الأنفاس في تراجم علماء فاس. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٧٢).

وأسندوها إلى جماعة من الصحابة، فإنكارها مع ذلك مما لا ينبغي، والأحاديث يشد بعضها بعضًا ويتقوى أمرها بالشواهد والمتابعات، وأحاديث المهدي بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، وأنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوي يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في بعض صلواته إلى غير ذلك»(١).

وكلام أهل العلم في هذا الباب كثير، ولم أر شرطًا من أشراط الساعة أفرد بكثرة المؤلفات قديمًا وحديثًا كشرط المهدي عليه السلام(٢) وقد أكثرت النقل ليزداد القارئ «ثباتًا ويقينًا بأن اعتقاد خروجه آخر الزمان هو الجادة المسلوكة، وليعلم أنه الحق الذي لا يسوغ العدول عنه والالتفات إلى غيره، وعمدة أهل العلم في ذلك الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ فيه(٣)، إذ لا مجال للرأي في مثل هذا

---

(١) نظم المتناثر ص(٢٢٧).

(٢) سرد صاحب كتاب (المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة) الدكتور عبدالعليم البستوي، أسماء أربعة وثلاثين مؤلفًا خصوا المهدي بالكتابة. انظر: المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة (١/ ١٢٦ - ١٤٠). قلت: الكتب الحديثة المؤلفة في ذلك قد يعجز الإنسان عن حصرها، ومن أهم ما وقفت عليه: كتاب (المهدي وفقه أشراط الساعة) للدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم، توسع فيه جدًا، وكتاب (المهدي دولة الإسلام القادمة) لعادل زكي. وانظر: كتاب المهدي للمقدم ص(٧٠). ولعل من أهم أسباب التأليف في ذلك سببان مهمان: الأول: اعتقاد الرافضة الباطل في مهديهم المزعوم والتباس الأمر على بعض الناس مما قد يؤدي بهم إلى إنكار الحق. والثاني: ظهور بعض الكتاب المشككين في أحاديث المهدي أو المنكرين لظهور المهدي.

(٣) شكك فيها من المتقدمين ابن خلدون المؤرخ المشهور وردها في مقدمته في التاريخ (١/ ٣١١)، واشتهر قوله بين الناس مع مخالفته للحق وشذوذه عن العلماء، وتبعه على ذلك بعض المتأخرين، وقابلوا كل أحاديث المهدي بالرد والاطراح، دون تفريق بين صحيحها وضعيفها، وابن خلدون وإن كان في التاريخ عَلَمًا من الأعلام، لكنه في الحديث عند العلماء من الأتباع المستفتين، وليس من =

الأمر، بل سبيله الوحيد هو الوحي؛ لأنه من الأمور الغيبية»[١].

والأحاديث الواردة في المهدي جاءت مبينة لنسبه وخروجه وصفاته وأعماله ومدته، فمن ذلك:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا

= المتبوعين المفتين، والقاصر في فن، كالعامي فيه، وإن كان متمكنًا من غيره، والواجب الرجوع في كل فن إلى أهله، ومن فعل غير ذلك وقصد ابن خلدون في هذا وترك جهابذة العلم على مر العصور، كان كالذي قصد الساقية، وترك البحور الزاخرة، ولذلك تعقب ابن خلدون جماعة من العلماء، وعدوا كلامه من الشذوذ الذي لا يتابع عليه، قال صديق حسن في كتابه الإذاعة ص(١٤٥ - ١٤٦): «لا معنى للريب في أمر ذلك الفاطمي الموعود والمنتظر المدلول عليه بالأدلة، بل إنكار ذلك جرأة عظيمة في مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة إلى حد التواتر»، وقال: «فهذه زلة صدرت من ابن خلدون رحمه الله، وليست من التحقيق في صَدر ولا وِرْد، فلا تغتر به، واعتقد ما جاء عن رسول الله ﷺ وفوض حقائقه إليه تعالى تكن على بصيرة من أمر دينك». ثم ابن خلدون هو القائل في أول كلامه: «اعلم أن في المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في صلاته، ويحتجون في هذا الشأن بأحاديث خرَّجها الأئمة». وهذه شهادة منه أن هذا هو المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، ألا يسعه في ذلك ما وسع الناس على ممر الأعصار؟ ثم أيضًا هو القائل في آخر كلامه (١/ ٣٢٢): «فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه». والقليل ولو كان واحدًا يكفي للاحتجاج، ويكون الكثير الذي لم يسلم عاضدًا له ومقويًا، مع أنه قد سلم عند العلماء الشيء الكثير، وقد قال الشوكاني: «فالأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة». وقد أفصح ابن خلدون أن ما جمعه هو مبلغ طاقته، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف: ٧٦ وانظر: كتاب (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون) لأحمد بن محمد بن الصديق، وكتاب (عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر) لعبدالمحسن العباد ضمن مجموع مؤلفاته (٤/ ٣١٧ - ٣٢١)، وكتاب (الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي) لعبد المحسن العباد ضمن مجموع مؤلفاته (٧/ ٥٢١ - ٦٤٣)، وكتاب (المهدي وفقه أشراط الساعة) للمقدم ص(١٥٣ - ١٥٩).

(١) عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر لعبدالمحسن العباد ضمن مجموع مؤلفاته (٤/ ٣١٧).

إِلَّا يَوْمٌ، لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي، أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا».

وفي رواية: «لَا تَذْهَبُ، أَوْ لَا تَنْقَضِي، الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»(١).

وفي رواية: «يَلِي أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي آخِرِ زَمَانِهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»»(٢).

وهذا فيه: أنه لابد من ظهوره، وفيه إشارة إلى أن ذلك يكون في آخر الزمان، لقوله: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ»، والرواية الثانية صريحة في ذلك، وفيه أن اسمه محمد واسم أبيه عبد اللَّه، وأنه من أهل بيت النبي ﷺ ومن العرب، وأن ما قبل زمانه يكون فيه ظلم وجور.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي(٣)، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ»»(٤).

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، ح(٢٢٣١) وقال: «حديث حسن صحيح»، وأبو داود، كتاب المهدي، (بدون تبويب)، ح(٤٢٨٢)، والطبراني في الكبير، ح(١٠٢٢٢)، وفي الأوسط، ح(١٢٣٣)، وصححه ابن تيمية في منهاج السنة (٨/ ٢٥٤)، وقال العظيم آبادي في عون المعبود (١١/ ٣٧٣): «الحديث سنده حسن قوي»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٥٣٠٤).

(٢) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان ١/ ٣٢٩، والطبراني في الكبير ح (١٠٢٢٧)، وقال البستوي: «إسناده حسن». المهدي المنتظر (١/ ٢٦١).

(٣) قال الخطابي في معالم السنن (٤/ ٣٤٤): «العترة ولد الرجل لصلبه، وقد يكون العترة الأقرباء وبني العمومة»، وقال ابن الأثير في النهاية (٣/ ١٧٧): «عترة الرجل أخص أقاربه، وعترة النبي ﷺ: بنو عبد المطلب، وقيل: أهل بيته الأقربون؛ وهم أولاده وعلي وأولاده، وقيل: عترته الأقربون والأبعدون منهم... والمشهور المعروف أن عترته أهل بيته الذين حرمت عليهم الزكاة».

(٤) رواه أبو داود، كتاب المهدي، (بدون تبويب)، ح(٤٢٨٤)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ح(٤٠٨٦)، والطبراني في الكبير ٢٣/ ٢٦٧ ح(٥٦٦)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٧٧١ - ٧٧٢)، والداني في السنن الواردة في الفتن ح(٥٦٥، ٥٧٥، ٥٨١)، ورمز له السيوطي في الجامع =

والذي عليه أهل السنة والجماعة أنه من أولاد الحسن بن علي رضي الله عنهما.

قال ابن تيمية رحمه الله: «المهدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين»[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: «من أهل بيت النبي ﷺ من ولد الحسن بن علي، يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جورًا وظلمًا، فيملأها قسطًا وعدلًا، وأكثر الأحاديث على هذا تدل.

وفي كونه من ولد الحسن سر لطيف، وهو أن الحسن رضي الله عنه ترك الخلافة للَّه، فجعل اللَّه من ولده من يقوم بالخلافة الحق، المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض.

وهذه سنة اللَّه في عباده أنه من ترك لأخيه شيئًا أعطاه اللَّه، أو أعطى ذريته أفضل منه وهذا بخلاف الحسين رضي الله عنه، فإنه حرص عليها، وقاتل عليها، فلم يظفر بها، واللَّه أعلم»[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ[3]، أَقْنَى الأَنْفِ[4]، يَمْلأُ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»[5].

= الصغير ص(١٨٧) بالصحة، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/ ٩٣): «هذا سند جيد، رجاله كلهم ثقات، وله شواهد كثيرة»، وقال في صحيح الجامع ح(٦٧٣٤): صحيح، وحسنه البستوي في «المهدي المنتظر» (١/ ٢٠٣).

(١) منهاج السنة (٨/ ٢٥٨).

(٢) المنار المنيف ص(١٥١). وانظر: البداية والنهاية (١٩/ ٦١ - ٦٢)، والصواعق المحرقة للهيتمي (٢/ ٢٨٠ - ٢٨١) وقال: «ورواية كونه من ولد الحسين واهية جدًّا»، وفيض القدير (٦/ ٢٧٩).

(٣) أي منحسر الشعر من مقدم رأسه أو واسع الجبهة. انظر: عون المعبود (١١/ ٢٥٢).

(٤) قال في النهاية (٤/ ١١٦): «القنا في الأنف طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه».

(٥) رواه أبو داود، كتاب المهدي، (بدون تبويب)، ح(٤٢٨٥)، وقال ابن القيم: «رواه أبو داود بإسناد جيد من حديث عمران بن داور القطان، وهو حسن الحديث عن قتادة، عن أبي نضرة، عنه». المنار المنيف ص(١٤٢)، وحسنه الألباني في الجامع الصغير، ح(٦٧٣٦).

وعنه ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطَى الْمَالُ صِحَاحًا[١]، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وتَعْظُمُ الأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبعًا أَوْ ثَمَانِيًا» يَعْنِي حِجَجًا[٢].

وعنه ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلَ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صِحَاحًا» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صِحَاحًا؟ قَالَ: «بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ» قَالَ: «وَيَمْلَأُ اللَّهُ قُلُوبَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ غِنًى، وَيَسَعُهُمْ عَدْلُهُ، حَتَّى يَأْمُرَ مُنَادِيًا فَيُنَادِي فَيَقُولُ: مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ؟ فَمَا يَقُومُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَجُلٌ فَيَقُولُ: أنا، فيقول: ائْتِ السَّدَّانَ - يَعْنِي الْخَازِنَ - فَقُلْ لَهُ: إِنَّ الْمَهْدِيَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مَالًا، فَيَقُولُ لَهُ: احْثُ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ فِي حِجْرِهِ وَأَبْرَزَهُ نَدِمَ، فَيَقُولُ: كُنْتُ أَجْشَعَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ نَفْسًا، أَوَعَجَزَ عَنِّي مَا وَسِعَهُمْ؟ قَالَ: فَيَرُدُّهُ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّا لَا نَأْخُذُ شَيْئًا أَعْطَيْنَاهُ، فَيَكُونُ كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ سِنِينَ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُ أَوْ قَالَ: ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ»[٣].

---

(١) قال في النهاية (٣/ ١٢): «الصَّحاح بالفتح بمعنى الصحيح يقال: درهم صحيح وصحاح. ويجوز أن يكون بالضم كطوال في طويل. ومنهم من يرويه بالكسر ولا وجه له».

(٢) رواه الحاكم (٥/ ٧٧٢) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح(٧١١) وقال: «وهذا سند صحيح، رجاله ثقات». وصححه البستوي في المهدي المنتظر (١/ ١٦٥).

(٣) رواه أحمد، ح(١١٣٢٦، ١١٤٨٤) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده ضعيف لجهالة حال العلاء بن بشر: وهو المُزني، فقد انفرد بالرواية عنه المُعلى بن زياد: وهو القُرْوسي، ولم يوثر توثيقه إلا عن ابن حبان، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح». وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ح(١٥٨٨) وقال: «وهذا إسناد ضعيف، العلاء بن بشير مجهول، كما قال ابن المديني، وتبعه الحافظ وغيره، لم يرو عنه سوى المعلى بن زياد كما في الميزان. نعم قد جاء الحديث من طريق أخرى عن أبي الصديق، ولكنه مختصر، ليس فيه هذا التفصيل الذي رواه العلاء، وإسناده صحيح»، وقال في الصحيحة (٧/ ١٧٣١): ورجاله ثقات رجال مسلم؛ غير العلاء بن بشير، وهو مجهول؛ كما في التقريب. لكن قد توبع على =

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ طَالَ عُمْرُهُ أَوْ قَصُرَ عُمْرُهُ، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ، أَوْ ثَمَانِيَ سِنِينَ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا، وَتُمْطِرُ السَّمَاءُ مَطَرَهَا، وَتُخْرِجُ الأَرْضُ بَرَكَتَهَا، قَالَ: وَتَعِيشُ أُمَّتِي فِي زَمَانِهِ عَيْشًا لَمْ تَعِشْهُ قَبْلَ ذَلِكَ»(١).

دلت هذه الأحاديث على أن الأمة في زمان المهدي تعظم، والعدل ينتشر، والخير يكثر، فيعطي المال بلا عدد، ويغني الله أمة محمد ﷺ، ولعله المراد بقول النبي ﷺ: «يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَعُدُّهُ»(٢).

وفي رواية: «يَكُونُ في آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا».

قال الراوي: «قلت لِأَبِي نَضْرَةَ وَأَبِي الْعَلَاءِ: أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بن عبدالْعَزِيزِ؟ فَقَالَا: لَا»(٣).

وأما مدة ملكه وخلافته: فاختلفت الروايات بين: «يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ»، وفي رواية: «يَعِيشُ سَبعًا أَوْ ثمَانِيًا»، وفي رواية: «فَيَكُونُ كَذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ أَوْ ثَمَانِ

= بعضه عند الحاكم». والحديث حسنه ابن كثير في جامع المسانيد (١/ ٨٤٣) بقوله: «هذا سياق حسن»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣١٤): «رواه الترمذي وغيره باختصار كثير. رواه أحمد بأسانيد وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات». وقال السيوطي في الحاوي (٢/ ١٦٢): «وأخرج أحمد في مسنده وأبو يعلى بسند جيد» ثم ذكر الحديث.

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، ح(٣٨٧٩٣، ٣٨٨٠٨)، وأحمد، ح(١١٢١٢) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده ضعيف لضعف زيد العمِّي: وهو ابن الحواري، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح». وقال البستوي: «الحديث حسن لشواهده» المهدي المنتظر (١/ ١٧٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩١٣، ٢٩١٤) من حديث جابر وأبي سعيد.

(٣) المصدر السابق، ح(٢٩١٣). قال مطر الوراق - وهو من أتباع التابعين -: «بلغنا أن المهدي يصنع شيئًا لم يصنعه عمر بن عبدالعزيز. قلنا ما هو؟ قال: يأتيه رجل فيسأله، فيقول: ادخل بيت المال فخذ. فيدخل فيأخذ فيخرج، فيرى الناس شباعًا، فيندم، فيرجع إليه، فيقول: خذ ما أعطيتني، فيأبى، ويقول: إنا نعطي ولا نأخذ». رواه نعيم بن حماد في الفتن، ح(١٠٣٣)، والداني في السنن الواردة في الفتن، ح(٥٨٥) وقال محققه: «وإسناده صحيح».

سِنِينَ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ»، وفي رواية: «إِنْ طَالَ عُمْرُهُ أَوْ قَصُرَ عُمْرُهُ، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ، أَوْ ثَمَانِيَ سِنِينَ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ».

وللعلماء في توجيه ذلك مسلكان: الأول: ترجيح رواية الجزم، لأنه ليس فيها شك، ثم هي أصح الروايات.

قال المباركفوري[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «(يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا زيد الشاك) أي الشك من زيد، وفي رواية عن أبي سعيد عند أبي داود: (ويملك سبع سنين) من غير شك، وكذلك في حديث أم سلمة عنده بلفظ: (فيلبث سبع سنين) من غير شك، فقول الجازم مقدم على قول الشاك»[(٢)].

وقال ابن حجر الهيتمي[(٣)] رَحِمَهُ اللَّهُ: «رواية سبع سنين هي أكثرها وأشهرها»[(٤)].

المسلك الثاني: الجمع بين الروايات، حيث لا يدرى هل الشك من الرواة أم أنه في أصل الرواية، فقالوا: الأمر متقارب، أي أنه يمكث ما بين السبع سنوات

---

(١) هو الشيخ العالم الصالح عبدالرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري الهندي، أحد العلماء المشهورين، ولد ببلدة مبارك بور سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف، كان متضلعًا من علوم الحديث، متميزًا بمعرفة أنواعه وعلله، ومعرفة أسماء الرجال وفن الجرح والتعديل وطبقات المحدثين وتخريج الأحاديث، ألف تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي وغيره من الكتب، وكان شديد الانتصار لأهل الحديث، كثير الرد على الحنفية، وكان من العلماء الربانيين، عالمًا عاملًا خاشعًا متواضعًا رقيق القلب سريع الدمعة كثير البكاء سخيًّا مكبًّا على العلم والتأليف والمطالعة كثير الذكر للَّه تعالى، وافته المنية في السادس عشر من شوال سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة». الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام للحسيني (٨/ ١٢٧٢).

(٢) تحفة الأحوذي (٣/ ٢٣٢).

(٣) هو الإمام العلامة أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي، شهاب الدين أبو العباس، ولد في رجب سنة تسع وتسعمائة في محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر وإليها نسبته، جاور بمكة وأقام بها يدرس ويفتي ويؤلف إلى وفاته بها سنة أربع وسبعين وتسعمائة، وله تصانيف كثيرة، منها: الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة، وتحفة المحتاج لشرح المنهاج في فقه الشافعية، والفتاوي الهيتمية أربع مجلدات، وشرح مشكاة المصابيح للتبريزي، وشرح الأربعين النووية. انظر: شذرات الذهب للحنبلي (٨/ ٣٧٠ - ٣٧١)، والأعلام للزركلي (١/ ٢٣٤).

(٤) القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ص(٢٠).

إلى التسع سنوات[1].

قلت: إن ثبت أن الشك من الرواة فالحمل على اليقين متحتم، وإلا فالمدة ذكرت على التقريب، فيمكث ما بين السبع إلى التسع، والله تعالى أعلم.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ»[2].

---

(١) انظر: كتاب المهدي دولة الإسلام القادمة ص(١٠٠ - ١٠٣)، وكتاب القول المختصر في أشراط الساعة والمهدي المنتظر ص(٥٠ - ٥١).

(٢) رواه أحمد، ح(٦٤٥)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ح(٤٠٨٥)، وابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٧٩٩)، والبزار في مسنده، ح(٦٤٤)، وأبو يعلى في مسنده، ح(٦٤٥)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان، ح(٥٨١)، والداني في السنن الواردة في الفتن، ح(٥٧٩)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٣١٤): «هذا إسناد فيه مقال، إبراهيم بن محمد وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري في التاريخ: في إسناده نظر، وياسين العجلي قال البخاري: فيه نظر، قال: ولا أعلم له حديثًا غير هذا، وقال ابن معين وأبو زرعة: لا بأس به. وأبو داود الحفري اسمه عمر بن سعد، احتج به مسلم في صحيحه، وباقي رجال الإسناد ثقات»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٥٦): «ورواه ابن ماجه، عن عثمان بن أبي شيبة، عن أبي داود الحفري، عن ياسين العجلي، وليس هذا ياسين بن معاذ الزيات، الزيات ضعيف، والعجلي أوثق منه». وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب (١١/ ١٧٢): «ووقع في سنن ابن ماجه عن ياسين غير منسوب، فظنه بعض الحفاظ المتأخرين ياسين بن معاذ الزيات فضعف الحديث به فلم يصنع شيئًا». وقد رمز السيوطي لحسنه في الجامع الصغير (٦/ ٢٧٨ مع فيض القدير)، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند ح(٦٤٥): «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٣٧١) وقال: «رواه ابن ماجه وأحمد والعقيلي في الضعفاء وابن عدي وأبو نعيم في الحلية عن ياسين العجلي عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه عن علي مرفوعًا. وقال: «لا يتابع ياسين على هذا اللفظ وفي المهدي أحاديث صالحة الأسانيد من غير هذا الطريق». قلت: بلى، قد تابعه سالم بن أبي حفصة، أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان عنه مقرونًا مع ياسين هذا، وهو ابن شيبان، قال البخاري: «في حديثه نظر». قال ابن معين: «ليس به بأس، وفي رواية: صالح». وقال أبو زرعة: «لا بأس به». قال الحافظ في تهذيب التهذيب: «ووقع في سنن ابن ماجه عن ياسين غير منسوب، فظنه بعض الحفاظ المتأخرين ياسين بن معاذ الزيات، فضعف الحديث به، فلم يصنع شيئًا». وقال في التقريب: «لا بأس به، ووهم من زعم أنه ابن معاذ الزيات». قلت: وسائر الرواة ثقات، فالإسناد حسن. لكن متابعة سالم بن أبي حفصة المتقدمة - وهو صدوق في الحديث - ترفع الحديث إلى مرتبة الصحيح. والله أعلم». وحسنه البستوي في المهدي المنتظر (١/ ١٥٧).

وقوله ﷺ: «يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ»، له معنيان عند العلماء:

الأول: «أي: يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه رشده، بعد أن لم يكن كذلك»(١). فيكون متلبسًا ببعض النقائص، فيصلحه اللَّه ويتوب عليه.

الثاني: أي يصلحه للخلافة؛ بأن يهيئه لها(٢).

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»(٣).

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٦٢). قال الألباني: «ولعل المقصود بذلك أنه يصلحه، أي يُعِدُّه لتولي قيادة المسلمين، لا أنه كان فاسقًا فأصلحه اللَّه وتاب عليه». قصة المسيح الدجال ص(١٤١).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح للقاري (٥/ ١٨٠)، وإتحاف الجماعة للتويجري (٢/ ٢٧٧).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ح(٤٠٨٤)، والبزار في مسنده، ح(٤١٦٣)، والروياني في مسنده، ح(٦٣٧)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٥٧).
واختلف في تصحيحه وتضعيفه، فصححه: البزار في مسنده (١٠/ ١٠٠) حيث قال: «وهذا الحديث قد رُوِيَ نحو كلامه من غير هذا الوجه بهذا اللفظ وهذا اللفظ لا نعلمه إلَّا في هذا الحديث وإن كان قد روى أكثر معنى هذا الحديث فإنا اخترنا هذا الحديث لصحته وجلالة ثوبان وإسناده إسناد صحيح»، والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٥٧) بقوله: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» وأقره الذهبي، والقرطبي في التذكرة (٣/ ١٢٠١) بقوله: «إسناد صحيح»، وابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٦٢) بقوله: «وهذا إسناد قوي صحيح»، والبوصيري في مصباح الزجاجة (٣/ ٢٦٣)، وشعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند (٣٧/ ٧١) وقال: «ورجاله ثقات رجال الصحيح، لكن خالف الثوريَّ في إسناده عبدُالوهاب بن عطاء، فأخرجه الحاكم (٤/ ٥٠٢)، وعنه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥١٦) من طريق يحيى بن أبي طالب، عن عبدالوهاب بن عطاء، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان موقوفًا».
وضعفه: جماعة، قال عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل: «حدثني أبي قال: قيل لابن علية في هذا الحديث؟ فقال: كان خالد يرويه فلم يُلتَفت إليه، ضعَّفَ ابنُ علية أمره، يعني: حديث خالد، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، عن النبي ﷺ في الرايات». العلل (٢/ ٣٢٥). وقال ابن كثير: «رواه بعضهم عن ثوبان فوقفه، وهو أشبه، واللَّه أعلم». البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٣). وقال الذهبي: «أراه منكرًا، وقد رواه الثوري، وعبدالعزيز بن المختار، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، فقال: عن أسماء، عن =

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والظاهر أن المراد بهذا الكنز المذكور كنز الكعبة، يقتتلون عنده؛ ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى إذا كان في آخر الزمان خرج المهدي من بلاد المشرق، وقيل: من مكة»(١).

وفي رواية: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَاسَانَ، فَأْتُوهَا؛ فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِيَّ»(٢).

وعن عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَمَّا رَآهُمْ النَّبِيُّ ﷺ اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ. فَقَالَ: «إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيدًا وَتَطْرِيدًا حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ فَيَسْأَلُونَ الْخَيْرَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيُقَاتِلُونَ فَيُنْصَرُونَ فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلَؤُهَا قِسْطًا كَمَا مَلَئُوهَا جَوْرًا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا

= ثوبان». ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٨). وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «منكر... وقد ذهل من صححه عن علته، وهي عنعنة أبي قلابة، فإنه من المدلسين كما تقدم نقلُه عن الذهبي وغيره، ولعله لذلك ضعف الحديث ابنُ علية من طريق خالد، كما حكاه عنه أحمد في العلل وأقره، لكن الحديث صحيح المعنى، دون قوله: «فإن فيها خليفة اللَّه المهدي» فقد أخرجه ابن ماجه من طريق علقمة عن ابن مسعود مرفوعًا نحو رواية ثوبان الثانية، وإسناده حسن بما قبله، فإن فيه يزيد بن أبي زياد وهو مختلف فيه فيصلح للاستشهاد به، وليس فيه أيضًا ذكر خليفة اللَّه ولا خراسان، وهذه الزيادة خليفة اللَّه ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهدًا لها، فهي منكرة كما يفيده كلام الذهبي السابق». سلسلة الأحاديث الضعيفة، ح(٨٥).

واللَّه تعالى لا يجوز له خليفة، فهو حي قيوم لا يخلفه أحد، بل هو خليفة عن كل أحد. انظر تفصيل ذلك في مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٥/ ٤٣ - ٤٦).

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٦٢).

(٢) رواه أحمد، ح(٢٢٣٨٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف»، وأبو نعيم في الحلية موقوفًا، ح(٢٨٧٢)، وكذا الحاكم في المستدرك (٥/ ٧٠٣) وقال: «وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وعده البيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٥١٥) من منكرات علي بن زيد، وكذا الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، ح(٥٠٧).

عَلَى الثَّلْجِ»[١].

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تَجِيءُ رَايَاتٌ سُودٌ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ، وَتَخُوضُ الخَيْلُ الدِّمَاءَ إِلَى ثُنَّتِهَا[٢]، يُظْهِرُونَ العَدْلَ وَيَطْلُبُونَ العَدْلَ فَلاَ يُعْطَوْنَهُ، فَيَظْهَرُونَ، فَيُطْلَبُ مِنهُمُ العَدْلُ، فَلَا يُعْطُونَهُ»[٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «الرايات السود المذكورة في هذه الأحاديث، إن صحت، هي التي تكون مع المهدي، ويكون أول ظهور بيعته بمكة، ثم تكون أنصاره من خراسان والله تعالى أعلم. هذا كله تفريع على صحة هذه الأحاديث، وإلا فلا يخلو سند منها عن كلام. والله أعلم بالصواب»[٤].

وهذا خلاصة هذه الأحاديث، وأما لجوؤه إلى مكة وبيعته بها:

فقد تقدم قوله ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ».

وعن أم سلمة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا إِلَى مَكَّةَ، فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيُبَايِعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَيُخْسَفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَإِذَا رَأَى النَّاسُ ذَلِكَ أَتَاهُ أَبْدَالُ

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ح(٤٠٨٢)، وابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٨٨٢)، والبزار، ح(١٤٩١، ١٥٥٦)، والشاشي في مسنده، ح(٣٢٩، ٣٥١)، والطبراني في الأوسط، ح(٥٦٩٩)، والحاكم (٥/ ٦٥٧ - ٦٥٨) وسكت عنه، وتعقبه الذهبي فقال: «قلت هذا موضوع»، وقال في ميزان الاعتدال (٤/ ٤٢٤): «هذا ليس بصحيح»، وقال في سير أعلام النبلاء (٦/ ١٣٢) وقد ذكر حديثًا وحكم عليه بالنكارة: «وأنكر منه حديث الرايات» ثم ذكره، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة، ح(٥٢٠٣): «منكر».

(٢) قال ابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٢٥٧): «هو الشعر النابت في مؤخر الرسغ».

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده، ح(٥٠٨٤)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٢٧٩): «وهذا إسناد حسن».

(٤) البداية والنهاية (٩/ ٢٨٣). وانظر: (١٩/ ٦٢ - ٦٣).

الشَّامِ، وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَيُبَايِعُونَهُ»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَجِيءُ الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»[٢].

وهذا ليس صريحًا أن المبايع له هنا هو المهدي، والرواية الأولى متكلم فيها، ثم ليس فيها بيان لمكان البيعة، وكذلك حديث أم سلمة فيه مقال، وليس صريحًا في المبايع، ولكن الذي عليه أكثر العلماء أن المبايع هنا هو المهدي ﷺ، فقد ذكره ابن حبان في «ذكر الموضع الذي يبايع فيه المهدي»، وذكره الهيثمي في «باب المهدي»[٣].

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٢٠٧٦٩) عن قتادة مرفوعًا، وإسحاق بن راهوية في مسنده، ح(١٩٥٤)، وأحمد، ح(٢٦٦٨٩) وقال الأرناؤوط: «حديث ضعيف»، وأبو داود في السنن، كتاب المهدي، (بدون تبويب)، ح(٤٢٨٦)، وأبو يعلى في مسنده، ح(٦٩٤٠)، وابن حبان في صحيحه، ح(٦٧٥٧)، والطبراني في الكبير (٢٣/ ٣٩٠) ح(٩٣١)، وفي الأوسط، ح(١١٥٣)، والداني في السنن الواردة في الفتن، ح(٥٩٥)، وقال ابن القيم في المنار المنيف ص(١٤٣): «والحديث حسن، ومثله مما يجوز أن يقال فيه: صحيح». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣١٥): «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح». وضعفه الألباني في الضعيفة، ح(١٩٦٥، ٦٤٨٤) وفصَّل القول فيه جدًّا، وجعله مثالًا للحديث المضطرب الشاذ المنكر، وعقَّب على توثيق الهيثمي له بقوله: «إن إطلاق الهيثمي مثل هذا الكلام أو نحوه كقوله: «رجاله ثقات»: ليس على إطلاقه بالنسبة لمعاجم الطبراني الثلاثة، وهي عادة له مضطردة غالبًا، وهو يعني بذلك وبخاصة قوله هذا: «رجال الصحيح» ما عدا شيخ الطبراني، فينبغي الانتباه لهذا؛ فقد يكون الشيخ مجهولًا، أو ضعيفًا» ثم بين أن شيخ الطبراني هنا هو: أحمد بن عبدالرحمن بن عقال الحراني، مضعَّف، من رجال الميزان واللسان.

(٢) رواه أحمد، ح(٧٩١٠، ٨١١٤، ٨٣٥١، ٨٦١٩) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، وابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٣٩٩)، وابن الجعد في مسنده، ح(٢٨١٠)، وابن حبان في صحيحه، ح(٦٨٢٧)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٤٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٩٨): رواه أحمد، ورجاله ثقات». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٥٧٩، ٢٧٤٣).

(٣) وانظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١١٩٠، ١٢٠٦)، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي ص(١٨٩).

وفي حديث أم سلمة أن الجيش الذي يخسف به في بيداء المدينة يكون قاصدًا هذا الرجل المبايع بين الركن والمقام، وقد كثرت الروايات بذلك من غير تعيين.

فعن أم سلمة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ[١] مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ»[٢].

وعن حفصة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «سَيَعُوذُ بِهَذَا الْبَيْتِ - يَعْنِي الْكَعْبَةَ - قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ»[٣].

وعن عائشة ﵂ قالت: «عَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في مَنَامِهِ[٤] فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ. فَقَالَ: «الْعَجَبُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ»[٥].

وعن بُقَيْرَةَ امْرَأَة الْقَعْقَاع بن أَبِي حَدْرَدٍ ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِجَيْشٍ قَدْ خُسِفَ بِهِ قَرِيبًا

---

(١) قال في اللسان (١/ ٣٩٤): «البَيْداءُ: المفازة لا شيء بها وهي ههنا اسم موضع مخصوص بين مكة والمدينة وأكثر ما تَرِدُ ويراد بها هذه». وفي صحيح مسلم (٤/ ٢٢٠٨): «وقال أبو جعفر: هي بيداء المدينة».

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، ح(٢٨٨٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، ح(٢٨٨٣)، وفيه زيادة: «قال يوسف بن ماهك: وأهل الشام يومئذ يسيرون إلى مكة، فقال عبد الله بن صفوان - الراوي عن حفصة -: أما والله ما هو بهذا الجيش».

(٤) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦ - ٧): «قيل: معناه اضطرب بجسمه، وقيل: حرك أطرافه كمن يأخذ شيئًا أو يدفعه».

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، ح(٢٨٨٤).

فَقَدْ أَظَلَّتِ السَّاعَةُ»(١).

وقال أبو هريرة ﷺ: «واللّه ليخسفن - أو لا تقوم الساعة حتى يخسف - بقوم ذوي زي ببيداء من الأرض»(٢).

وهذا فيه أن قرب الساعة يعوذ بالبيت عائذ من قريش، ومعه قوم قليل ليست معهم منعة ولا عدة، فيبعث إليه جيش من هذه الأمة، ذو زي وهيئة معينة، حتى إذا كانوا ببيداء المدينة خسف بهم.

وأكثر العلماء الذين ألفوا في هذا الباب يرون أن المقصود بهذه الأحاديث هو المهدي، وأن الخسف بجيش بالبيداء من علامات ظهوره(٣).

وهذا قد يبدو ظاهرًا، ولكن يبقى الأمر على الاحتمال، إذ لا يمكن الجزم والدليل غير صريح، والأمر متعلق بالغيب، واللّه أعلم.

ولا يصح حمل هذه الأحاديث على الحبشة الذين يغزون الكعبة في آخر

---

(١) رواه الحميدي في مسنده، ح(٣٥١)، وأحمد، ح(٢٧١٢٩، ٢٧١٣٠) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف»، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٠٣) ح(٥٢٢، ٥٢٣)، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٨/ ٩٢): «رواه الحميدي ورواته ثقات»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(١٣٥٥) وقال: «وهذا إسناد حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن إسحاق وهو حسن الحديث إذا أمنا تدليسه كما هنا فقد صرح بالتحديث وذلك من فوائد الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ دون أحمد، ولذلك أعله الهيثمي بالعنعنة، فقال المناوي في شرحه على جامع السيوطي: قد رمز لحسنه، وهو كما قال، إذ غاية ما فيه أن فيه ابن إسحاق، وهو ثقة لكنه مدلس، قال الهيثمي: وبقية رجال إسنادي أحمد رجال الصحيح».

(٢) رواه ابن الأعرابي في معجمه، ح(٢١٠٦)، والداني في السنن الواردة في الفتن، ح(٣٤٦، ٥٩٤) وقال محققه: «وهو موقوف ورجال إسناده ثقات، وهو في حكم المرفوع لأنه إخبار بالغيب الذي لا مجال فيه للرأي والاجتهاد».

(٣) روى أبو داود هذه الأحاديث في كتاب المهدي جزمًا منه أن الجيش الذي يخسف به هو الذي يأتي لقتال المهدي، وبوب ابن حبان في صحيحه على حديث أم سلمة بقوله: «ذكر الخبر المصرح بأن القوم الذين يخسف بهم إنما هم القاصدون إلى المهدي في زوال الأمر عنه»، وانظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١١٨٩ - ١١٩٢)، والإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي ص(١٨٢)، وعون المعبود (١١/ ٣٨٠)، والزواجر للهيتمي (١/ ٢٠٤).

الزمان، وذلك لأمور: الأول: قوله ﷺ عن هذا الجيش: «إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي»، والذين يهدمون من كفار الحبشة.

الثاني: أن هذا الجيش «يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ»، فقصدهم الرجل وليس البيت، والحبشة يقصدون البيت.

الثالث: أن هذا الجيش يخسف به بالبيداء قبل الوصول إلى البيت، والحبشة ينقضونها حجرًا حجرًا، ويخرجون كنزها(١).

وأما خلافته وأعماله:

تقدم معنا أن خلافة المهدي خلافة على منهاج النبوة، يملأ فيها الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وتكون بأرض الشام، حيث الملاحم والأمور العظام.

فعن أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا» قَالَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي - أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - مَنْ يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا»(٢).

وفي رواية: عن عبد اللَّه بن مسعود ؓ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، يَمْلأُ الأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»(٣).

وعن عبد اللَّه بن حوالة الأزدي ؓ قال: «وضع رسول اللَّه ﷺ يده

---

(١) ذكر هذا القول ابن التين احتمالاً، كما حكاه عنه ابن حجر في الفتح (٤/ ٣٤٠) ورد عليه، واختاره العيني في عمدة القاري (١١/ ٢٣٦ - ٢٣٧).

(٢) رواه أحمد، ح(١١٣١٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، وأبو يعلى في مسنده، ح(٩٨٧)، وابن حبان في صحيحه، ح(٦٨٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٧) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه البزار في مسنده، ح(١٨٣٢)، والطبراني في الكبير، ح(١٠٢١٤)، والشاشي في مسنده، ح(٦٢٤).

على رأسي، أو هامتي فقال: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدَي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»(١).

ومن الأمور العظام التي تكون بالشام في زمانه الملحمة الكبرى مع النصارى، ثم فتح القسطنطينية، ثم خروج الدجال لعنه الله، ثم نزول عيسى عليه السلام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ: فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»(٣).

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٢٤٨٧)، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة، ح(٢٥٣٥)، والحاكم (٥/ ٦٠٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وعبدالرحمن بن زغب الإيادي معروف في تابعي أهل مصر». ووافقه عليه الذهبي في تلخيصه. وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب (٥/ ٢١٧): «والإسناد لا بأس به»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٣٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم، ح(٢٨٩٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم، ح(٣٤٤٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح(١٥٥).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ. تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ»(١).

وفي رواية: «يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ الْمَهْدِي تَعَالَ صَلِّ بِنَا، فَيَقُولُ: لَا. إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرُ بَعضٍ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ»(٢).

وعن أبي أمامة ﷺ أن رسول الله ﷺ خطبهم وذكر الدجال في حديث طويل وفيه: «فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلَاصِ»، فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ أَبِي الْعَكَرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ، يَمْشِي الْقَهْقَرَى، لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ»(٣).

وفي صلاة عيسى ﷺ وهو رسول من أولي العزم خلف المهدي وهو فرد من أفراد هذه الأمة دلالة على أنه جاء تابعًا لنبينا ﷺ وحاكمًا بشرعه، وذلك أنه

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح(١٥٦). وجاء عند أبي يعلى، ح(٢٠٧٨) بلفظ: «فَيَقُولُ إِمَامُهُمْ: تَقَدَّمْ، فَيَقُولُ: أَنْتُمْ أَحَقُّ بَعْضُكُمْ أُمَرَاءُ بَعْضٍ، أَمْرٌ أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الأُمَّةَ».

(٢) قال ابن القيم في المنار المنيف ص(١٤٧): «وقال الحارث بن أبي أسامة في مسنده: حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم، حدثنا إبراهيم بن عقيل، عن أبيه، عن وهب بن منبه، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة» وهذا إسناد جيد». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٢٢٣٦).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧).

لا نبي بعد نبينا ﷺ، وقد جاء في رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ»(١).

قال الهيتمي رحمه الله: «لأن القصد بإمامة المهدي لعيسى إنما هو إظهار أنه نزل تابعًا لنبينا حاكمًا بشريعته غير مستقل بشيء من شريعة نفسه، واقتداؤه ببعض هذه الأمة مع كونه أفضل من ذلك الإمام الذي اقتدى به فيه من إذاعة ذلك وإظهاره ما لا يخفى، على أنه يمكن الجمع بأن يقال إن عيسى يقتدي بالمهدي أولًا لإظهار ذلك الغرض، ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل وبه يجتمع القولان»(٢).

وبصلاة المهدي بعيسى ينتهي ذكر المهدي في النصوص الشرعية، ولعله بعد نزول عيسى ابن مريم عليه السلام يسلم الأمر لعيسى ويكون واحدًا من الرعية، لاسيما وتكون منيته قد دنت، لأنه لا يملك سوى سبع سنين، وقد قضى مدة منها قبل نزول عيسى، والله تعالى أعلم.

وتلخص لنا مما مضى: أن المهدي عليه السلام هو محمد بن عبد الله الفاطمي الحسني من آل بيت النبي ﷺ وذريته، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يخرج في آخر الزمان، على اختلاف من الناس وزلازل، وقد ملئت الأرض ظلمًا وجورًا، فيصلحه الله، ويهيؤه للخلافة، وينصره ويؤيد به الدين، وينعم عليه بكثرة الخير والبركة، فيعطي المال بغير عدد، ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا، ويؤيده بأناس من المشرق، ويبايع بمكة، ويقيم الخلافة الراشدة، ويقاتل الأعداء، ويخرج الدجال في زمانه، فينزل عيسى بن مريم يساعده على قتاله، ويؤم هذه الأمة، ويصلي

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح(١٥٥) وفيه: «قال ابن أبي ذئب للوليد بن مسلم: تدري ما «أمّكم منكم»؟ قلت: تخبرني. قال: فأمّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ».

(٢) الصواعق المحرقة (٢/ ٤٨٠). وانظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٩٤).

عيسى خلفه، ويملك سبع سنين، قد تواترت بخروجه الأخبار، وشاع ذكره على مر الأعصار، وآمن به الصغار والكبار، إلا من شذ وخالف سبيل الأخيار.

وبخروج المهدي تبدأ الأمور العظام، وتتتابع الأشراط، ولأجل هذا عده جماعة من العلماء من الأشراط الكبرى(١)، والذي يظهر أنه بوابة للكبرى وليس منها، وذلك أن النبي ﷺ سمى الكبرى آيات وقال: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حتى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ»(٢)، وعدها عدًّا، ولم يذكر المهدي فيها، وهي: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدجال، والدابة، وثلاث خسوفات، وخروج عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، والنار التي تخرج من قعر عدن.

وكلها أمور عظام، وفيها خرق للمعتاد، وأما المهدي فلا شك أنه أمير صالح، ويقيم خلافة راشدة، ولكن هذا ليس أمرًا خارقًا، فقد تولى أمر المسلمين قبله من هو خير منه كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وهذا أضبط شيء، وقد أجمع العلماء على هذه العشر، واختلفوا فيما عدا ذلك كبعثة النبي ﷺ وخروج المهدي والريح التي تقبض أرواح المؤمنين ونحو ذلك(٣).

وليعلم أن الإيمان بخروج المهدي وما سيحصل على يديه من خير للأمة، لا يعني الاستسلام للأماني والأحلام، وركوب البواطل من الأخبار، والتواكل وانتظار المنقذ المنتظر، وترك الجد والاجتهاد والعمل للإسلام، فالإنسان مطالب أن يعمل لساعته، ولا يعلق قلبه بما قد لا يدرك زمانه، ويفرط في واجب وقته، نعم المستقبل للإسلام، والبشارة قادمة، هذا حق

---

(١) انظر: الإشاعة للبرزنجي ص(١٧٥)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ٧٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

(٣) انظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٢١٧)، (٣/ ١٢٦٢)، وفتح الباري (١٣/ ٩١)، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح ص(٩)، وأشراط الساعة في مسند الإمام أحمد للقحطاني (١/ ٣٥، ٣٨).

وإيمان، والمطلوب منا التصديق والعمل.

عن حفص بن غياث[١] قال: «قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد اللَّه، إن الناس قد أكثروا في المهدي، فما تقول فيه؟ قال: إن مر على بابك فلا تكن منه في شيء حتى يجتمع الناس عليه»[٢].

واللَّه الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

(١) هو حفص بن غياث بن طلق بن معاوية، الإمام، الحافظ العلامة القاضي، أحد الأثبات، أبو عمر النخعي الكوفي، قاضي الكوفة، ومحدثها، وفاته سنة خمس وتسعين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٢).

(٢) حلية الأولياء (٧/ ٣١).

المبحث العاشر
كثرة الروم وقتالهم المسلمين
(الملحمة الكبرى)

عن الْمُسْتَوْرِدِ القرشي ﷺ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»[١].

وعن عوف بن مالك ﷺ قال: «أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فقال: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ، مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ، حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ[٢] تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ[٣] فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً[٤] تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»[٥].

وفي رواية: «وَالسَّادِسَةُ: هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَسِيرُونَ إِلَيْكُمْ عَلَى ثَمَانِينَ غَايَةً» قُلْتُ: وَمَا الْغَايَةُ؟ قَالَ: «الرَّايَةُ، تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ اثْنَا

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، ح(٢٨٩٨).

(٢) قال ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٧٨): «هدنة: بضم الهاء وسكون المهملة بعدها نون هي الصلح على ترك القتال بعد التحرك فيه».

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١٢/ ١١١): «بنو الأصفر هم الروم، قال ابن الأنباري: سموا به لأن جيشًا من الحبشة غلب على بلادهم في وقت فوطئ نساءهم فولدن أولادًا صفرًا من سواد الحبشة وبياض الروم، وقال أبو إسحاق بن إبراهيم الحربي: نسبوا إلى الأصفر بن الروم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ، قال القاضي: هذا أشبه من قول ابن الأنباري». وانظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١١٥٧).

(٤) هي الراية كما في الرواية الأخرى، قال ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٧٨): «وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف».

(٥) رواه البخاري، كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر، ح(٣١٧٦).

عَشَرَ أَلْفًا، فُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ»[١].

وفي رواية: من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما: «وَهُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ يَجْمَعُونَ لَكُمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، كَقَدْرِ حَمْلِ الْمَرْأَةِ، ثُمَّ يَكُونُونَ أَوْلَى بِالْغَدْرِ مِنْكُمْ»[٢].

فالروم ستكثر أعدادهم وجيوشهم، وهذا «فيه بشارة ونذارة، وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش، وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه»[٣]، وذلك أنهم سيواجهون هذه الكثرة من الجيوش ويغلبونهم، وسيكون بينهم وبين عدوهم هدنة، ولولا الكثرة والقوة ما هادنهم العدو بعد التحرك في القتال.

وعن ذي مِخْبَر[٤] رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا[٥]، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ[٦]، فَتُنْصَرُونَ، وَتَغْنَمُونَ، وَتَسْلَمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ[٧]، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٣٩٨٥) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والبزار في مسنده، ح(٢٧٤٢)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٤٢) ح(٧٢).

(٢) رواه أحمد، ح(٦٦٢٣) وقال الأرناؤوط: «حسن لغيره»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٩٣): «وهذا الإسناد فيه نظر من جهة رجاله، ولكن له شاهد من وجه آخر صحيح».

(٣) فتح الباري (٦/ ٦٧٨ - ٦٧٩).

(٤) قال ابن حجر في تقريب التهذيب (١/ ٢٠٣): «ذو مخبر بكسر أوله وسكون المعجمة وفتح الموحدة وقيل بدلها ميم الحبشي صحابي»، وقال ابن سعد في الطبقات (٧/ ٤٢٥): «ومخمر أصوب وأكثر».

(٥) أي: يحصل الأمن بينكم وبينهم بمقتضى هذا الصلح. انظر: عون المعبود (١١/ ٣٩٩).

(٦) أي عدوًّا آخر مشترك للجانبين، تتعاونون عليه بسبب الصلح الذي بينكم. انظر: عون المعبود (١١/ ٣٩٩).

(٧) قال في النهاية (٤/ ٣١٥): «المرج الأرض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيه الدواب أي تخلى تسرح مختلطة كيف شاءت». «والتلول: جمع تل بفتح المثناة وتشديد اللام: كل ما اجتمع على الأرض من تراب أو رمل أو نحو ذلك». فتح الباري (٢/ ٢٠). وانظر: عون المعبود (١١/ ٤٠٠).

مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ[١]، فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ»[٢].

وفي رواية: «تُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، وَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ، فَتَسْلَمُونَ وَتَغْنَمُونَ، ثُمَّ تَنْزِلُونَ بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَقُومُ رَجُلٌ مِنَ الرُّومِ، فَيَرْفَعُ الصَّلِيبَ، وَيَقُولُ: أَلَا غَلَبَ الصَّلِيبُ، فَيَقُومُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَقْتُلُهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَكُونُ الْمَلَاحِمُ، فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْكُمْ، فَيَأْتُونَكُمْ فِي ثَمَانِينَ غَايَةً، مَعَ كُلِّ غَايَةٍ عَشَرَةُ آلَافٍ»[٣].

وفي رواية: أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «تُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، حَتَّى تَغْزُوا أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِهِمْ، فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَنْصَرِفُونَ، حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الرُّومِ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، وَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: بَلِ اللَّهُ غَلَبَ، فَيَثُورُ الْمُسْلِمُ إِلَى صَلِيبِهِمْ وَهُوَ مِنْهُ غَيْرُ بَعِيدٍ فَيَدُقُّهُ، وَتَثُورُ الرُّومُ إِلَى كَاسِرِ صَلِيبِهِمْ، فَيَضْرِبُونَ عُنُقَهُ، وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ، فَيُكْرِمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّهَادَةِ، فَتَقُولُ الرُّومُ لِصَاحِبِ الرُّومِ: كَفَيْنَاكَ الْعَرَبَ، فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»[٤].

---

(١) «أي دين النصارى، قصدًا لإبطال الصلح، أو لمجرد الافتخار وإيقاع المسلمين في الغيظ». عون المعبود (١١/ ٤٠٠).

(٢) رواه أحمد، ح(١٦٨٢٥، ١٦٨٢٦، ٢٣١٥٧، ٢٣٤٧٧) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حديث صحيح، رجاله رجال الشيخين»، وأبو داود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر من ملاحم الروم، ح (٤٢٩٢) واللفظ له، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب الملاحم، ح(٤٠٨٩)، وابن أبي شيبة في المصنف، ح(١٩٧٩٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ح(٢٦٥٩)، والطبراني في الكبير، ح(٤٢٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٣٦١٢).

(٣) رواه أحمد، ح(١٦٨٢٦) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح».

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، ح(٦٧٠٨) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح».

وفي رواية: «فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الرُّومِ: غَلَبَ الصَّلِيبُ، وَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: بَلِ اللَّهُ غَلَبَ، وَيَتَدَاوَلُونَهَا وَصَلِيبُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرُ بَعِيدٍ فَيَثُورُ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَدُقُّهُ، وَيَثُورُونَ إِلَى كَاسِرِ صَلِيبِهِمْ فَيَضْرِبُونَ عُنُقَهُ، وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَيَقْتَتِلُونَ، فَيُكْرِمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ بِالشَّهَادَةِ، فَيَأْتُونَ مَلِكَهُمْ فَيَقُولُونَ: كَفَيْنَاكَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، فَيَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ، فَيَأْتُونَ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»(١).

وهذا فيه بيان صفة غدر الروم، وسبب الملحمة، والقصد من ورائها.

فقوله ﷺ: «فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ»، بيان لبداية الغدر، لأن هذا إما لقصد نقض الصلح، وإما لإغاظة المسلمين، وكلاهما ينافي الصلح الآمن، فيقول رجل من المسلمين رادًّا عليه: «بَلِ اللَّهُ غَلَبَ»، فيتمادى النصارى، قال ﷺ: «وَيَتَدَاوَلُونَهَا»، يكررون مقولة صاحبهم، ويرد عليهم أهل الإسلام، «فَيَثُورُ الْمُسْلِمُ إِلَى صَلِيبِهِمْ وَهُوَ مِنْهُ غَيْرُ بَعِيدٍ فَيَدُقُّهُ»، «وَتَثُورُ الرُّومُ إِلَى كَاسِرِ صَلِيبِهِمْ، فَيَضْرِبُونَ عُنُقَهُ»، «وَيَثُورُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ، لينتقموا لصاحبهم، فَيَقْتَتِلُونَ»، والظاهر أن عدد المسلمين في هذه الواقعة يكون قليلًا، بدليل قوله ﷺ: «فَيُكْرِمُ اللَّهُ تِلْكَ الْعِصَابَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّهَادَةِ»، فهم عصابة ويستشهدون كلهم، فيرجع الروم إلى بلادهم وقد نقضوا عهدهم، «فَيَأْتُونَ مَلِكَهُمْ فَيَقُولُونَ: كَفَيْنَاكَ الْعَرَبِ»، وهذا فيه إشارة إلى أن صلحهم كان مع العرب فقط، وأن القصد من هذا النقض هو القضاء على العرب، وقولهم لملكهم: «كَفَيْنَاكَ الْعَرَبَ»، قد يكون إشارة إلى أنه كان يتلمس الأسباب لنقض العهد والقضاء عليهم، ولذلك سيأتينا أنه سيقود الجيوش في الملحمة الكبرى بنفسه، ومن

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، ح(٦٧٠٩)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٠٢) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

بعد هذا النقض تبدأ الروم بالإعداد للملحمة، وقوله ﷺ: «فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَكُونُ الْمَلَاحِمُ»، يحتمل أن يكون ثمة ملاحم أخر بعد هذا الغدر غير الملحمة الكبرى، والله أعلم.

وأما الكبرى، فقال ﷺ: «تَغْدِرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ»، أي تجمع العدد والعدة، وجاء في حديث عبد الله بن عمرو المتقدم: «يَجْمَعُونَ لَكُمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، كَقَدْرِ حَمْلِ الْمَرْأَةِ»، فإذا تكاملوا، «يَجْتَمِعُونَ لِلْمَلْحَمَةِ، فَيَأْتُونَ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا»، يأتون إلى الشام، عقر دار المؤمنين في آخر الزمان، فينزلون بالأعماق أو بدابق، وقد جمع لهم أهل الإسلام جموعهم، وأحكموا حصونهم، ووحدوا صفوفهم.

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ فُسْطَاطَ[1] الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ[2]، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»[3].

وفي رواية: «يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ، فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، فَهِيَ خَيْرُ مَسَاكِنِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ»[4].

«وهذا الحديث يدل على فضيلة دمشق، وعلى فضيلة سكانها في آخر الزمان، وأنها حصن من الفتن»[5].

---

(١) الفسطاط: «بضم الفاء وسكون السين المهملة وطائين مهملتين بينهما ألف أي حصن المسلمين الذي يتحصنون به». عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/ ٢٧٣).

(٢) «الغوطة: اسم للبساتين والمياه التي حول دمشق، وهي غوطتها». فيض القدير للمناوي (٤/ ٥٦٥).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب في المعقل من الملاحم، ح(٤٢٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح(٣٨٧٩).

(٤) رواه الطبراني في مسند الشاميين، ح(١٣١٣)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٨٤) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٥) نقله العظيم آبادي في عون المعبود (١١/ ٢٧٤) عن العلقمي.

وعن سلمة بن نُفَيل رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أَلَا إِنَّ عُقْرَ[(١)] دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

وأما صفة هذه الملحمة:

فعن يُسَير بن جابر[(٣)] رحمه الله قال: «هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى[(٤)] إِلاَّ: يَا عَبْدَاللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ. قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّامِ - فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لأَهْلِ الإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلَامِ. قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ[(٥)] فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً[(٦)] لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٣/ ٢٧١): «أي أصله وموضعه، كأنه أشار به إلى وقت الفتن: أي يكون الشام يومئذ آمنًا منها، وأهل الإسلام به أسلم».

(٢) رواه أحمد، ح(١٦٩٦٥) وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، والنسائي في السنن، كتاب الخيل، (بدون تبويب)، ح(٣٥٦٣)، والطبراني في الكبير، ح(٦٣٥٧)، وابن حبان في صحيحه، ح(٧٣٠٧) من حديث النواس بن سمعان، وبوب عليه بقوله: «ذكر البيان بأن الشام هي عقر دار المؤمنين في آخر الزمان»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٩٣٥).

(٣) قال ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ١٠٠): «أسير بن عمرو بن جابر المحاربي ويقال: يسير بالياء المحاربي ويقال: فيه أسير بن جابر ويسير بن جابر فينسب إلى جده وهو أسير ابن عمرو بن جابر المحاربي ويقال: الكندي، يكنى أبا الخيار، قاله عباس عن ابن معين، وقد قال علي المديني: أهل الكوفة يسمونه أسير بن عمرو وأهل البصرة يسمونه أسير بن جابر ومنهم من يقول يسير وهو معدود في كبار أصحاب ابن مسعود».

(٤) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٤): «هو بكسر الهاء والجيم المشددة مقصور الألف، أي شأنه ودأبه ذلك».

(٥) «هو بالفتح، أَي عطفة قوية». لسان العرب (٣/ ١٦٢٢).

(٦) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٤): «الشرطة بضم الشين طائفة من الجيش تقدم للقتال».

شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ(١) إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الإِسْلَامِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ(٢) عَلَيْهِمْ فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ: لَا يُرَى مِثْلُهَا، وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ، فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ(٤) فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا(٥) نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا(٦) وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٤): «هو بفتح النون والهاء أي نهض».

(٢) الدبرة: بفتح الدال والباء، أي جعل الهزيمة عليهم. النهاية في غريب الحديث (٢/ ٩٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، ح(٢٨٩٩).

(٤) «الأعماق بفتح الهمزة وبالعين المهملة ودابق بكسر الباء الموحدة، موضعان بالشام بقرب حلب». شرح مسلم للنووي (١٨/ ٢١).

(٥) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢١): «روي سبوا على وجهين فتح السين والباء، وضمهما، قال القاضي في المشارق: الضم رواية الأكثرين. قال: وهو الصواب. قلت: كلاهما صواب، لأنهم سُبُوا أولًا ثم سَبَوا الكفار».

(٦) أي لا يلهمهم التوبة. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٢١).

وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ(١) فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»(٢).

وعن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «يَكُونُ عَلَى الرُّومِ مَلِكٌ لَا يَعْصُونَهُ، أَوْ لَا يَكَادُونَ يَعْصُونَهُ، فَيَجِيءُ حَتَّى يَنْزِلَ بِأَرْضِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَنَا مَا نَسِيتُهَا، قَالَ: وَيَسْتَمِدُّ الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَمُدَّهُمْ أَهْلُ عَدَنَ أَبْيَنَ عَلَى قَلَصَاتِهِمْ(٣)، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنَّهُ لَفِي الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ: فَيَقْتَتِلُونَ عَشْرًا لَا يَحْجُزُ بَيْنَهُمْ إِلَّا اللَّيْلُ، لَيْسَ لَكُمْ طَعَامٌ إِلَّا مَا فِي إِدَاوِيكُمْ، لَا تَكِلُّ سُيُوفُهُمْ وَيباركهم (وَلَا نِسَائِهِمْ(٤))، وَأَنْتُمْ أَيْضًا كَذَلِكَ، ثُمَّ يَأْمُرُ مَلِكُهُمْ بِالسُّفُنِ فَيَنْحَرِفُ، يَعْنِي مَلِكَ الرُّومِ، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ شَاءَ الْآنَ فَلْيَفِرَّ، فيجعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ عَلَيْهِمْ، فَيُقْتَلُونَ مَقْتَلَةً لَمْ يُرَ مِثْلُهَا، أَوْ لَا يُرَى مِثْلُهَا، حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِهِمْ فَيَقَعُ مَيِّتًا مِنْ نَتْنِهِمْ، لِلشَّهِيدِ يَوْمَئِذٍ كِفْلَانِ عَلَى مَنْ مَضَى قَبْلَهُ مِنَ الشُّهَدَاءِ، وَلِلْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ كِفْلَانِ عَلَى مَنْ مَضَى مِنْهُمْ قَبْلَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: وَبَقِيَّتُهُمْ

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢١ - ٢٢): «هي بضم القاف وإسكان السين وضم الطاء الأولى وكسر الثانية وبعدها ياء ساكنة ثم نون، هكذا ضبطناه، وهو المشهور، ونقله القاضي في المشارق عن المتقين والأكثرين، وعن بعضهم زيادة ياء مشددة بعد النون، وهي مدينة مشهورة من أعظم مدائن الروم». قلت: هي إستانبول (إصطنبول) التركية اليوم، وسيأتي بيان فتحها.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم، ح(٢٨٩٧).

(٣) القلوص: الشابة من الإبل، أو العربية الفتية. انظر: لسان العرب (٥/ ٣٧٢٢)، وتاج العروس من جواهر القاموس (١٨/ ١١٩).

(٤) هكذا في الأصل، ولم أفهم معناه، ولعله تصحيف من «نشابهم».

لَا يُزَلْزِلُهُمْ شَيْءٌ أَبَدًا، وَبَقِيَّتُهُمْ يُقَاتِلُ الدَّجَّالَ. قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ يَقُولُ: إِنْ أَدْرَكَنِي هَذَا الْقِتَالُ وَأَنَا مَرِيضٌ فَاحْمِلُونِي عَلَى سَرِيرِي حَتَّى تَجْعَلُونِي بَيْنَ الصَّفَّيْنِ»(١).

فالروم في هذه الملحمة تأتي إلى عُقر دار المؤمنين الشام، حتى تنزل بالأعماق أو بدابق قد جمعوا جموعهم التي لم يسبق لهم أن أتوا بمثلها، يقودهم ملكهم، ويجعل اللَّه بين المؤمنين رَدَّة شديدة، فيعطف بعضهم على بعض، وترفع الفتن من بينهم، فعن عوف بن مالك ﵁ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيْفَيْنِ، سَيْفًا مِنْهَا، وَسَيْفًا مِنْ عَدُوِّهَا»(٢)، فيستمد المؤمنون بعضهم بعضًا، «فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»(٣)، و«يَمُدُّهُمْ أَهْلُ عَدَنَ أَبْيَنَ عَلَى قَلَصَاتِهِمْ»، ولعل هذا المدد هو المذكور في قول النبي ﷺ: «يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»(٤)، فيجعل اللَّه الدَّبرة على الكافرين، وينصر المؤمنين نصرًا عزيزًا.

وفي قوله ﷺ: «فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ»، و«سَبَوا» بالفتح، وبالضم «سُبُوا»، إشارة إلى وجود ملاحم بين الروم والمسلمين قبل الملحمة الكبرى، يكون فيها سبايا من الروم كثير، ويمن اللَّه عليهم بالإسلام، ويؤيد بهم الدين، ويجاهدون الروم ويسبون منهم بعد أن كانوا

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٢٠٨١٣)، وقال التويجري في إتحاف الجماعة (١/ ٣٩٦): «رواه عبدالرزاق في مصنفه، ورواته ثقات».

(٢) رواه أحمد، ح(٢٣٩٨٩) وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن إن كان إسماعيل بن عياش حفظه، فقد تفرد به فلم يتابعه عليه أحد»، وأبو داود، كتاب الملاحم، باب ارتفاع الفتنة في الملاحم، ح(٤٣٠١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح(٥٢٢١).

(٣) وهذا فيه إشارة إلى أن وضع المدينة سيتغير عما هي عليه اليوم، وسيكون لها جيش، وسيأتي في حديث الدجال: «لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ»، رواه البخاري، ح(١٨٧٩).

(٤) رواه أحمد، ح(٣٠٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٧٨٢).

سبايا، فهم سُبُوا أولًا، ثم سَبَوا بعد أن آمنوا، ولذلك ازداد منهم غيظ الروم، وقالوا للمسلمين بعد أن تصافَّوا للملحمة الكبرى: «خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ»، وقد قال النبي ﷺ: «إِذَا وَقَعَتِ الْمَلَاحِمُ خَرَجَ بَعْثٌ مِنْ دِمَشْقَ مِنَ الْمَوَالِي هُمْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ فَرَسًا، وَأَجْوَدُهُمْ سِلَاحًا، يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ»(١).

وفي قوله ﷺ: «وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ»، دلالة أن هذه الملحمة تكون قبيل فتح القسطنطينية وخروج الدجال، ولم يصح حديث في تحديد مدة ذلك.

وفي قوله ﷺ: «قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ»، «لَا تَكِلُّ سُيُوفُهُمْ»، «يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ، فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً، إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ»، «يَمُدُّهُمْ أَهْلُ عَدَنَ أَبْيَنَ عَلَى قَلَصَاتِهِمْ»، دلالة على أن القتال في آخر الزمان يعود إلى ما كان، بالسيف والخيل والسنان. والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الملاحم، ح(٤٠٩٠)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(١٦٠٧)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٧٥٩) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٢٧٧٧).

المبحث الحادي عشر
فتح القسطنطينية ورومية

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»(١).

وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوَهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا». قَالَ ثَوْرٌ: لَا

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم، ح(٢٨٩٧).

أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: «الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيُفَرَّجُ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ. فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ»(١).

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»(٢).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: «فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَعَ قِيَامِ السَّاعَةِ(٣)»(٤).

وعن نافع بن عُتْبَةَ ﷺ قال: «حَفِظْتُ من رسول الله ﷺ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ في يَدِي قال: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّه، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّه، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّه، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ اللَّه». قال نافع بن عتبة: لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حتى تُفْتَحَ الرُّومُ»(٥).

وعن عبد اللَّه بن عمرو ﷺ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ،

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩٢٠).

(٢) رواه أحمد ح(٢٢٠٢٣، ٢٢١٢١)، وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده ضعيف»، وابن الجعد في مسنده ح(٣٤٠٥)، وابن أبي شيبة في المصنف ح(٣٨٣٦٤) موقوفًا، وأبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب في أمارات الملاحم، ح(٤٢٩٤)، وحسنه الألباني في تعليقه، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٨) ح(٢١٤)، والحاكم (٥/ ٦٠١) موقوفًا، وقال: «هذا الحديث وإن كان موقوفًا فإن إسناده صحيح على شرط الرجال»، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٠٩): «وهذا إسناد جيد وحديث حسن، وعليه نور الصدق وجلالة النبوة».

(٣) «أي: مع قرب قيامها». تحفة الأحوذي (٦/ ٤٩٨).

(٤) رواه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامات خروج الدجال، ح(٢٢٣٩)، وقال الألباني في تعليقه: «صحيح الإسناد موقوف».

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال، ح(٢٩٠٠).

إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا: قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ[١]؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا» يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ»[٢].

والقسطنطينية ويقال قسطنطينة بإسقاط ياء النسبة، واسمها إصطنبول، حصن الروم الحصين في بلاد المشرق، عمرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه[٣]، وكانت حصنًا منيعًا على مر القرون، واستعصت على خلفاء المسلمين، حتى قيض اللَّه السلطان العثماني التركماني المجاهد محمد بن مراد الفاتح، ففتحها بالقوة، واتخذها عاصمة لدولة بني عثمان، وتتابع على ذلك ملوكهم حتى سقطت دولتهم، ولكن هذا الفتح لا يمكن حمله على الفتح المبشر به في الأحاديث النبوية، لاختلاف الأوصاف بينهما، فقد جاء في هذا الفتح: أنه «مَعَ قِيَامِ السَّاعَةِ»، ويكون على يد ثلث الجيش المتبقي بعد الملحمة الكبرى، وهم أو فيهم «سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ» وهم من الروم وليسوا من الأتراك، قال: «فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ»، وبنو عثمان قاتلوا قتالًا شديدًا، وطالت مدته، وهؤلاء لا يقاتلون بسلاح وإنما يقولون: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ فَيَسْقُطُ جَانِبُها الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ

---

(١) «هي مدينة رياسة الروم وعلمهم، واسمها رومانس بالرومية، وهي شمالي وغربي القسطنطينية بينهما مسيرة خمسين يومًا أو أكثر، وبها يسكن البابا الذي تطيعه الفرنجية، وهو لهم بمنزلة الإمام متى خالفه أحد منهم كان عندهم عاصيًا مخطئًا يستحق النفي والطرد والقتل». معجم البلدان للحموي (٣/ ١٠٠) باختصار. قلت: هي عاصمة إيطاليا اليوم، وتسمى: روما.

(٢) رواه أحمد، ح(٦٦٤٥) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف»، وابن أبي شيبة في المصنف، ح(١٩٨١١)، والدارمي في السنن ح(٤٨٦)، والطبراني في الكبير، ح(١٤٧٤٩)، والحاكم (٥/ ٦٠٣، ٧١١، ٧٦٨) وصححه في المواضع الثلاثة، وقال في الأول: «على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، والداني في السنن الواردة في الفتن، ح(٦٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢١٩): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل، وهو ثقة»، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٠/ ١٣١)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٤).

(٣) معجم البلدان للحموي (٤/ ٣٤٧).

إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. فَيُفَرَّجُ لَهُمْ فَيَدْخُلُوهَا فَيَغْنَمُوا فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ. فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ»، وبنو عثمان لم يخرجوا ولم يخرج الدجال في زمانهم. وهذا أمر واضح، وفيه دلالة على أن هذه المدينة سترجع إلى أحضان النصارى، ويتملكونها إما بالقوة، وإما بالمطالبة بإرث قسطنطين، وستنصفهم محافلهم الدولية، وتكون حصنًا منيعًا من حصونهم، وتسور بجدران تسقط بتكبير أهل الإيمان في آخر الزمان، ويقتسمون غنائمها، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: ٨٨][(١)].

قال التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمقصود هاهنا التنبيه على أن الفتح المنوه بذكره في أحاديث هذا الباب لم يقع إلى الآن، وسيقع في آخر الزمان عند خروج الدجال، ومن حمل ذلك على ما وقع في سنة سبع وخمسين وثمانمائة؛ فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به. والله أعلم»[(٢)].

وقوله ﷺ: «يَغْزُوهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ».

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا يدل على أن الروم يسلمون في آخر الزمان، ولعل فتح القسطنطينية يكون على يدي طائفة منهم، كما نطق به الحديث»[(٣)].

واستشكل بعض العلماء قوله ﷺ: «مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ».

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كذا في سائر الأصول. قال بعضهم: المعروف المحفوظ «من بني إسماعيل»، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما يعني العرب والمسلمين بدليل الحديث الذي سماها فيه، وأنها القسطنطينية»[(٤)].

ووجه هذا أن الملحمة الكبرى تكون بين العرب المسلمين والروم النصارى، ويشارك فيها جيش من المدينة، وجيش من اليمن، ويقول النصارى

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٩/ ٦٥١)، وإتحاف الجماعة (١/ ٤٠١ - ٤٠٦).

(٢) إتحاف الجماعة (١/ ٤٠٤).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ١٠٢).

(٤) إكمال المعلم (٨/ ٢٣٢). وانظر: البداية (١٩/ ١٠٢).

فيها لملكهم: «كَفَيْنَاكَ الْعَرَبِ»، فالحرب مع العرب، وقد قال النبي ﷺ: «فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سُبُوا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ»، فالذين يفتحون القسطنطينية الثلث الباقي من كل الجيش، فكيف جاء الحديث: «يَغْزُوهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ»، فقالوا الصواب: «من بني إسماعيل»، كما قاله البعض(١).

قلت: الأصل صحة الذي في الأصول «من بني إسحاق»، ولا شك أنه سيكون في جيش المسلمين «من بني إسحاق» كثير، لقوله ﷺ: «فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوا مِنَّا»، على رواية الفتح، وهذا فيه دلالة على قوتهم وكثرتهم بحيث يسبون من الروم، وتقدم معنا قول النبي ﷺ: «إِذَا وَقَعَتِ الْمَلَاحِمُ خَرَجَ بَعْثٌ مِنْ دِمَشْقَ مِنَ الْمَوَالِي هُمْ أَكْرَمُ الْعَرَبِ فَرَسًا، وَأَجْوَدُهُمْ سِلَاحًا، يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ»(٢). والموالي من الذين سُبُوا، وسيكونون في الجيش الإسلامي، وسيكون عددهم في الجيش الذي يغزو القسطنطينية سبعين ألفًا، فالنبي ﷺ بين عدد الذين يمن اللَّه عليهم بالإيمان والجهاد مع المسلمين في فتح مدينة قسطنطين في آخر الزمان من بني إسحاق، ولم يبين العدد الكامل للجيش، هذا الذي ظهر لي، مما يمكن الجمع به بين الأحاديث، ودفع ما قد يتوهم من إشكال، واللَّه تعالى أعلم.

وقوله ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ».

---

(١) انظر: إتحاف الجماعة (١/ ٤٠١).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الملاحم، ح(٤٠٩٠)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(١٦٠٧)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٧٥٩) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٢٧٧٧).

يدل على أن وقوع كل واحد من هذه الأمور أمارة لوقوع ما بعده[١].

واختلف العلماء رحمهم الله في المراد بـ«عمران بيت المقدس»، و«خراب يثرب»:

فقيل: إن الناس يرحلون منها إلى الشام لأجل الريف والرخص، فيقل سكانها، ويعمر بيت المقدس بكثرة الرجال والعقار والمال.

وقيل: عمران بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه، وهم يهتمون بتشييد البنيان وعمارته، وأما المدينة فتهمل من هذا الجانب، لقلة سكانها، أو الانشغال بما يحدث من فتن وملاحم.

وقيل: عمران بيت المقدس، عمرانه بعد خرابه فإنه يخرب في آخر الزمان.

وقيل: المراد بالعمران الكمال في العمارة أي عمران بيت المقدس كاملًا مجاوزًا عن الحد وقت خراب يثرب، فإن بيت المقدس لا يخرب[٢].

وأما المدينة:

فقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس المراد أن المدينة تخرب بالكلية قبل خروج الدجال، وإنما ذلك في آخر الزمان فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الدجال لا يدخلها يمنعه من ذلك ما على أنقابها من الملائكة، بأيديهم السيوف المصلتة»[٣].

فخراب المدينة هنا خراب عمران، وقد يكون بسبب قلة ذات اليد في ذلك الزمان، وأما الإيمان فإنه يأرز إليها كما تأرز الحية إلى جحرها، وعند الملحمة يخرج إلى الروم «جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»، مما يدل على

(١) انظر: «عون المعبود» (١١/ ٢٧٠).

(٢) انظر: البداية والنهاية (١٩/ ١٠٩)، وعون المعبود (١١/ ٢٧٠).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ١٠٩).

كثرة سكانها، والدجال يحاصرها وهي عامرة تحرسها الملائكة، وإنما تخرب خرابًا عامًا بعد ذلك، وسيأتي بيانه في شرط مستقل.

وأما بيت المقدس فلا يبعد أن يستولي عليه الكفار آخر الزمان ويهتمون بعمارته وتشييد بنيانه، لما عندهم من كثرة المال، وقد قال النبي ﷺ: «وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ سِيَةِ قَوْسِهِ[1] مِنَ الْأَرْضِ، حَيْثُ يَرَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[2].

وهذا فيه أنه يوشك لأهل الإسلام أن لا يروا بيت المقدس، وهذا لا يكون إلا باستيلاء الكفار عليه، والله أعلم.

وأما فتح رومية، وهي حصن النصارى في بلاد الغرب، وقلعة دينهم، فقد دل الحديث على أنها تفتح بعد القسطنطينية، ولعل هذا الفتح يكون في زمن عيسى عليه السلام، وذلك أن الدجال يخرج بعد فتح القسطنطينية، وإذا خرج انشغل أهل الإسلام بقتاله، وعيس ينزل في هذه الأثناء، قال ﷺ: «وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»، وقال ﷺ: «فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ»، وعيسى عليه السلام يمكث بعد نزوله أربعين سنة، كما سيأتي، وبعده الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، وهو الذي سيكسر الصليب، ويبطل دين النصرانية، فلعله من المناسب لذلك أن يفتتح حصن دينهم، ومعقل رئاستهم، والله تعالى أعلم.

---

(١) «سية القوس: ما عطف من طرفيها». النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٣٥).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٦٩٨٣، ٨٢٣٠)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٧١٢) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٧): «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح».

المبحث الثاني عشر
كثرة النساء وقلة الرجال

عن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الرِّجَالُ وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»(١).

وفي رواية: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَذْهَبَ الرِّجَالُ وَتَبْقَى النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ»(٢).

وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ لَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنْهُ وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ»(٣).

وعن أنس ﷺ قال: «كنا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى لَا تُمْطِرَ السَّمَاءُ وَلَا تَنْبُتَ الأَرْضُ وَحَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ وَحَتَّى إن الْمَرْأَةَ لَتَمُرُّ بِالْبَعْلِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا فيقول: لقد كان لِهَذِهِ مَرَّةً رَجُلٌ»(٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب يقل الرجال ويكثر النساء، ح(٥٢٣١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، ح(٢٦٧١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل أن ترد، ح(١٤١٤)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح(١٠١٢).

(٤) رواه أحمد، ح(١٤٠٤٨) ولفظ نسخة الأرناؤوط: «وَحَتَّى إِنَّ المرْأَةَ لَتَمُرُّ بِالنعلِ فَتَنْظُرُ إِلَيْهَا فَتَقُولُ: لَقَدْ كَانَ لِهَذِهِ مَرَّةً رَجُلٌ»، وأشار في الحاشية إلى لفظ المتن، وأنه في نسخة أخرى للمسند، وقال عن الحديث: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، قلت: هذا لفظ: طبعة مؤسسة قرطبة، ح(١٤٠٧٩)، والبزار في مسنده، ح(٦٩٨٠)، وأبو يعلى في مسنده، ح(٣٥٢٧)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية =

دلت هذه الأحاديث على أن من علامات الساعة وقرب قيامها قلة الرجال وكثرة النساء، بحيث يتولى الرجل الواحد القوامة على أربعين أو خمسين امرأة، وقد اختلف العلماء - رحمهم اللَّه - في سبب ذلك:

فقيل: هو بسبب الفتن والملاحم التي تحصل في آخر الزمان ويقتل فيها الرجال، وتبقى النساء أرامل(١).

وقيل: «هو إشارة إلى كثرة الفتوح فتكثر السبايا فيتخذ الرجل الواحد عدة موطوءات»(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه نظر، لأنه صرح بالقلة في حديث أبي موسى الآتي في الزكاة عند المصنف فقال: من قلة الرجال وكثرة النساء»(٣).

وقيل: إن ذلك «علامة محضة لا لسبب آخر، بل يقدر اللَّه في آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور ويكثر من يولد من الإناث»(٤).

وهذا ما ذهب إليه ابن حجر واستظهره(٥).

ولكن يشكل على هذا قوله ﷺ في الرواية الأخرى: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَذْهَبَ الرِّجَالُ وَتَبْقَى النِّسَاءُ»، وقوله: «وَحَتَّى إن الْمَرْأَةَ لَتَمُرُّ بِالْبَعْلِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا فَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ لِهَذِهِ مَرَّةً رَجُلٌ». فهذا فيه دلالة أن الرجال يقلون بسبب ذهابهم، لا أن النساء لا يلدن إلا الإناث، والذي يُذهب الرجال الحروب والملاحم، لأنهم أهلها، وقد أخبر النبي ﷺ عن ملاحم في آخر الزمان يذهب

= (١٩/ ٢٧٦) عن أحمد بهذا اللفظ، وقال: «إسناده جيد»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٠): «رواه أحمد والبزار وأبو يعلى، ورجال الجميع ثقات».

(١) هذا اختيار القرطبي في التذكرة (٣/ ١٢٤٠). وانظر: شرح البخاري لابن بطال (٧/ ٣٥٧)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٧٩).

(٢) نقله ابن حجر في فتح الباري (١/ ١٧٩) عن أبي عبدالملك البوني.

(٣) فتح الباري (١/ ١٧٩).

(٤) المصدر السابق (١/ ١٧٩).

(٥) المصدر السابق (١/ ١٧٩).

فيها رجال كثير، وقد تقدم معنا في معركة الفرات قوله ﷺ: «يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ»[(١)]، وجاء في حديث الملحمة الكبرى: «فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ»[(٢)]، فهذا سبب ظاهر لقلة الرجال وكثرة النساء في آخر الزمان، ولا مانع مما ذكره ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ من أنه يكثر إنجاب الإناث في آخر الزمان، لأنه سبب يساعد على كثرة النساء وقلة الرجال، وكذلك السبي يزيد من عدد الإناث في المجتمع المسلم، وسيكثر في آخر الزمان بسبب الملاحم، كما دل عليه حديث الملحمة الكبرى المتقدم، والله تعالى أعلم.

وقوله ﷺ: «يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»، كقوله: «يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ».

أي يلجأن إليه ويستترن ويتحرزن به، من الملاذ الذي هو السترة لا من اللذة، فهن ينتمين إليه ليقوم بحوائجهن، ويذب عنهن، كقبيلة بقي من رجالها واحد فقط، وبقيت نساؤها، فيلذن بذلك الرجل، لينيب عنهن، ويسوسهن، ويقوم بحوائجهن، ولا يطمع فيهن أحد بسببه.

وقيل: من اللذة، لقلة الرجال وغلبة الشبق على النساء، فيتبعنه على غير الحلال.

وأكثر العلماء على التفسير الأول[(٣)].

وأما العدد المذكور في قول النبي ﷺ: «حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، ح(٢٨٩٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، ح(٢٨٩٩).

(٣) انظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٤٠). وشرح البخاري لابن بطال (٧/ ٣٥٧)، وفتح الباري لابن حجر (١/ ١٧٩).

الْوَاحِدُ»، «وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ»:

فيحتمل أن يراد به حقيقة هذا العدد، فمن الرجال من يلوذ به خمسون امرأة، ومنهم من سيلوذ به أربعون، أو أن الأربعين تدخل في الخمسين، فذِكْرها إنما هو ذكر لبعض العدد وليس فيه نفي البقية.

ويحتمل أو يكون مجازًا عن الكثرة، ولم يرد حقيقة العدد.

وممكن أن يقال: إن الأربعين عدد من يلذن به، والخمسين عدد من يتبعنه وهو أعم من أن يلذن به(١).

واللَّه تعالى أعلم.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ١٧٩)، وفيض القدير للمناوي (٢/ ٦٧٥).

المبحث الثالث عشر
قتال اليهود واستئصالهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلَّا الْغَرْقَدَ[١] فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»[٢].

وفي رواية: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عليهم ثُمَّ يقول الْحَجَرُ: يا مُسْلِمُ هذا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»[٤].

هذه الأحاديث من المبشرات بنصرة الإسلام وأهله، وأن الإسلام سيبقى إلى يوم القيامة[٥].

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٤٥): «الغرقد: نوع من شجر الشوك، معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود. وقال أبو حنيفة الدينوري: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة».

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩٢٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود، ح(٢٩٢٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ح(٣٥٩٣)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩٢١).

(٥) انظر: شرح البخاري لابن بطال (٥/ ١٠٧)، وفتح الباري لابن حجر (٦/ ١٠٣، ٦١٠).

وهذا القتال يكون في آخر الزمان حين ينزل المسيحُ بنُ مريم ويخرج الدجال ويكون جندَه اليهود، وإمام المسلمين يومئذ المهدي.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى»[١]، وقد ورد ذلك صريحًا في عدة أحاديث عن النبي ﷺ منها قوله ﷺ: «فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ، يَمْشِي الْقَهْقَرَى، لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ، فَإِذَا انْصَرَفَ، قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا، وَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ، إِلَّا الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ»[٢].

وعن بعض أصحاب محمد ﷺ قال: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «يَأْتِي سِبَاخَ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَهَا، فَتَنْتَفِضُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا نَفْضَةً أَوْ نَفْضَتَيْنِ، وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ، ثُمَّ يُوَلِّي الدَّجَّالُ قِبَلَ الشَّامِ، حَتَّى يَأْتِيَ بَعْضَ جِبَالِ الشَّامِ فَيُحَاصِرَهُمْ، وَبَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُعْتَصِمُونَ بِذِرْوَةِ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الشَّامِ، فَيُحَاصِرُهُمُ الدَّجَّالُ نَازِلًا بِأَصْلِهِ،

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٦١٠).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، والروياني في مسنده، ح(١٢٣٩)، وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٦١٠): «أخرجه ابن ماجه مطولًا وأصله عند أبي داود، ونحوه في حديث سمرة عند أحمد بإسناد حسن، وأخرجه ابن منده في كتاب الإيمان من حديث حذيفة بإسناد صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٧٥).

حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ هَكَذَا وَعَدُوُّ اللَّهِ نَازِلٌ بِأَرْضِكُمْ هَكَذَا، هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا بَيْنَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، بَيْنَ أَنْ يَسْتَشْهِدَكُمُ اللَّهُ، أَوْ يُظْهِرَكُمْ، فَيُبَايِعُونَ عَلَى الْمَوْتِ بَيْعَةً يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا الصِّدْقُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ تَأْخُذُهُمْ ظُلْمَةٌ لَا يُبْصِرُ امْرُؤٌ فِيهَا كَفَّهُ، قَالَ: فَيَنْزِلُ ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَحْسِرُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ، وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ لأْمَتُهُ، يَقُولُونَ: مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، اخْتَارُوا بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: بَيْنَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَى الدَّجَّالِ وَجُنُودِهِ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ يَخْسِفَ بِهِمُ الأَرْضَ، أَوْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ سِلَاحَكُمْ وَيَكُفَّ سِلَاحَهُمْ عَنْكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْفَى لِصُدُورِنَا وَلأَنْفُسِنَا، فَيَوْمَئِذٍ تَرَى الْيَهُودِيَّ الْعَظِيمَ الطَّوِيلَ الأَكُولَ الشَّرُوبَ لَا تُقِلُّ يَدُهُ سَيْفَهُ مِنَ الرِّعْدَةِ، فَيَقُومُونَ إِلَيْهِمْ فَيُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَذُوبُ الدَّجَّالُ حِينَ يَرَى ابْنَ مَرْيَمَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، حَتَّى يَأْتِيَهُ، أَوْ يُدْرِكَهُ عِيسَى فَيَقْتُلَهُ»(١).

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّقَنَاةَ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ، فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا، مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ، فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوِ الْحَجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ»(٢).

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٢٠٨٣٤) وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٨٨): «قال شيخنا الحافظ الذهبي: هذا حديث قوي الإسناد»، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال ص(٩٢): «وإسناده ثقات رجال الشيخين غير الرجل الأنصاري فإنه لم يسم ويحتمل أن يكون صحابيًا لأن الثقفي هذا تابعي روى عن أبي موسى الأشعري وغيره فإن كان كذلك فالسند صحيح لأن جهالة الصحابي لا تضر عند أهل السنة».

(٢) رواه أحمد، ح(٥٣٥٣) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده ضعيف، فيه محمد بن إسحاق وهو مدلس»، وقال الألباني: «وإسناده حسن لولا عنعنة محمد بن إسحاق». قصة المسيح الدجال ص(٨٨).

وعن سمرة بن جندب ﷺ في حديث الدجال وفيه: «سَوْفَ يَظْهَرُ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا، إِلَّا الْحَرَمَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَإِنَّهُ يَحْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيُزَلْزَلُونَ زِلْزَالًا شَدِيدًا، ثُمَّ يُهْلِكُهُ اللَّهُ وَجُنُودَهُ، حَتَّى إِنَّ جِذْمَ الْحَائِطِ، أَوْ قَالَ: أَصْلَ الْحَائِطِ، وَأَصْلَ الشَّجَرَةِ، لَيُنَادِي، أَوْ قَالَ: يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ، أَوْ قَالَ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ، أَوْ قَالَ: هَذَا كَافِرٌ، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ»، قَالَ: «وَلَنْ يَكُونَ ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّى تَرَوْا أُمُورًا يَتَفَاقَمُ شَأْنُهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، وَتَسَاءَلُونَ بَيْنَكُمْ هَلْ كَانَ نَبِيُّكُمْ ذَكَرَ لَكُمْ مِنْهَا ذِكْرًا، وَحَتَّى تَزُولَ جِبَالٌ عَلَى مَرَاتِبِهَا، ثُمَّ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ الْقَبْضُ»[1].

فهذه الأحاديث دالة على أن القتال الذي هو شرط من أشراط الساعة، هو الذي يكون فيه اليهود جند الدجال، ويكون المؤمنون جند عيسى بن مريم، ويناديهم الحجر والشجر: هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، فيقتلونهم ويستأصلونهم، ولكن هذا لا ينافي أن يكون قبل ذلك قتال بين اليهود والمسلمين، وينتصر عليهم أهل الإسلام، فالملاحم في آخر الزمان تكثر كما تقدم، ولكن لن يكون فيها نداء الحجر والشجر، ولا استئصال اليهود، فهذا يكون في القتال مع الدجال، والله أعلم.

وفي قوله ﷺ: «فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»، «فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ، إِلَّا الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ»، «حَتَّى إِنَّ جِذْمَ الْحَائِطِ، أَوْ قَالَ: أَصْلَ الْحَائِطِ، وَأَصْلَ الشَّجَرَةِ، لَيُنَادِي، أَوْ قَالَ: يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ، أَوْ قَالَ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ، أَوْ قَالَ: هَذَا كَافِرٌ، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ»، دلالة على أن هذا النطق حقيقة وليس مجازًا،

(١) رواه أحمد، ح(٢٠١٧٨) وضعف إسناده الأرناؤوط في تعليقه، وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٦١٠): «إسناد حسن».

فالحجر والشجر: يقول وينطق وينادي، «إلا الغرقد فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ»، ولو كان مجازًا لما كان للاستثناء فائدة، ثم هذا النطق في هذه الملحمة مع اليهود آية وعلامة من علامات الساعة، والقول بالمجاز فيها يقتضي التسوية بينهم وبين غيرهم من أصناف الكفار الذين قاتلهم المسلمون وظهروا عليهم، إذ لابد أن يختبئ المختبئ منهم بالأشجار والأحجار، ومع هذا لم يرد في أحد منهم مثل ما ورد في اليهود، فعلم اختصاص قتال اليهود بهذه الآية، وأن الجمادات تنطق حقيقة بنداء المسلمين ودلالتهم على اليهود، فالقول بالحقيقة هو المتعين هنا، ولا يصح المجاز ولو احتمالًا، والله أعلم(١).

قال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال المهلب: في هذا الحديث دليل على ظهور الآيات بتكلم الجماد وما شاكله عند نزول عيسى بن مريم الذي يستأصل الدجال واليهود معه. وفيه دليل على بقاء دين محمد ودعوته بعد نزول عيسى بن مريم لقوله: «تقاتلوا» ولا يكونوا مخاطبين بالقتال إلا وهم على دينهم»(٢).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «تقاتلون» فيه جواز مخاطبة الشخص والمراد غيره ممن يقول ويعتقد اعتقاده، لأنه من المعلوم أن الوقت الذي أشار إليه ﷺ لم يأت بعد»(٣).

وهذا فيه بيان طريق العز والنصر، وأن آخر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها. والله المستعان.

---

(١) انظر: فتح الباري (٦/ ٦١٠)، وإتحاف الجماعة (١/ ٤١٠).
(٢) شرح البخاري (٥/ ١٠٧).
(٣) فتح الباري (٦/ ١٠٣)، وانظر: (٦/ ٦١٠).

المبحث الرابع عشر
عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا»(١).

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: «خَرَجْنَا مع رسول اللَّهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَكَانَ يَجْمَعُ الصَّلَاةَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جميعًا وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جميعًا حتى إذا كان يَوْمًا أَخَّرَ الصَّلَاةَ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جميعًا ثُمَّ دخل ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ ذلك فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جميعًا ثُمَّ قال: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إن شَاءَ اللَّه عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حتى يُضْحِيَ النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فلا يَمَسَّ من مَائِهَا شيئًا حتى آتِي»، فَجِئْنَاهَا وقد سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيْءٍ من مَاءٍ، قال: فَسَأَلَهُمَا رسول اللَّهِ ﷺ: «هل مَسَسْتُمَا من مَائِهَا شيئًا؟» قالا: نعم. فَسَبَّهُمَا النبي ﷺ وقال لَهُمَا ما شَاءَ اللَّه أَنْ يَقُولَ. قال: ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ من الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حتى اجْتَمَعَ في شَيْءٍ. قال: وَغَسَلَ رسول اللَّهِ ﷺ فيه يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فيها فَجَرَتْ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ أو قال غَزِيرٍ - شَكَّ الراوي أَيُّهُمَا قال - حتى اسْتَقَى الناس، ثُمَّ قال: «يُوشِكُ يا مُعَاذُ إن طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى ما ها هنا قد مُلِئَ جِنَانًا»(٢).

اختلف العلماء - رحمهم اللَّه - في معنى قوله ﷺ: «حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ح (٢٣٨٦).
(٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، ح(٦٠٨٦).

الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا».

فقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: تنصرف دواعي العرب عن مقتضى عاداتهم من انتجاع الغيث والارتحال في المواطن للحروب والغارات، ومن عزة النفوس العربية الكريمة الأبية إلى أن يتقاعدوا عن ذلك، فيشتغلوا بغراسة الأرض وعمارتها، وإجراء مياهها، كما قد شوهد في كثير من بلادهم وأحوالهم»(١).

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه والله أعلم أنهم يتركونها ويعرضون عنها فتبقى مهملة لا تزرع ولا تسقى من مياهها وذلك لقلة الرجال وكثرة الحروب وتراكم الفتن وقرب الساعة وقلة الآمال وعدم الفراغ لذلك والاهتمام به»(٢).

وهذان القولان متعارضان، وفيهما نظر، وذلك أن ظاهر الحديث يدل على أن بلاد العرب ستعود إليها الأنهار، ويكثر فيها الماء، وتكون مروجًا وجنانًا، مع أنها من أقحل بقاع الأرض، فانشغال الناس بزرع الأرض كما قال القرطبي لا يعيدها أنهارًا، وإنما يكون فيها بعض المروج الخضراء، والانشغال عنها بالحروب وعدم الزرع كما قال النووي وهي صحراء ليس فيها ماء إلا ما يستقى من الآبار، أو يكون من الأمطار وهي نادرة، لا يعيدها مروجًا ولا أنهارًا، وإنما يزيدها قحالة وتصحرًا، فالحديث إخبار عن غيب سيكون في آخر الزمان، لا يعلم أحد وقته على التحديد، ولكن قد يكون في ذكر النبي ﷺ هذا الأمر مع استفاضة المال حتى لا يقبل أحد الصدقة إشارة إلى وقت حصول ذلك، وتقدم معنا أن استفاضة المال يكون في زمن المهدي وعيسى بن مريم عند تمام العدل وفتح السماء أبواب غيثها وإخراج الأرض بركتها، ويكون أيضًا عند كثرة الفتن قبل قيام الساعة حين تقيءُ الأرضُ أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، وزمن عيسى والمهدي أنسب لهذا لكثرة المطر والبركة، والله أعلم.

(١) المفهم (٣/ ٥٧).
(٢) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٧/ ٩٧).

ولا يصح حمل هذا على زماننا لما أحدث من آلات شفط للمياه الجوفية وكثرة الزراعة بها، لأن هذا لا يطلق عليه مروجًا وأنهارًا، نعم حديث معاذ رضي الله عنه «يُوشِكُ يا مُعَاذُ إن طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى ما ها هنا قد مُلِئَ جِنَانًا»، يعني تبوك، قريب من هذا، ولكن حديث الأنهار بعيد والله أعلم.

وفي قوله ﷺ: «وَحَتَّى تَعُودَ»، دلالة على أن أرض العرب كانت مروجًا وأنهارًا، وستعود كما كانت، والله على كل شي قدير.

المبحث الخامس عشر
كلام الجمادات والدواب

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ، فَأَخَذَهَا فَطَلَبَهُ الرَّاعِي، فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ، قَالَ: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ، تَنْزِعُ مِنِّي رِزْقًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا عَجَبِي ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ، يُكَلِّمُنِي كَلَامَ الْإِنْسِ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ؟ مُحَمَّدٌ ﷺ بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، قَالَ: فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ، حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَزَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنُودِيَ الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ لِلرَّاعِي: «أَخْبِرْهُمْ» فَأَخْبَرَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَشِرَاكُ نَعْلِهِ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِمَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ، قَالَ: فَصَعِدَ الذِّئْبُ عَلَى تَلٍّ، فَأَقْعَى وَاسْتَذْفَرَ، فَقَالَ: عَمَدْتَ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللَّهُ عز وجل انْتَزَعْتَهُ مِنِّي. فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ

---

(١) رواه أحمد، ح(١١٧٩٢) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «رجاله ثقات رجال الصحيح»، وابن حبان في صحيحه، ح(٦٤٩٤)، والبيهقي في دلائل النبوة، ح(٢٢٨١) وقال: «هذا إسناد صحيح»، وروى الترمذي آخره، كتاب الفتن، باب ما جاء في كلام السباع، ح(٢١٨١) وقال: «وهذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل؛ والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث وثقه يحيى بن سعيد القطان وعبدالرحمن بن مهدي»، وكذا الحاكم في المستدرك (٥/ ٦٦١) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: «وهذا إسناد على شرط الصحيح وقد صححه البيهقي»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٢٢).

كَالْيَوْمِ ذِئْبًا يَتَكَلَّمُ. قَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخَلَاتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ، يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ. وَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيًّا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْلَمَ وَخَبَّرَهُ، وَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتٍ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلَا يَرْجِعَ حَتَّى تُحَدِّثَهُ نَعْلَاهُ وَسَوْطُهُ مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ»(١).

وتقدم في ملحمة الدجال وقتال اليهود قوله ﷺ: «فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ»(٢).

وفي رواية: «فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ، إِلَّا الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ»(٣).

وفي رواية: «حَتَّى إِنَّ جِذْمَ الْحَائِطِ، أَوْ قَالَ: أَصْلَ الْحَائِطِ، وَأَصْلَ الشَّجَرَةِ، لَيُنَادِي، أَوْ قَالَ: يَقُولُ: يَا مُؤْمِنُ، أَوْ قَالَ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ، أَوْ

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٢٠٨٠٨)، وعنه أحمد، ح(٨٠٦٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب». وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٢٥): «تفرد به أحمد، وهو على شرط السنن ولم يخرجوه، ولعل شهر بن حوشب قد سمعه من أبي سعيد وأبي هريرة أيضًا. والله أعلم».

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩٢٢).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، والروياني في مسنده، ح(١٢٣٩)، وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٦١٠): «أخرجه ابن ماجه مطولًا وأصله عند أبي داود، ونحوه في حديث سمرة عند أحمد بإسناد حسن، وأخرجه ابن منده في كتاب الإيمان من حديث حذيفة بإسناد صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٧٥).

قَالَ: هَذَا كَافِرٌ، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ»[١].

وعن حذيفة ﷺ قال: «بَيْنَمَا قَوْمٌ يَتَحَدَّثُونَ إِذْ تَمُرُّ بِهِمْ إِبِلٌ قَدْ عُطِّلَتْ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبِلُ، أَيْنَ أَهْلُكِ؟ فَتَقُولُ: أَهْلُنَا حُشِرُوا ضُحًى»[٢].

وهذا فيه أن هذا من أشراط الساعة وعلاماتها التي ستظهر في آخر الزمان وتنتشر في الناس حتى يكلمون البهائم، وتكلمهم السباع والجمادات، وتخبرهم أفخاذهم بما أحدث أهلهم بعدهم، وهذا من عجائب أشراط الساعة المؤذنة بتغير الطبائع وزوال العالم.

(١) رواه أحمد، ح(٢٠١٧٨)، وضعف إسناده الأرناؤوط في تعليقه، وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٦١٠): «إسناد حسن».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٩١١) قال: «حدثنا الحسن بن موسى، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، أن حذيفة بن اليمان قال».

المبحث السادس عشر
الريح التي تقبض أرواح المؤمنين

عن عَيَّاش بن أبي ربيعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «تَجِيءُ رِيحٌ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فَيُقْبَضُ فِيهَا رُوحُ كُلِّ مُؤْمِنٍ»(١).

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في حديث الدجال الطويل ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم - وفيه قال ﷺ: «فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(٢).

وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ في أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أو أَرْبَعِينَ شَهْرًا أو أَرْبَعِينَ

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٢٠٨٠٢)، وأحمد، ح(١٥٤٦٣) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح لغيره»، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ح(٦٩١)، والحاكم (٥/ ٦٤٧، ٦٨٨) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٧٨٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٧).

عَامًا فَيَبْعَثُ اللَّه عِيسَى ابن مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بن مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ ثُمَّ يَمْكُثُ الناس سَبْعَ سِنِينَ ليس بين اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّه رِيحًا بَارِدَةً من قِبَلِ الشام فلا يَبْقَى على وَجْهِ الأرض أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من خَيْرٍ أو إِيمَانٍ إلا قَبَضَتْهُ حتى لو أَنَّ أَحَدَكُمْ دخل في كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عليه حتى تَقْبِضَهُ». قال: سَمِعْتُهَا من رسول اللَّهِ ﷺ قال: «فَيَبْقَى شِرَارُ الناس في خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ولا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَتَمَثَّلُ لهم الشَّيْطَانُ فيقول: ألا تَسْتَجِيبُونَ فَيَقُولُونَ: فما تَأْمُرُنَا، فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَهُمْ في ذلك دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّورِ... »(١).

وفي رواية: قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إلا على شِرَارِ الْخَلْقِ هُمْ شَرٌّ من أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إلا رَدَّهُ عليهم». فَبَيْنَمَا هُمْ على ذلك أَقْبَلَ عُقْبَةُ بن عَامِرٍ، فقال له مَسْلَمَةُ: يا عُقْبَةُ اسْمَعْ ما يقول عبداللَّهِ، فقال عُقْبَةُ: هو أَعْلَمُ، وَأَمَّا أنا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ من أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ على أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ من خَالَفَهُمْ حتى تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ على ذلك». فقال عبداللَّهِ: أَجَلْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّه رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ فلا تَتْرُكُ نَفْسًا في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من الْإِيمَانِ إلا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ الناس عليهم تَقُومُ السَّاعَةُ»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حتى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى». فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ إن كنت لَأَظُنُّ حين أَنْزَلَ اللَّه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أَنَّ ذلك تَامًّا. قال: «إِنَّهُ سَيَكُونُ من ذلك ما شَاءَ اللَّه،

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور، ح(٢٩٤٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، ح(١٩٢٤).

ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّه رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ من في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حبةِ خَرْدَلٍ من إِيمَانٍ فَيَبْقى من لَا خَيْرَ فيه فَيَرْجِعُونَ إلى دِينِ آبَائِهِمْ»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا من الْيَمَنِ أَلْيَنَ من الْحَرِيرِ فلا تَدَعُ أَحَدًا في قَلْبِهِ قال - أبو عَلْقَمَةَ: «مِثْقَالُ حَبَّةٍ»، وقال عبدالْعَزِيزِ: «مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من إِيمَانٍ إلا قَبَضَتْهُ»(٢).

دلت هذه الأحاديث على أن هذه الريح تكون بين يدي الساعة وبعد زمن الدجال ويأجوج ومأجوج وعيسى بن مريم، بل تكون بعد الدابة وطلوع الشمس من المغرب، لأن الدابة تخرج تفرق بين الناس مؤمنهم وكافرهم، وطلوع الشمس مع خروج الدابة، فلو كانت الريح قبلها لما بقي في الأرض مؤمن.

وبعد الريح لا يبقى في الأرض مؤمن، وإنما هم شرار الناس، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، بل يعبدون الأوثان، ويتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة.

فليس بين الريح وبين الساعة إلا يسير، وهذا لا يعارض قول النبي ﷺ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»(٣).

وفي رواية: «ولا تَزَالُ عِصَابَةٌ من الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ على الْحَقِّ ظَاهِرِينَ على من نَاوَأَهُمْ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٤).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، ح(٢٩٠٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في الريح التي تكون قرب القيامة تقبض من في قلبه شيء من الإيمان، ح(١١٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، ح(٣٦٤١).

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، ح(٥٠٦٥).

وتقدمت رواية: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ من أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ على أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ من خَالَفَهُمْ حتى تَأْتِيَهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ على ذلك».

لأن «أمر اللَّه» هنا: المراد به الريح، وقد قال عبد اللَّه بن عمرو لما اعترض عليه بهذا: «أَجَلْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّه رِيحًا كَرِيحِ الْمِسْكِ مَسُّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ فلا تَتْرُكُ نَفْسًا في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من الْإِيمَانِ إلا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ الناس عليهم تَقُومُ السَّاعَةُ»، فهذا تفسير منه رضي الله عنه أن أهل الحق سيبقى ظهورهم إلى الريح، وبعدها لا يبقى إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة، وهذا أولى ما يتمسك به في تفسير الأحاديث.

قال النووي رحمه الله: «وهذه كلها وما في معناها على ظاهرها، وأما الحديث الآخر: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة» فليس مخالفًا لهذه الأحاديث؛ لأن معنى هذا أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة وعند تظاهر أشراطها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهي في القرب واللَّه أعلم»[١].

قال ابن حجر رحمه الله: «وقد استشكلوا على ذلك حديث: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر اللَّه» فإن ظاهر الأول أنه لا يبقى أحد من المؤمنين، وظاهر الثاني البقاء، ويمكن أن يكون المراد بقوله: «أمر اللَّه» هبوب تلك الريح فيكون الظهور قبل هبوبها، فبهذا الجمع يزول الإشكال بتوفيق اللَّه تعالى، فأما بعد هبوبها فلا يبقى إلا الشرار وليس فيهم مؤمن فعليهم تقوم الساعة، وعلى هذا فآخر الآيات المؤذنة بقيام الساعة هبوب تلك الريح»[٢].

وهذا هو الحق إن شاء اللَّه تعالى، ولكن قوله رحمه الله: «وعلى هذا فآخر الآيات...» قد يكون فيه نظر، نعم إن قصد أهل الإيمان فحق، لأنهم يفنون بالريح، فهي آخر شيء يشاهدونه قبل قيام الساعة، وإن قصد غيرهم فآخر آياتهم

---

(١) شرح مسلم (٢/ ١٣٢).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٨٥). وانظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٣٥٤).

النار، قال ﷺ: «وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»(١). ويبقى من الأشراط بعد الريح خراب المدينة، وهدم الكعبة، وانتشار الشرك في الأرض على ما يظهر واللَّه أعلم، وسيأتي تفصيل ذلك بعون اللَّه وتوفيقه، ثم الريح من الأشراط وليس من الآيات إلا تجوزًا، فالنبي ﷺ لم يسم شيئًا من الأشراط آيات إلا العشر الكبرى، واللَّه أعلم.

وقد دلت الأحاديث على أن هذه الريح ريح طيبة، باردة، مسها مس الحرير وألين، وريحها ريح المسك، تأخذ تحت إبط كل مؤمن ومسلم، ومن كان في قلبه مثقال حبة خردل من خير أو إيمان، فتقبض أرواحهم، حتى لو دخل أحدهم كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبض روحه.

وأما جهة مجيئها:

ففي حديث عبد اللَّه بن عمرو: «ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّه رِيحًا بَارِدَةً من قِبَلِ الشام».

وفي حديث أبي هريرة: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا من الْيَمَنِ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويجاب عن هذا بوجهين:

أحدهما: يحتمل أنهما ريحان شامية ويمانية.

ويحتمل: أن مبدأها من أحد الإقليمين ثم تصل الآخر وتنتشر عنده، واللَّه أعلم»(٢).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

(٢) شرح مسلم (٢/ ١٣٣).

المبحث السابع عشر
هدم الحبشة للكعبة في آخر الزمان

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَظْهَرُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ[1] عَلَى الْكَعْبَةِ» قَالَ: حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: «فَيَهْدِمُهَا»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ»[3].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَيَسْلُبُهَا حِلْيَتَهَا، وَيُجَرِّدُهَا مِنْ كِسْوَتِهَا، وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ أُصَيْلِعَ[4] أُفَيْدِعَ[5]، يَضْرِبُ عَلَيْهَا بِمِسْحَاتِهِ وَمِعْوَلِهِ»[6].

وعن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ[7] يَقْلَعُهَا

---

(١) قال ابن حجر: «"ذو السويقتين" تثنية سويقة وهي تصغير ساق أي له ساقان دقيقان». فتح الباري (٣/ ٤٦١)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٢٣).

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٩١٧٦)، وأحمد، ح(٨٠٩٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح».

(٣) رواه البخاري، كتاب الحج، باب هدم الكعبة، ح(١٥٩٦)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح(٢٩٠٩).

(٤) أُصَيلع: تصغير أصلع، وهو الذي ذهب شعر مقدم رأسه. انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٧)، وفتح الباري (٣/ ٤٦١).

(٥) قال ابن الجوزي في غريب الحديث (٢/ ١٨١): «الفدع: إِزَالَة المفاصل عَن أماكنها بِأَن تزِيغ الْيَد عَن عظم الزند وَالرجل عَن عظم السَّاق».

(٦) رواه أحمد، ح(٧٠٥٣)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٤٣): «انفرد به أحمد، وهذا إسناد جيد قوي».

(٧) الفحج: تباعد ما بين الساقين. فتح الباري (٣/ ٤٦١).

حَجَرًا حَجَرًا»(١).

وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «اتْرُكُوا الْحَبَشَةَ مَا تَرَكُوكُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَخْرِجُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ إِلَّا ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يُبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَجِيءُ الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمُ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اسْتَمْتِعُوا مِنْ هَذَا الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ قَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ، وَيُرْفَعُ فِي الثَّالِثَةِ»(٤).

دلت هذه الأحاديث على أنه في آخر الزمان تظهر الحبشة على بيت اللَّه الحرام الكعبة، وينقضونها حجرًا حجرًا، ويستخرجون كنزها، ولا تعمر بعد هذا الخراب أبدًا، وخرابها إنما هو إيذان بخراب الدنيا، لأن اللَّه عز وجل جعل الكعبة قيامًا للناس وأمنًا، فإذا ذهب ما يقومون عليه هلكوا، ولن يذهب حتى يذهب

---

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب هدم الكعبة، ح(١٥٩٥).

(٢) رواه أحمد، ح(٢٣١٥٥) وقال الأرناؤوط: «صحيح لغيره»، وأبو داود، كتاب الملاحم، باب النهي عن تهييج الحبشة، ح(٤٣٠٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ح(٢٩١٢)، والبزار، ح(٢٣٥٥)، والحاكم (٥/ ٦٤٤) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٣٠٤): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن جبير، وهو ثقة».

(٣) رواه أحمد، ح(٧٩١٠، ٨١١٤، ٨٣٥١، ٨٦١٩) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، وابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٣٩٩)، وابن الجعد في مسنده، ح(٢٨١٠)، وابن حبان في صحيحه، ح(٦٨٢٧)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٤٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٩٨): «رواه أحمد، ورجاله ثقات». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٥٧٩، ٢٧٤٣).

(٤) رواه ابن خزيمة في صحيحه، ح(٢٥٠٦)، وابن حبان، ح(٦٧٥٣)، وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده صحيح»، والطبراني في الكبير، ح(١٤٠٣٣)، والحاكم (٢/ ٨٣) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٤٥١).

أهل الإيمان من الأرض، ولذلك لا يتعارض هدم الكعبة وكونها حرمًا آمنًا يثوب إليها الناس، لأن هدمها يكون حين تعطل من أهلها بالريح، وأما قبل ذلك فالبيت قائم وعامر، قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ»(٢).

فالبيت بعد عيسى عليه السلام قائم ويحج إليه، لأنه لو كان خرابه في زمنه أو بعده بقليل والمؤمنون متوافرون، والمال عندهم مستفيض، فإنه يبعد عليهم أن يحجوا والبيت خراب لا يعمرونه، وإنما لا يعمر حين ينقطع الحج بانقطاع أهله، وعند ذلك تقوم الساعة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ»(٣).

فتسليط الحبشة عليها يكون بعد ذهاب أهل الإيمان.

قال المناوي رحمه الله: «وإنما سلط عليها ولم يحبس عنها كالفيل لأن هذا إنما هو قرب الساعة عند فناء أهل الحق، فسلط على تخريبها لئلا تبقى مهانة معطلة بعد ما كانت مهابة مبجلة، ومن هذا التقرير استبان أنه لا تعارض بين هنا وقوله تعالى ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧] الأمن إلى قرب القيامة وخراب الدنيا»(٤).

وقوله ﷺ: «لَا يُعْمَرُ بَعْدَهُ أَبَدًا»، «وَيُرْفَعُ فِي الثَّالِثَةِ»، أي بعد الثالثة.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب إهلال النبي ﷺ وهديه، ح(١٢٥٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾، ح (١٥٩٣).

(٣) المصدر السابق ح (١٥٩٣).

(٤) فيض القدير (٦/ ٤٥٩)، وانظر: شرح مسلم للنووي (١٨/ ٣٥)، وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٤٦١).

يشير إلى أنه لا يحج ولا يطاف به بعد هذا الخراب، لأن العمارة تشمل الحسية بالبنيان، والمعنوية بالإيمان ومقتضياته من الحج والاعتمار والطواف، والرفع يُذهب الأثر، ولا يبقي بيتًا يقصد، واللَّه تعالى أعلم.

هذا الذي يظهر في وقت هذا الخراب والهدم، ولن يحرم أهل الإيمان في دنياهم من الاستمتاع ببيت ربهم، فإذا ذهبوا وتعطل ذهب اللَّه به، وللعلماء - رحمهم اللَّه تعالى - أقوال أخر في وقت هذا الخراب، والأكثر على ما تقدم(١).

وليعلم أن هذا الغزو لمكة شرفها اللَّه وقول النبي ﷺ: «لَا تَنْتَهِي الْبُعُوثُ عَنْ غَزْوِ هَذَا الْبَيْتِ حَتَّى يُخْسَفَ بِجَيْشٍ مِنْهُمْ»(٢).

لا يتعارضان مع قوله ﷺ: «لَا تُغْزَى هذه - يعني مكة - بَعْدَ الْيَوْمِ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٣).

وفي رواية: «لَا تُغْزَى مَكَّةُ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ أَبَدًا»(٤).

لأن معنى هذا عند العلماء كما قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: «تفسيره أنهم لا يكفرون أبدًا، ولا يغزون على الكفر»(٥).

---

(١) انظر: الإشاعة لأشراط الساعة للبرزنجي ص(٣٠٢)، ولوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٢٤)، ومرقاة المفاتيح للقاري (٩/ ٤٨٦).

(٢) رواه النسائي، كتاب المناسك، باب حرمة الدم، ح(٢٨٧٨)، والحاكم (٥/ ٦١٤) وقال: «هذا حديث غريب صحيح ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٤٣٢).

(٣) رواه الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء ما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة «إن هذه لا تغزى بعد اليوم»، ح(١٦١١) وقال: «وهذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٤٢٧).

(٤) رواه أحمد، ح(١٥٤٠٨، ١٧٨٦٩، ١٩٠١٩) وحسنه الأرناؤوط في تعليقه، والطحاوي في مشكل الآثار، ح(١٥٠٩)، والحاكم (٤/ ٨٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٨٤): «رواه أحمد ورواته ثقات».

(٥) شرح مشكل الآثار (٤/ ١٦٢).

فهو مثل قول النبي ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ»[1] أي لا هجرة من مكة، لأن أهلها أسلموا، وستبقى دار إسلام أبدًا[2]، ولن تغزى على الكفر إلى يوم القيامة، فغزاتها إما كفار وإما بغاة، ولذلك سيخسف بجيش ممن يغزوها، ولو كان الغزو لكفر أهلها ما خسف به. واللَّه أعلم.

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل اللَّه، ح(٢٧٨٣).

(٢) انظر: فتح الباري (٦/ ٣٩)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، (٥/ ٥٥٩).

المبحث الثامن عشر
نفي المدينة لشرارها ثم خرابها آخر الزمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(١).

اختلف العلماء - رحمهم اللَّه تعالى - في وقت هذا:

فذهب القاضي عياض رحمه الله إلى أن الأظهر أنه في زمن النبي ﷺ حيث قال: «الأظهر هنا أنه في زمن النبي ﷺ، فإنه كان لا يصبر على الهجرة والمقام معه، إلا من ثبت إيمانه، وأما المنافقون وجهلة الأعراب ومن آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، فلا يصبرون على شدة المدينة ولا يحتسبون أجرهم في ذلك، أولئك شرار الناس وخبثاؤهم، كما جرى للأعرابي لما أصابه وعك الحمى بها، واستقال النبي ﷺ من بيعته ولم يقلها النبي ﷺ»(٢).

وقال النووي رحمه الله: «وهذا الذي ادعى أنه الأظهر ليس بالأظهر، وهذا واللَّه أعلم في زمن الدجال، ويحتمل أنه في أزمان متفرقة واللَّه أعلم»(٣).

وقال ابن حجر رحمه الله: «يحتمل أن يكون المراد كلًّا من الزمنين، وكان الأمر في حياته ﷺ كذلك للسبب المذكور، ويؤيده قصة الأعرابي الآتية فإنه ﷺ ذكر هذا الحديث معللًا به خروج الأعرابي وسؤاله الإقالة عن البيعة، ثم يكون ذلك أيضًا في آخر الزمان عندما ينزل بها الدجال فترجف بأهلها فلا يبقى منافق

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، ح(١٣٨١).
(٢) إكمال المعلم (٤/ ٥٠٠).
(٣) شرح مسلم (٩/ ١٥٤) باختصار.

ولا كافر إلا خرج إليه، وأما ما بين ذلك فلا»[١].

وقصة الأعرابي رواها جابر ﷺ قال: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ فَبَايَعَهُ عَلَى الإِسْلَامِ فَجَاءَ مِنْ الْغَدِ مَحْمُومًا فَقَالَ: أَقِلْنِي فَأَبَى ثَلَاثَ مِرَارٍ فَقَالَ: «الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا»[٢].

ولكن ما قاله من أن كلًّا من الزمنين محتمل فيه بعد، وذلك أن النبي ﷺ لم يجعل ذلك من أشراط الساعة، وإنما جعله فيمن يرغب عن المدينة ويزهد في فضلها ولا يتحمل لأوائها، بدليل قوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَا يَخْرُجُ منهم أَحَدٌ رَغْبَةً عنها إلا أَخْلَفَ اللَّه فيها خَيْرًا منه ألا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ تُخْرِجُ الْخَبِيثَ»[٣]، وهذا في كل الأزمان، وهو صفة دائمة للمدينة، وأما الذي من أشراط الساعة، فهو الذي عقب به النبي ﷺ قوله المتقدم: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»، فهذا نفي خاص جاء بيانه في قول النبي ﷺ: «نِعْمَتِ الْأَرْضُ الْمَدِينَةُ، إِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا[٤] مَلَكٌ، لاَ يَدْخُلُهَا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، رَجَفَتْ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، وَذَلِكَ يَوْمُ التَّخْلِيصِ، وَذَلِكَ يَوْمَ تَنْفِي الْمَدِينَةُ الْخَبَثَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»[٥].

---

(١) فتح الباري (٤/ ٨٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب المدينة تنفي الخبث، ح(١٨٨٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، ح(١٣٨١).

(٤) قال ابن حجر في فتح الباري (٤/ ٩٦): «جمع نقب بفتح النون والقاف بعدها موحدة، قال ابن وهب: المراد بها المداخل، وقيل الأبواب. وأصل النقب الطريق بين الجبلين، وقيل: الأنقاب الطرق التي يسلكها الناس، ومنه قوله تعالى: ﴿فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَـٰدِ﴾ ». قلت: جاء تفسيره عن النبي ﷺ بالأبواب في قوله: «لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ» رواه البخاري، ح(١٨٧٩)، قال عياض: «هذا يؤيد أن المراد بالأنقاب: الأبواب وفوهات الطريق». فتح الباري (١٣/ ٩٤)، وانظر: النهاية (٥/ ١٠٢).

(٥) رواه أحمد، ح(١٤١١٢) وقال ابن كثير: «تفرد به أحمد وإسناده جيد». البداية والنهاية (١٩/ ١٦٧).

وفي رواية قال ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(١).

وأما قبل ذلك، فقد قال اللَّه تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: ١٠١] والمنافق خبيث، وقد مات بعضهم فيها ولم تنفهم المدينة.

وأما قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما ما بين ذلك فلا» فهو يرد به على قول النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويحتمل أنه في أزمان متفرقة»، فهو الذي يظهر، لأن هذا الاحتمال لا دليل عليه، فالنفي الذي هو من أشراط الساعة لا يكون إلا في زمن الدجال، واللَّه تعالى أعلم.

وأما خرابها آخر الزمان:

فعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»(٢).

وهذا خراب جزئي وهو خراب عمران كما تقدم في الحديث عن الملحمة، وليس هذا هو المراد بخراب آخر الزمان ولكنه قد يكون بداية الخراب الذي تخلو فيه المدينة من الناس، ولا يغشاها إلا الطير والسباع.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح(١٨٨١).

(٢) رواه أحمد، ح(٢٢٠٢٣، ٢٢١٢١)، وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده ضعيف»، وابن الجعد في مسنده، ح(٣٤٠٥)، وابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٣٦٤) موقوفًا، وأبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب في أمارات الملاحم، ح(٤٢٩٤)، وحسنه الألباني في تعليقه، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٨) ح(٢١٤)، والحاكم (٥/ ٦٠١) موقوفًا، وقال: «هذا الحديث وإن كان موقوفًا فإن إسناده صحيح على شرط الرجال»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٠٩): «وهذا إسناد جيد وحديث حسن، وعليه نور الصدق وجلالة النبوة».

على خَيْرِ ما كانت لَا يَغْشَاهَا إلا الْعَوَافِ يُرِيدُ عَوَافِيَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ، وَآخِرُ من يُحْشَرُ رَاعِيَانِ من مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ يَنْعِقَانِ[١] بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وَحْشًا[٢] حتى إذا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ[٣] خَرَّا على وُجُوهِهِمَا[٤]»[٥].

وفي رواية: «لَيَتْرُكَنَّهَا أَهْلُهَا على خَيْرِ ما كانت مُذَلَّلَةً لِلْعَوَافِي يَعْنِي السِّبَاعَ وَالطَّيْرَ»[٦].

وفي رواية: «لَتُتْرَكَنَّ الْمَدِينَةُ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ حَتَّى يَدْخُلَ الْكَلْبُ أَوْ الذِّئْبُ فَيُغَذِّي[٧] عَلَى بَعْضِ سَوَارِي الْمَسْجِدِ أَوْ عَلَى الْمِنْبَرِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَنْ تَكُونُ الثِّمَارُ ذَلِكَ الزَّمَان؟ قَالَ: «لِلْعَوَافِي الطَّيْرِ وَالسِّبَاعِ»[٨].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيَسِيرَنَّ الرَّاكِبُ فِي جَنَبَاتِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ لَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ فِي هَذَا حَاضِرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرٌ»[٩].

وعن عوف بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ أقبل عليهم فقال: «أَمَا وَاللَّهِ يَا

(١) «نعق بالغنم ينعق نعاقًا: إذا صاح بها». شرح البخاري لابن بطال (٤/ ٤٥٧).
(٢) أي خالية من الناس موحشة ليس بها إلا الوحوش. انظر: إكمال المعلم (٤/ ٥٠٨).
(٣) «هي عقبة عند حرم المدينة، سميت بذلك لأن الخارج من المدينة يمشي معه المودعون إليها». عمدة القاري (١٠/ ٢٣٨).
(٤) «أي: سقطا ميتين». عمدة القاري (١٠/ ٢٣٨).
(٥) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة، ح(١٧٧٤)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الحج، باب في المدينة حين يتركها أهلها، ح(١٣٨٩).
(٦) رواه مسلم، كتاب الحج، باب في المدينة حين يتركها أهلها، ح(١٣٨٩).
(٧) أي «تبول، وأصله البول دفعة بعد دفعة، وهي صفة بول الكلاب». إكمال المعلم (٤/ ٥٠٧).
(٨) رواه مالك في الموطأ، ح(٣٣١٠)، وابن حبان في صحيحه، ح(٦٧٧٣)، وابن شبة في تاريخ المدينة، ح(٦١٧).
(٩) رواه أحمد، ح(١٢٤) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حسن لغيره»، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند، ح(١٢٤)، وجود إسناده ابن كثير في مسند الفاروق (٢/ ٦٦٧).

أَهْلَ الْمَدِينَةِ، لَتَدَعُنَّهَا أَرْبَعِينَ عَامًا لِلْعَوَافِي»[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الظاهر المختار أن هذا الترك للمدينة يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، وتوضحه قصة الراعيين من مزينة، فإنهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة وهما آخر من يحشر، هذا هو الظاهر المختار»[(٢)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أن المدينة تكون عامرة أيام الدجال، ثم تكون كذلك في زمن المسيح عيسى بن مريم رسول اللَّه عليه الصلاة والسلام، حتى تكون وفاته بها، ودفنه بها[(٣)]، ثم تخرب بعد ذلك»[(٤)].

وقد جمع النبي ﷺ بين ترك المدينة والنار التي تسوق الناس إلى المحشر:

فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أقبلنا مع رسول اللَّه ﷺ فنزلنا ذا الحليفة، فتعجلت رجال إلى المدينة، وبات رسول اللَّه ﷺ وبتنا معه، فلما أصبح سأل عنهم، فقيل: تعجلوا إلى المدينة، فقال: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَالنِّسَاءِ أَمَا إِنَّهُمْ سَيَدَعُونَهَا أَحْسَنَ مَا كَانَتْ» ثُمَّ قَالَ: «لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ جَبَلِ الْوِرَاقِ، تُضِيءُ مِنْهَا أَعْنَاقُ الْإِبِلِ بُرُوكًا بِبُصْرَى كَضَوْءِ النَّهَارِ»[(٥)].

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٣٩٧٦) وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، والحاكم (٢/ ٦٨٢) و(٥/ ٦٠٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، والطحاوي في شرح معاني الآثار، ح(٦٣٦٤)، وابن شبة في تاريخ المدينة، ح(٦٣٤)، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (٤/ ٩٠).

(٢) شرح مسلم (٩/ ١٦٠).

(٣) قال ابن كثير: «قد ورد في ذلك حديث، ولكن لا يصح إسناده». البداية والنهاية (٢/ ٥٢٧). قلت: هو عند الترمذي في السنن، كتاب المناقب، باب فضل النبي ﷺ، ح(٣٦١٧)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، ح(٦٩٦٢)، والثابت أنه يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه، وليس فيه ذكر لمكان الوفاة والدفن، وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء اللَّه تعالى.

(٤) البداية والنهاية (١٩/ ٢٤٦)، وانظر: (١٩/ ١٠٧).

(٥) رواه أحمد، ح(٢١٢٨٩)، وابن حبان، ح(٦٨٤١)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٧): «وهذا إسناد لا بأس به»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ١٥): «رواه أحمد ورجاله ثقات»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٨٣).

وهذه نار المحشر تخرج من اليمن، وليست نار المدينة التي سبقت[(١)]، ولعل في هذا إشارة إلى قربهما والله أعلم.

والمدينة في فتن آخر الزمان تكون عامرة بالإيمان، مصونة بحفظ الرحمن، وملجأ لأهل الإسلام، لا يدخلها الدجال ولا يأتيها رعبه، بل يأرز إليها الإيمان، وتحرسها الملائكة من كل مكان.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ»[(٣)].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يَأْتِي الْمَسِيحُ من قِبَلِ الْمَشْرِقِ هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ حتى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ»[(٤)].

وعن سعد بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمَدِينَةَ مُشَبَّكَةٌ بِالْمَلَائِكَةِ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ، مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»[(٥)].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١٩/ ٢٧)، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٢٢٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح(١٨٨١).

(٣) المصدر السابق ح(١٨٨٠).

(٤) رواه مسلم، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، ح(١٣٨٠).

(٥) رواه أحمد، ح(١٥٩٣، ٨٣٨٣) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٣٠٩): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ(٢) إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»(٣).

وعن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كما بَدَأَ وهو يَأْرِزُ بين الْمَسْجِدَيْنِ(٤) كما تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إلى جُحْرِهَا»(٥).

فالمدينة أمان من الفتن، وملجأ عند غربة الإسلام، على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام.

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح(١٨٧٩).

(٢) أي يأوي وينضم وينقبض ويلتجئ إليها كما تأرز الحية إلى حجرها وهي أشد فرارًا وانضمامًا من غيرها فلهذا شبه بها، والمراد أن أهل الإيمان يفرون بإيمانهم إلى المدينة وقايةً بها عليه، أو لأنها وطنه الذي ظهر وقوي بها، وهذا إخبار عن آخر الزمان حين يقل الإسلام، وتظهر الفتن في البلدان. انظر: شرح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٤٨)، وفتح الباري لابن حجر (٤/ ٩٣)، والمنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٢/ ١٧٧)، ومرقاة المفاتيح للقاري (١/ ٣٦٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، ح(١٨٧٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وإنه يأرز بين المسجدين، ح(١٤٧).

(٤) أي مسجدي مكة والمدينة. شرح مسلم للنووي (٢/ ١٧٧).

(٥) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا وإنه يأرز بين المسجدين، ح(١٤٦).

المبحث التاسع عشر
عودة الشرك إلى الأرض

عن أنس رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهَ اللَّهَ»(١).

وفي رواية: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ»(٢).

وفي رواية: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»(٣).

وفي رواية: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»(٤).

وعن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ»(٥).

وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «شِرَارُ النَّاسِ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ أَحْيَاءً»(٦).

قال ابن كثير رحمه الله: «وفي معنى قوله ﷺ: «حَتَّى لَا يُقَالَ فِي

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، ح(١٤٨).

(٢) المصدر السابق ح(١٤٨).

(٣) رواه ابن حبان، ح(٦٨٤٨) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده جيد»، وأبو نعيم في الحلية، ح(٤٢٣٣).

(٤) رواه أحمد، ح(١٣٨٣٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والحاكم (٥/ ٦٩٤) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة، ح(٢٩٤٩).

(٦) رواه أحمد، ح(٤٣٤٢) وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٨٢): «وهذا إسناد صحيح، ولم يخرجوه من هذا الوجه».

الْأَرْضِ: اللَّهَ اللَّهَ». قولان: أحدهما: أن معناه أن أحدًا لا ينكر منكرًا ولا يزجر أحد أحدًا إذا رآه قد تعاطى منكرًا، وعبر عن ذلك بقوله: «حَتَّى لَا يُقَالَ: اللَّهَ اللَّهَ».

والقول الثاني: حتى لا يذكر اللَّه في الأرض، ولا يعرف اسمه فيها، وذلك عند فساد الزمان، ودمار نوع الإنسان، وكثرة الكفر والفسوق والعصيان. وهذا كما في الحديث الآخر: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وأولئك هم شرار الناس، وعليهم تقوم الساعة، كما في الحديث: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ». وفي لفظ: «شِرَارُ النَّاسِ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ أَحْيَاءً»[١].

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو إشارة إلى معنى ما في الحديث الآخر: أنها لا تقوم إلا على شرار الخلق وحثالتهم، وأن اللَّه يتوفى المؤمنين قبل قيامها، ويُرسل ريحًا من اليمن لقبض أرواحهم»[٢].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما معنى الحديث[٣] فهو أن القيامة إنما تقوم على شرار الخلق»[٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ[٥] أَلَيَاتُ[٦] نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ». «وَذُو الْخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٢٨٤). (٢) إكمال المعلم (١/ ٤٥٩).

(٣) يعني حديث أنس المتقدم بروايتيه: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهَ اللَّهَ»، «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: اللَّهُ اللَّهُ».

(٤) شرح مسلم (٢/ ١٧٨).

(٥) «أي يضرب بعضها بعضًا». فتح الباري (١٣/ ٧٦).

(٦) «أليات» بفتح الهمزة واللام جمع الية بالفتح أيضًا مثل جفنة وجفنات، والألية العجيزة وجمعها أعجاز. فتح الباري (١٣/ ٧٦).

الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن التين: فيه الإخبار بأن نساء دوس يركبن الدواب من البلدان إلى الصنم المذكور، فهو المراد باضطراب ألياتهن. قلت: ويحتمل أن يكون المراد أنهن يتزاحمن بحيث تضرب عجيزة بعضهن الأخرى عند الطواف حول الصنم المذكور»(٢).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد يضطربن من الطواف حول ذي الخلصة أي يكفرون ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها»(٣).

فالمعنى أنهم يكفرون، ويرجع طوائف منهم إلى عبادة الأوثان.

فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حتى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى». فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ إن كنت لَأَظُنُّ حين أَنْزَلَ اللَّه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ أَنَّ ذلك تَامًّا. قال: «إِنَّهُ سَيَكُونُ من ذلك ما شَاءَ اللَّه، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّه رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّى كُلَّ من في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حبةِ خَرْدَلٍ من إِيمَانٍ فَيَبْقَى من لَا خَيْرَ فيه فَيَرْجِعُونَ إلى دِينِ آبَائِهِمْ»(٤).

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ»(٥).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب تغيير الزمان حتى يعبدوا الأوثان، ح(٧١١٦)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، ح(٢٩٠٦).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٧٦).

(٣) شرح مسلم (١٨/ ٣٣).

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، ح(٢٩٠٧).

(٥) رواه أحمد، ح(٢٢٣٩٥، ٢٢٤٥٢) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، ح (٢٢١٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وأبو داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، ح(٤٢٥٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعنى المراد بالحديث: أنهم يرتدون ويرجعون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان، فترمل نساء دوس طائفات حوله فترتج أردافهن عند ذلك في آخر الزمان، وذلك بعد موت جميع من في قلبه مثقال حبة من الإيمان، وهو كما جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تذهب الليالي والأيام حتى تعبد اللات والعزى»[٦] الحديث»[٧].

وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ في أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أو أَرْبَعِينَ شَهْرًا أو أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللَّه عِيسَى بن مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بن مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ ثُمَّ يَمْكُثُ الناس سَبْعَ سِنِينَ ليس بين اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّه رِيحًا بَارِدَةً من قِبَلِ الشام فلا يَبْقَى على وَجْهِ الأرض أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من خَيْرٍ أو إِيمَانٍ إلا قَبَضَتْهُ حتى لو أَنَّ أَحَدَكُمْ دخل في كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عليه حتى تَقْبِضَهُ». قال: سَمِعْتُهَا من رسول اللَّهِ ﷺ قال: «فَيَبْقَى شِرَارُ الناس في خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ولا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَتَمَثَّلُ لهم الشَّيْطَانُ فيقول: ألا تَسْتَجِيبُونَ فَيَقُولُونَ: فما تَأْمُرُنَا فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَهُمْ في ذلك دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّورِ... »[٨].

فهذه الأحاديث متفقة على أن هذا الشرك العام والرجوع إلى عبادة الأوثان، يكون بعد الريح، حين لا يبقى في الأرض مؤمن، ويبقى شرار الناس، ومن لا خير فيه، فيرجعون إلى دين الجاهلية، ويعبدون الأصنام، وعليهم تقوم الساعة. واللَّه أعلم.

---

(٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ولفظه عند مسلم وغيره: «لاَ يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حتى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى»، ولعله رواية بالمعنى، أو أن ذلك في نسخة أخرى، لأنه رواه كاملًا بنصه وعزاه لمسلم في (٣/ ١٣٥٣).

(٧) التذكرة (٣/ ١٢٣٥).

(٨) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور، ح(٢٩٤٠).

الباب الثاني
أشراط الساعة الكبرى

الفصل الأول: الأشراط الكبرى الأرضية

الفصل الثاني: الأشراط الكبرى السماوية

تمهيد
أشراط الساعة الكبرى

وهي الأمور العظام والآيات الكبرى التي تظهر مؤذنة بانتهاء الدنيا وقرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة، كظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة، وتكون متقاربة متتالية.

عن حذيفة بن أَسِيدٍ رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع علينا فقال: «مَا تَذْكُرُونَ؟». قُلْنَا: السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأَرْضِ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ»(١).

وهذه العشر هي الأشراط الكبرى التي اتفق عليها العلماء، وكلها آيات خارقة للعادة، وخارجة عن المألوف، منها سماوية، ومنها أرضية، وكلها متتابعة متوالية، تبدأ بالدجال، وتنتهي بالنار التي تحشر الناس، وبعد الدجال عيسى بن مريم، وبعد عيسى خروج يأجوج ومأجوج، كما دلت عليه الأحاديث الأخر، والبقية لا يعلم ترتيبها إلا الله، كما لا يعلم وقت وقوع الأشراط إلا هو.

وهذه الأشراط الكبرى لم يقع شيء منها بعد، ووقوعها متتابع بعضها إثر بعض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خُرُوجُ الآيَاتِ بعضها عَلَى

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

إِثْرِ بَعْضٍ يَتَتَابَعْنَ كَمَا تَتَتَابَعُ الْخَرَزُ فِي النِّظَامِ»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ، فَإِنْ يُقْطَعِ السِّلْكُ يَتْبَعْ بَعْضُهَا بَعْضًا»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الأَمَارَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ بِسِلْكٍ، فَإِذَا انْقَطَعَ السِّلْكُ تَبعَ بَعْضُهَا بَعْضًا»(٣).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ أَوَّلَ الآيَاتِ تَتَابَعَتْ»(٤).

وهذا التتابع متعلق بالآيات فقط، كما هو نص الحديث، وهي الأشراط الكبرى، وأما الصغرى فهي مراتب كما تقدم، وبينها أزمنة، قال ابن حجر رحمه الله: «وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السلك إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة»(٥).

وقال القنوجي رحمه الله: «وهذا خاص بالعلامات العظام كخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها»(٦).

---

(١) رواه ابن حبان، ح(٦٨٣٣)، والطبراني في الأوسط، ح(٤٢٧١)، والدينوري في المجالسة، ح(٢١٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢١): «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وداود الزهراني وكلاهما ثقة»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٢١٠).

(٢) رواه أحمد، ح(٧٠٤٠)، والحاكم (٥/ ٦٦٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة بالشواهد، ح(١٧٦٢).

(٣) رواه الحاكم (٤/ ٥٤٦) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال الألباني: «وهو كما قالا». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٣٦١).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٤٣١) وقال الألباني: «وهذا إسناد جيد في الشواهد، وهو في حكم المرفوع». سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧/ ٦٣٨).

(٥) فتح الباري (١٣/ ٧٧).

(٦) الإذاعة ص(٢٨).

الفصل الأول
الأشراط الكبرى الأرضية

المبحث الأول: خروج المسيح الدجال - عليه لعنة اللَّه -

المبحث الثاني: خروج يأجوج ومأجوج

المبحث الثالث: الخسوفات الثلاثة

المبحث الرابع: خروج الدابة

المبحث الخامس: النار التي تحشر الناس

المبحث الأول
خروج المسيح[(١)] الدجال ـ عليه لعنة الله ـ

وهو رجل من بني آدم، عظيم الخلقة، كثير الفتنة، سمي بالدجال لكثرة كذبه ودجله وتغطيته للحق، وسمي بالمسيح لأن عينه عوراء ممسوحة[(٢)]، فهو مسيح ضلالة، يدعي النبوة، ثم يثني فيدعي الألوهية، ويأتي بالخوارق والشبهات العظيمة امتحانًا للعباد، ويبعث في زمان اختلاف وتباغض من الناس، وخفة من الدين، فيرِدُ كل منهل، وتُطوى له الأرض، وتَعظم به الفتنة، قد تواترت بخروجه الأخبار[(٣)]، وحذر منه الأنبياء على مر الأعصار.

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ[(٤)] أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر»[(٥)].

وعن ابن عمر ﷺ قال: «قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَالَ فَقَالَ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ أَعْوَرُ

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٩٤): «من قاله بالخاء المعجمة صحف، وبالغ القاضي ابن العربي فقال: ضل قوم فرووه المسيخ بالخاء المعجمة».

(٢) انظر: شرح مسلم للنووي (١/ ٧٩) و(٢/ ٢٣٤)، وفتح الباري لابن حجر (٢/ ٣١٧) و(١٣/ ٩١).

(٣) نقله ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٩٣)، والكتاني في نظم المتناثر ص(٢٢٩).

(٤) قال القرطبي في المفهم (٧/ ٢٦٧): «وفائدة هذا الإنذار الإيمان بوجوده، والعزم على معاداته ومخالفته، وإظهار تكذيبه، وصدق الالتجاء إلى الله تعالى في التعوذ من فتنته».

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٣).

وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(١).

وهذا لأنه أعظم فتنة على وجه الأرض، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ»(٢).

وعن هشام بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»(٣).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا كَانَتْ فِتْنَةٌ، وَلَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَكْبَرَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَلَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ حَذَّرَهُ أُمَّتَهُ، وَلَأُخْبِرَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مَا أَخْبَرَهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ قَبْلِي»، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى عَيْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٤).

وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، إِلَّا لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ»(٥).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح(٧١٢٧)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ح(٧٥٤٠).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ح(١٢٤٩)، والروياني في مسنده، ح(١٢٣٩)، والحاكم (١/ ١٧٩) وسكت عنه، وصححه الألباني في الجامع الصغير، ح(٧٨٧٥).

(٣) رواه أحمد، ح(١٦٢٥٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والروياني، ح(١٣٧)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٧٤) ح(٤٥٢)، ورواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(٢٩٤٦) ولكن بلفظ: «خَلْقٌ أَكْبَرُ من الدَّجَّالِ».

(٤) رواه أحمد، ح(١٤١١٢) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حديث صحيح»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٦٧): «تفرد به أحمد وإسناده جيد، وصححه الحاكم»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٨١).

(٥) رواه أحمد، ح(٢٣٣٠٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٥): «رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٨٢).

ولعظم هذه الفتنة لم يدع النبي ﷺ شيئًا من أحواله أو أوصافه إلا وبينه، كما بين زمن خروجه ومكانه وما يسبقه من علامات، وبين ما يعصم من فتنته، وحذر وأنذر، وأعاد وكرر، حتى ظنه الصحابة ﷺ أنه في ناحية النخل، وأنه خارج فيهم.

أما زمن خروجه: فإنه يخرج في زمن المهدي، بعد الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية بقليل، ويدركه عيسى بن مريم فيقتله.

ويكون خروجه إثر فتن عظيمة، وقحوط متوالية، في رقة من الدين، وبغض من الناس، واختلاف ذات بين.

فعن حذيفة ﷺ قال: «ثلاث فتن والرابعة تسوقهم إلى الدجال التي ترمي بالرضف والتي ترمي بالنَّشفِ(١) والسوداء المظلمة التي تموج كموج البحر والرابعة تسوقهم إلى الدجال»(٢).

ولعل هذه الرابعة هي فتنة الدهيماء، فعن عبد اللَّه بن عمر ﷺ قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُعُودًا، فَذَكَرَ الْفِتَنَ، فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ(٣)، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ؟ قَالَ: «هِيَ فِتْنَةُ

---

(١) قال ابن الأثير: «(النشف) حجارة سود كأنها أحرقت بالنار وإذا تركت على رأس الماء طفت ولم تغص فيه وهي التي يحك بها الوسخ عن اليد والرجل، ثم التي تليها ترمي بالرضف، يعني أن الأولى من الفتن لا تؤثر في أديان الناس لخفتها، والتي بعدها كهيئة حجارة قد أحميت بالنار فكانت رضفًا فهي أبلغ في أديانهم وأثلم لأبدانهم». النهاية (٥/ ٥٨). وانظر: لسان العرب (٣/ ١٦٦٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة، ح(٣٨٢٨٧)، ونعيم بن حماد، ح(٩٢)، وأبو نعيم في الحلية، ح(٩١٢) واللفظ له.

(٣) قال الخطيب: «فتنة الأحلاس، والأحلاس: جمع حلس، وإنما شبهها بالحلس لظلمتها والتباسها، أو لأنها تركد وتدوم فلا تقلع، يقال: فلان حلس بيته إذا كان يلازم قعر بيته لا يبرح، ويقال: هم أحلاس الخيل: إذا كانوا يلزمون ظهورها، والدخن: الدخان، يريد أنه سبب إثارتها وهيجها، وقوله: كورك على ضلع يريد - واللَّه أعلم - أنهم يجتمعون على رجل غير خليق للملك ولا مستقل به، لأن الورك لا يستقل على الضلع ولا يلائمها، وإنما يقال في باب المشاكلة هو كرأس على جسد أو كف في ذراع ونحوهما من الكلام، والدهيماء: تصغير الدهماء، ولعله صغرها على طريق المذمة، واللَّه أعلم». الفقيه والمتفقه (١/ ٣٩٥ - ٣٩٦).

هَرَبٍ وَحَرَبٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَلُهَا أَوْ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَطَعَتْ تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ، فُسْطَاطُ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطُ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ، إِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ»(١).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ الصادق المصدوق يقول: «إِنَّ الأَعْوَرَ الدَّجَّالَ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ يَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فِي زَمَانِ اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَفُرْقَةٍ، فَيَبْلُغُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الأَرْضِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، اللَّهُ أَعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا، اللَّهُ أَعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا - مَرَّتَيْنِ - وَيُنَزِّلُ اللَّهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، فَيَؤُمُّهُمْ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَتَلَ اللَّهُ الدَّجَّالَ وَأَظْهَرَ الْمُؤْمِنِينَ»(٢).

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ». قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»(٣).

---

(١) رواه أحمد، ح(٦١٦٨) قال الأرناؤوط: «رجاله ثقات رجال الصحيح»، وأبو داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، ح(٤٢٤٢)، والحاكم (٥/ ٦٦١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٩٧٤).

(٢) رواه البزار، ح(٩٦٤٢)، وابن حبان، ح(٦٨١٢) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده قوي»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٩): «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة».

(٣) رواه أحمد، ح(١٣٢٩٨)، والروياني، ح(٥٨٨)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٦٧) ح(١٢٥)، وفي مسند الشاميين، ح(٤٨)، والطحاوي في المشكل، ح(٤٦٤)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١١٩): «وهذا إسناد جيد قوي، تفرد به أحمد من هذا الوجه».

وقال حذيفة ﷺ: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَمَنَّوْنَ فِيهِ الدَّجَّالَ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي وَأُمِّي، مِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «مِمَّا يَلْقَوْنَ مِنَ الْعَنَاءِ وَالْعَنَاءِ»(١).

وعنه ﷺ قال: «لا يخرج الدجال حتى لا يكون غائب أحب إلى المؤمن خروجًا منه»(٢).

وعن أبي الطفيل قال: «كنت بالكوفة، فقيل: خرج الدجال، قال: فأتينا على حذيفة بن أسيد وهو يحدث، فقلت: هذا الدجال قد خرج، فقال: اجلس، فجلست فأتى علي العريف، فقال: هذا الدجال قد خرج وأهل الكوفة يطاعنونه، قال: اجلس، فجلست فنودي: إنها كذبة صباغ، قال: فقلنا: يا أبا سريحة ما أجلستنا إلا لأمر فحدثنا، قال: إن الدجال لو خرج في زمانكم لرمته الصبيان بالخذف، ولكن الدجال يخرج في بغض من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوى له الأرض طي فروة الكبش حتى يأتي المدينة، فيغلب على خارجها ويمنع داخلها، ثم جبل إيلياء فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا باللَّه أو يفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويهزم أصحابه، حتى إن الشجر والحجر والمدر، يقول: يا مؤمن هذا يهودي عندي فاقتله»(٣).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، ح(٤٢٨٩)، والبزار في مسنده، ح(٢٨٤٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨٥): «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات، ورواه البزار بنحوه ورجاله ثقات». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٩٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٦٦٢) وقال محقق كتاب السنن الواردة في الفتن للداني (٦/ ١١٦٨): «صحيح».

(٣) رواه الحاكم (٥/ ٧٣٨ - ٧٣٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي وقال: «على شرط البخاري ومسلم».

وعن عائشة ﵂: «أن رسول اللَّه ﷺ ذَكَرَ جَهْدًا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الدَّجَّالِ فَقَالُوا: أَيُّ الْمَالِ خَيْرٌ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «غُلَامٌ شَدِيدٌ يَسْقِي أَهْلَهُ الْمَاءَ، وَأَمَّا الطَّعَامُ فَلَيْسَ» قَالُوا: فَمَا طَعَامُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّهْلِيلُ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ»[(١)].

وعن أبي أمامة ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ، يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الأُولَى أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُقْطِرُ قَطْرَةً، وَيَأْمُرُ الأَرْضَ فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ، فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، قِيلَ: فَمَا يُعِيشُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ قَالَ: التَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ»[(٢)].

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ[(٣)] فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٤٤٧٠) وقال الأرناؤوط: «إسناده فيه ضعف وانقطاع»، وأبو يعلى في مسنده، ح(٤٦٠٧)، وقال ابن كثير: «تفرد به أحمد، وإسناده صحيح فيه غرابة، وتقدم في حديث أسماء، وأبي أمامة شاهد له، واللَّه أعلم». البداية والنهاية (١٩/ ١٧٧)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٥)، وقال البوصيري: «رواه أبو يعلى الموصلي بسند فيه علي بن زيد بن جدعان، وأحمد بن حنبل، ورواته ثقات. وله شاهد من حديث ابن عمر، رواه الحاكم، وصححه». إتحاف الخيرة المهرة (٨/ ١٢٩)، وصححه الألباني في الصحيحة بالشواهد، ح(٣٠٧٩).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٧٥).

(٣) «الأعماق بفتح الهمزة وبالعين المهملة ودابق بكسر الباء الموحدة، موضعان بالشام بقرب حلب». شرح مسلم للنووي (١٨/ ٢١).

أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا[١] نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا[٢] وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ[٣] فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لاَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[٤].

وعن يُسَير بن جابر رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَى[٥] إِلاَّ: يَا عَبْدَاللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ جَاءَتِ السَّاعَةُ. قَالَ: فَقَعَدَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ. ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّامِ - فَقَالَ: عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢١): «روي سبوا على وجهين فتح السين والباء، وضمهما، قال القاضي في المشارق: الضم رواية الأكثرين. قال: وهو الصواب. قلت: كلاهما صواب، لأنهم سُبُوا أولًا ثم سَبَوا الكفار».

(٢) أي لا يلهمهم التوبة. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٢١).

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢١ - ٢٢): «هي بضم القاف وإسكان السين وضم الطاء الأولى وكسر الثانية وبعدها ياء ساكنة ثم نون، هكذا ضبطناه، وهو المشهور، ونقله القاضي في المشارق عن المتقين والأكثرين، وعن بعضهم زيادة ياء مشددة بعد النون، وهي مدينة مشهورة من أعظم مدائن الروم». قلت: هي إستانبول (إصطنبول) التركية اليوم، وسيأتي بيان فتحها.

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم، ح(٢٨٩٧).

(٥) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٤): «هو بكسر الهاء والجيم المشددة مقصور الألف، أي شأنه ودأبه ذلك».

لأَهْلِ الإِسْلَامِ وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الإِسْلَامِ. قُلْتُ: الرُّومَ تَعْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ وَتَكُونُ عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ(١) فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً(٢) لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً فَيَقْتَتِلُونَ حَتَّى يُمْسُوا فَيَفِيءُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ نَهَدَ(٣) إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الإِسْلَامِ فَيَجْعَلُ اللَّهُ الدَّبْرَةَ(٤) عَلَيْهِمْ فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ لَا يُرَى مِثْلُهَا وَإِمَّا قَالَ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - حَتَّى إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ فَمَا يُخَلِّفُهُمْ حَتَّى يَخِرَّ مَيْتًا فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مِائَةً فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيُقْبِلُونَ فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ»(٥).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ

---

(١) «هو بالفتح، أي عطفة قوية». لسان العرب (٣/ ١٦٢٢).

(٢) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٤): «الشرطة بضم الشين طائفة من الجيش تقدم للقتال».

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٤): «هو بفتح النون والهاء أي نهض».

(٤) الدبرة: بفتح الدال والباء، أي جعل الهزيمة عليهم. النهاية في غريب الحديث (٢/ ٩٨).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال، ح(٢٨٩٩).

فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»(١).

فهذا بيان لوقت خروجه وما يسبقه من أمور وفتن ومحن تدل عليه.

وأما جهة خروجه:

فإنه يخرج من قبل المشرق، فعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»(٢).

وعن عائشة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ وَأَنَا حَيٌّ كَفَيْتُكُمُوهُ، وَإِنْ يَخْرُجْ بَعْدِي، فَإِنَّ رَبَّكُمْ عز وجل لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِي يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ، حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ فَيَنْزِلَ نَاحِيَتَهَا، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانِ، فَيَخْرُجَ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا»(٣).

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ(٤)، ....

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٢٠٢٣، ٢٢١٢١)، وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده ضعيف»، وابن الجعد في مسنده، ح(٣٤٠٥)، وابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٣٦٤) موقوفًا، وأبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب في أمارات الملاحم، ح(٤٢٩٤)، وحسنه الألباني في تعليقه، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٨) ح(٢١٤)، والحاكم (٥/ ٦٠١) موقوفًا، وقال: «هذا الحديث وإن كان موقوفًا فإن إسناده صحيح على شرط الرجال»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٠٩): «وهذا إسناد جيد وحديث حسن، وعليه نور الصدق وجلالة النبوة».

(٢) رواه أحمد، ح(١٢، ٣٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء من أين يخرج الدجال، ح(٢٢٣٧)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٢)، والبزار، ح(٤٧)، وأبو يعلى، ح(٣٣)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(١٢٨٥)، والحاكم (٥/ ٧٣٦)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٥٩١).

(٣) رواه أحمد، ح(٢٤٤٦٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٨): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة».

(٤) قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٢٨): «قال أبو نعيم في تاريخ أصبهان: كانت اليهودية من جملة =

مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِمُ السِّيجَانُ(١)»(٢).

وفي رواية: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»(٣).

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: ذكر رسول اللَّه ﷺ الدجال، وفيه: «إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً(٤) بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا»(٥).

وفي رواية: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ»(٦).

وعن فاطمة بنت قيس ﷺ - في قصة تميم الداري مع الدجال - وفيه قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ما هُوَ(٧) مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ»، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ»(٨).

= قرى أصبهان، وإنما سميت اليهودية لأنها كانت تختص بسكنى اليهود».

(١) السيجان: جمع ساج، وهي الطيالسة كما في الرواية الأخرى وغيرها، جمع طيلسان، ينسج من الحرير وغيره ويوضع على الكتف. انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٢٩٢)، ولابن الجوزي (١/ ٥١١)، والنهاية (٢/ ٤٣٢).

(٢) رواه أحمد، ح(١٣٣٤٤) وقال الأرناؤوط: «حديث حسن»، والبزار، ح(٦٤١٦)، وأبو يعلى، ح(٣٦٣٩)، والطبراني في الصغير، ح(٤٩٣٠) وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٢٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(٢٩٤٤).

(٤) الخَلَّة: بفتح الخاء المعجمة واللام وتنوين التاء. أي في طريق بينهما. انظر: شرح مسلم للنووي (١٨/ ٦٥)، والنهاية (٢/ ٧٣).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).

(٦) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٥)، والروياني، ح(١٢٣٩)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(٦١٤).

(٧) أي ليس هو إلا من جهة المشرق، و(ما) صلة زائدة للتأكيد وليست نافية، وكرر ذلك لزيادة التأكيد والجزم أنه من جهة المشرق. انظر: إكمال المعلم (٨/ ٥٠٢)، والتذكرة للقرطبي (٣/ ١٣٤٤)، وشرح مسلم للنووي (١٨/ ٧٣).

(٨) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ح(٢٩٤٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَهِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ»(١).

فهذه الأحاديث تدل على أن خروج الدجال من جهة المشرق، قال ابن حجر رحمه الله: «وأما من أين يخرج؟ فمن قبل المشرق جزمًا»(٢)، فهذا لا شك فيه، وقد جاء بيانه في الأحاديث بأنه: «مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ»، «مِنْ يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ»، «مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ».

قال ابن كثير رحمه الله: «فيكون بدو ظهوره من أصبهان من حارة بها يقال لها: اليهودية. وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي، عليهم الأسلحة والسيجان، وهي الطيالسة الخضر»(٣).

قلت: هذا بدو الظهور والاتباع، وأما أول مدينة يخرج فيها بعد البحر فخراسان، ثم يأتي أصفهان فيتبع، ويخرج منها ومعه سبعون ألفًا من يهودها، ويتوجه بهم إلى بلاد العرب، فيدخلها من خَلة بين الشام والعراق، فمن خراسان يبدأ خروجه، ومن أصفهان يؤيد وينصر، ومن خلة بين الشام والعراق يخرج على بلاد العرب، «فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا»، وينتشر شره، وتعظم فتنه، ويكثر أتباعه، هذا الذي ظهر لي في الجمع بين الروايات، وكلها صحيحة، والأمر على الاحتمال، والعلم عند الله تعالى.

وأما صفاته:

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، ح(١٣٨٠)، ولفظ (الدجال) زيادة عند أحمد، ح(٩١٦٦).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٩١). (٣) البداية والنهاية (١٩/ ٢٠٥).

الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا»[١].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه - في حديث الدجال الطويل - وفيه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي»[٢].

قال القرطبي رحمه الله: «وصف النبي ﷺ الدجال وصفًا لم يبق معه لذي لب إشكال»[٣].

فمن هذه الأوصاف:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ يَنْطُفُ أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ جَسِيمٌ أَحْمَرُ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ»[٤].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول اللَّه ﷺ الدجال، وفيه: «إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ[٥] عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ[٦]»[٧].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٢٧٦٤)، وأبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح(٤٣٢٠)، والبزار، ح(٢٦٨١)، والشاشي، ح(١٢١٤)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(١١٥٧)، والضياء في المختارة، ح(٣٢٠، ٣٢١)، وقال الذهبي في تذييله على أخبار الدجال للمقدسي ص(١٤): «هذا حديث حسن متصل»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح(٢٤٥٩).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٧٥).

(٣) التذكرة (٣/ ١٢٧٩).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح(٧١٢٨).

(٥) قطط: أي شديد جعودة الشعر. انظر: النهاية (٤/ ٨١)، شرح مسلم للنووي (١٨/ ٦٥).

(٦) ابن قطن: هو عبد العزى بن قطن بن عمرو الخزاعي، وقيل: من بني المصطلق من خزاعة، وأمه هالة بنت خويلد، هلك في الجاهلية. انظر: فتح الباري (٦/ ٨٨) و(١٣/ ٩٨).

(٧) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).

رَجُلٌ قَصِيرٌ، أَفْحَجُ[١]، جَعْدٌ، أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ[٢]، وَلَا حَجْرَاءَ[٣]، فَإِنْ أُلْبِسَ عَلَيْكُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[٤].

وعن هشام بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»[٥].

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها - في قصة تميم الداري مع الدجال - وفيه قال تميم الداري: «فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ[٦] فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا»[٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «وَأَمَّا مَسِيحُ الضَّلَالَةِ، فَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ، أَجْلَى الْجَبْهَةِ، عَرِيضُ النَّحْرِ، فِيهِ دَفَأٌ[٨]، كَأَنَّهُ قَطَنُ بْنُ

---

(١) «"أفحج": بفاء ساكنة ثم مهملة مفتوحة ثم جيم، من الفحج وهو تباعد ما بين الساقين أو الفخذين، وقيل تداني صدور القدمين مع تباعد العقبين، وقيل هو الذي في رجله اعوجاج». فتح الباري (١٣/ ٩٧).

(٢) النتوء: البروز. انظر: فتح الباري (١/ ١٩٢).

(٣) «"حجراء": بفتح الجيم وسكون المهملة ممدود، أي عميقة». فتح الباري (١٣/ ٩٧).

(٤) رواه أحمد، ح(٢٢٧٦٤)، وأبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح(٤٣٢٠)، والبزار، ح(٢٦٨١)، والشاشي، ح(١٢١٤)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(١١٥٧)، والضياء في المختارة، ح(٣٢٠، ٣٢١)، وقال الذهبي في تذييله على أخبار الدجال للمقدسي ص(١٤): «هذا حديث حسن متصل»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح(٢٤٥٩).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(٢٩٤٦) ولكن بلفظ: «خَلْقٌ أَكْبَرُ من الدَّجَّالِ».

(٦) قال النووي في شرح مسلم (١٦/ ١٠٥): «الدير كنيسة منقطعة عن العمارة تنقطع فيها رهبان النصارى لتعبدهم وهو بمعنى الصومعة، وهي نحو المنارة ينقطعون فيها عن الوصول إليهم والدخول عليهم». قلت: المراد هنا القصر، لرواية أبي داود، ح(٤٣٢٥) وفيها: «قَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْقَصْرِ، فَأَتَيْتُهُ، فَإِذَا رَجُلٌ يَجُرُّ شَعْرَهُ، مُسَلْسَلٌ فِي الأَغْلَالِ، يَنْزُو فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الدَّجَّالُ».

(٧) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ح(٢٩٤٢).

(٨) أي: انحناء. انظر: النهاية (٢/ ١٢٦)، ولسان العرب (٢/ ١٣٩٣، ١٣٩٩).

عَبْدِ الْعُزَّى»[١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر»[٢].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ[٣] غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ»[٥].

وفي رواية: «أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»[٦].

وفي رواية: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا وَصَفَهُ لِأُمَّتِهِ، وَلَأَصِفَنَّهُ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا مَنْ كَانَ قَبْلِي، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، عَيْنُهُ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»[٧].

وفي رواية: «إِنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، وَعَيْنُهُ الْأُخْرَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»[٨].

---

(١) رواه أحمد، ح(٧٩٠٥) والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٣٥) ح(٨٦٠)، وقال ابن كثير: «تفرد به أحمد، وإسناده حسن». البداية والنهاية (١٩/ ٢٠٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٣).

(٣) «الظفرة بالتحريك: جليدة تغشى العين ناتئة من الجانب الذي يلي الأنف على بياض العين إلى سوادها». الصحاح للجوهري (٢/ ٧٣٠)، وانظر: فتح الباري (١٣/ ٩٨).

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٤).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(١٦٩).

(٦) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح(٧١٢٣).

(٧) رواه أحمد، ح(٤٨٠٤) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح»، وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد حسن». البداية والنهاية (١٩/ ١٧٣).

(٨) رواه أحمد، ح(٦٠٧٠) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما - في قصة الإسراء - قال: «فسئل النبي ﷺ عن الدجال فقال: «رَأَيْتُهُ فَيْلَمَانِيًّا(١) أَقْمَرَ هِجَانًا، إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ، كَأَنَّ شَعْرَهُ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ»(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعَرِ(٣) معه جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ»(٤).

وعن رجل من أصحاب النبي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمُ الْكَذَّابَ الْمُضِلَّ، وَإِنَّ رَأْسَهُ مِنْ بَعْدِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ حُبُكٌ(٥) - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - وَإِنَّهُ سَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَمَنْ قَالَ: لَسْتَ رَبَّنَا، لَكِنَّ رَبَّنَا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْهِ أَنَبْنَا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ»(٦).

وفي رواية: «إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ - أَوْ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ - الْكَذَّابَ الْمُضِلَّ، وَإِنَّ رَأْسَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ، وَإِنَّهُ سَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَمَنْ قَالَ: كَذَبْتَ لَسْتَ رَبَّنَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَبُّنَا، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْهِ أَنَبْنَا، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهِ»(٧).

وعن رجل من أصحاب النبي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ، فَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ أَوْ أُمَّتَهُ، وَإِنَّهُ آدَمُ جَعْدٌ

---

(١) الفيلماني: العظيم الجثة. النهاية (٣/ ٤٧٤).

(٢) رواه أحمد، ح(٣٥٤٦) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، وأبو يعلى، ح(٢٧٢٠)، وصحح إسناده ابن كثير في التفسير (٨/ ٤٠٩)، وحسنه الألباني في الضعيفة (٤/ ٤٣٩).

(٣) جفال الشعر: أي كثيره. انظر: النهاية (١/ ٢٨٠).

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٤).

(٥) الحبك: المتكسر من الجعودة، مثل الماء القائم تضربه الريح فيكون له حبك. غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٦٠٣).

(٦) رواه أحمد، ح(٢٣١٥٩) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين»، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٤٣): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٨٠٨).

(٧) رواه أحمد، ح(٢٣٤٨٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين».

أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى، وَإِنَّهُ يُمْطِرُ وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَةَ، وَإِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَى نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا ثُمَّ يُحْيِيهَا وَلَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ وَنَهْرٌ وَمَاءٌ وَجَبَلُ خُبْزٍ، وَإِنَّ جَنَّتَهُ نَارٌ وَنَارَهُ جَنَّةٌ، وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ إِلَّا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَالطُّورِ، وَمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَإِنْ شَكَلَ عَلَيْكُمْ أَوْ شُبِّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في الدجال: «أَعْوَرُ هِجَانٌ[(٢)] أَزْهَرُ، كَأَنَّ رَأْسَهُ أَصَلَةٌ[(٣)]، أَشْبَهُ النَّاسِ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَإِمَّا هَلَكَ الْهُلَّكُ[(٤)]، فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[(٥)].

وفي رواية: «الدَّجَّالُ جَعْدٌ هِجَانٌ أَقْمَرُ[(٦)]، كَأَنَّ رَأْسَهُ غُصْنُ شَجَرَةٍ، مَطْمُوسُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى وَالْأُخْرَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ قَطَنٍ، فَأَمَّا هَلَكَ الْهُلَّكِ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[(٧)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «صحبت ابن صائد إلى مكة، فقال لي: أما قد لقيتُ من الناس يزعمون أني الدجال ألست سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٣٦٨٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، وقال ابن حجر: «رجاله ثقات». فتح الباري (١٣/ ٩٣).

(٢) «هجان»: بكسر أوله وتخفيف الجيم أي أبيض أزهر. فتح الباري (١٣/ ١٠٠). وانظر: النهاية (٥/ ٢٤٧).

(٣) الأَصَلة بفتحات: الأفعى، وقيل: هي الحية العظيمة الضخمة، والعرب تشبه الرأس الصغير الكثير الحركة برأس الحية. انظر: لسان العرب (١/ ٨٩).

(٤) ««الهُلَّكُ»: بالضم والتشديد، جمع هالك، أي فإن هَلَكَ به ناس جاهلون وضلُّوا فاعلموا أن اللَّه ليس بأعور». لسان العرب (٦/ ٤٦٨٨).

(٥) رواه أحمد، ح(٢١٤٨) وقال الأرناؤوط: «صحيح لغيره، رجاله ثقات رجال الصحيح»، والطيالسي، ح(٢٦٧٨)، وابن حبان، ح(٦٧٩٦)، والطبراني، ح(١١٧١١)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١١٩٣).

(٦) الأقمر: الأبيض الشديد البياض. غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٣٠٨).

(٧) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٦٢٥)، والطبراني في الكبير، ح(١١٧١٢، ١١٧١٣).

«إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ». قال: قلت: بلى»(١).

فتلخص من ما مضى أن الدجال: رجل، شاب، عظيم الخلقة جسيم، قصير القامة مع انحناء، أجلى الجبهة، عريض النحر، متباعد الساقين، صغير الرأس كأن رأسه رأس حية، أو غصن شجرة، جعد كثير الشعر، آدم البشرة مع احمرار ولمعان، ممسوح العين أعور كأن عينه عنبة طافية، وعلى عينه ظفرة غليظة، عقيم، مكتوب بين عينيه كافر، يقرأ ذلك كل مؤمن.

وقد أشكل من وصفه وصفان:

الأول: لونه.

والثاني: عوره.

وأما اللون: فقد وصف بأنه: «أَحْمَرُ»، «آدَمُ»، «هِجَانٌ أَزْهَرُ»، «هِجَانٌ أَقْمَرُ». فالأحمر والهجان والأزهر والأقمر معناها: أنه أبيض شديد البياض مشرب بحمرة، والآدم الأسمر، وهو يخالف الأول.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في محاولة الجمع بين الأحمر والآدم: «يمكن أن تكون أدمته صافية، ولا ينافي أن يوصف مع ذلك بالحمرة لأن كثيرًا من الأدم قد تحمر وجنته»(٢).

قلت: لا يخفى ما في هذا الجمع من تكلف، لاسيما وقد قال بنفسه: «والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة والآدم الأسمر»(٣)، نعم قد تحمر وجنة الأسمر عند التعب ونحوه، ولكن لا يطلق عليه أنه أحمر، ثم الوصف بأنه هجان أقمر أزهر، ينافي السمرة أيضًا، فالإشكال قائم، فإما أن يسلك في الجواب مسلك الترجيح ويقال: إن رواية الصحيح «أحمر»، وتؤيدها

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح(٢٩٢٧).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٩٧). (٣) فتح الباري (٦/ ٤٨٦).

رواية ابن عباس «هجان أزهر أقمر»، أقوى سندًا، وأظهر في البيان، فتقدم لاسيما وفي هذا الحديث مخالفة أخرى تخالف ما في الصحيح وهي قوله: «وَإِنَّهُ يُمْطِرُ وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَةَ»، فهذه تخالف ما سيأتي في حديث النواس بن سمعان في الصحيح، ففيه: «فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عليهم سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ ما كانت ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ»، فتكون هذه الرواية غلطًا، وإن كان سندها صحيحًا.

وإما أن يقال: إن هذا من جملة دجل الدجال وتمويهه وشعوذته فيغير هذه الصفة تضليلًا ودجلًا، غير أن هناك علامة لايضل فيها أحد، ولا يستطيع الدجال أن ينفك عنها وهي عيب عينه، ولذلك قال ﷺ: «فَأَمَّا هَلَكُ الْهُلَّكِ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، فكأنه يقول: فمهما كانت الحال والصفات وضل فيها الناس وهلكوا فأعلموا أنه أعور، وأن ربكم ليس بأعور، فتكفيكم هذه الصفة في معرفة نقصه وعيبه ودجله، وتغنيكم عن بقية الصفات. والله أعلم.

وأما العور وعيب العين: فالألفاظ فيها:

«أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ»، «عَيْنُهُ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»، «إِنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، وَعَيْنُهُ الْأُخْرَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»، «إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ»، «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى»، «مَطْمُوسُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى وَالأُخْرَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»، «عَيْنُهُ طَافِئَةٌ»، «أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلَا حَجْرَاءَ»، «مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ».

فالألفاظ: بعضها متعلق باليمنى، وبعضها باليسرى، وبعضها لم يحدد عينا، وبعضها جمع العينين معًا.

فجاء في اليمنى: «أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ»، «عَيْنُهُ الْيُمْنَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»، «إِنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، وَعَيْنُهُ الْأُخْرَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

وجاء في اليسرى: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى»، «مَطْمُوسُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى وَالأُخْرَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

«وعِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»: بياء غير مهموزة من الطفو، أي بارزة، ومعناه أنها ناتئة نتوء حبة العنب من بين أخواتها، ويناسبها من الألفاظ العامة قوله ﷺ: «إِحْدَى عَيْنَيْهِ قَائِمَةٌ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ».

«وعِنَبَةٌ طَافِئَةٌ»: بالهمز من الانطفاء، وهي التي ذهب ضوؤها، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «وضبطه بعض الشيوخ بالهمز وأنكره بعضهم ولا وجه لإنكاره، فقد جاء في آخر أنه ممسوح العين مطموسة وليست جحراء ولا ناتئة، وهذه صفة حبة العنب إذا سال ماؤها»(١).

ويناسبها من الألفاظ العامة قوله ﷺ: «عَيْنُهُ طَافِئَةٌ»، «أَعْوَرُ مَطْمُوسُ الْعَيْنِ، لَيْسَ بِنَاتِئَةٍ، وَلَا حَجْرَاءَ»، «مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ».

فاجتمع عندنا من مجموع الألفاظ أن الدجال:

عينه اليمنى: عوراء، بارزة كأنها كوكب دري، وعنبة طافية.

واليسرى: عوراء، مطموسة، منطفئة، ممسوحة، عليها ظفرة غليظة، لا بارزة ولا غائرة.

وقد جمع ذلك في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَطْمُوسُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى وَالأُخْرَى كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ».

فاليمنى الصحيح فيها: «طَافِيَةٌ»، بالياء من البروز، لأن هذه اللفظة وردت في العين اليمنى في حديث ابن عمر بالهمز وبالياء، وأكثر الروايات جاءت بالياء، وهي المتناسبة مع حديث ابن عباس الذي فيه تفصيل، كما أن رواية الهمز بمعنى الانطفاء وذهاب النور يناسب وصف اليسرى بالمطموسة، والله أعلم.

---

(١) إكمال المعلم (١/ ٥٢١ - ٥٢٢)، وانظر شرح مسلم للنووي (٢/ ٢٣٥)، وفتح الباري (١٣/ ٩٧).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يتحصل من مجموع الأخبار أن الصواب في طافية أنه بغير همز فإنها قيدت في رواية الباب بأنها «اليمنى»، وصرح في حديث عبد اللَّه بن مغفل وسمرة وأبي بكرة بأن عينه اليسرى ممسوحة، والطافية هي البارزة وهي غير الممسوحة، والعجب ممن يجوز رواية الهمز في «طافية» وعدمه، مع تضاد المعنى في حديث واحد، فلو كان ذلك في حديثين لسهل الأمر، وأما الظفرة فجائز أن تكون في كلا عينيه لأنه لا يضاد الطمس ولا النتوء، وتكون التي ذهب ضوؤها هي المطموسة والمعيبة مع بقاء ضوئها هي البارزة، وتشبيهها بالنخاعة في الحائط المجصص في غاية البلاغة، وأما تشبيهها بالزجاجة الخضراء وبالكوكب الدري فلا ينافي ذلك فإن كثيرًا ممن يحدث له في عينه النتوء يبقى معه الإدراك فيكون الدجال من هذا القبيل واللَّه أعلم»(١).

وعكس القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبنى على حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا برواية الهمز لليمين، وجعل البارزة هي اليسرى حيث قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجمع بين الأحاديث وتصحح الروايات جميعًا بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة هي العوراء الطافئة بالهمز وهي العين اليمنى كما جاء هنا وتكون الجاحظة والتي كأنها كوكب وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز وهي العين اليسرى كما جاء في الرواية الأخرى، وهذا جمع بين الأحاديث والروايات في الطافية بالهمز وبتركه وأعور العين اليمنى واليسرى لأن كل واحدة منهما عوراء فإن الأعور من كل شيء المعيب لاسيما ما يختص بالعين، وكلا عيني الدجال معيبة عوراء إحداهما بذهابها والأخرى بعيبها، هذا آخر كلام القاضي وهو في نهاية من الحسن واللَّه أعلم»(٢).

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٩٨).

(٢) شرح مسلم (٢/ ٢٣٥)، وانظر: كلام القاضي في إكمال المعلم (١/ ٥٢٢) و(٨/ ٤٧٨)، وانظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٨٠ - ١٢٨١)، والبداية والنهاية (١٩/ ١٩٥)، وفتح الباري (١٣/ ٩٧ - ٩٨).

وعل كل ففي هذا دلالة أن كلا عيني الدجال معيبة، وأن عيب العين فيه ظاهر لا يلتبس على أحد، وقد بينه النبي ﷺ بيانًا لا يهلك بعده إلا هالك، وقد قال عن ذلك: «وَلَأَصِفَنَّهُ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا مَنْ كَانَ قَبْلِي، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، وقال: «فَأَمَّا هَلَكُ الْهُلَّكِ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، «وَإِنْ شَكَلَ عَلَيْكُمْ أَوْ شُبِّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ».

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما اقتصر على ذلك مع أن أدلة الحدوث في الدجال ظاهرة لكون العور أثر محسوس يدركه العالم والعامي ومن لا يهتدي إلى الأدلة العقلية، فإذا ادعى الربوبية وهو ناقص الخلقة والإله يتعالى عن النقص علم أنه كاذب»(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقوله ﷺ: «إنه أعور...» تنبيه للعقول القاصرة أو الغافلة على أن من كان ناقصًا في ذاته عاجزًا عن إزالة نقصه لم يصلح أن يكون إلهًا لعجزه وضعفه، ومن كان عاجزًا عن إزالة نقصه كان أعجز عن نفع غيره وعن مضرته»(٢).

وقوله ﷺ: «وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر»، «مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ».

وفي رواية: «إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ»(٣).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصحيح الذي عليه المحققون أن هذه الكتابة على ظاهرها، وأنها كتابة حقيقة جعلها اللَّه آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله، ويظهرها اللَّه تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٩٦)، وانظر: شرح مسلم للنووي (١٨/ ٦٠).

(٢) التذكرة (٣/ ١٢٧٩٩)، وهو كلام شيخه في المفهم (٧/ ٢٦٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، (٤/ ٢٢٤٥) ح(١٦٩).

عمن أراد شقاوته وفتنته ولا امتناع في ذلك، وذكر القاضي فيه خلافًا: منهم من قال: هي كتابة حقيقة كما ذكرنا، ومنهم من قال: هي مجاز وإشارة إلى سمات الحدوث عليه، واحتج بقوله: «يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب». وهذا مذهب ضعيف»[(١)].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فبين عينيه مكتوب: كافر. كتابة ظاهرة، وقد حقق ذلك الشارع في خبره بقوله: «ك ف ر». فدل ذلك على أنه كتابة حسية، لا معنوية، كما يقوله بعض الناس»[(٢)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو مذهب ضعيف، ولا يلزم من قوله: «يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» أن لا تكون الكتابة حقيقة، بل يقدر اللَّه على غير الكاتب علم الإدراك فيقرأ ذلك وإن لم يكن سبق له معرفة الكتابة، وكأن السر اللطيف في أن الكاتب وغير الكاتب يقرأ ذلك لمناسبة أن كونه أعور يدركه كل من رآه فاللَّه أعلم»[(٣)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تأول بعض الناس قوله ﷺ: «مَكْتُوبٌ بين عَيْنَيْهِ كَافِر»، وقال: معنى ذلك ما ثبت من سمات حدثه وشواهد عجزه وظهور نقصه. قال: ولو كان على ظاهره وحقيقته لاستوى في إدراك ذلك المؤمن والكافر، وهذا عدول وتحريف عن حقيقة الحديث من غير موجب لذلك، وما ذكره من لزوم المساواة بين المؤمن والكافر في قراءة ذلك لا يلزم لوجهين: أحدهما: أن اللَّه تعالى يمنع الكافر من إدراكه، لاسيما وذلك الزمان قد انحرفت فيه عوائد، فليكن هذا منها. وقد نص على هذا في بعض طرقه فقال: «يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»، وقراءة غير الكاتب خارقة

---

(١) شرح مسلم (١٨/ ٦٠ - ٦١)، وانظر: إكمال المعلم (٨/ ٤٧٦)، والمفهم (٧/ ٢٦٧ - ٢٦٨)، والتذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٨٢ - ١٢٨٣).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ١٩٤).

(٣) فتح الباري (١٣/ ١٠٠).

للعادة. وثانيهما: أن المؤمن إنما يدركه لتثبته ويقظته، ولسوء ظنه بالدجال، وتخوفه من فتنته، فهو في كل حال يستعيد النظر في أمره، ويستزيد بصيرة في كذبه، فينظر في تفاصيل أحواله، فيقرأ سطور كفره وضلاله، ويتبين عين حاله. وأما الكافر فمصروف عن ذلك كله بغفلته وجهله، وكما انصرف عن إدراك نقص عوره وشواهد عجزه، كذلك يصرف عن فهم قراءة سطور كفره ورمزه»(١).

وأما الذي مع الدجال من الفتن والخوارق:

فعن حذيفة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعَرِ معه جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ»(٢).

وفي رواية قال ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مع الدَّجَّالِ منه معه، نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رأي الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الذي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ ليطأطئ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ منه فإنه مَاءٌ بَارِدٌ»(٣).

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: ذكر رسول اللَّه ﷺ الدجال، وفيه: «قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ وما لَبْثُهُ في الأرض؟ قال: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الذي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فيه صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قال: «لَا اقْدُرُوا له قَدْرَهُ» قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ وما إِسْرَاعُهُ في الأرض؟ قال: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي على الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ له فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ(٤) عليهم

---

(١) المفهم (٧/ ٢٦٨ - ٢٦٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٤).

(٣) المصدر السابق ح(٢٩٣٤).

(٤) تروح: معناه ترجع آخر النهار. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٦٦).

سَارِحَتُهُمْ[١] أَطْوَلَ ما كانت ذُرًا[٢] وَأَسْبَغَهُ[٣] ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عليه قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ ليس بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ من أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فيقول لها: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ[٤] النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ»[٥].

وعن أبي أمامة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ، فَلْيَسْتَغِثْ بِاللَّهِ، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ فتكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلامًا، كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ: يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَيَقْتُلَهَا وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولَ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الآنَ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي، فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ، وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ، أَنْتَ الدَّجَّالُ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ»[٦].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: حدثنا رسول اللَّه ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال فكان فيما يحدثنا به أنه قال: «يَأْتِي الدَّجَّالُ وهو مُحَرَّمٌ عليه أَنْ

---

(١) السارحة: هي الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى المرعى. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٦٦).

(٢) الذرى: بضم الذال المعجمة وهي الأعالي والأسنمة، جمع ذروة بضم الذال وكسرها. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٦٦).

(٣) أي أطوله لكثرة اللبن، وكذا أمده خواصر، لكثرة امتلائها من الشبع. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٦٦).

(٤) هي ذكور النحل. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٦٦).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).

(٦) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٧٥).

يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ[(١)] التي تَلِي الْمَدِينَةَ[(٢)] فَيَخْرُجُ إليه يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ وهو خَيْرُ الناس أو من خِيَارِ الناس فيقول: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الذي حدثنا رسول اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فيقول الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إن قَتَلْتُ هذا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هل تَشُكُّونَ في الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فيقول: واللَّه ما كنت فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فلا يُسَلَّطُ عليه»[(٣)].

وفي رواية: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ من الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ[(٤)] مَسَالِحُ الدَّجَّالِ فَيَقُولُونَ له: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فيقول: أَعْمِدُ إلى هذا الذي خَرَجَ، قال: فَيَقُولُونَ له: أَوَ ما تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فيقول: ما بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فيقول بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قد نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ؟ قال: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إلى الدَّجَّالِ فإذا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قال: يا أَيُّهَا الناس هذا الدَّجَّالُ الذي ذَكَرَ رسول اللَّهِ ﷺ، قال: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ[(٥)] فيقول: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قال: فيقول: أَوَ ما تُؤْمِنُ بِي؟ قال: فيقول: أنت الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قال: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ من مَفْرِقِهِ حتى يُفَرَّقَ بين رِجْلَيْهِ، قال: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بين الْقِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يقول له: قُمْ فَيَسْتَوِي قَائِمًا قال: ثُمَّ يقول له: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فيقول: ما ازْدَدْتُ فِيكَ إلا بَصِيرَةً قال: ثُمَّ يقول: يا أَيُّهَا الناس إنه لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ من الناس قال: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ فَيُجْعَلَ ما بين رَقَبَتِهِ إلى تَرْقُوَتِهِ

---

(١) السباخ: بكسر المهملة وتخفيف الموحدة جمع سبخة بفتحتين وهي الأرض الرملة التي لا تنبت لملوحتها، وهذه الصفة خارج المدينة من غير جهة الحرة. فتح الباري (١٣/ ١٠٢).

(٢) أي من قبل الشام. فتح الباري (١٣/ ١٠٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح(٧١٣٢)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه، ح(٢٩٣٨).

(٤) والمسالح: قوم معهم سلاح يرتبون في المراكز كالخفر، أسموا بذلك لحملهم السلاح. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٧٢ - ٧٣).

(٥) أي يمد للضرب، والشبح مدك شيئًا بين أوتاد. مشارق الأنوار (٢/ ٢٤٣).

نُحَاسًا فلا يَسْتَطِيعُ إليه سَبِيلًا قال: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ فَيَحْسِبُ الناس إنما قَذَفَهُ إلى النَّارِ وَإِنَّمَا أُلقِيَ في الْجَنَّةِ فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «هذا أَعْظَمُ الناس شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»(١).

وعن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ، فَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ أَوْ أُمَّتَهُ، وَإِنَّهُ آدَمُ جَعْدٌ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى، وَإِنَّهُ يُمْطِرُ وَلَا يُنْبِتُ الشَّجَرَةَ(٢)، وَإِنَّهُ يُسَلَّطُ عَلَى نَفْسٍ فَيَقْتُلُهَا ثُمَّ يُحْيِيهَا وَلَا يُسَلَّطُ عَلَى غَيْرِهَا، وَإِنَّهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ وَنَهْرٌ وَمَاءٌ وَجَبَلُ خُبْزٍ، وَإِنَّ جَنَّتَهُ نَارٌ وَنَارَهُ جَنَّةٌ، وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ إِلَّا أَرْبَعَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَالطُّورِ، وَمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَإِنْ شَكَلَ عَلَيْكُمْ أَوْ شُبِّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(٣).

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر ما سألته، وإنه قال لي: «مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ؟» قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ. قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»(٤).

وقد اختلف أهل العلم - رحمهم اللَّه - في هذه الخوارق التي مع الدجال هل هي حقيقة على ظاهرها، أو أنها تخيلات ودجل وليست بحقائق، وهو أهون وأحقر من أن يشابه الرسل في المعجزات، أو يأتي بأمور يختص بفعلها رب الأرض والسماوات، من إنزال المطر وإنبات الأرض وإحياء الموتى.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه، ح(٢٩٣٨).

(٢) هذا يخالف ما في حديث النواس بن سمعان: «فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عليهم سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ ما كانت ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِر»، وهو عند مسلم، فيقدم على هذا.

(٣) رواه أحمد، ح(٢٣٦٨٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، وقال ابن حجر: «رجاله ثقات». فتح الباري (١٣/ ٩٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح(٧١٢٢).

فذهب الطحاوي والبيهقي وابن حزم وغيرهم[١] إلى القول بأن هذه الأمور ليست بحقيقة وإنما هي تخيلات، واستدلوا بحديث حذيفة وغيره أن ماءه نار، وناره ماء بارد، وإنما ذلك في رأي العين، وبقول النبي ﷺ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ».

وخالفهم جماهير أهل السنة، وقالوا: إن هذه الأمور حقيقة، وأن اللَّه تعالى جعلها فتنة، وهي متناسبة مع ما يدعيه الدجال من الربوبية.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تمسك بهذا الحديث طائفة من العلماء، كابن حزم والطحاوي وغيرهما في أن الدجال ممخرق مموه، لا حقيقة لما يبدي للناس من الأمور التي تشاهد في زمانه، بل كلها خيالات عند هؤلاء. وقال الشيخ أبو علي الجبائي - شيخ المعتزلة -: لا يجوز أن يكون لذلك حقيقة؛ لئلا يشتبه خارق الساحر بخارق النبي. وقد أجابه القاضي عياض وغيره بأن الدجال إنما يدعي الإلهية، وذلك مناف لبشريته، فلا يمتنع إجراء الخارق على يديه، والحالة هذه.

والذي يظهر من الأحاديث المتقدمة أن الدجال يمتحن اللَّه به عباده بما يخلقه معه من الخوارق المشاهدة في زمانه، كما تقدم أن من استجاب له يأمر السماء فتمطرهم، والأرض فتنبت لهم زرعًا تأكل منه أنعامهم، وأنفسهم وترجع إليهم مواشيهم سمانًا لبنًا، ومن لا يستجيب له ويرد عليه أمره تصيبهم السنة والجدب والقحط والغلة وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وأنه يتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، وأنه يقتل ذلك الشاب ثم يحييه، وهذا كله ليس بمخرقة، بل له حقيقة امتحن اللَّه بها عباده في ذلك الزمان، فيضل به كثيرًا، ويهدي به كثيرًا، يكفر المرتابون، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا»[٢].

---

(١) انظر: البعث والنشور ص(٢٦١)، وشرح مشكل الآثار (١٤/ ٣٨١)، وصحيح ابن حبان (١٥/ ١٨٥).
(٢) البداية والنهاية (١٩/ ١٩٣).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله في هذا الحديث: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»، أي من أن يجعل ما يخلقه على يده مضلًا للمؤمنين ومشككًا لقلوب الموقنين، بل ليزداد الذين آمنوا إيمانًا وليرتاب الذين في قلوبهم مرض والكافرون، كما قال له الذي قتله ثم أحياه: «ما كنت قط فيك أشد بصيرة مني الآن»، لا أن قوله: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»، أي أنه ليس شيء من ذلك معه، بل أن يجعل ذلك آية على صدقه، فكيف وقد جعل الآية على كذبه وكفره ظاهرة بقراءة من لا يقرأ، زيادة على شواهد كذبه من صدقه ونقصه»(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا مذهب أهل السنة وعامة أهل الفقه والحديث، خلافًا لمن أنكر أمره وأبطله من الخوارج وبعض المعتزلة، وخلافًا للجبائي من المعتزلة، ومن وافقنا على إثباته من الجهمية وغيرهم، لكن زعموا أن ما عنده مخارق وحيل، قال: لأنها لو كانت أمورًا صحيحة لكان ذلك إلباسًا للكاذب بالصادق، وحينئذ لا يكون فرق بين النبي والمتنبئ، وهذا هذيان لا يلتفت إليه، لأن ما أخبر به النبي ﷺ من تلك الأمور حقائق لا يحيل العقل شيئًا منها، فوجب إبقاؤها على حقائقها»(٢).

ولأجل هذه الفتن وغيرها، ولعظم الجهل، يكثر أتباع الدجال، وتعظم فتنته، وأكثر من يتبعه اليهود، والعجم والترك، وأخلاط من الناس غالبهم أعراب ونساء.

أما اليهود:

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِمُ السِّيجَانُ»(٣).

---

(١) إكمال المعلم (٨/ ٤٩٢).

(٢) المفهم (٧/ ٢٦٧ - ٢٦٩) باختصار، وانظر: فتح الباري (١٣/ ٩٣).

(٣) رواه أحمد، ح(١٣٣٤٤) وقال الأرناؤوط: «حديث حسن»، والبزار، ح(٦٤١٦)، وأبو يعلى، ح(٣٦٣٩)، والطبراني في الصغير، ح(٤٩٣٠) وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٢٨).

وفي رواية: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»(١).

وأما الترك والأعاجم:

فعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ: «أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيَنْزِلَنَّ الدَّجَّالُ بِخَوْزَ وَكَرْمَانَ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»(٣).

قال ابن كثير رحمه الله: «فيكون بدو ظهوره من أصبهان من حارة بها يقال لها: اليهودية. وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي، عليهم الأسلحة والسيجان، وهي الطيالسة الخضر، وكذلك ينصره سبعون ألفًا من التتار، وخلق من أهل خراسان»(٤).

وأما الأعراب:

فتقدم في حديث أبي أمامة ﷺ: «وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ: يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ»(٥).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(٢٩٤٤).

(٢) رواه أحمد، ح(١٢، ٣٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء من أين يخرج الدجال، ح(٢٢٣٧)، وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٢)، والبزار، ح(٤٧)، وأبو يعلى، ح(٣٣)، والطبراني في مسند الشاميين، ح(١٢٨٥)، والحاكم (٥/ ٧٣٦)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٥٩١).

(٣) رواه أحمد، ح(٨٤٥٣) وقال ابن كثير: «إسناد جيد قوي حسن». البداية والنهاية (١٩/ ١٨٨).

(٤) البداية والنهاية (١٩/ ٢٠٥)، وفسرهم في (١٩/ ١٨٨) بالترك.

(٥) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٧٥).

وأما النساء:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نِعْمَتِ الْأَرْضُ الْمَدِينَةُ، إِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ، لَا يَدْخُلُهَا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، رَجَفَتْ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ، وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، وَذَلِكَ يَوْمُ التَّخْلِيصِ، وَذَلِكَ يَوْمَ تَنْفِي الْمَدِينَةُ الْخَبَثَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(١).

وأشد الناس عليه بنو تميم:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيهم سمعته يقول: «هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَّالِ» قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا» وَكَانَتْ سَبِيَّةٌ مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَ: «أَعْتِقِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»(٢).

فالدجال حق، وهو خارج في هذه الأمة لا محالة، والإيمان بذلك واجب، وهو حي الآن، ومحبوس بجزيرة من جزر البحر في المشرق.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ، وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَةَ»(٣).

---

(١) رواه أحمد، ح(١٤١١٢) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حديث صحيح»، وقال ابن كثير: «تفرد به أحمد وإسناده جيد». البداية والنهاية (١٩/ ١٦٧)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٨١).

(٢) رواه البخاري، كتاب العتق، باب من ملك من العرب رقيقًا، ح(٢٥٤٣)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء، ح(٢٥٢٥).

(٣) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٧٥).

وعن حفصة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا»(١).

قال القرطبي ﵀: «الإيمان بالدجال وخروجه حق، وهذا مذهب أهل السنة وعامة أهل الفقه والحديث خلافًا لمن أنكر أمره من الخوارج وبعض المعتزلة»(٢).

وقال القاضي عياض ﵀: «وهذه الأحاديث التي أدخلها مسلم في قصة الدجال حجة أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص معين، ابتلى اللَّه عباده، وأقدره على أشياء من قدرته ليتميز الخبيث من الطيب؛ من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب الذي معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر، والأرض أن تنبت، فيكون ذلك كله بقدر اللَّه ومشيئته، ثم يعجزه اللَّه بعد ذلك ويبطل أمره بعد، ويقتله عيسى ﵇ ويثبِّت اللَّه الذين آمنوا. هذا مذهب أهل السنة وجماعة أهل الفقة والحديث ونظارهم، خلافًا لمن أنكر أمره وأبطله من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة.

وإنما اتبعه من اتبعه للضرورة والحاجة وشدة الزمان عليه، أو لكفره كيهود أصبهان وغيرهم، وكالترك الكفرة، أو تقية منه وخوفًا، أو لأن فتنة ما جاء به عظيمة تدهش العقول وتحير الألباب لأول وهلة، وأن أمره لا تطول مدته، وسرعة سيره في الأرض، فإنما هو كما قال في الحديث: «كالغيث استدبرته الريح»، فيصدقه من يصدقه، وقد سُلبَ نظره، ودله عقله لفجاءة أمره؛ ولهذا حذرته الأنبياء قومها، وشجعتهم ببيان حاله ونقصه؛ ليتقدم لهم العلم بذلك فيثبتوا»(٣).

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٦٤٢٥) واللفظ له، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح(٢٩٣١).

(٢) التذكرة (٣/ ١٢٨٢).

(٣) إكمال المعلم (٨/ ٤٧٤ - ٤٧٥).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية، وردوا الأحاديث الواردة فيه، فلم يصنعوا شيئًا، وخرجوا بذلك عن حيز العلماء؛ لردهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة من غير وجه عن رسول اللَّه ﷺ»(١).

ولا يرد على هذا عدم ذكر الدجال في القرآن مع عظم فتنته وتتابع الأنبياء في التحذير منه، وقد ذكر من هو دونه من الدجاجلة ومن الأشراط، لأن ما طوي علمه فمرده إلى اللَّه، ولا يستشكل، وإنما بابه التسليم، ومع ذلك أجاب العلماء عن هذا لئلا يقع المسلم في باب الشبه ولو من طرف بعيد.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجواب من وجوه:

أحدها: أنه قد أشير إلى ذكره في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية.

ثم ذكر تفسيرها من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأَرْضِ»(٢).

الثاني: أن عيسى بن مريم ينزل من السماء الدنيا، فيقتل الدجال، وعلى هذا فيكون ذكر نزول المسيح عيسى بن مريم إشارة إلى ذكر المسيح الدجال مسيح الضلالة، وهو ضد مسيح الهدى، ومن عادة العرب أنها تكتفي بذكر أحد الضدين عن ذكر الآخر، كما هو مقرر في موضعه.

الثالث: أنه لم يذكر بصريح اسمه في القرآن احتقارًا له، حيث إنه يدعي الإلهية وهو بشر، وهو مع بشريته ناقص الخلق ينافي حاله جلال الرب وعظمته

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ١٩٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح(١٥٨).

وكبرياءه وتنزيهه عن النقص، فكان أمره عند الرب أحقر من أن يذكر، وأصغر، وأدحر من أن يجلى عن أمر دعواه ويحذر، ولكن انتصر الرسل لجناب الرب عز وجل، فجلوا لأممهم عن أمره، وحذروهم ما معه من الفتن المضلة، والخوارق المنقضية المضمحلة، فاكتفى بإخبار الأنبياء، وتواتر ذلك عن سيد ولد آدم إمام الأتقياء عن أن يذكر أمره الحقير بالنسبة إلى جلال اللَّه في القرآن العظيم، ووكل بيان أمره إلى كل نبي كريم.

فإن قلت: فقد ذكر فرعون في القرآن، وقد ادعى ما ادعاه من الإلهية والكذب والبهتان؛ فالجواب أن أمر فرعون قد انقضى، وتبين كذبه لكل مؤمن وعاقل، وأمر الدجال سيأتي، وهو كائن فيما يستقبل فتنة واختبارًا للعباد، فترك ذكره في القرآن احتقارًا له، وامتحانًا به، إذ أمره وكذبه أظهر من أن ينبه عليه، ويحذر منه، وقد يترك ذكر الشيء لوضوحه.

وهذا المقام الذي نحن فيه من هذا القبيل، وهو أن الشيء قد يكون ظهوره كافيًا عن التنصيص عليه، وأن الأمر أظهر وأوضح وأجلى من أن يحتاج معه إلى زيادة إيضاح على ما في القلوب مستقر، فالدجال واضح الذم ظاهر النقص بالنسبة إلى المقام الذي يدعيه من الربوبية، فترك اللَّه ذكره والنص عليه؛ لما يعلم تعالى من عباده المؤمنين أن مثل الدجال لا يخفى ضلاله عليهم ولا يهيضهم[١]، ولا يزيدهم إلا إيمانًا وتسليمًا للَّه ولرسوله، وتصديقًا للحق، وردًّا للباطل.

ولهذا يقول ذلك المؤمن الذي يسلط عليه الدجال فيقتله ثم يحييه: «واللَّه ما ازددت فيك إلا بصيرة، أنت الأعور الكذاب الذي حدثنا عنه رسول اللَّه ﷺ»[٢].

---

(١) «الهيض: الكسر بعد الجبر، وهو أشد ما يكون من الكسر». النهاية (٥/ ٢٨٨).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ١٩٥ - ١٩٨)، وانظر: فتح الباري (١٣/ ٩١ - ٩٢).

وأما حياة الدجال:

فعن فاطمة بنت قيس ﵂ قالت: «سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُنَادِي: الصَّلَاةَ جَامِعَةً. فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ». ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا(١) إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ(٢) السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ(٣) كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ(٤). قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ. قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ. قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا:

---

(١) «أرفؤوا إلى جزيرة»: معناه أنهم قربوا السفينة إليها يقال أرفأت السفينة إذا قربتها من الساحل وهذا مرفأ السفن. معالم السنن (٤/ ٣٤٧)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٤١).

(٢) أقرب السفينة: يريد بها القوارب، وهن سفن صغار تكون مع السفن البحرية، كالجنائب لها تتخذ لحوائجهم، واحدها قارب. معالم السنن (٤/ ٣٤٧).

(٣) الأهلب: غليظ الشعر كثيره. شرح مسلم (١٨/ ٨١).

(٤) الجساسة: يقال إنها تجسس الأخبار للدجال وبه سميت جساسة. معالم السنن (٤/ ٣٤٧).

نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ[١] فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتِ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا وَفَزِعْنَا مِنْهَا وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً. فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ[٢]؟ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ[٣]. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ[٤]. قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ. قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ

---

(١) أي هاج واضطربت أمواجه. النهاية (٣/ ٣٨٢).

(٢) قال السمعاني في الأنساب (١/ ٤٣٠): «بيسان من بلاد الغور من الأردن بين الشام وفلسطين، ويقال هي لسان الأرض، وبها عين الفلوس، وهي بلدة حسنة، بها نخل كثيرة أقمت بها يومًا في منصرفي من بيت المقدس، وقد ورد ذكرها في حديث الجساسة».

(٣) بحيرة طبرية: معروفة بالشام وطولها عشرة أميال في ستة أميال، وهي بحيرة عظيمة حلوة، كالبركة تحيط بها الجبال، ويصب فيها فضلات أنهر كثيرة تجيء من جهة بانياس والساحل والأردن الأكبر وينفصل منها نهر عظيم فيسقي أرض الأردن الأصغر وهو بلاد الغور ويصب في البحيرة المنتنة قرب أريحا. انظر: مشارق الأنوار (١/ ١١٧)، ومعجم البلدان (١/ ٣٥١ - ٣٥٢).

(٤) عين بالشام من أرض البلقاء، في طرف البحيرة المنتنة، في واد هناك، بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام، وزغر: بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام، من ناحية الحجاز. شرح مسلم للنووي (٨/ ٨٢)، ومعجم البلدان (٣/ ١٤٣)، والنهاية (٢/ ٣٠٤).

ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ. وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ، فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ[(١)] فِي الْمِنْبَرِ: «هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ». يَعْنِي الْمَدِينَةَ «أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟». فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ما هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ. قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[(٢)].

فهذا الحديث يدل على أن الدجال كان موجودًا على عهد النبي ﷺ وأنه حي الآن وينتظر الإذن بالخروج على الناس فيخرج.

وفيه دلالة على أن ابن الصياد الذي خرج على عهد النبي ﷺ ليس هو الدجال.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان قطعًا؛ لحديث فاطمة بنت قيس الفهرية، فإنه فيصل في هذا المقام»[(٣)].

---

(١) المخصرة: بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الصاد المهملة هي عصا أو قضيب يمسكه الرئيس ليتوكأ عليه ويدفع به عنه ويشير به لما يريد، وسميت بذلك لأنها تحمل تحت الخصر غالبًا للاتكاء عليها. فتح الباري (١١/ ٤٩٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ح(٢٩٤٢)، قال ابن حجر: «وقد توهم بعضهم أنه غريب فرد وليس كذلك فقد رواه مع فاطمة بنت قيس أبو هريرة وعائشة وجابر». فتح الباري (١٣/ ٣٢٨).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ١٢٧).

قلت: وقصة ابن الصياد وكونه الدجال الأكبر أم لا من المشكلات المعضلات التي اختلف فيها الصحابة والعلماء من بعدهم.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد اختلف الناس في ابن صياد اختلافًا شديدًا وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول»(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلى الجملة فأمره كله مشكل، وهو فتنة ومحنة»(٢).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: وقصته مشكلة، وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره، ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة»(٣).

وابن صياد: اسمه صافي، وقيل: عبد اللَّه بن صياد أو صائد، ولد في زمن النبي ﷺ بالمدينة، وكان يهوديًا، وكان صغيرًا عند قدوم النبي ﷺ المدينة، ويكنى بأبي يوسف، وقيل: إنه أسلم وحسن إسلامه وجاهد، وقيل: أسلم ظاهرًا، قال ابن كثير: «الصحيح أن ابن صياد كان دجالًا من الدجاجلة، ثم تيب عليه بعد ذلك، فأظهر الإسلام، واللَّه أعلم بضميره وسريرته»(٤). وقيل: مات بالمدينة، وقيل: فقد يوم الحرة، ومن أولاده عمارة بن عبد اللَّه بن صياد من خيار المسلمين وسادات التابعين، وكان مالك بن أنس لا يقدم عليه في الفضل أحدًا(٥)، وقد ظهرت عليه في صغره أحوال شيطانية، فاستشكل النبي ﷺ أمره وتوقف فيه، فاختبره، فبان أنه من جنس الكهان وأصحاب الأحوال الشيطانية.

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي رَهْطٍ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ(٦) وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ

---

(١) معالم السنن (٤/ ٣٤٨).
(٢) المفهم (٧/ ٢٦٣).
(٣) شرح مسلم (١٨/ ٤٦).
(٤) البداية والنهاية (١٩/ ٢٠٤ - ٢٠٥).
(٥) انظر: أسد الغابة (٣/ ٢٨٣)، والبداية والنهاية (١٩/ ٢٠٤).
(٦) «أطم» بضمتين بناء كالحصن. و «مغالة» بفتح الميم والمعجمة الخفيفة بطن من الأنصار. فتح الباري (٣/ ٢٢٠).

الْحُلُمَ فَلَمْ يَشْعُرْ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لِابْنِ صَيَّادٍ: «تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ». فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ. فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ[١]. فَرَفَضَهُ وَقَالَ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ». فَقَالَ لَهُ: «مَاذَا تَرَى؟» قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ». ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا». فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: هُوَ الدُّخُّ. فَقَالَ: «اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ[٢]». فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ».

وَقَالَ سَالِمٌ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ إِلَى النَّخْلِ الَّتِي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ وَهُوَ يَخْتِلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنِ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ابْنُ صَيَّادٍ فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ يَعْنِي فِي قَطِيفَةٍ[٣] لَهُ فِيهَا رَمْزَةٌ أَوْ زَمْرَةٌ[٤] فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيّادٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ فَقَالَتْ لِابْنِ صَيَّادٍ: يَا صَافِ - وَهُوَ اسْمُ ابْنِ صَيَّادٍ - هَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ، فَثَارَ ابْنُ صَيَّادٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ»[٥].

وعن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا مع رسول اللَّهِ ﷺ فَمَرَرْنَا

---

(١) قال العلماء: لماذا لم يقتله النبي ﷺ مع هذا الادعاء؟ فالجواب: إما: لأن هذه القصة جرت معه في أيام مهادنة اليهود وحلفائهم. وإما: لأن هذا القول صدر من صبي لم يبلغ الحلم بعد، ولا حكم لقول الصبي. ويمكن أن يجتمع الأمران. انظر: معالم السنن (٤/ ٣٤٨)، وشرح السنة (١٥/ ٨٠)، شرح مسلم للنووي (١٨/ ٤٨)، وفتح الباري (٦/ ١٧٤).

(٢) قال ابن كثير في التفسير (١٢/ ٣٣٧): «وابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان وهم يقرظون العبارة ولهذا قال هو الدخ يعني الدخان فعندها عرف رسول اللَّه ﷺ مادته وأنها شيطانية فقال ﷺ: «اخسأ فلن تعدو قدرك». وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١١/ ٢٨٣).

(٣) القطيفة: كساء مخمل. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٥٥).

(٤) هو صوت خفي بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم. إكمال المعلم (٨/ ٤٦٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، ح(١٣٥٤)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح(٢٩٣٠، ٢٩٣١).

بِصِبْيَانٍ فِيهِمْ ابن صَيَّادٍ فَفَرَّ الصِّبْيَانُ وَجَلَسَ ابن صَيَّادٍ فَكَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَرِهَ ذلك، فقال له النبي ﷺ: «تَرِبَتْ يَدَاكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رسول اللَّهِ؟». فقال: لَا بَلْ تَشْهَدُ أني رسول اللَّهِ؟ فقال عُمَرُ بن الْخَطَّابِ: ذَرْنِي يا رَسُولَ اللَّهِ حتى أَقْتُلَهُ. فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «إن يَكُنْ الذي تَرَى فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «لَقِيَهُ رسول اللَّهِ ﷺ وأبو بَكْرٍ وَعُمَرُ في بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فقال له رسول اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أَنِّي رسول اللَّهِ؟» فقال هو: أَتَشْهَدُ أَنِّي رسول اللَّهِ؟ فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، ما تَرَى؟» قال: أَرَى عَرْشًا على الْمَاءِ. فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «تَرَى عَرْشَ إِبْلِيسَ على الْبَحْرِ، وما تَرَى؟» قال: أَرَى صَادِقَيْنِ وَكَاذِبًا أو كَاذِبَيْنِ وَصَادِقًا. فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «لُبِسَ عليه، دَعُوهُ»(٢).

وفي رواية: عنه رضي الله عنه قال: «خَرَجْنَا حُجَّاجًا أو عُمَّارًا وَمَعَنَا ابن صَائِدٍ، قال: فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَتَفَرَّقَ الناس وَبَقِيتُ أنا وهو، فَاسْتَوْحَشْتُ منه وَحْشَةً شَدِيدَةً مِمَّا يُقَالُ عليه، قال: وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ فَوَضَعَهُ مع مَتَاعِي، فقلت: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، قال: فَفَعَلَ، قال: فَرُفِعَتْ لنا غَنَمٌ فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِعُسٍّ، فقال: اشْرَبْ أَبَا سَعِيدٍ، فقلت: إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ وَاللَّبَنُ حَارٌّ، ما بِي إلا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عن يَدِهِ أو قال آخُذَ عن يَدِهِ، فقال أَبَا سَعِيدٍ: لقد هَمَمْتُ أَنْ آخُذَ حَبْلًا فَأُعَلِّقَهُ بِشَجَرَةٍ ثُمَّ أَخْتَنِقَ مِمَّا يقول لي الناس، يا أَبَا سَعِيدٍ من خَفِيَ عليه حَدِيثُ رسول اللَّهِ ﷺ ما خَفِيَ عَلَيْكُمْ مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَسْتَ من أَعْلَمِ الناس بِحَدِيثِ رسول اللَّهِ ﷺ؟ أَلَيْسَ قد قال رسول اللَّهِ ﷺ: «هو كَافِرٌ»، وأنا مُسْلِمٌ، أو ليس قد قال رسول اللَّهِ ﷺ: «هو عَقِيمٌ لَا يُولَدُ له»، وقد تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ، أو ليس قد قال رسول اللَّهِ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ ولا

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح(٢٩٢٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح(٢٩٢٥).

مَكَّةَ»، وقد أَقْبَلْتُ من الْمَدِينَةِ وأنا أُرِيدُ مَكَّةَ، قال أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: حتى كِدْتُ أَنْ أَعْذِرَهُ، ثُمَّ قال: أَمَا واللَّه إني لَأَعْرِفُهُ وَأَعْرِفُ مَوْلِدَهُ وَأَيْنَ هو الْآنَ[١]، قال: قلت له: تَبًّا لك سَائِرَ الْيَوْمِ»[٢].

وعن نافع قال: «لقي ابن عمر ابن صائد في بعض طرق المدينة، فقال له قولا أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل ابن عمر على حفصة، وقد بلغها، فقالت له: رحمك اللَّه ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إنما يَخْرُجُ من غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا».

وفي رواية: قال نافع: «قال ابن عمر: لقيته مرتين، قال: فلقيته فقلت لبعضهم: هل تحدثون أنه هو؟ قال: لا واللَّه. قال: قلت: كذبتني واللَّه، لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالًا وولدًا، فكذلك هو زعموا اليوم، قال: فتحدثنا ثم فارقته. قال: فلقيته لقية أخرى، وقد نفرت عينه. قال: فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري. قال: قلت: لا تدري وهي في رأسك؟ قال: إن شاء اللَّه خلقها في عصاك هذه، قال: فنخر كأشد نخير حمار سمعت، قال: فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسرت، وأما أنا فواللَّه ما شعرت. قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها. فقالت: ما تريد إليه؟ ألم تعلم أنه قد قال: «إِنَّ أَوَّلَ ما يَبْعَثُهُ على الناس غَضَبٌ يَغْضَبُهُ»[٣].

وعن محمد بن المنكدر قال: «رأيت جابر بن عبد اللَّه يحلف باللَّه أن ابن الصائد الدجال. قلت: تحلف باللَّه. قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند

(١) استدل البرزنجي في الإشاعة ص(٢٦٦) بقوله هذا: على عدم إسلامه في الباطن، إذ كيف يرضى المسلم أن يدعي الربوبية أو النبوة؟ وتقدم قول ابن كثير: «اللَّه أعلم بضميره وسيرته». وهذا أسلم، واللَّه أعلم.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح(٢٩٢٧).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح(٢٩٣٢).

النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ»(١).

فتمسك بهذه الأحاديث والآثار من قال: إن ابن صياد هو الدجال الأكبر(٢)، وذهب أكثر العلماء إلى أنه دجال من الدجاجلة لبست عليه الشياطين، وليس هو الدجال الأكبر، فليس في هذه الأحاديث إلا التوقف في حاله وعدم تبين أمره، ولذلك قال ﷺ: «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ»، وقال: «لَوْ تَرَكَتْهُ بَيَّنَ»، وعمر رضي الله عنه حلف على الاحتمال فلم ينكر عليه النبي ﷺ ولم يؤيده أيضًا، بل قال له: «إن يَكُنْ الذي تَرَى فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ»، فعمر رضي الله عنه رأى أنه الدجال، فحلف على غلبة ظنه، وهذا سائغ.

قال ابن حجر رحمه الله: «قال البيهقي: ليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ على حلف عمر، فيحتمل أن يكون النبي ﷺ كان متوقفًا في أمره ثم جاءه الثبت من اللَّه تعالى بأنه غيره على ما تقتضيه قصة تميم الداري، وبه تمسك من جزم بأن الدجال غير ابن صياد وطريقه أصح، وتكون الصفة التي في ابن صياد وافقت ما في الدجال»(٣).

قلت: الصفات الواردة في الدجال لا تنطبق على ابن صياد، فالدجال جسيم، عظيم الخلقة، كأعظم إنسان يراه الناس، شديد جعودة الشعر، مطموس العين أعور، عقيم لا يولد له، ولا يدخل مكة ولا المدينة إلى غير ذلك من الأوصاف التي لم يذكر شيء منها في وصف ابن صياد، وإنما الذي ذكر أنه ادعى الرسالة وهذا لا يدعيه الدجال الأكبر على الصحيح، وأن عينه انتفخت، وأنه انتفخ حين غضب، وأنه من اليهود، وأنه يرى عرش إبليس والشياطين التي لبست عليه كما قال ﷺ: «لُبِسَ عليه دَعُوهُ»، وقد أخبر النبي ﷺ عن مكان الدجال، وأنه

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة لا من غير الرسول، ح(٧٣٥٥)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح(٢٩٢٩).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٣١٧ - ١٣٢٣).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٢٦)، وانظر: (١٣/ ٣٢٥).

من قبل المشرق، في حين كان ابن صياد في المدينة، ووصف الدجال في حديث تميم بأنهم رأوه شيخًا[١]، في حين كان ابن صياد غلامًا يلعب مع الصبيان في المدينة، ثم أحاديث ابن صياد لا تعدو الاحتمال، بينما حديث الجساسة نص في المسألة، وهي قصة متأخرة[٢]، ولذلك قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه: «فيصل في هذا المقام»، وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال البيهقي: فيه أن الدجال الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد، وكان ابن صياد أحد الدجالين الكذابين الذين أخبر ﷺ بخروجهم، وقد خرج أكثرهم وكأن الذين يجزمون بأن ابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمع بينهما بعيد جدًّا، إذ كيف يلتئم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبوية شبه المحتلم، ويجتمع به النبي ﷺ ويسأله، أن يكون في آخرها شيخًا كبيرًا مسجونًا في جزيرة من جزائر البحر موثقًا بالحديد يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا؟ فالأولى أن يحمل على عدم الاطلاع، أما عمر فيحتمل أن يكون ذلك منه قبل أن يسمع قصة تميم، ثم لما سمعها لم يعد إلى الحلف المذكور»[٣].

والمقصود أن ابن صياد ليس بالدجال الذي يخرج في آخر الزمان لحديث فاطمة بنت قيس، وهو فيصل المقام، وأنه حي الآن، ويوشك أن يؤذن له في الخروج فيخرج. واللَّه تعالى أعلم.

وأما خروجه ومكثه في الأرض:

فتقدم معنا في الأحاديث أنه: «يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا:

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، وخروج عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٤) وصححه ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٢٦)، والألباني في «صحيح الجامع الصغير» ح(٢٥٠٨).

(٢) قال البرزنجي في الإشاعة ص(٢٦٥): «ومما يرجح أنه غيره، أن قصة تميم الداري متأخرة عن قصة ابن صياد، فهي كالناسخ له».

(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٢٦-٣٢٧).

خُرَاسَانُ»، ويظهر «مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ»، و«إِنَّ أَوَّلَ ما يَبْعَثُهُ على الناس غَضَبٌ يَغْضَبُهُ»، وقال عن نفسه: «إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ فَأَخْرُجَ، فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، وفي حديث النواس: «قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ وما لَبْثُهُ في الأرض؟ قال: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الذي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فيه صَلَاةُ يَوْمٍ(١)؟ قال: «لاَ اقْدُرُوا له قَدْرَهُ(٢)» قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ وما إِسْرَاعُهُ في الأرض؟ قال: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ»، فيملأ الأرض فتنة «فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا»، «وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً».

وفي رواية: قال: «غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا».

وفي رواية: «وَإِنَّهُ يَلْبَثُ فِيكُمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، يَرِدُ فِيهَا كُلَّ مَنْهَلٍ إِلَّا

---

(١) هذا السؤال من الصحابة ﷺ يدل على عظم اهتمامهم بدينهم، ومنزلة الصلاة في قلوبهم، وأن استماعهم لهذه الأحداث ليس للتسلية، وإنما هو علم لابد أن يفقهوه، ويأخذوا أهبته، ويحذروا إدراكه.

(٢) قال النووي: «قال القاضي وغيره: هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع، قالوا: ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام. ومعنى أقدروا له قدره: أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة في وقتها، وأما الثاني الذي كشهر والثالث الذي كجمعة فقياس اليوم الأول، أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه والله أعلم». شرح مسلم (١٨/ ٦٦).

أَرْبَعَ مَسَاجِدَ: مَسْجِدَ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، وَالطُّورِ، وَمَسْجِدَ الْأَقْصَى».

وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(١).

وفي رواية: «فَيَأْتِي سِبْخَةَ الْجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ فَيَخْرُجُ إليه كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يَأْتِي الْمَسِيحُ من قِبَلِ الْمَشْرِقِ هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ حتى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ»(٣).

فهو خارج على الأرض كلها، لا يدع قرية إلا هبطها، في سرعة الغيث الذي استدبرته الرياح، فيملأ الأرض فتنة، ويعيث فسادًا.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويتدنى فيأخذ البلاد بلدًا بلدًا، وحصنًا حصنًا، وإقليمًا إقليمًا، وكورة كورة، ولا يبقى بلد من البلاد إلا وطئه بخيله ورجله، غير مكة والمدينة، ومدة مقامه في الأرض أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيام الناس هذه، ومعدل ذلك سنة وشهران ونصف، وقد خلق اللَّه على يديه خوارق كثيرة، يضل بها من يشاء من خلقه، ويثبت معها المؤمنون، فيزدادون بها إيمانًا مع إيمانهم، وهدى إلى هداهم»(٤).

فهذه الفتنة تعم الأرض إلا اليسير، ويلقى المؤمنون منها شدة، فعن أم شَرِيكٍ

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح(١٨٨١).
(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن و أشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ح(٢٩٤٣).
(٣) رواه مسلم، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، ح(١٣٨٠).
(٤) البداية والنهاية (١٩/ ٢٠٥).

بنت أبي الْعَكَرِ ﷺ أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «لَيَفِرَّنَّ النـاسُ من الـدَّجَّالِ في الْجِبَالِ». قالت أُمُّ شَرِيكٍ: يا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قال: «هُمْ قَلِيلٌ»(١).

ومن نجا منها فقد نجا من الفتن كلها، فعن عبد اللَّه بن حوالة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَنْ نَجَا مِنْ ثَلَاثٍ، فَقَدْ نَجَا - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -: مَوْتِي، وَالدَّجَّالُ، وَقَتْلُ خَلِيفَةٍ مُصْطَبِرٍ بِالْحَقِّ مُعْطِيهِ»(٢).

وفي حديث النواس بن سمعان قال ﷺ: «ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ»(٣).

وهذا فيه أن النجاة من فتنته في الدنيا عند خروجه نجاة من فتن الآخرة.

ولعظم هذه الفتنة تنوعت العواصم النبوية والتوجيهات الشرعية للوقاية من شرها، فمن ذلك:

١- الاستعاذة باللَّه من فتنته:

فقد ثبت في الأحاديث الصحاح، من غير وجه أن رسول اللَّه ﷺ كان يتعوذ من فتنة الدجال في الصلاة، وأنه أمر أمته بذلك.

فعن عائشة زوج النبي ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ كان يدعو في الصلاة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ»(٤).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(٢٩٤٥).

(٢) رواه أحمد، ح(١٦٩٧٣، ١٧٠٠٣، ١٧٠٠٦، ٢٠٣٥٥، ٢٢٤٨٨) وقال الأرناؤوط: «حديث حسن»، وابن أبي شبية، ح(٣٨٦٣٠)، والحاكم (٤/ ٥٩ - ٦٠) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٤): «رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ربيعة بن لقيط وهو ثقة».

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).

(٤) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، ح(٨٣٢)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ح(٥٨٩).

وفي رواية: قالت: «سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِيذُ في صَلَاتِهِ من فِتْنَةِ الدَّجَّالِ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يدعو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «إذا تَشَهَّدَ أحدكم فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ من أَرْبَعٍ يقول: اللَّهم إني أَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول اللَّه ﷺ كان يُعَلِّمُهُمْ هذا الدُّعَاءَ كما يُعَلِّمُهُمْ السُّورَةَ من الْقُرْآنِ يقول: «قُولُوا: اللَّهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ». قال مُسْلِم بْن الْحَجَّاج: بَلَغَنِي أَنَّ طَاوُسًا قال لِابْنِهِ: أَدَعَوْتَ بها في صَلَاتِكَ؟ فقال: لَا، قال: أَعِدْ صَلَاتَكَ؛ لِأَنَّ طَاوُسًا رَوَاهُ عن ثَلَاثَةٍ أو أَرْبَعَةٍ أو كما قال»(٤).

وهذا فيه شدة حرص السلف على تعليم أولادهم هذا الدعاء.

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: «كَانَ سَعْدٌ يَأْمُرُ بِخَمْسٍ وَيَذْكُرُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِهِنَّ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»(٥).

---

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ح(٥٨٧).
(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، ح(١٣٧٧).
(٣) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ح(٥٨٨).
(٤) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، ح(٥٩٠).
(٥) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، ح(٦٣٦٥).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي إطلاق الدنيا على الدجال إشارة إلى أن فتنته أعظم الفتن الكائنة في الدنيا»(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال شيخنا الحافظ أبو عبد اللَّه الذهبي: والاستعاذة من الدجال متواترة عن رسول اللَّه ﷺ»(٢).

وأكمل ما يقال في الاستعاذة لمن أدركه:

ما رواه رجل من أصحاب النبي رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمُ الْكَذَّابَ الْمُضِلَّ، وَإِنَّ رَأْسَهُ مِنْ بَعْدِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ حُبُكٌ - ثَلَاثَ مَرَّات - وَإِنَّهُ سَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَمَنْ قَالَ: لَسْتَ رَبَّنَا، لَكِنَّ رَبَّنَا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْهِ أَنَبْنَا، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سُلْطَانٌ»(٣).

وفي رواية: «إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمْ - أَوْ إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ - الْكَذَّابَ الْمُضِلَّ، وَإِنَّ رَأْسَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُبُكٌ حُبُكٌ، وَإِنَّهُ سَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَمَنْ قَالَ: كَذَبْتَ لَسْتَ رَبَّنَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَبُّنَا، وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْهِ أَنَبْنَا، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَلَا سَبِيلَ لَهُ عَلَيْهِ»(٤).

٢- تعلم العلم:

فالدجال بينت صفاته، وكشف عواره، فصفاته تبطل ما يدعيه من الألوهية المقتضية للكمال، ولذلك قال النبي ﷺ: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ أَعْوَرُ وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ليس بِأَعْوَرَ»، وقال: «تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حتى يَمُوتَ»(٥).

---

(١) فتح الباري (١١/ ١٧٩). (٢) البداية والنهاية (١٩/ ٢٠٠).

(٣) رواه أحمد، ح(٢٣١٥٩) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين»، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٤٣): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٨٠٨).

(٤) رواه أحمد، ح(٢٣٤٨٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين».

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، (٤/ ٢٢٤٥) ح(١٦٩).

فمن تعلم علم هذا عرف حقيقته.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه تنبيه على أن دعواه الربوبية كذب لأن رؤية الله تعالى مقيدة بالموت والدجال يدعي أنه الله ويراه الناس مع ذلك»[1].

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ من الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ مَسَالِحُ الدَّجَّالِ فَيَقُولُونَ له: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فيقول: أَعْمِدُ إلى هذا الذي خَرَجَ قال: فَيَقُولُونَ له: أَوَ ما تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فيقول: ما بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ فيقول بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قد نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قال: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إلى الدَّجَّالِ فإذا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قال: يا أَيُّهَا الناس هذا الدَّجَّالُ الذي ذَكَرَ رسول اللَّهِ ﷺ»[2].

وفي رواية: «فَيَخْرُجُ إليه يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ وهو خَيْرُ الناس أو من خِيَارِ الناس فيقول: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الذي حدثنا رسول اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فيقول الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إن قَتَلْتُ هذا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هل تَشُكُّونَ في الْأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فيقول: والله ما كنت فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فلا يُسَلَّطُ عليه»[3].

وفي رواية: «فَيَقُولُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لأَنْطَلِقَنَّ فَلأَنْظُرَنَّ هَذَا الَّذِي أَنْذَرَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُ لَهُ أَصْحَابُهُ: إِنَّا لَا نَدَعُكَ تَأْتِيهِ وَلَوْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَا يَفْتِنُكَ لَخَلَّيْنَا سَبِيلَكَ وَلَكِنَّا نَخَافُ أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتْبَعَهُ، فَيَأْبَى إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُ، فَيَنْطَلِقُ حَتَّى إِذَا أَتَى أَدْنَى مِسْلَحَةٍ مِنْ مَسَالِحِهِ، أَخَذُوهُ فَسَأَلُوهُ: مَا شَأْنُهُ وَأَيْنَ يُرِيدُ؟ فَيَقُولُ: أُرِيدُ

(١) فتح الباري (١٣/ ٩٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه، ح(٢٩٣٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح(٧١٣٢)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال وتحريم المدينة عليه وقتله المؤمن وإحيائه، ح(٢٩٣٨).

الدَّجَّالَ الْكَذَّابَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ؟ فَيَكْتُبُونَ إِلَيْهِ أَنَّا أَخَذْنَا رَجُلًا يَقُولُ كَذَا وَكَذَا فَنَقْتُلُهُ أَمْ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: أَرْسِلُوا بِهِ إِلَيَّ، فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُ عَرَفَهُ بِنَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الدَّجَّالُ الْكَذَّابُ الَّذِي أَنْذَرَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»[(١)].

فهذا أتى الدجال ولكنه كان عارفًا بربه، «فيقول: ما بِرَبِّنَا خَفَاءٌ»، عالمًا بسنة نبيه ﷺ وحديثه، فيقول: «يا أَيُّهَا الناس هذا الدَّجَّالُ الذي ذَكَرَ رسول اللَّهِ ﷺ»، و«يقول: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الذي حدثنا رسول اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ»، فيعصم ويحفظ بعلمه بحديث رسول اللَّه ﷺ.

٣- المحافظة على الإيمان:

فالدجال عيبه لا يظهر إلا لأهل الإيمان، قال ﷺ: «مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»[(٢)].

وعن حذيفة ﷺ قال: كنا عند رسول اللَّه ﷺ فذُكر الدجال، فقال رسول اللَّه ﷺ: «لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ فِتْنَةٍ صَغِيرَةٍ وَلَا كَبِيرَةٍ إِلَّا تَتَّضِعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ، فَمَنْ نَجَا مِنْ فِتْنَةِ مَا قَبْلَهَا نَجَا مِنْهَا، وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ مُسْلِمًا، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، مُهَجَّاةٌ كَ، فَ، رَ»[(٣)].

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر ما سألته، وإنه قال لي: «مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ؟» قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ. قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»[(٤)].

---

(١) رواه الحاكم (٥/ ٧٤٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٤).

(٣) رواه ابن حبان، ح(٦٨٠٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، والبزار، ح(٢٨٠٧)، وقال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ح(٦٧٦٩): «حسن صحيح».

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح(٧١٢٢).

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي من أن يجعل ما يخلقه على يده مضلًا للمؤمنين ومشككًا لقلوب الموقنين، بل ليزداد الذين آمنوا إيمانًا وليرتاب الذين في قلوبهم مرض والكافرون»(١).

فالتسلح بالإيمان نجاة من الفتن العظام.

٤- اجتناب الفتن التي قبله:

وعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: «ايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا»(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «لَأَنَا لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَلَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِمَّا قَبْلَهَا إِلَّا نَجَا مِنْهَا، ومَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، إِلَّا لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ»(٣).

فمن اتقى الفتن وقي، ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦].

٥- حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو آخرها:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ من أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف عُصِمَ من الدَّجَّالِ».

وفي رواية: «من أَوَّلِ الْكَهْف»(٤).

(١) إكمال المعلم (٨/ ٤٩٢).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الفتن، باب في النهي عن السعي في الفتنة، ح(٤٢٦٣)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٩٧٥).

(٣) رواه أحمد، ح(٢٣٣٠٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٥): «رواه أحمد والبزار، ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٨٢).

(٤) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف، ح(٨٠٩).

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: «ذكر رسول اللَّه ﷺ الدجال، وفيه: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ»(١).

وفي رواية: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، فَإِنَّهَا جِوَارُكُمْ مِنْ فِتْنَتِهِ»(٢).

ويسن مع القراءة عليه أن يبصق في وجهه زيادة في النفرة منه، وتحقيرًا لشأنه، لقوله ﷺ: «وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَتْفُلْ فِي وَجْهِهِ، وَلْيَقْرَأْ بِفَوَاتِحِ سُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ»(٣).

٦- الشرب من نهره الذي يُرى أنه نار لمن ابتلي به وأدركه:

عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الذي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ ليطأطئ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ منه فإنه مَاءٌ بَارِدٌ»(٤).

وعنه ﷺ قال: «كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْخَيْرِ وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ مِنْهُ؟ قَالَ: «السَّيْفُ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ تَكُونُ هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ تَكُونُ دُعَاةُ الضَّلَالَةِ، فَإِنْ رَأَيْتَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فَالْزَمْهُ، وَإِنْ نَهَكَ جِسْمَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ، فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَاهْرَبْ فِي الْأَرْضِ، وَلَوْ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ»، قَالَ: قُلْتُ: فَبِمَ يَجِيءُ بِهِ مَعَهُ؟ قَالَ: «بِنَهَرٍ - أَوْ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح(٤٣٢١)، وصححه الألباني في تعليقه، وفي السلسلة الصحيحة (٢/ ١٢٥).

(٣) رواه الطبراني في الكبير، ح(٧٦٤٤)، وفي مسند الشاميين، ح(٨٦١)، والحاكم (٥/ ٧٤٦) واللفظ له وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٤).

قَالَ: مَاءٍ - وَنَارٍ، فَمَنْ دَخَلَ نَهْرَهُ حُطَّ أَجْرُهُ، وَوَجَبَ وِزْرُهُ، وَمَنْ دَخَلَ نَارَهُ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ»(١).

٧- الابتعاد عن الدجال والفرار منه:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ مِنْهُ؛ مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ، فَلْيَنْأَ مِنْهُ مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ، فَلْيَنْأَ مِنْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَلَا يَزَالُ بِهِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبَهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ»(٢).

وفي رواية: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ»(٣).

وهذا فيه أن من يأتيه يفتتن، لكثرة ما معه من شبه وفتن، وهذا لا يعارض ما تقدم من خروج الرجل المؤمن إليه، وأن الإنسان يعصم بالعلم والإيمان، لأن مثل هذا في ذلك الزمان قليل، والدجال يبعث في خفة من الدين، وإدبار من العلم، كما تقدم معنا، وهذا الرجل من خير الناس، وأعلمهم يومئذ، قال ﷺ: «فَيَخْرُجُ إليه يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ وهو خَيْرُ الناس أو من خِيَارِ الناس فيقول: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الذي حدثنا رسول اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ»، فهذا خير الناس وأعلمهم بالسنة، ومع ذلك: «فَيَقُولُ لَهُ أَصْحَابُهُ: إِنَّا لَا نَدَعُكَ تَأْتِيهِ وَلَوْ عَلِمْنَا أَنَّهُ لَا يَفْتِنُكَ لَخَلَّيْنَا سَبِيلَكَ وَلَكِنَّا نَخَافُ أَنْ يَفْتِنَكَ فَتَتْبَعَهُ»، فالحذر واجب، إذ القلوب ضعيفة،

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٣٤٢٥) وقال الأرناؤوط: «حديث حسن»، وأبو داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن ودلائلها، ح(٤٢٤٤)، والبزار، ح(٢٩٦٠)، والحاكم (٥/ ٦١٧ - ٦١٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٧٣٩٧).

(٢) رواه أحمد، ح(١٩٨٧٥، ٩٩٦٨) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، والطبراني (١٨/ ٢٢١) ح(٥٥٢).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح(٤٣١٩)، والروياني، ح(١٣٣)، والحاكم (٥/ ٧٤٠ - ٧٤١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد»، البداية والنهاية (١٩/ ١٩٠).

والفتن خطافة، ولا يغتر إنسان بما عنده من إيمان، فشبه الدجال فوق ما يخطر بالبال، ولذلك قال ﷺ: «فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ»، نسأل اللّه العافية والسلامة من الفتن.

٨- سكنى المدينة النبوية ومكة شرفهما اللّه تعالى:

فهما حرمان آمنان، تحرسهما الملائكة بالسيوف المصلتة، لا يدخلهما الدجال، ولا يأتيهما رعبه.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(١).

وعن سعد بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول اللّه ﷺ: «إِنَّ الْمَدِينَةَ مُشَبَّكَةٌ بِالْمَلَائِكَةِ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ، مَنْ أَرَادَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»(٢).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ(٣) لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ»(٤).

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح(١٨٨١).

(٢) رواه أحمد، ح(١٥٩٣، ٨٣٨٣) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٣٠٩): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

(٣) قال ابن حجر: «المراد بالرعب ما يحدث من الفزع من ذكره والخوف من عتوه، لا الرجفة التي تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص». فتح الباري (٤/ ٩٦)، وقال: «وحاصل ما وقع به الجمع أن الرعب المنفي هو الخوف والفزع حتى لا يحصل لأحد فيها بسبب نزوله قربها شيء منه، أو هو عبارة عن غايته وهو غلبته عليها، والمراد بالرجفة الأرفاق وهو إشاعة مجيئه وأنه لا طاقة لأحد به، فيسارع حينئذ إليه من كان يتصف بالنفاق أو الفسق، فيظهر حينئذ تمام أنها تنفى خبثها». فتح الباري (١٣/ ٩٤).

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ح(١٨٧٩).

فعن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «نِعْمَتِ الْأَرْضُ الْمَدِينَةُ، إِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ، لَا يَدْخُلُهَا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، رَجَفَتْ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، لَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، وَذَلِكَ يَوْمُ التَّخْلِيصِ، وَذَلِكَ يَوْمَ تَنْفِي الْمَدِينَةُ الْخَبَثَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»(١).

هلاك الدجال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَهِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ»(٢).

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: «إن الدجال يخرج في بغض من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوى له الأرض طي فروة الكبش حتى يأتي المدينة، فيغلب على خارجها ويمنع داخلها، ثم جبل إيلياء فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا باللَّه أو يفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويهزم أصحابه، حتى إن الشجر والحجر والمدر، يقول: يا مؤمن هذا يهودي عندي فاقتله»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ الصادق المصدوق

---

(١) رواه أحمد، ح(١٤١١٢) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حديث صحيح»، وقال ابن كثير: «تفرد به أحمد وإسناده جيد». البداية والنهاية (١٩/ ١٦٧)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٨١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، ح(١٣٨٠)، ولفظ (الدجال) زيادة عند أحمد، ح(٩١٦٦).

(٣) رواه الحاكم (٥/ ٧٣٨ - ٧٣٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي وقال: «على شرط البخاري ومسلم»، قال التويجري: «وله حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف». إتحاف الجماعة (٣/ ٨١).

يقول: «إِنَّ الأَعْوَرَ الدَّجَّالَ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ يَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فِي زَمَانِ اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَفُرْقَةٍ، فَيَبْلُغُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الأَرْضِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، اللَّهُ أَعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا، اللَّهُ أَعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا - مَرَّتَيْنِ - وَيُنَزِّلُ اللَّهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، فَيَؤُمُّهُمْ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَتَلَ اللَّهُ الدَّجَّالَ وَأَظْهَرَ الْمُؤْمِنِينَ»(١).

وعنه ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»(٢).

وعن بعض أصحاب محمد ﷺ قال: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «يَأْتِي سِبَاخَ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَهَا، فَتَنْتَفِضُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا نَفْضَةً أَوْ نَفْضَتَيْنِ، وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ

---

(١) رواه البزار، ح(٩٦٤٢)، وابن حبان، ح(٦٨١٢) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده قوي»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٩): «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة».

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم، ح(٢٨٩٧).

مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ، ثُمَّ يُوَلِّي الدَّجَّالُ قِبَلَ الشَّامِ، حَتَّى يَأْتِيَ بَعْضَ جِبَالِ الشَّامِ فَيُحَاصِرُهُمْ، وَبَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُعْتَصِمُونَ بِذِرْوَةِ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الشَّامِ، فَيُحَاصِرُهُمُ الدَّجَّالُ نَازِلًا بِأَصْلِهِ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ هَكَذَا وَعَدُوُّ اللَّهِ نَازِلٌ بِأَرْضِكُمْ هَكَذَا، هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا بَيْنَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، بَيْنَ أَنْ يَسْتَشْهِدَكُمُ اللَّهُ، أَوْ يُظْهِرَكُمْ، فَيُبَايِعُونَ عَلَى الْمَوْتِ بَيْعَةً يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا الصِّدْقُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ تَأْخُذُهُمْ ظُلْمَةٌ لَا يُبْصِرُ امْرُؤٌ فِيهَا كَفَّهُ، قَالَ: فَيَنْزِلُ ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَحْسِرُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ، وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ لأْمَتُهُ، يَقُولُونَ: مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، اخْتَارُوا بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: بَيْنَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَى الدَّجَّالِ وَجُنُودِهِ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ يَخْسِفَ بِهِمُ الأَرْضَ، أَوْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ سِلَاحَكُمْ وَيَكُفَّ سِلَاحَهُمْ عَنْكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْفَى لِصُدُورِنَا وَلأَنْفُسِنَا، فَيَوْمَئِذٍ تَرَى الْيَهُودِيَّ الْعَظِيمَ الطَّوِيلَ الأَكُولَ الشَّرُوبَ لَا تُقِلُّ يَدُهُ سَيْفَهُ مِنَ الرِّعْدَةِ، فَيَقُومُونَ إِلَيْهِمْ فيُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَذُوبُ الدَّجَّالُ حِينَ يَرَى ابْنَ مَرْيَمَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، حَتَّى يَأْتِيَهُ، أَوْ يُدْرِكَهُ عِيسَى فَيَقْتُلَهُ»(١).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول اللَّه ﷺ الدجال، وفيه: «فَبَيْنَمَا هو كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ بن مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بين مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ على أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إذا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وإذا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلا

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٢٠٨٣٤) وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٨٨): «قال شيخنا الحافظ الذهبي: هذا حديث قوي الإسناد»، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال ص(٩٢): «وإسناده ثقات رجال الشيخين غير الرجل الأنصاري فإنه لم يسم ويحتمل أن يكون صحابيًا؛ لأن الثقفي هذا تابعي روى عن أبي موسى الأشعري وغيره فإن كان كذلك فالسند صحيح لأن جهالة الصحابي لا تضر عند أهل السنة».

مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حتى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ(١) فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى بن مَرْيَمَ قَوْمٌ قد عَصَمَهُمُ اللَّه منه فَيَمْسَحُ عن وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ في الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هو كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّه إلى عِيسَى إني قد أَخْرَجْتُ عِبَادًا لي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّه يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ من كل حَدَبٍ يَنْسِلُونَ»(٢).

وعن مُجَمِّع بن جارية الأنصاري ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ»(٣).

وعن أبي أمامة ﷺ - في حديث الدجال الطويل - وفيه: «فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ، يَمْشِي الْقَهْقَرَى، لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ، فَإِذَا انْصَرَفَ، قَالَ عِيسَى ﷺ: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا، وَيَقُولُ عِيسَى ﷺ: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً، لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ»(٤).

عن سفينة ﷺ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ فقال: «أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ

---

(١) لد: بضم اللام وتشديد الدال مصروف وهو بلدة قريبة من بيت المقدس. شرح مسلم للنووي (١٨/ ٦٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفة وما معه، ح(٢٩٣٧).

(٣) رواه أحمد، ح(١٥٤٦٨)، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال، ح(٢٢٤٤) وقال: «هذا حديث صحيح».

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٧٥).

قَبْلِي إِلَّا حَذَّرَ الدَّجَّالَ أُمَّتَهُ، وَهُوَ أَعْوَرُ عَيْنِهِ الْيُسْرَى، بِعَيْنِهِ الْيُمْنَى ظُفْرَةٌ غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَخْرُجُ مَعَهُ وَادِيَانِ: أَحَدُهُمَا جَنَّةٌ، وَالْآخَرُ نَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ، مَعَهُ مَلَكَانِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُشْبِهَانِ نَبِيَّيْنِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، لَوْ شِئْتُ سَمَّيْتُهُمَا بِأَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمَا، وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، وَذَلِكَ فِتْنَةٌ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ أَلَسْتُ أُحْيِي وَأُمِيتُ؟ فَيَقُولُ لَهُ أَحَدُ الْمَلَكَيْنِ: كَذَبْتَ. مَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا صَاحِبُهُ، فَيَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ. فَيَسْمَعُهُ النَّاسُ فَيَظُنُّونَ إِنَّمَا يُصَدِّقُ الدَّجَّالَ، وَذَلِكَ فِتْنَةٌ، ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهُ فِيهَا، فَيَقُولُ: هَذِهِ قَرْيَةُ ذَلِكَ الرَّجُلِ، ثُمَّ يَسِيرُ حَتَّى يَأْتِيَ الشَّامَ فَيُهْلِكُهُ اللَّهُ عِنْدَ عَقَبَةِ أَفِيقَ(١)»(٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويكون نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ مسيح الهدى في أيام المسيح الدجال مسيح الضلالة على المنارة الشرقية بدمشق، فيجتمع عليه المؤمنون، ويلتف معه عباد اللَّه المتقون، فيسير بهم قاصدًا نحو الدجال، وقد توجه نحو بيت المقدس، فيدركه عند عقبة أفيق، فينهزم منه الدجال، فيلحقه عند باب مدينة لد فيقتله بحربته، وهو داخل إليها، ويقول له: إن لي فيك ضربة لن تفوتني. وإذا واجهه الدجال انماع كما ينماع الملح في الماء، فيدركه عند باب لد، فتكون وفاته هنالك

---

(١) «عقبة أفيق»: قال ياقوت في معجم البلدان (١/ ٢٣٣): «أفيق بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة وقاف، قرية من حوران في طريق الغور، في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق، والعامة تقول فيق، تنزل من هذه العقبة إلى الغور وهو الأردن، وهي عقبة طويلة نحو ميلين».

(٢) رواه أبو داود الطيالسي، ح(١٢٠٢)، وأحمد، ح(٢١٩٢٩) وقال الأرناؤوط: «ضعيف بهذه السياقة»، وابن أبي شيبة، ح(٣٨٦٣٤)، والطبراني في الكبير، ح(٦٤٤٥)، والروياني، ح(٦٦٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٠): «رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر»، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة، ح(٧٦٤١): «رواه أبو داود الطيالسي بسند صحيح، وكذا أحمد بن حنبل»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٦٣): «تفرد به أحمد، وإسناده لا بأس به، ولكن في متنه غرابة ونكارة، فاللَّه أعلم».

- لعنه اللَّه - كما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح من غير وجه»[١].

وبمقتل الدجال وأعوانه، يتخلص المسلمون من شر عظيم عم الأرض كلها، وفتنة لم ير الناس مثلها، ويجتمع شمل أهل الإسلام تحت إمرة مسيح الهدى عيسى عليه السلام، ومن نظر في الأحاديث النبوية، رأى الأحداث كأنما رأي عين، بل وأبلغ من ذلك، حتى إن الإنسان ليكاد يجزم أن من سيعايش هذه الأحداث لن يستطيع أن يصفها بمثل هذه الدقة والبيان، فصلوات اللَّه وسلامه على من بلغ البلاغ المبين، وتركنا على مثل البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك.

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٢٠٦).

المبحث الثاني
خروج يأجوج ومأجوج

ويأجوج ومأجوج طائفتان كبيرتان، وأمتان عظيمتان من ذرية آدم(١)، لا يعلم عددهم إلا اللَّه سبحانه(٢).

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ أُرَاهُ قَالَ: تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ»(٣).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والغرض منه هنا ذكر يأجوج ومأجوج والإشارة إلى كثرتهم وأن هذه الأمة بالنسبة إليهم نحو عشر عشر العشر وأنهم من ذرية آدم ردًّا على من قال خلاف ذلك»(٤).

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٥٥٢): «هم من ذرية آدم بلا خلاف نعلمه».

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٥٥٧): «ويقال: إن بلادهم متسعة جدًّا، وإنهم يقتاتون بأصناف من المعايش، من حراثة، وزراعة، واصطياد من البر ومن البحر، وهم أمم وخلق لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم».

(٣) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وترى الناس سكارى، ح(٤٧٤١).

(٤) فتح الباري (٦/ ٣٨٦).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم هم من حواء، وقد قال بعضهم: إنهم من آدم لا من حواء، وذلك أن آدم احتلم، فاختلط منيه بالتراب، فخلق اللَّه من ذلك يأجوج ومأجوج. وهذا مما لا دليل عليه، ولم يرد عمن يجب قبول قوله في هذا، واللَّه أعلم[١].

وهم من ذرية نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، من سلالة يافث بن نوح، وهو أبو الترك، وقد كانوا يفسدون في الأرض، ويؤذون أهلها، فأمر اللَّه ﷻ ذا القرنين فحصرهم في مكانهم داخل السد إلى أن يأذن اللَّه تعالى في خروجهم على الناس.

وهم كالناس يشبهونهم كأبناء جنسهم من الترك الغُتْم، المغول الْمُخَرْزَمة عيونهم، الذُّلْف أنوفهم، الصُّهْب، شعورهم على أشكالهم وألوانهم، ومن زعم أن منهم الطويل كالنخلة السَّحوق وأطول، ومنهم القصير كالشيء الحقير، ومنهم من له أذنان يتغطى بإحداهما ويتوطأ بالأخرى، فقد تكلف ما لا علم له به، وقال ما لا دليل عليه»[٢].

فعن ابن حَرْمَلَةَ، عن خالته ﵂ قالت: «خطب رسول اللَّه ﷺ وهو عاصب إصبعه من لدغة عقرب فقال: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ لَا عَدُوَّ وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ عَدُوًّا حَتَّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، صُهْبُ الشِّعَافِ[٣] مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ

---

(١) وقال في التفسير (٩/ ١٩١): «وقد حكى النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح مسلم عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من منيٍّ خرج من آدم فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء وهذا قول غريب جدًّا لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد هاهنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة واللَّه أعلم». وقال في البداية والنهاية (٢/ ٥٥٣): «وضعفوه، وهو جدير بذلك، إذ لا دليل عليه، بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن».

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٢٣٩ - ٢٤٠). وانظر: (٢/ ٥٥٣ - ٥٥٤)، وفتح الباري (١٣/ ١١٣ - ١١٤).

(٣) أي حمر الشعور. غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٥٤٦).

الْمُطْرَقَةُ»(١).

فهذه صفات الترك المغول، فهم يشبهونهم، وعلى صفاتهم.

وخروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان ثابت بالكتاب والسنة المتواترة:

أما الكتاب فقال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٤ - ٩٩]. يقول تعالى مخبرًا عن ذي القرنين(٢): ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ [الكهف: ٨٩] أي ثم سلك طريقًا من مشارق الأرض.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ [الكهف: ٩٣] وهما جبلان متناوحان بينهما ثغرة

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٢٣٣١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ح(٣٤١٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٦): «رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح»، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٨/ ١٤٢): «رواته ثقات».

(٢) هو ملك من الملوك العادلين، وقيل: كان نبيًّا، والصحيح أنه كان ملكًا، ذكره اللّه تعالى، وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة، والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط. واختلفوا في السبب الذي سمي به ذو القرنين؛ فقيل: لأنه كان له في رأسه شبه القرنين. وهذا ضعيف. وقال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك فارس والروم. وقيل: لأنه بلغ قرني الشمس غربًا وشرقًا، وملك ما بينهما من الأرض. وهذا أشبه من غيره. وقد اختلف في اسمه إلى عدة أقوال ولا مرجح بينها، وهو غير ذي القرنين الثاني الإسكندر المقدوني اليوناني المصري، باني إسكندرية، الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان متأخرًا عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره، وهو الذي قتل دارا بن دارا، وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم. وإنما نبهنا عليه؛ لأن كثيرًا من الناس يعتقد أنهما واحد، وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول كان عبدًا مؤمنًا صالحًا وملكًا عادلًا، وكان وزيره الخضر، وقد كان نبيًّا على ما قررناه قبل هذا. وأما الثاني، فكان مشركًا، وكان وزيره فيلسوفًا، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة» البداية والنهاية (٢/ ٥٣٦ - ٥٤٢) بتصرف واختصار.

يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعيثون فيها فسادًا ويهلكون الحرث والنسل، ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣]، أي لاستعجام كلامهم وبعدهم عن الناس، وقد أعطى اللَّه ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به ألسنة أولئك القوم، وراجعهم، وراجعوه، فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج، فقالوا: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغير ذلك ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي أجرًا عظيمًا وجُعلًا ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ فقال ذو القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي إن الذي أعطاني اللَّه من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه، ولكن ساعدوني بقوة، أي بعملكم وآلات البناء. ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي: مانعًا من عبورهم عليكم. ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ أي: قطع الحديد، فأعطوه ذلك. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أي حاذى به رؤوس الجبلين طولًا وعرضًا، ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ أي النار واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ وهو النحاس المذاب، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكامًا هائلًا وامتنع به من وراءَه من الناس من ضرر يأجوج ومأجوج. ﴿فَمَا اسْطَٰعُوٓا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَٰعُوا لَهُۥ نَقْبًا﴾ أي: فما لهم استطاعة ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته، فقال ذو القرنين عند ذلك: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ أي: من فضله وإحسانه عليَّ وعلى الناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلًا يمنعهم من العبث في الأرض والفساد ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي إذا اقترب الوعد الحق لخروج يأجوج ومأجوج ﴿جَعَلَهُۥ﴾ أي: ذلك السد المحكم المتقن ﴿دَكَّآءَ﴾ أي ساواه بالأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي كائنًا لا محالة. وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ أي الناس يومئذ، أي يوم يدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم، وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال كما في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن

كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧] وهكذا قال هاهنا ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ وهذا أول يوم القيامة ولذلك قال: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ ثم على أثره ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا تحذير من اللَّه للناس، أن يقيموا على الكفر والمعاصي، وأنه قد قرب انفتاح يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان عظيمتان من بني آدم، وقد سد عليهم ذو القرنين، لما شكي إليه إفسادهم في الأرض، وفي آخر الزمان، ينفتح السد عنهم، فيخرجون إلى الناس في هذه الحالة والوصف الذي ذكره اللَّه من كل من مكان مرتفع، وهو الحدب ينسلون أي: يسرعون. وفي هذا دلالة على كثرتهم الباهرة، وإسراعهم في الأرض، إما بذواتهم، وإما بما خلق اللَّه لهم من الأسباب التي تقرب لهم البعيد، وتسهل عليهم الصعب، وأنهم يقهرون الناس، ويعلون عليهم في الدنيا، وأنه لا يد لأحد بقتالهم ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أي: يوم القيامة الذي وعد اللَّه بإتيانه، ووعده حق وصدق»[١].

وأما السنة فهي متواترة في خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان[٢]، فمن ذلك:

عن حذيفة بن أَسِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع علينا فقال: «مَا تَذْكُرُونَ؟». قُلْنَا: السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/ ١٠٨٣ - ١٠٨٤).

(٢) نقل الكتاني في النظم المتناثر (١/ ٢٣٠ - ٢٣١) انعقاد إجماع العلماء على ثبوت ذلك، والقول بتواتر هذه الأحاديث عن الأبي. وانظر: لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١١٤).

فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأَرْضِ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ»(١).

وعن زينب بنت جحش ﵂: «أن النبي ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ(٢) يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»(٣).

وهذا فيه أن خروجهم فيه شر عظيم وإهلاك عام، وذكر العرب لأنهم كانوا هم أكثر المسلمين يومئذ.

فإن قيل: هذا يعارض قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾.

قال ابن كثير ﵀: «فالجواب: أما على قول من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفتن، وأن هذا استعارة محضة وضرب مثل، فلا إشكال. وأما على قول من جعل ذلك إخبارًا عن أمر محسوس، كما هو الظاهر المتبادر، فلا إشكال أيضًا؛ لأن قوله: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ أي: في ذلك الزمان، لأن هذه صيغة خبر ماض، فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل بإذن اللَّه لهم في ذلك قدرًا، وتسليطهم عليه بالتدريج قليلًا قليلًا، حتى يتم الأجل وينقضي الأمد المقدور، فيخرجون، كما قال اللَّه تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾» (٤).

وعن النواس بن سمعان ﵁ قال: «ذكر رسول اللَّه ﷺ الدجال فقال:

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

(٢) قال ابن حجر في الفتح (١٣/ ١٠٧): «المراد بالردم السد الذي بناه ذو القرنين».

(٣) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج، ح(٧١٣٥)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، ح(٢٨٨٠).

(٤) البداية والنهاية (٢/ ٥٥٨).

«غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخرِجِي كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى

يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ[(١)] فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى[(٢)] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ[(٣)] وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيَّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ[(٤)] فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ[(٥)] ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[(٦)].

وفي رواية وزاد بعد قوله: «لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ثُمَّ يَسِيرُونَ حتى يَنْتَهُوا إلى جَبَلِ الْخَمَرِ وهو جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَيَقُولُونَ: لقد قَتَلْنَا من في

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦٩): «النغف بنون وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم الواحدة نغفة». وانظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٨٧).

(٢) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦٩): «الفرسى بفتح الفاء مقصور أي قتلى واحدهم فريس».

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦٩): «زهمهم بفتح الهاء أي دسمهم ورائحتهم الكريهة».

(٤) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٦/ ٤١٩): «بضم موحدة وسكون معجمة نوع من الإبل أي طيرًا أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت».

(٥) قال ابن حجر في الفتح (١٣/ ١١٠): «والزلفة بفتح الزاي واللام وقيل بتسكينها وقيل بالقاف هي المرآة بكسر الميم، وقيل المصنع الذي يتخذ لجمع الماء، والمراد أن الماء يعم جميع الأرض فينظفها حتى تصير بحيث يرى الرائي وجهه فيها».

(٦) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٧).

الأرض هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ من في السَّمَاءِ فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إلى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللَّه عليهم نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا»، وفي رِوَايَةِ ابن حُجْرٍ: «فَإِنِّي قد أَنْزَلْتُ عِبَادًا لي لَا يَدَيْ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ»[١].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمأْجُوجُ، يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عز وجل: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾، فَيَغْشَوْنَ الْأَرْضَ، وَيَنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ، وَيَضُمُّونَ إِلَيْهِمْ مَوَاشِيَهُمْ، وَيَشْرَبُونَ مِيَاهَ الْأَرْضِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرُّ بِالنَّهَرِ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهِ، حَتَّى يَتْرُكُوهُ يَبَسًا، حَتَّى إِنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ لَيَمُرُّ بِذَلِكَ النَّهَرِ فَيَقُولُ: قَدْ كَانَ هَاهُنَا مَاءٌ مَرَّةً، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَحَدٌ فِي حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ قَالَ قَائِلُهُمْ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَرْضِ، قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ، بَقِيَ أَهْلُ السَّمَاءِ»، قَالَ: «ثُمَّ يَهُزُّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ ثُمَّ يَرْمِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ إِلَيْهِ مُخْتَضِبَةً دَمًا، لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، بَعَثَ اللَّهُ دُودًا فِي أَعْنَاقِهِمْ، كَنَغَفِ الْجَرَادِ الَّذِي يَخْرُجُ فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى لَا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسًّا، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: أَلَا رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ فَيَنْظُرَ مَا فَعَلَ هَذَا الْعَدُوُّ». قَالَ: «فَيَتَجَرَّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِذَلِكَ مُحْتَسِبًا لِنَفْسِهِ قَدْ أَظَنَّهَا عَلَى أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَيَنْزِلُ، فَيَجِدُهُمْ مَوْتَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَيُنَادِي: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَلَا أَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَاكُمْ عَدُوَّكُمْ. فَيَخْرُجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ، وَحُصُونِهِمْ، وَيُسَرِّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ، فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إِلَّا لُحُومُهُمْ، فَتَشْكَرُ عَنْهُ كَأَحْسَنِ مَا تَشْكَرُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النَّبَاتِ أَصَابَتْهُ قَطُّ»[٢].

---

(١) المصدر السابق ح(٢٩٣٧).

(٢) رواه أحمد، ح(١١٧٣١) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده حسن»، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٩)، وأبو يعلى في مسنده، ح(١٣٥١)، وابن حبان، ح(٦٨٣٠)، والحاكم (٥/ ٦٨٧ - ٦٨٩) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٣٧): «إسناد جيد»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٧٩٣).

وعن عبد اللَّه بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، قَالَ: فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ: أَمَّا وَجْبَتُهَا، فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، ذَلِكَ وَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي ﷻ أَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، قَالَ: وَمَعِي قَضِيبَانِ، فَإِذَا رَآنِي، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُ اللَّهُ، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُول: يَا مُسْلِمُ، إِنَّ تَحْتِي كَافِرًا، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطؤُونَ بِلَادَهُمْ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَيُمِيتُهُمْ، حَتَّى تَجْوَى(١) الأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ، قَالَ: فَيُنْزِلُ اللَّهُ ﷻ الْمَطَرَ، فَتَجْرُفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ» قَالَ أَبِي: ذَهَبَ عَلَيَّ هَاهُنَا شَيْءٌ لَمْ أَفْهَمْهُ، «كَأَدِيمٍ»، وَقَالَ يَزِيدُ يَعْنِي ابْنَ هَارُونَ: «ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ، وَتُمَدُّ الأَرْضُ مَدَّ الأَدِيمِ» ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ هُشَيْمٍ، قَالَ: «فَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي ﷻ: أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ، الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادَتِهَا لَيْلًا، أَوْ نَهَارًا»(٢).

---

(١) قال أبو عبيد في غريب الحديث (٥/ ٤٨٣): «الجوى: المنتن المتغير ومنه حديث يأجوج ومأجوج: إنهم يموتون فتجوى الأرض منهم، أي تنتن».

(٢) رواه أحمد، ح(٣٥٥٦)، وابن ماجه كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٨١)، والحاكم (٤/ ٤٨٨، ٤٨٩) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا البوصيري في الزوائد بقوله: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات»، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: «إسناده صحيح»، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ح(٤٧١٢)، وفي السلسلة الضعيفة، ح(٤٣١٨) وقال: «ضعيف بهذا السياق، أخرجه ابن ماجه، والحاكم في المستدرك والإمام أحمد في مسنده عن مؤثر بن عفازة، عن عبد اللَّه بن مسعود مرفوعًا. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، ثم البوصيري. قلت: وفيه نظر؛ =

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَسْتَثْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيُنَشِّفُونَ الْمِيَاهَ، وَيَتَحَصَّنَ النَّاسُ مِنْهُمْ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ وَعَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ وَتَشْكَرُ شَكَرًا(١) مِنْ لُحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ»(٢).

= لأن مؤثر بن عفازة؛ لم يوثقه غير ابن حبان، ولذلك قال الحافظ: مقبول. يعني عند المتابعة، ولم أجد له متابعًا، فالحديث ضعيف غير مقبول بهذا السياق، وبعضه في مسلم».

قلت: قوله في الحديث: «ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ، وَتُمَدُّ الْأَرْضُ مَدَّ الْأَدِيمِ» مخالف لما هو معلوم من أن ذلك يكون عند قيام الساعة لا قبلها، وأكثر فقرات الحديث لها شواهد في الصحيح وغيره.

(١) «أي تسمن وتمتلئ شحمًا يقال: شكرت الشاة بالكسر تشكر شكرًا بالتحريك إذا سمنت وامتلأ ضرعها لبنًا». النهاية (٢/ ٤٩٤).

(٢) رواه أحمد، ح(١٠٦٣٢) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الكهف، ح(٣١٥٣) وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٨٠)، وقال البوصيري في الزوائد: «إسناده صحيح، رجاله ثقات»، وابن حبان، ح(٦٨٢٩)، وأبو يعلى في مسنده، ح(٦٤٣٦)، والحاكم (٥/ ٦٨٦ - ٦٨٧) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في التفسير (٩/ ١٩٣): «وإسناده جيد قوي ولكن متنه في رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون غدا نفتحه فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون كذلك فيصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا نفتحه ويلهمون أن يقولوا إن شاء اللَّه فيصبحون وهو كما فارقوه فيفتحونه وهذا متجه ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب =

وعن النواس بن سمعان ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ»(١).

وخلاصة ما دلت عليه هذه الأحاديث:

١- أن يأجوج ومأجوج طائفتان عظيمتان من بني آدم.

٢- أن خروجهم يكون بعد موت الدجال وفي زمان عيسى ﵇ وأن خروجهم شر عظيم وبلاء مستطير على أهل الأرض وأنهم كثير، وأنه لا طاقة لأحد من العباد بقتالهم، وأن ذلك من علامات الساعة الكبرى التي يليها النفخ في الصور وقيام الساعة، ولذلك قال ﷺ: «إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ، الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادَتِهَا لَيْلًا، أَوْ نَهَارًا».

٣- أن سدهم مثقوب الآن، وأن خروجهم فيه شر عظيم وإهلاك عام،

= فإنه كان كثيرًا ما كان يجالسه ويحدثه فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه واللَّه أعلم». وقال في البداية والنهاية (٢/ ٥٥٩ - ٥٦٠) في الجمع بينه وبين الآية: «فإن لم يكن رفع هذا الحديث محفوظا، وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار، كما قاله بعضهم، فقد استرحنا من المئونة، وإن كان محفوظًا فيكون محمولًا على أن صنيعهم هذا يكون في آخر الزمان عند اقتراب خروجهم، كما هو المروي عن كعب الأحبار، أو يكون المراد بقوله: وما استطاعوا له نقبًا أي: نافذًا منه، فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفذوه. واللَّه أعلم. وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في الصحيحين عن أبي هريرة ﵁: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد تسعين». أي: فتح فتحًا نافذًا فيه. واللَّه أعلم». وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٧٣٥) وقال معقبًا على كلام ابن كثير: «ولكن الآية لا تدل من قريب ولا من بعيد أنهم لن يستطيعوا ذلك أبدًا، فالآية تتحدث عن الماضي، والحديث عن المستقبل الآتي، فلا تنافي ولا نكارة بل الحديث يتمشى تمامًا مع القرآن في قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٦] وبعد كتابة هذا رجعت إلى القصة في كتابه البداية والنهاية، فإذا به أجاب بنحو هذا الذي ذكرته، مع بعض ملاحظات أخرى لنا عليه يطول بنا الكلام لو أننا توجهنا لبيانها، فليرجع إليه من شاء الوقوف عليه».

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ح(١٤٩٥)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٩٤٠).

ودلالة على كثرة الخبث في الناس، وقلة أهل الإيمان والصلاح.

٤- في الأحاديث دلالة على سرعة تتابع الآيات وكأنها خرزات منظومات في سلك.

٥- أن خروجهم يكون بمشيئة اللَّه تعالى، وأن اللَّه منعهم من موالاة الحفر ليلًا ونهارًا ولم يمكنهم من استعمال آلات للصعود، وأنهم أهل طاعة، وفيهم ولاية وسلطة ورعية تطيع من فوقها.

٦- أن على القائد المسلم إذا كان العدو لا قبل لأهل الإسلام بقتاله، وأن في القتال استئصال لأهل الإسلام، أن لا يواجه بهم العدو، وإنما يحرز بهم إلى مأمن، ويحفظ بيضتهم، ولذلك لا يأذن اللَّه لنبيه عيسى عليه السلام بقتال يأجوج ومأجوج، لأنه «لَا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ»، ويأمره بقوله: «فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ».

٧- أن اللَّه عز وجل يقتلهم في ليلة واحدة بعد تكبرهم وزعمهم أنهم قهروا أهل السماء والأرض، وذلك بأن يسلط عليهم خلقًا ضعيفًا وهو النغف، فيأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد، ثم يرسل اللَّه عليهم طيرًا فتحملهم حيث شاء اللَّه تعالى.

٨- أن على أهل الإيمان أن يلجؤوا إلى اللَّه في الفتن ولذلك في الحديث: «فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ».

٩- أن جزءًا من فترة نزول عيسى عليه السلام وحكمه يكون المسلمون فيه في ضيق شديد وفتن وذلك خلال ملحمة الدجال وخروج يأجوج ومأجوج.

١٠-أن دواب الأرض والمواشي ترعى لحومهم، وهذا من خوارق ذلك الزمان الذي تتغير فيه طبائع الأشياء بإرادة اللَّه تعالى، لأن المواشي لا تأكل اللحم في العادة.

١١-أن هلاكهم يكون عند جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس.

١٢-أن أسلحتهم تكون وقودًا للمسلمين لمدة سبع سنين.

١٣-أن اللَّه يُنزل بعد هلاكهم مطرًا غزيرًا يزيل آثارهم حتى يترك الأرض كالمرآة نقية.

١٤-أن بعد هلاكهم يطيب العيشُ، وتخرج الأرضُ بركتها، وتقع الأمنة فيها، وينتشر الإسلام.

وفي هذا الشرط دليل على قصور علم البشر، وعدم إدراكهم لكل ما على أرضهم، مع ما فتح اللَّه عليهم من آلات وإمكانات، وهؤلاء يأجوج ومأجوج موجودون جزمًا على وجه الأرض، وبأعداد لا يحصيها إلا اللَّه عز وجل، ومع ذلك لا يعلم بهم أحد، ولا يدرى مكانهم على التحديد، وهذا من قدرة اللَّه تعالى على إخفاء أمرهم حتى يأتي الوقت المحدد لإخراجهم على الناس، ومما يؤيد إمكان هذا ما ذكره اللَّه تعالى عن تيه بني إسرائيل: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]، فتاهوا أربعين سنة، وهم في فراسخ قليلة من الأرض يمشون ليلهم ونهارهم، ولم يطلع عليهم أحد حتى انتهى أمد التيه.

ولا يجوز تكذيب القرآن والسنة ورد أخبارهما بحجة أن المستكشفين والأقمار الصناعية لم يقفوا على أثر لذلك، لأن هذا مما أراد اللَّه إخفاءه، وضرب له موعدًا لا يعلمه إلا هو، ولن يظهر عليه الناس حتى يأتي وعد اللَّه، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾، والناس لما يبلغوا علم أسرار القطبين، ولم يكتشفوا أغوار أكثر البحار، ولم يقفوا على جبل الذهب في الفرات، مع إتاحة علم ذلك، فكيف بعلم ما حجبوا عنه، فلا شك أن إنكار هذا الشرط ونفي وجود السد بهذه الشبهة، مع ثبوت ذلك في القرآن والسنة المتواترة ضلال مبين، وإفك عظيم(١).

(١) انظر: أضواء البيان (٤/ ٢٣٦ - ٢٣٧).

وأما سدهم:

فالذي دلت عليه الآيات أنه في جهة المشرق، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ [الكهف: ٩٠] والشمس تطلع من المشرق، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ولا يعرف مكان السد بالتحديد، وقد حاول بعض الملوك والمؤرخين أن يتعرفوا إلى مكانه، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد ذكر أن الخليفة الواثق بعث رسلًا من جهته، وكتب لهم كتبًا إلى الملوك يوصلونهم من بلاد إلى بلاد حتى ينتهوا إلى السد، فيكشفوا عن خبره وينظروا كيف بناه ذو القرنين، وعلى أي صفة، فلما رجعوا أخبروا عن صفته وأن فيه بابًا عظيمًا وعليه أقفال، وأنه بناء محكم شاهق منيف جدًّا، - لا يستطاع ولا ما حوله من الجبال - وأن بقية اللبن الحديد والآلات في برج هناك، وذكروا أنه لا يزال هناك حرس لتلك الملوك المتاخمة لتلك البلاد، - ثم رجعوا إلى بلادهم، وكانت غيبتهم أكثر من سنتين، وشاهدوا أهوالًا وعجائب - ومحلته في شرقي الأرض في جهة الشمال، في زاوية الأرض الشرقية الشمالية»(١).

والحق أنه لا يعنينا تحديد مكان السد، بل حسبنا أن نقف عند ما أخبرنا الله به، وما ثبت عن رسولنا ﷺ في ذلك، وهو أن سد يأجوج ومأجوج موجود وباقٍ إلى أن يأتي الوقت المحدد لخروجهم، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

وقد بين الله تعالى أن ذا القرنين بنى هذا السد بين جبلين، وساوى به الجبال الصم الشامخات الطوال، وبناه بزبر الحديد، وأفرغ عليه النحاس المذاب، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجلَّ منه، ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم»(٢).

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٥٥٧)، وما بين المعكوفتين من التفسير (٩/ ١٩٢).

(٢) البداية والنهاية (٢/ ٥٥٦).

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال رجل للنبي ﷺ: «رَأَيْتُ السَّدَّ مِثْلَ الْبُرْدِ الْمُحَبَّرِ. قَالَ: «قد رَأَيْتَهُ»(١).

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٣٨)، قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٥٥٦): «هكذا ذكره البخاري معلقًا بصيغة الجزم، ولم أره مسندًا من وجه متصل أرتضيه، غير أن ابن جرير رواه في تفسيره مرسلًا». وقال ابن حجر في الفتح (٦/ ٣٨٦): «وصله ابن أبي عمر من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي ﷺ: «يا رسول اللَّه قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال: «كيف رأيته؟» قال: مثل البرد المحبر طريقة حمراء وطريقة سوداء. قال: «قد رأيته»، وقال في تغليق التعليق (٤/ ١٢ - ١٣): «هذا إسناد صحيح إلى قتادة، فإن كان سمعه من هذا الرجل فهو حديث صحيح، لأن عدم معرفة اسم الصحابي لا تضر عند الجمهور، لأن كلهم عدول، ولكن قد اختلف فيه على قتادة، فرواه سعيد بن أبي عروبة عنه هكذا، ورواه سعيد بن بشير عنه فاختلف عليه فيه، فقال أبو الجماهير والوليد بن مسلم عنه عن قتادة عن رجلين عن أبي بكرة الثقفي. رواه ابن مردويه في تفسيره عن الطبراني عن أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة عن أبي الجماهير بهذا. ورواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن عن شيخ له عن سعيد بن بصير عن قتادة أن رجلًا أتى النبي ﷺ فذكره مرسلًا. ورواه مسلمة بن علي عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أنس، ومسلمة ضعيف، وليس هذا من حديث أنس، واللَّه أعلم. ورواه يوسف بن أبي مريم الحنفي عن أبي بكرة ورجل رأى السد فساقه مطولًا. ورواه البزار في مسنده من هذا الوجه بإسناد حسن».

المبحث الثالث
الخسوفات الثلاثة

عن حذيفة بن أَسِيدٍ ﷺ قال: «كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع علينا فقال: «مَا تَذْكُرُونَ؟». قُلْنَا: السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ فِى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأَرْضِ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ»(١).

وفي رواية: «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تَذَاكَرُونَ؟» قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قال: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: فذكر الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى بن مَرْيَمَ ﷺ وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذلك نَارٌ تَخْرُجُ من الْيَمَنِ تَطْرُدُ الناس إلى مَحْشَرِهِمْ»(٢).

وعن أم سلمة ﵂ قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «سَيَكُونُ بَعْدِي خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يُخْسَفُ بِالأَرْضِ وَفِيهِم الصَّالِحُونَ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِهَا الْخَبَثَ»(٣).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

(٢) المصدر السابق ح(٢٩٠١).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٢٣/ ٢٧١)، ح(٥٨٠)، وفي الأوسط، ح(٣٦٤٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١١): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات».

والخسف: سؤوخ الأرض بما عليها وذهابها به، بحيث تنشق وتبتلع ما عليها، فيقال: خسف اللَّه به الأرض، وخسف المكان: ذهب في الأرض[(١)].

وهذه الخسوفات الثلاثة من أشراط الساعة الكبرى، وهي لم تقع بعد على الراجح من أقوال العلماء[(٢)]، وذلك أن الأشراط الكبرى لم يقع شيء منها بعد، ووقوعها متتابع لقوله ﷺ: «خُرُوجُ الآيَاتِ بعضها عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ يَتَتَابَعْنَ كَمَا تَتَابَعُ الْخَرَزُ فِي النِّظَامِ»[(٣)].

وفي حديث أم سلمة دلالة على أن الخسف يكون بسبب كثرة الفساد والخبث كما قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [النحل: ٤٥].

ولعل خسفَ جزيرة العرب يكون بالجيش العظيم الذي يؤم البيت الحرام قاصدًا المهدي، كما تقدم في مبحث المهدي، وقالت بُقَيْرَة امْرَأَة الْقَعْقَاع بن أَبِي حَدْرَدٍ رضي الله عنها: سمعت رسول اللَّه ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِجَيْشٍ قَدْ خُسِفَ بِهِ قَرِيبًا فَقَدْ أَظَلَّتِ السَّاعَةُ»[(٤)].

---

(١) انظر: لسان العرب (٢/ ١١٥٧).

(٢) اختار البرزنجي في الإشاعة ص(١٠٤) أن هذا مما وقع.

(٣) رواه ابن حبان، ح(٦٨٣٣)، والطبراني في الأوسط، ح(٤٢٧١)، والدينوري في المجالسة، ح(٢١٥٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢١): «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل وداود الزهراني وكلاهما ثقة»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٢١٠).

(٤) رواه الحميدي في مسنده، ح(٣٥١)، وأحمد، ح(٢٧١٢٩، ٢٧١٣٠) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف»، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٢٠٣)، ح(٥٢٢، ٥٢٣)، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٨/ ٩٢): «رواه الحميدي ورواته ثقات»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(١٣٥٥) وقال: «وهذا إسناد حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن إسحاق وهو حسن الحديث إذا أمنا تدليسه كما هنا فقد صرح بالتحديث وذلك من فوائد الحميدي رحمه الله دون أحمد، ولذلك أعله الهيثمي بالعنعنة، فقال المناوي في شرحه على جامع السيوطي: قد رمز لحسنه، وهو كما قال، إذ غاية ما فيه أن فيه ابن إسحاق، وهو ثقة لكنه مدلس، قال الهيثمي: وبقية رجال إسنادي أحمد رجال الصحيح».

وأما خسف المشرق فلعله يكون في العراق وبالأخص بالبصرة، فعن أنس ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال له: «يَا أَنَسُ، إِنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا، وَإِنَّ مِصْرًا مِنْهَا يُقَالُ لَهُ: الْبَصْرَةُ، أَوِ الْبُصَيْرَةُ، فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِهَا، أَوْ دَخَلْتَهَا، فَإِيَّاكَ وَسِبَاخَهَا[(١)]، وَكِلاَءَهَا[(٢)]، وَسُوقَهَا[(٣)]، وَبَابَ أُمَرَائِهَا[(٤)]، وَعَلَيْكَ بِضَوَاحِيهَا[(٥)]، فَإِنَّهُ يَكُونُ بِهَا خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَرَجْفٌ، وَقَوْمٌ يَبِيتُونَ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ»[(٦)].

وجعل هذه الخسوفات الثلاثة من الآيات والأشراط الكبرى إشارة إلى عظمها وعمومها، فهي تكون في مشارق الأرض ومغاربها وفي جزيرة العرب وهي أرض الحجاز[(٧)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرًا زائدًا على ما وجد كأن يكون أعظم منه

---

(١) السباخ: «بكسر السين جمع سبخة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر». عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/ ٤٢٠).

(٢) قال ابن الأثير: «الكلاء بالتشديد والمد، والمكلأ شاطئ النهر والموضع الذي تربط فيه السفن، ومنه سوق الكلاء بالبصرة». النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٩٤).

(٣) أي احذر سوقها، قال العظيم آبادي: «إما لحصول الغفلة فيها أو لكثرة اللغو بها أو فساد العقود ونحوها». عون المعبود (١١/ ٤٢٠).

(٤) قال العظيم آبادي: «أي لكثرة الظلم الواقع بها». عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/ ٤٢٠).

(٥) الضواحي: الأطراف والناحية البارزة، وهو أمر بالعزلة. انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/ ٤٢٠).

(٦) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب في ذكر البصره، ح(٤٣٠٧) وصححه الألباني في تعليقه، وفي صحيح الجامع الصغير، ح(٧٨٥٩).

(٧) جاء في رواية عن أبي سَريحة الغفاري - وهو حذيفة بن أسيد - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عَشْرٌ قَبْلَ السَّاعَةِ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِحِجَازِ الْعَرَبِ... » الحديث. رواه الطبراني في الكبير، ح(٣٠٦٠). واختلف العلماء في حد جزيرة العرب، والذي عليه أكثر العلماء أنها الحجاز وهي مكة والمدينة ومخاليفهما، وهي التي أمر النبي ﷺ بإخراج المشركين منها. انظر: تفصيل ذلك في أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/ ٣٧٧ - ٣٩٣).

مكانًا أو قدرًا»[١].

وهذا الشرط اللَّه أعلم بزمان حصوله وترتيبه من بقية الأشراط، غير أنه ذكر في أول رواية حذيفة الأولى، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأول الآيات على ما في هذه الروايات الخسوفات الثلاثة»[٢]، ولكن من المعلوم أن هذا السرد لا يقتضي الترتيب، لاسيما وقد اختلف الترتيب من رواية لأخرى في الصحيح.

قلت: من حمل خسف جزيرة العرب على الجيش الذي يقصد المهدي، فقد جعله أول الآيات لزومًا، إذ لا شك أن ظهور المهدي قبل ظهور الدجال والآيات الكبرى، ولكن يبقى الكلام في خسف المشرق والمغرب، واللَّه أعلم بصفة ذلك ومكانه وزمانه.

(١) فتح الباري (١٣/ ٨٤).

(٢) التذكرة (٣/ ١٢٦٣).

المبحث الرابع
خروج الدابة

وخروجها ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

أما الكتاب:

فقال اللَّه تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر اللَّه وتبديلهم الدين الحق، يخرج اللَّه لهم دابة من الأرض، فتكلم الناس على ذلك، قال ابن عباس، والحسن، وقتادة: تكلمهم، أي تخاطبهم مخاطبة. ورجح ابن جرير تخاطبهم فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وحكاه عن علي، وعطاء، وفي هذا نظر. وعن ابن عباس: تكلمهم: تجرحهم. يعني تكتب على جبين الكافر: «كافر» وعلى جبين المؤمن: «مؤمن». وعنه: تخاطبهم وتجرحهم. وهذا القول ينتظم المذهبين، وهو قوي حسن جامع لهما، واللَّه أعلم»(١).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذه الدابة هي الدابة المشهورة التي تخرج في آخر الزمان وتكون من أشراط الساعة كما تكاثرت بذلك الأحاديث ولم يأت دليل يدل على كيفيتها ولا من أي نوع هي؛ وإنما دلت الآية الكريمة على أن اللَّه يخرجها للناس وأن هذا التكليم منها خارق للعوائد المألوفة، وأنه من الأدلة

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٠/ ٤٣٠)، والبداية والنهاية (١٩/ ٢٤٧).

على صدق ما أخبر اللَّه به في كتابه واللَّه أعلم»(١).

وأما السنة:

فالأحاديث في ذلك كثيرة(٢)، منها:

عن حذيفة بن أَسِيدٍ ﷺ قال: «كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع علينا فقال: «مَا تَذْكُرُونَ؟». قُلْنَا: السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ فِى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَالدُّخَانُ وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأَرْضِ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ»(٣).

قال النووي رحمه الله: «وأما الدابة المذكورة في هذا الحديث فهي المذكورة في قوله تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً﴾»(٤).

وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: «حفظت من رسول اللَّه ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ على الناس ضُحًى وَأَيُّهُمَا ما كانت قبل صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى على إِثْرِهَا قَرِيبًا»(٥).

قال ابن كثير رحمه الله: «أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال، ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، فكل ذلك أمور مألوفة، لأنهم بشر، مشاهدتهم

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٣/ ١٢٦١ - ١٢٦٢).

(٢) نقل الكتاني في النظم المتناثر (١/ ٢٣٠ - ٢٣١) انعقاد إجماع العلماء على ثبوت ذلك، والقول بتواتر هذه الأحاديث عن الإبي.

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

(٤) شرح مسلم (١٨/ ٢٧).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه...، ح(٢٩٤١).

وأمثالهم معروفة مألوفة، فأما خروج الدابة على شكل غير مألوف، ومخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان والكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية، فإنها تطلع على خلاف عادتها المألوفة. واللَّه سبحانه أعلم»(١).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الحاكم أبو عبد اللَّه: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه. قلت: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ وَالدُّخَانَ وَدَابَّةَ الأرض وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَأَمْرَ الْعَامَّةِ(٣) وَخُوَيِّصَةَ أَحَدِكُمْ(٤)»(٥).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ثَلَاثٌ إذا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لم تَكُنْ آمَنَتْ من قَبْلُ أو كَسَبَتْ في إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأرض»(٦).

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٢٥٤). (٢) فتح الباري (١٣/ ٣٥٣).

(٣) قال في النهاية (٣/ ٣٠٢): «أراد بالعامة القيامة لأنها تعم الناس بالموت».

(٤) «المراد حادثة الموت التي تخص المرء، وصغرت لاستصغارها في جنب سائر الحوادث العظام من البعث والحساب وغير ذلك». الفائق في غريب الحديث (١/ ٣٧٦).

(٥) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(٢٩٤٧).

(٦) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح(١٥٨).

النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ(١)، ثُمَّ يُغْمَرُونَ(٢) فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ فَيَقُولُ: مِمَّنْ اشْتَرَيْتَهُ؟ فَيَقُولُ: اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ(٣)»(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا عَصَا مُوسَى وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ فَتَجْلُو(٥) وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، وَتَخْتِمُ(٦) أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ(٧) لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ»(٨).

---

(١) قال القاضي عياض في إكمال المعلم (٧/ ٤٨٤): «الخرطوم من الإنسان الأنف، ومن السباع موضع الشفة».

(٢) وفي رواية: «ثُمَّ يُعَمَّرُونَ فِيكُمْ». رواه أحمد، ح(٢٢٣٠٨)، والجعد في مسنده، ح(٢٩١٩)، أي تطول أعمارهم، و«يُغْمَرُونَ» أو «يَغْمُرُونَ»: من الغَمْر وهو الكثير، أي يغمر من دخله ويغطيه لكثرته، فيُغمرون فيكم: أي يَغطون، كأنكم قد غطيتموهم لكثرتكم، وهم مغمورون فيكم. ويَغْمرون فيكم: أي يكثرون بحيث يغطونكم من كثرتهم. انظر: النهاية (٣/ ٣٨٣ - ٣٨٤).

(٣) قال في اللسان (٢/ ١٢٠٤): «الخطم الأثر على الأنف كما يخطم البعير بالكي يقال: خطمت البعير وهو أن يوسم بخط من الأنف إلى أحد خديه وبعير مخطوم ومعنى قوله تخطمه أي تسمه بسمة يعرف بها».

(٤) رواه أحمد، ح(٢٢٣٠٨) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح»، والبخاري في التاريخ (٢/ ١٧٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٦): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير عمر بن عبدالرحمن بن عطية، وهو ثقة»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٣٢٢).

(٥) أي تصقله وتبيضه وتنوره. انظر: تحفة الأحوذي (٩/ ٣٢).

(٦) وفي رواية: «فَتَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ». رواه أحمد، ح(٧٩٣٧)، ابن ماجه، ح(٤٠٦٦)، وهو الموافق لما في حديث أبي أمامة المتقدم: «الْمُخَطَّمِينَ». انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٥٠).

(٧) الخوان: «هو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل». النهاية في غريب الحديث (٢/ ٨٩).

(٨) رواه أحمد، ح(١٠٣٦١) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جُدْعان، وجهالة أوس بن خالد»، والترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة النمل، ح(٣١٨٧) وقال: «هذا حديث حسن غريب»، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب دابة الأرض، ح(٤٠٦٦)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٤٤٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٣٢) وسكت عنه، وأبو داود الطيالسي في مسنده، ح(٢٦٨٧) ولكنه خالف في لفظه فقال: «تَخْرُجُ دَابَّةُ الأَرْضِ مَعَهَا عَصَا مُوسَى، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ، تَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْعَصَا، وَتُجْلِي وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى الْخِوَانِ، يُعْرَفُ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكَافِرِ». قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٥٣): «وهذا أنسب، والله أعلم». وقال الألباني في =

وأما الإجماع:

فقال أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأجمعوا على أن الإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي إلى السموات واجب، وكذلك ما روي من خبر الدجال ونزول عيسى بن مريم وقتله الدجال وغير ذلك من سائر الآيات التي تواترت الرواية بين يدي الساعة من طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك مما نقله إلينا الثقات عن رسول اللَّه وعرَّفونا صحته»[1].

وقد كثرت الروايات والآثار[2] في وصف هذه الدابة، وحقيقتها، وماهيتها، وطولها، وشكلها، وسيرتها، ومكان خروجها ووقته ومراته، إلا أنه لم يصح غير أنها خلق عظيم، يخرج من بعض بقاع الأرض، في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر اللَّه وتبديلهم الدين الحق، فتُكلم الناس على ذلك، وهي ليست بإنسان، وإنما كما قال اللَّه: ﴿دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، لا يفوتها أحد من الناس، فتسم أنف الكافر، وتجلو وجه المؤمن، وتميز بين الناس، ويكون خروجها خارجًا عن مجاري العادات، ومخالفًا للمألوفات، وقد حذر اللَّه العباد خروجها، وأمرهم بمبادرة الصالحات قبلها، وأخبرهم بأنه لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، وأما ما عدا ذلك من أوصاف فموكول إلى عالم الغيب سبحانه، ولعل في إبهامها زيادة تفخيم لها وتخويف منها[3].

= الضعيفة، ح(١١٠٨): «منكر وفيه علتان: الأولى: أوس بن خالد، ذكره البخاري في الضعفاء. وقال ابن القطان: له عن أبي هريرة ثلاثة أحاديث منكرة، وليس له كبير شيء. كذا في الميزان. وفي التقريب: مجهول. الأخرى: علي بن زيد وهو ابن جدعان، ضعيف».

(١) رسالة إلى أهل الثغر ص(٢٨٨ - ٢٩٢). وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص(٨٢ - ٨٦).

(٢) انظر: هذه الآثار في تفسير الطبري (٢٠/ ١٥ - ١٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٢٠٩ - ٢١٤)، والتذكرة (٣/ ١٣٣٥ - ١٣٣٦)، والبداية والنهاية (١٩/ ٢٤٨ - ٢٥٤)، والدر المنثور (١١/ ٤٠١ - ٤١٢)، والإشاعة ص(٣٢٠ - ٣٢٥)، ولوامع الأنوار (٢/ ١٤٦ - ١٤٩)، وكتاب من أشراط الساعة خروج دابة الأرض ص(٢٣ - ٦٠).

(٣) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٧١).

قال أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واختلفوا في ماهيتها، وشكلها، ومحل خروجها، وعدد خروجها، ومقدار ما تخرج منها، وما تفعل بالناس، وما الذي تخرج به، اختلافًا مضطربًا معارضًا بعضه بعضًا، ويكذب بعضه بعضًا؛ فاطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله»[(١)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اختلف في صورتها، وفي أي موضع تخرج منه على أقوال كثيرة، وليس في شيء من ذلك خبر صحيح مرفوع»[(٢)].

وقال الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ذكر جملة من أوصافها: «واعلم أنه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الأمور، فإن صح الخبر فيه عن الرسول ﷺ قبل، وإلا لم يلتفت إليه»[(٣)].

وقال محمد الصالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس في القرآن والسنة الصحيحة ما يدل على مكان خروج هذه الدابة وصفتها، وإنما وردت في ذلك أحاديث في صحتها نظر، وظاهر القرآن أنها دابة تنذر الناس بقرب العذاب والهلاك والله أعلم»[(٤)].

هذا الذي ينبغي أن يسلك خشية الوقوع في المحظور، والغيب لا يُثبت إلا بالوحي الصحيح، والله تعالى أعلم.

(١) البحر المحيط (٨/ ٢٦٨ - ٢٦٩).
(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٧/ ٢٤٠).
(٣) مفاتيح الغيب (٢٤/ ١٨٧).
(٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ٥٦). وانظر: صحيح أشراط الساعة للشلبي ص(٣٠٣ - ٣٠٥).

المبحث الخامس
النار التي تحشر الناس

عن حذيفة بن أَسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تَذَاكَرُونَ؟» قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قال: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: فذكر الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى بن مَرْيَمَ ﷺ وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذلك نَارٌ تَخْرُجُ من الْيَمَنِ تَطْرُدُ الناس إلى مَحْشَرِهِمْ»(١).

وفي رواية: «وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ(٢) تَرْحَلُ(٣) النَّاسَ»(٤).

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ، قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَاذَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ(٥)»(٦).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

(٢) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٨): «معناه من أقصى قعر أرض عدن، وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن».

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٢٩): «هو بفتح التاء وإسكان الراء وفتح الحاء المهملة المخففة، ومعناه تأخذهم بالرحيل وتزعجهم».

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

(٥) قال القرطبي في التذكرة (٢/ ٥١٦): «أمر بسبقها إليه قبل إزعاجها لهم».

(٦) رواه أحمد، ح(٤٥٣٦، ٥٣٧٦) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز، ح(٢٢١٧) وقال: «وهذا حديث حسن غريب صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٣٦٠٩)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٢٧٦٨).

وعن أبي ذر ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ جَبَلِ الْوِرَاقِ، تُضِيءُ مِنْهَا أَعْنَاقُ الإِبِلِ بُرُوكًا بِبُصْرَى كَضَوْءِ النَّهَارِ»[١].

وعن أنس ﷺ قال: «بلغ عبد اللَّه بن سلام مقدم رسول اللَّه ﷺ المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ...» الحديث[٢].

وهذا الحديث يعارض ظاهره قوله ﷺ في حديث حذيفة: «وَآخِرُ ذلك نَارٌ تَخْرُجُ من الْيَمَنِ».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويجمع بينهما بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلًا، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا»[٣].

فالنار آخر آيات الدنيا، وأول آيات الآخرة، وهي إنما تحشر شرار الناس،

---

(١) رواه أحمد، ح(٢١٢٨٩) «وقال الأرناؤوط: صحيح لغيره لكن بلفظ: «تخرج نار من الحجاز»، وابن حبان، ح(٦٨٤١)، والحاكم (٥/ ٦٣١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٧): «وهذا الإسناد لا بأس به، وكأنه مما اشتبه على بعض الرواة، فإن النار التي تخرج من قعر عدن من اليمن، هي التي تسوق الناس الموجودين في آخر الزمان إلى المحشر، وأما النار التي تضيء لها أعناق الإبل، فتلك تخرج من أرض المدينة النبوية»، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٢): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، غير حبيب بن جماز وهو ثقة»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٣٠٨٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ح(٣٣٢٩).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٨٢).

لأنها بعد الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، قال ﷺ: «وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»(١).

قال ابن رجب رحمه الله: «فأما شرار الناس فتخرج نار في آخر الزمان تسوقهم إلى الشام قهرًا حتى تجتمع الناس كلها بالشام قبل قيام الساعة»(٢).

وأما قوله ﷺ: «تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ»، فهو مشكل مع ما تقدم أن النار: «تَخْرُجُ من الْيَمَنِ تَطْرُدُ الناس إلى مَحْشَرِهِمْ»، لأن اليمن ليس مشرق الشام الذي هو مكان حشر الدنيا.

قال ابن حجر رحمه الله: «وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار، وظهر لي في وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها، والمراد بقوله تحشر الناس من المشرق إلى المغرب إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق، ويؤيد ذلك أن ابتداء الفتن دائمًا من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب، ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتن المنتشرة(٣) التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر وهما من جهة المغرب كما شوهد ذلك مرارًا من المغل من عهد جنكزخان ومن بعده، والنار التي في الحديث الآخر على

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٧).

(٢) لطائف المعارف ص(٨٩).

(٣) قلت: هذا الاحتمال ضعيف، وذلك أن الرسول ﷺ سئل عن أول أشراط الساعة التي لا يعلمها إلا نبي، وكان عند ابن سلام علم بذلك يختبر به النبي ﷺ، فبين له الحقيقة المطابقة لما عنده، ثم الفتن ليست هي أول أشراط الساعة، حتى يقال: أول أشراط الساعة نار تحشر الناس، ثم الحمل على الظاهر لا يتنافى مع كونها تخرج من اليمن، والحمل عليه أولى. والله أعلم.

حقيقتها. والله أعلم»[١].

وأما قوله ﷺ: «تَحْشُرُ النَّاسَ»، فقد جاء بيانه في أحاديث أخر.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا[٢] وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»[٣].

وعن حذيفة بن أَسِيدٍ رضي الله عنه قال: «قام أبو ذر رضي الله عنه فقال: يا بني غفار، قولوا ولا تختلفوا، فإن الصادق المصدوق حدثني: «أَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَفْوَاجٍ: فَوْجٌ رَاكِبِينَ طَاعِمِينَ كَاسِينَ، وَفَوْجٌ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ، وَفَوْجٌ تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ وَتَحْشُرُهُمْ إِلَى النَّارِ» فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: هَذَانِ قَدْ عَرَفْنَاهُمَا، فَمَا بَالُ الَّذِينَ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ؟ قَالَ: «يُلْقِي اللَّهَ الآفَةَ عَلَى الظَّهْرِ حَتَّى لَا يَبْقَى ظَهْرٌ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ الْحَدِيقَةُ الْمُعْجِبَةُ، فَيُعْطِيهَا بِالشَّارِفِ ذَاتِ الْقَتَبِ[٤]، فَلاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا»[٥].

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٧٨ - ٣٧٩).

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٧٩): «فيه إشارة إلى ملازمة النار لهم إلى أن يصلوا إلى مكان الحشر».

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب الحشر، ح(٦٥٢٢)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، ح(٢٨٦١).

(٤) الشارف: الناقة المسنة، والقتب للجمل كالإكاف لغيره، والمراد: الناقة العاملة. النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٦٢ - ٣/ ١١).

(٥) رواه أحمد، ح(٢١٤٥٦) وقال الأرناؤوط: «إسناده قوي»، والبزار في مسنده، ح(٣٨٩١)، والنسائي في السنن، كتاب الجنائز، باب البعث، ح(٢٠٨٥)، والطبراني في الأوسط، ح(٨٤٣٧)، وفي الصغير، ح(١٠٨٤)، والحاكم (٢/ ٣٩٨ - ٣٩٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وتعقبه الذهبي بقوله: «على شرط مسلم، ولكنه منكر، وقد قال ابن حبان في الوليد: فحش تفرده حتى بطل الاحتجاج به»، وحسن إسناده عبدالقادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول، ح(٧٩٥٢)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب، ح(٢٠٩٨): «منكر»، وقال في ضعيف الجامع الصغير، ح(١٨٠١): «ضعيف».

فهذا التقسيم «ورد على القصد من الخلاص من الفتنة، فمن اغتنم الفرصة سار على فسحة من الظهر ويسرة في الزاد راغبًا فيما يستقبله، راهبًا فيما يستدبره، وهؤلاء هم الصنف الأول، ومن توانى حتى قلَّ الظهر وضاق عن أن يسعهم لركوبهم، اشتركوا وركبوا أو تعاقبوا، وهؤلاء هم الصنف الثاني، وأما الصنف الثالث فعبر عنه بقوله: «وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ»، إشارة إلى أنهم عجزوا عن تحصيل ما يركبونه، ولم يقع في الحديث بيان حالهم، بل يحتمل أنهم يمشون أو يسحبون فرارًا من النار التي تحشرهم، ويؤيد ذلك ما وقع في حديث أبي ذر أنهم سألوا عن السبب في مشي المذكورين فقال: «يُلْقِي اللَّهُ الآفَةَ عَلَى الظَّهْرِ حَتَّى لَا يَبْقَى ظَهْرٌ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ الْحَدِيقَةُ الْمُعْجِبَةُ، فَيُعْطِيهَا بِالشَّارِفِ ذَاتِ الْقَتَبِ»، أي يشتري الناقة المسن لأجل كونها تحمله على القتب بالبستان الكريم لهوان العقار الذي عزم على الرحيل عنه، وعزة الظهر الذي يوصله إلى مقصوده وهذا لائق بأحوال الدنيا»(١).

وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تُبْعَثُ نَارٌ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ فَتَحْشُرُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، يَكُونُ لَهَا مَا سَقَطَ مِنْهُمْ وَتَخَلَّفُ، تَسُوقُهُمْ سَوْقَ الْجَمَلِ الْكَسِيرِ»(٢).

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٨١) بتصرف يسير.

(٢) رواه الطبراني في الكبير، ح(١٤٥١٣)، وفي الأوسط، ح(٨٠٩٢)، والحاكم (٤/ ٥٩١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٢): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، ح(٦٩١٥) وقال: «وهذا إسناد ضعيف، رجاله كلهم ثقات؛ غير عمر بن سيف، فإنه لا يعرف إلا بهذه الرواية؛ فقال البخاري في التاريخ: روى عنه قتادة، منقطع. وقال ابن أبي حاتم: روى عن المهلب بن أبي صفرة، روى عنه قتادة حديثًا منقطعًا. سمعت أبي يقول ذلك. وأما ابن حبان فذكره في الثقات! وهو عمدة الهيثمي في قوله في المجمع: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات! قلت: فهو علة الحديث. وقول البخاري وأبي حاتم: منقطع، الظاهر أنه يعني: أنه لم يثبت عنده لقاؤه للمهلب. وهذا أمر ملازم لمن كان مثله في الجهالة. واللَّه أعلم. وقد أسقطه بعضهم من الإسناد؛ فظهر بمظهر الصحة».

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّهَا سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ، يَنْحَازُ النَّاسُ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ، لَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ إِلَّا شِرَارُ أَهْلِهَا، تَلْفِظُهُمْ أَرَضُوهُمْ، تَقْذَرُهُمْ نَفْسُ اللَّهِ، تَحْشُرُهُمُ النَّارُ مَعَ الْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، تَبِيتُ مَعَهُمْ إِذَا بَاتُوا، وَتَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَتَأْكُلُ مَنْ تَخَلَّفَ»(١).

وعن معاوية البهزي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «هَاهُنَا تُحْشَرُونَ. هَاهُنَا تُحْشَرُونَ. هَاهُنَا تُحْشَرُونَ. ثَلَاثًا، رُكْبَانًا وَمُشَاةً، وَعَلَى وُجُوهِكُمْ تُوفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ تَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامُ(٢). أَوَّلُ مَا يُعْرِبُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ» قَالَ ابْنُ أَبِي بُكَيْرٍ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ: «إِلَى هَاهُنَا تُحْشَرُونَ»(٣).

وفي رواية: «تُحْشَرُونَ هَاهُنَا وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَحْوِ الشَّامِ مُشَاةً وَرُكْبَانًا، وَعَلَى وُجُوهِكُمْ تُعْرَضُونَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامُ، وَأَوَّلُ مَا يُعْرِبُ

---

(١) رواه الطيالسي في مسنده، ح(٢٢٩٣)، وعبدالرزاق في المصنف، ح(٢٠٧٩٠)، وأحمد، ح(٦٨٧١) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب»، والطبراني في الأوسط، ح(٦٧٩١)، والحاكم (٤/ ٥٣٣) وسكت عنه، وكذا الذهبي، ورواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب سكنى الشام، ح(٢٤٨٢) مختصرًا، وقال ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٨٠): «أخرجه أحمد، وسنده لا بأس به»، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٨/ ١١٨): «رواه أبو داود الطيالسي، ورواته ثقات»، وقال أحمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد (١١/ ٩٩): «إسناده صحيح»، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٣٢٠٣) وقال: «وهذا إسناد ضعيف، سكت عنه الحاكم والذهبي، وعلته شهر؛ فإنه ضعيف لسوء حفظه. ومع ذلك؛ فقد قال الحافظ في الفتح: أخرجه أحمد، وسنده لا بأس به!، ثم وجدت للحديث طريقًا أخرى، وشاهدًا، يتقوى الحديث بهما ولا بد».

(٢) «الفدام: ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه: أي أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم، فشبه ذلك بالفدام». النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٢١).

(٣) رواه أحمد، ح(٢٠٠١١) وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، والطبراني في الأوسط، ح(٦٤٠٢)، والترمذي في السنن، كتاب صفة القيامة والرقاق، باب ما جاء في شأن الحشر، ح(٢٤٢٤) مختصرًا، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ»[١].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الشَّامُ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ»[٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذه السياقات تدل على أن هذا الحشر هو حشر الموجودين في آخر الدنيا من أقطار الأرض إلى محلة المحشر، وهي أرض الشام، وأنهم يكونون على أصناف ثلاثة؛ فقسم طاعمين كاسين راكبين، وقسم يمشون تارة ويركبون أخرى، وهم يعتقبون على البعير الواحد، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير وعشرة على بعير، يعتقبونه من قلة الظهر، وكما جاء مفسرًا في الحديث الآخر، «وتحشر بقيتهم النار». وهي التي تخرج من قعر عدن، فتحيط بالناس من ورائهم، تسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومن تخلف منهم أكلته.

وهذا كله مما يدل على أن هذا إنما يكون في آخر الزمان آخر الدنيا، حيث يكون الأكل والشرب والركوب موجودًا، والمشترى وغيره، وحيث تهلك المتخلفين منهم النار، ولو كان هذا بعد نفخة البعث لم يبق موت، ولا ظهر يشترى، ولا أكل ولا شرب ولا لبس في العرصات.

والعجب كل العجب أن الحافظ أبا بكر البيهقي بعد روايته لأكثر هذه الأحاديث حمل هذا الركوب على أنه يوم القيامة[٣]، وصحح ذلك، وضعف ما قلناه، واستدل على ما ذهب إليه بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٠٠٢٢)، والحاكم (٤/ ٦٠٩)، وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٨٠): «سنده قوي».

(٢) رواه البزار في مسنده، ح(٣٩٦٥)، وصححه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق ص(١٤)، وفي صحيح الجامع الصغير، ح(٣٧٢٦).

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٣٧٩): «ومال الحليمي إلى أن هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور وجزم به الغزالي».

وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا﴾ [مريم: ٨٥ - ٨٦] وكيف يصح ما ادعاه في تفسير الآية بالحديث، وفيه أن منهم: «اثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وعشرة على بعير»، وقد جاء التصريح بأن ذلك من قلة الظهر؟! هذا لا يلتئم مع هذا، واللَّه أعلم، فإن نجائب المتقين من الجنة، يركبونها من العرصات إلى الجنات على غير هذه الصفة.

فأما الحديث الآخر الوارد من طرق: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾ »(١). فذلك حشر غير هذا، ذاك في يوم القيامة بعد نفخة البعث، يوم يقوم الناس من قبورهم حفاة عراة غرلًا، أي غير مختونين، وكذلك حشر الكافرين إلى جهنم وردًا؛ أي عطاشًا.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩٧]. فذلك إنما يحصل لهم حين يؤمر بهم إلى النار من مقام المحشر»(٢).

وذكر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ أن الحشر على أربعة أوجه: «حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة، أما الذي في الدنيا:

فالأول: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ﴾ [الحشر: ٢](٣).

والثاني: حشر النار للناس قبل قيام الساعة، وهو آخر أشراطها، على نحو ما ورد في الأحاديث المتقدمة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾، ح(٤٧٤٠).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٣٣٢ - ٣٣٣)، وانظر: فتح الباري (١١/ ٣٧٩).

(٣) قال ابن حجر معقبًا: «الأول ليس حشرًا مستقلاً، فإن المراد حشر كل موجود يومئذ، والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة، وقد وقع نظيره مرارًا، تخرج طائفة من بلدها بغير اختيارها إلى جهة الشام كما وقع لبني أمية أول ما تولى ابن الزبير الخلافة فأخرجهم من المدينة إلى جهة الشام ولم يعدَّ ذلك أحد حشرًا». فتح الباري (١١/ ٣٧٩).

والثالث: حشر الناس في الآخرة إلى الموقف، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

والرابع: حشر الناس من موقف القيامة إلى الجنة أو النار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥- ٨٦][(١)].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلى كل حال فليس المراد بالنار في هذه الأحاديث نار الآخرة، ولو أريد المعنى الذي زعمه المعترض لقيل تحشر بقيتهم إلى النار، وقد أضاف الحشر إلى النار لكونها هي التي تحشرهم وتختطف من تخلف منهم...، وقد تبين من حديث أبي ذر ما دل على أنه في الدنيا لا بعد البعث في الحشر إلى الموقف؛ إذ لا حديقة هناك ولا آفة تلقى على الظهر حتى يعز ويقل، ووقع في حديث علي بن زيد المذكور عند أحمد أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك، وقد سبق أن أرض الموقف أرض مستوية لا عوج فيها ولا أكمة ولا حدب ولا شوك... ومن أين يكون للذين يبعثون بعد الموت عراة حفاة حدائق حتى يدفعوها في الشوارف، وكذا يبعد غاية البعد أن يحتاج من يساق من الموقف إلى الجنة إلى التعاقب على الأبعرة، فرجح أن ذلك إنما يكون قبل المبعث والله أعلم»[(٢)].

قلت: قول النبي ﷺ المتقدم في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ أَوْ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ، قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَحْشُرُ النَّاسَ»، صريح في أن هذه النار في الدنيا، والسبب في كون أرض الشام هي أرض المحشر، أن الله عَزَّوَجَلَّ تكفل بالشام، وبارك فيه، وصانه من فتن آخر الزمان، وجعله مأوى لأهل الإيمان، وخيره لا ينقطع، وأرضه لا تخرب قبل قيام الساعة، والنار تخرج من قعر عدن، و«تفشو في كل جهة، وتكون في جهة الشام أخف منها في غيرها، فكل من عرف ازديادها في الجهة التي هو فيها أحب التحول منها إلى المكان

---

(١) انظر: التذكرة (٢/ ٥١٥ - ٥٢١).

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٧٩ - ٣٨٢).

الذي ليست فيه شديدة، فتتوفر الدواعي على الرحيل إلى الشام[(١)]»، وقد جاء في فضله وفي الترغيب في سكناه أحاديث كثيرة، منها:

عن عبد اللَّه بن حوالة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «سَيَكُونُ أَجْنَادٌ مُجَنَّدَةٌ شَامٌ وَيَمَنٌ وَعِرَاقٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيِّهَا بَدَأَ، وَعَلَيْكُمْ بِالشَّام، أَلَا وَعَلَيْكُمْ بِالشَّام، أَلَا وَعَلَيْكُمْ بِالشَّام، فَمَنْ كَرِهَ فَعَلَيْهِ بِيَمَنِهِ وَلْيَسْقِ مِنْ غُدُرِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»[(٢)].

وفي رواية قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّام، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ»، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَاكَ، قَالَ: «عَلَيْكَ بِالشَّام، فَإِنَّهُ خِيرَةُ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهِ خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ تَوَكَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»[(٣)].

وعن العرباض بن سارية ﷺ عن النبي ﷺ أنه قام يومًا في الناس فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، تُوشِكُونَ أَنْ تَكُونُوا مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّام، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ»، فَقَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ الزَّمَانُ فَاخْتَرْ لِي، قَالَ: «إِنِّي أَخْتَارُ لَكَ الشَّامَ، فَإِنَّهُ خِيرَةُ الْمُسْلِمِينَ وَصَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ بِلَادِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهَا صَفْوَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ، وَلْيَسْقِ مِنْ

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٨٠ - ٣٨١).

(٢) رواه أحمد، ح(٢٢٤٨٩) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «حديث صحيح بطرقه، وهذا إسناد حسن»، والطبراني في مسند الشاميين، ح(١٠٥٤).

(٣) رواه أحمد، ح(١٧٠٠٥) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح بطرقه»، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في سكنى الشام، ح(٢٤٨٣)، وقال الألباني في صحيح أبي داود، ح(٢٢٤٤): «إسناده صحيح، وله طرق صحَّح أحدَها الحاكم والذهبي»، والطبراني في مسند الشاميين، ح(١١٧٢)، والضياء في المختارة، ح(٢٣٢)، والحاكم (٤/ ٥٥٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٣٦٥٩)، وفي صحيح الترغيب، ح(٣٠٨٧).

غُدُرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»(١).

وعن وَاثِلَةَ بن الأَسْقَعِ رضي الله عنه قال: «سمعت رسول اللَّه ﷺ وهو يقول لحذيفة بن اليمان ومعاذ بن جبل وهما يستشيرانه في المنزل، فأومى إلى الشام، ثم سألاه، فأومى إلى الشام، ثم سألاه فأومى إلى الشام قال: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا صَفْوَةُ بِلَادِ اللَّهِ يَسْكُنُهَا خِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ، وَلْيَسْقِ مِنْ غُدُرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»(٢).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»(٣).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ فُسْطَاطَ(٤) الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ(٥)، إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ»(٦).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٢٥١) ح(٦٢٧) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٩): «رواه الطبراني ورجاله ثقات»، وقال الألباني في صحيح الترغيب، ح(٣٠٨٨): «صحيح لغيره»، وتعقب توثيق الهيثمي لرجاله بقوله: «وفيه فضالة بن شريك، قال أبو حاتم: «لا أعرفه».

(٢) رواه الطبراني (٢٢/ ٥٨) ح(١٣٧، ١٣٨)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٩): «رواه الطبراني بأسانيد كلها ضعيفة»، وقال الألباني في صحيح الترغيب، ح(٣٠٩٠): «صحيح لغيره».

(٣) رواه أحمد، ح(٢١٧٣٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح»، والطبراني في مسند الشاميين، ح(١١٩٨)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٧، ٥٨): «رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح»، وقال ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٤٠٣): «سنده صحيح»، وصححه المنذري والألباني في صحيح الترغيب، ح(٣٠٩٤).

(٤) الفسطاط: «بضم الفاء وسكون السين المهملة وطائين مهملتين بينهما ألف أي حصن المسلمين الذي يتحصنون به». عون المعبود شرح سنن أبي داود (١١/ ٢٧٣).

(٥) «الغوطة: اسم للبساتين والمياه التي حول دمشق، وهي غوطتها». فيض القدير للمناوي (٤/ ٥٦٥).

(٦) رواه أبو داود، كتاب الملاحم، باب في المعقل من الملاحم، ح(٤٢٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح(٣٨٧٩).

وفي رواية: «يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ، فِيهَا مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا: دِمَشْقُ، فَهِيَ خَيْرُ مَسَاكِنِ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ»(١).

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «بينا نحن عند رسول اللّه ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال: «طُوبَى(٢) لِلشَّام» قِيلَ: وَلِمَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا، فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»(٤).

فالشام أرض الخير والبركة والأمان في آخر الزمان، ولذلك يقصده الناس من كل ناحية يفرون إليه من فتنة النار، فتتبعهم وتحشرهم إليه، فهو «أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ»، وأما أرض حشر الآخرة، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «يُحْشَرُ الناس يوم الْقِيَامَةِ على أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ ليس فيها عَلَمٌ لِأَحَدٍ»(٥).

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين، ح(١٣١٣)، والحاكم في المستدرك (٥/ ٦٨٤) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) «تأنيث أطيب أي راحة وطيب عيش حاصل لها ولأهلها». تحفة الأحوذي (١٠/ ٣١٥).

(٣) رواه أحمد، ح(٢١٦٠٦، ٢١٦٠٨) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح»، والترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل الشام واليمن، ح(٣٩٥٤)، وقال: «هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث يحيى بن أيوب»، وابن حبان، ح(٧٣٠٤)، والطبراني في الكبير، ح(٤٩٣٣، ٤٩٣٤، ٤٩٣٥)، والحاكم (٢/ ٢٤٩) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٦٠): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ح(٥٠٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ «الفتنة من قبل المشرق»، ح(٧٠٩٤).

(٥) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض اللّه الأرض يوم القيامة، ح(٦٥٢١)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في البعث والنشور وصفة الأرض يوم القيامة، ح(٢٧٩٠) واللفظ له.

وفي رواية: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ[1] لِأَحَدٍ»[2].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨][3].

فحشر النار في الدنيا قبل يوم القيامة، ومن خالف هذا فقد جانب الصواب، والله تعالى أعلم.

---

(١) قال ابن حجر: «والعلم والمعلم بمعنى واحد قال الخطابي: يريد أنها مستوية. والمعلم بفتح الميم واللام بينهما مهملة ساكنة هو الشيء الذي يستدل به على الطريق. وقال عياض: المراد أنها ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر ولا شيء من العلامات التي يهتدي بها في الطرقات كالجبل والصخرة البارزة. وفيه تعريض بأرض الدنيا وأنها ذهبت وانقطعت العلاقة منها. وقال الداودي: المراد أنه لا يحوز أحد منها شيئًا إلا ما أدرك منها. وقال أبو محمد بن أبي جمرة: فيه دليل على عظيم القدرة والإعلام بجزئيات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها بخلاف مجيء الأمر بغتة وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جدًّا والحكمة في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرًا عن عمل المعصية والظلم وليكون تجليه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته ولأن الحكم فيه إنما يكون للَّه وحده فناسب أن يكون المحل خالصًا له وحده. انتهى ملخصًا. وفيه إشارة إلى أن أرض الدنيا اضمحلت وأعدمت وأن أرض الموقف تجددت». فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض اللَّه الأرض يوم القيامة، ح(٦٥٢١).

(٣) قال ابن حجر: «وقد وقع للسلف في ذلك خلاف في المراد بقوله تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾، هل معنى تبديلها تغيير ذاتها وصفاتها أو تغيير صفاتها فقط وحديث الباب يؤيد الأول». فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

الفصل الثاني
الأشراط الكبرى السماوية

المبحث الأول: نزول المسيح عيسى بنُ مريم عليه السلام

المبحث الثاني: طلوع الشمس من مغربها

المبحث الثالث: الدخان

المبحث الأول
نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام

بعد خروج الدجال وإفساده في الأرض، يبعث اللَّهُ عيسى بنَ مريمَ، فينزل إلى الأرض، ويكون نزوله سَحرًا عند المنارة البيضاء شرقي دمشق الشام، وينزل على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق، وتكون مجتمعة لقتال الدجال، فيأتيهم وقت إقامة صلاة الصبح، ويصلي خلف إمام تلك الطائفة المهدي عليه السلام.

ونزوله ثابت بالكتاب والسنة المتواترة والإجماع.

أما الكتاب:

فقال اللَّه تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٦١].

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: «نُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

قال ابن كثير رحمه الله: «المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] أي قبل موت عيسى عليه السلام

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٩١٨) وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، وابن حبان ح(٢٩١٨)، والطبراني في الكبير ح(١٢٧٤٠)، والحاكم (٢/ ٢٧٨) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في الصحيحة، ح(٣٢٠٨).

ثم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي أمارة ودليل على وقوع الساعة»(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر الأقوال: «وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: وإنْ من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى»(٢).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر اللَّه أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باقٍ حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة، فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية؛ يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي قبل موت عيسى الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض»(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (١٢/ ٣٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٦٧٢)، وقد روى هذا القول بإسناده عن ابن عباس، قال ابن كثير: «وهذا إسناد صحيح». البداية والنهاية (١٩/ ٢١٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٤ - ٣٤٥). وقال في البداية والنهاية (١٩/ ٢٦٤ - ٢٦٥): «أي قبل موت عيسى، وبعد نزوله يؤمن جميع أهل الكتاب به إيمانًا ضروريًا، بمعنى أنهم يتحققون أنه عبد اللَّه ورسوله، فالنصراني يعلم كذب نفسه في دعواه فيه الربوبية والبنوة، واليهودي يعلم أنه نبي رسول من اللَّه، لا ولد زانية، كما كان المجرمون منهم يزعمون ذلك، عليهم لعائن اللَّه وغضبه المتدارك».

فعيسى حي الآن، وهو في السماء، وسينزل قبل قيام الساعة، وأما قول الله عز وجل: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

قال ابن تيمية رحمه الله: «وعيسى بن مريم عليه السلام لم يمت بحيث فارقت روحه بدنه؛ بل هو حيٌّ مع كونه توفي، والتوفي الاستيفاء، وهو يصلح لتوفي النوم ولتوفي الموت الذي هو فراق الروح البدن»(١).

فمعنى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: قابضك من الأرض تامًا مستوفيًا لمدتك فيها من غير موت؛ لأنه تواترت الأحاديث أنه ينزل: ومن فارقت روحه جسده، لا ينزل جسده من السماء، وإذا أحيي، فإنه يقوم من قبره، وتكملة الآية: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥] دليل على أنه لم يرد بذلك الموت، وإنما المراد «هو تطهيره من اليهود وإنجاؤه من مكرهم حين أرادوا قتله، وعلى تقدير التوفي بالإماتة لا تكون تلك البشارة بالتطهير والإنجاء قد تحققت، بل يكون قد أعان اليهود على قصدهم، وهو أن يتخلصوا من عيسى عليه السلام إما بالموت، أو بالقتل.

وكيف يفهم قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، على تفسير التوفي بالإماتة، وهل المناسب لمكر الله المقابل لمكر اليهود أن يقتله هو قبل أن يقتلوه أو أن يرفعه إليه حيًا لينزل في آخر الزمان، فينتقم من هؤلاء الذين كادوا له وآذوه ويقاتلهم على الإسلام وحده، فمن أبى منهم روّى الأرض من دمه، ومن أسلم نجاه إسلامه؟»(٢).

«ولو كان عيسى عليه السلام قد مات في الأرض ودفن، وأن المراد بالرفع رفع روحه أو منزلته لما حسن ذكر الرفع في مقابل نفي القتل والصلب، لأن الذي يناسب نفي القتل والصلب عنه هو رفعه حيًا لا موته، وإلا لقال: وما

(١) المستدرك على فتاوى ابن تيمية (١/ ١٠١).
(٢) فصل المقال في رفع عيسى حيًا وفي نزوله وقتله الدجال ص(٢٣ - ٢٤).

قتلوه وما صلبوه، بل اللَّه هو الذي أماته»[1].

وقول اللَّه عز وجل: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨]، «إنما ذكر لإبطال ما زعموه من قتله وصلبه، ورفع الروح لا يبطل القتل والصلب، بل يجامعهما، فإنهم لو قتلوه فرضًا لرفعت روحه إلى اللَّه، على أن في إخباره عز وجل بأنه رفعه إليه ما يشعر باختصاصه بذلك، والذي يمكن أن يختص به عيسى هو رفعه حيًّا بروحه وجسده، لأن أرواح جميع الأنبياء بل المؤمنين ترفع إلى اللَّه بعد الموت لا فرق بين عيسى وغيره فلا تظهر فيه الخصوصية.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ يدل على أنه مشهد تجلت فيه عزة اللَّه وحكمته، ولا يتم ذلك إلا حيث يكون المشهد غريبًا مثيرًا، فأي غرابة أو إثارة في موته، ثم رفع روحه، وهو عام في جميع المؤمنين»[2].

قال ابن جرير رحمه الله: «أولى الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: معنى ذلك: إني قابضك من الأرض ورافعك إليَّ؛ لتواتر الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال»»[3].

وأما أدلة السنة: فكثيرة متواترة.

قال ابن كثير رحمه الله: «تواترتِ الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبلَ يوم القيامة إمامًا عادلًا وحكمًا مقسطًا»[4].

---

(١) المرجع السابق ص(٢٦).

(٢) المرجع السابق ص(٢٦). وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٣٢٢-٣٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٥/ ٤٥١). (٤) تفسير ابن كثير (١٢/ ٣٢٣).

ومن ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ(١)، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ(٢) كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ(٣)، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»(٤).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْحَرْبَ(٥) وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٨٩): «العلات بفتح المهملة الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها، والعلل الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى، ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع».

(٢) قال ابن الأثير في النهاية (٤/ ٣٣٦): «الممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة».

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٩١): «أي يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه».

(٤) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، ح(٢٦٩٨)، وأحمد، ح(٩٢٧٠) واللفظ له، وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح»، وابن أبي شيبة في المصنف، ح(٣٨٦٨١)، وأبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح(٤٣٢٤)، والبزار، ح(٩٥٧٤)، وابن حبان، ح(٦٨٢١)، والحاكم (٢/ ٦٥١) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٢٤): «وهذا إسناد جيد قوي»، وصحح إسناده ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٣٩)، والألباني في السلسلة الصحيحة، ح(٢١٨٢).

(٥) وفي رواية: «وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ».

خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾»[(١)].

وهذا تفسير من أبي هريرة ﷺ لهذه الآية، وأن المراد بها نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، وإيمان أهل الكتاب به.

وفي رواية: «وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ[(٢)] فَلاَ يُسْعَى عَلَيْهَا وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»[(٣)].

وفي رواية قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ لَيَنْزِلَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا مُقْسِطًا وَحَكَمًا عَدْلًا فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ وَلَيُصْلِحَنَّ ذَاتَ الْبَيْنِ وَلَيُذْهِبَنَّ الشَّحْنَاءَ وَلَيُعْرَضَنَّ عَلَيْهِ الْمَالُ فَلا يَقْبَلُهُ ثُمَّ لَئِنْ قَامَ عَلَى قَبْرِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ لأُجِيبَنَّهُ»[(٤)].

وفي رواية: «يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَمْحُو الصَّلِيبَ، وَتُجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ، وَيُعْطَى الْمَالُ حَتَّى لَا يُقْبَلَ، وَيَضَعُ الْخَرَاجَ، وَيَنْزِلُ الرَّوْحَاءَ، فَيَحُجُّ مِنْهَا أَوْ يَعْتَمِرُ، أَوْ يَجْمَعُهُمَا»[(٥)].

وعن أبي أمامة ﷺ في حديث الدجال الطويل وفيه: قال

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم، ح(٣٤٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح(١٥٥).

(٢) قال النووي في شرح مسلم (٢/ ١٩٢): «القلاص: بكسر القاف جمع قلوص بفتحها، وهي من الإبل كالفتاة من النساء والحدث من الرجال».

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح(١٥٥).

(٤) رواه أبو يعلى في مسنده، ح(٦٥٨٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢١١): «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح»، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(٢٧٣٣).

(٥) رواه أحمد، ح(٧٩٠٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال ص(٩٩).

رسول اللَّه ﷺ: «وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلْتَةً، حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الظُّرَيْبِ الأَحْمَرِ عِنْدَ مُنْقَطَعِ السَّبَخَةِ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْخَلَاصِ، فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ بِنْتُ أَبِي الْعَكَرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ، وَجُلُّهُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْقَهْقَرَى لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ، فَإِذَا انْصَرَفَ، قَالَ عِيسَى عليه السلام: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا، وَيَقُولُ عِيسَى عليه السلام: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ، إِلَّا الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مُقْسِطًا، يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ، وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ، وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ[(١)] كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرَّهُ، وَتُفِرَّ[(٢)] الْوَلِيدَةُ الأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ

---

(١) الحمة: «بالتخفيف: السم». النهاية (١/ ٤٤٦).

(٢) قال ابن الأثير: «هو من فررت الدابة أفرها فرًّا: إذا كشفت شفتها لتعرف سنها». النهاية (٣/ ٤٢٧).

كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمْلَأُ الأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلَأُ الإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا، وَتَكُونُ الأَرْضُ كَفَاثُورِ(١) الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ المَسِيحِ(٣) طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ المَسِيحِ يُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ وَيُؤْذَنُ لِلأَرْضِ فِي النَّبَاتِ فَلَوْ بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلَى الصَّفَا لَنَبَتَ، وَلَا تَشَاحَّ وَلَا تَحَاسُدَ وَلَا تَبَاغُضَ، حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الأَسَدِ فَلَا يَضُرُّهُ، وَيَطَأُ عَلَى الحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ»(٤).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَنْزِلُ ابْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا عَادِلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيُرْجِعُ السَّلْمَ، وَيَتَّخِذُ السُّيُوفَ مَنَاجِلَ(٥)، وَتَذْهَبُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، وَتُنْزِلُ السَّمَاءُ رِزْقَهَا، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا، حَتَّى يَلْعَبَ الصَّبِيُّ بِالثُّعْبَانِ، فَلَا يَضُرُّهُ، وَيُرَاعِي الْغَنَمَ الذِّئْبُ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيُرَاعِي الْأَسَدُ الْبَقَرَ، فَلَا يَضُرُّهَا»(٦).

---

(١) «الفاثور: الخوان. وقيل: هو طست أو جام من فضة أو ذهب. ومنه قيل لقرص الشمس: فاثورها». النهاية (٣/ ٤١٢).

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ح(٧٨٧٥).

(٣) قال المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٧٥): «أي بعد نزول المسيح إلى الأرض في آخر الزمان وهو لقب عيسى عليه السلام».

(٤) صححه الألباني في الصحيحة، ح(١٩٢٦) وعزاه لأبي بكر الأنباري في حديثه، (ج١ ورقة ٦/ ١ - ٢) ومن طريق الأنباري رواه الديلمي (٢/ ١٦١) وابن المحب في صفات رب العالمين (٤٢٧/ ١) وقال: «هذا على شرط البخاري». ورواه الضياء في المنتقى من مسموعاته بمرو (١٢٧/ ١ - ٢) من طريق أبي جعفر البغدادي».

(٥) المنجل: ما يقطع به الحشيش، أراد أن الناس يتركون الجهاد ويشتغلون بالحرث والزراعة. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٢).

(٦) رواه أحمد، ح(١٠٢٦١) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٢١): «تفرد به أحمد، وإسناده جيد قوي صالح».

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا مُقْسِطًا وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ الإمارَةَ»(١).

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِمَامًا مَهْدِيًّا وَحَكَمًا عَدْلًا، فَيُكْسَرُ الصَّلِيبُ، وَيُقْتَلُ الْخِنْزِيرُ، وَتُوضَعُ الْجِزْيَةُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا»(٢).

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»(٣).

وفي رواية: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَأَمَّكُمْ»(٤).

وفي رواية: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ»(٥).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ»(٦).

---

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه، ح(٢٠٨٤٤)، وقال الألباني: «وإسناده كلهم ثقات غير الرجل الذي لم يسم وهو من كبار التابعين إن لم يكن صحابيًا فإن زيدًا هذا تابعي روى عن جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة نفسه وابن عمر وغيرهما، وهو إن كان موقوفًا فهو في حكم المرفوع لأنه من المغيبات التي لا تقال بمجرد الرأي». قصة المسيح الدجال ص(١١٥).

(٢) رواه أحمد، ح(٩٣٢٣) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، والطبراني في الأوسط، ح(١٣٠٩)، وفي الصغير، ح(٨٤)، والبزار، ح(١٠٠٣٥)، وصححه الألباني على شرط الشيخين في قصة المسيح الدجال ص(٩٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(٣٤٤٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح(١٥٥).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح(١٥٥).

(٥) المصدر السابق ح(١٥٥).

(٦) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح(١٥٦). وجاء عند أبي يعلى، ح(٢٠٧٨) بلفظ: «فَيَقُولُ إِمَامُهُمْ: تَقَدَّمْ، فَيَقُولُ: أَنْتُمْ أَحَقُّ بَعْضُكُمْ أُمَرَاءُ بَعْضٍ، أَمْرٌ =

فهذا فيه أنه ينزل، وأنه ينزل على الطائفة الظاهرة المنصورة.

وفي رواية: «يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِي: تَعَالَ صَلِّ بِنَا، فَيَقُولُ: لَا. إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرُ بَعْضٍ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ لِهَذِهِ الأُمَّةَ»(١).

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ في الأَرْضِ؟ قَالَ: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا أَخْرِجِي كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ

= أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الأُمَّةَ».

(١) قال ابن القيم في المنار المنيف ص(١٤٧): «وقال الحارث بن أبي أسامة في مسنده: حدثنا إسماعيل بن عبدالكريم، حدثنا إبراهيم بن عقيل، عن أبيه، عن وهب بن منبه، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة» وهذا إسناد جيد». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح(٢٢٣٦).

ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ(١) وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ(٢) لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ(٣) عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ(٤) فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى(٥) كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ(٦) وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ(٧)

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦٧): معناه لابس مهرودتين، أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران، وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة».

(٢) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦٨): «فقوله «لا يدان» بكسر النون تثنية يد.. قال العلماء: معناه لا قدرة ولا طاقة، يقال: مالي بهذا الأمر يد ومالي به يدان؛ لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه».

(٣) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦٨): «ومعنى «حرزهم إلى الطور» أي ضمهم واجعله لهم حرزًا يقال: أحرزت الشيء أحرزه إحرازًا إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ».

(٤) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦٩): «النغف بنون وغين معجمة مفتوحتين ثم فاء وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم الواحدة نغفة». وانظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٨٧).

(٥) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦٩): «الفرسى بفتح الفاء مقصور أي قتلى واحدهم فريس».

(٦) قال النووي في شرح مسلم (١٨/ ٦٩): «زهمهم بفتح الهاء أي دسمهم ورائحتهم الكريهة».

(٧) قال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٦/ ٤١٩): «بضم موحدة وسكون معجمة نوع من الإبل أي =

فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ[(١)] ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ[(٢)] حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[(٣)].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى قَالَ: فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، فَرَدُّوا أَمْرَهُمْ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَرَدُّوا الأَمْرَ إِلَى عِيسَى، فَقَالَ: أَمَّا وَجْبَتُهَا، فَلَا يَعْلَمُهَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، ذَلِكَ وَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي عز وجل أَنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، قَالَ: وَمَعِي قَضِيبَانِ، فَإِذَا رَآنِي، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُ اللَّهُ، حَتَّى إِنَّ الْحَجَرَ، وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُ، إِنَّ تَحْتِي كَافِرًا، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، قَالَ: فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطَؤُونَ بِلَادَهُمْ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللَّهَ

= طيرًا أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت».

(١) قال ابن حجر في الفتح (١٣/ ١١٠): «والزلفة بفتح الزاي واللام وقيل بتسكينها وقيل بالقاف هي المرآة بكسر الميم، وقيل المصنع الذي يتخذ لجمع الماء، والمراد أن الماء يعم جميع الأرض فينظفها حتى تصير بحيث يرى الرائي وجهه فيها».

(٢) الرِّسل: اللبن. انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٢٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ح(٢٩٣٧).

عَلَيْهِمْ، فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَيُمِيتُهُمْ، حَتَّى تَجْوَى الأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ، قَالَ: فَيُنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَطَرَ، فَتَجْرُفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ» قَالَ أَبِي: ذَهَبَ عَلَيَّ هَاهُنَا شَيْءٌ لَمْ أَفْهَمْهُ، «كَأَدِيمٍ»، وَقَالَ يَزِيدُ، يَعْنِي ابْنَ هَارُونَ: «ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ، وَتُمَدُّ الأَرْضُ مَدَّ الأَدِيمِ» ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ هُشَيْمٍ، قَالَ: «فَفِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ: أَنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ السَّاعَةَ كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ، الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادَتِهَا لَيْلًا، أَوْ نَهَارًا»(١).

وعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: «إن الدجال يخرج في بغض من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوى له الأرض طي فروة الكبش حتى يأتي المدينة، فيغلب على خارجها ويمنع داخلها، ثم جبل إيلياء فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويهزم أصحابه، حتى إن الشجر والحجر والمدر، يقول: يا مؤمن هذا يهودي عندي فاقتله»(٢).

---

(١) رواه أحمد، ح(٣٥٥٦)، وابن ماجه كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح(٤٠٨١)، والحاكم (٤/ ٤٨٨)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا البوصيري في الزوائد بقوله: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات»، وقال أحمد شاكر في تعليقه على المسند: «إسناده صحيح»، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ح(٤٧١٢)، وفي السلسلة الضعيفة، ح(٤٣١٨) وقال: «ضعيف بهذا السياق، أخرجه ابن ماجه، والحاكم في المستدرك والإمام أحمد في مسنده عن مؤثر بن عفازة، عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، ثم البوصيري. قلت: وفيه نظر؛ لأن مؤثر بن عفازة؛ لم يوثقه غير ابن حبان، ولذلك قال الحافظ: مقبول. يعني عند المتابعة، ولم أجد له متابعًا، فالحديث ضعيف غير مقبول بهذا السياق، وبعضه في مسلم».

قلت: قوله في الحديث: «ثُمَّ تُنْسَفُ الْجِبَالُ، وَتُمَدُّ الأَرْضُ مَدَّ الأَدِيمِ» مخالف لما هو معلوم من أن ذلك يكون عند قيام الساعة لا قبلها، وأكثر فقرات الحديث لها شواهد في الصحيح وغيره.

(٢) رواه الحاكم (٥/ ٧٣٨ - ٧٣٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي وقال: «على شرط البخاري ومسلم»، قال التويجري: «وله حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف». إتحاف الجماعة (٣/ ٨١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدوق يقول: «إِنَّ الأَعْوَرَ الدَّجَّالَ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ يَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فِي زَمَانِ اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَفُرْقَةٍ، فَيَبْلُغُ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الأَرْضِ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، اللَّهُ أَعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا، اللَّهُ أَعْلَمُ مَا مِقْدَارُهَا - مَرَّتَيْنِ - وَيُنَزِّلُ اللَّهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، فَيَؤُمُّهُمْ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ[١] قَتَلَ اللَّهُ الدَّجَّالَ وَأَظْهَرَ الْمُؤْمِنِينَ»[٢].

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا. فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[٣].

وعن بعض أصحاب محمد ﷺ قال: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ فَقَالَ:

---

(١) قال السيوطي في الحاوي (٢/ ٣٤٠) مستدلاً بهذا على أن عيسى عليه السلام يحكم بشرع نبينا ﷺ: «وهذا الذكر في الاعتدال من خواص صلاة هذه الأمة».

(٢) رواه البزار، ح(٩٦٤٢)، وابن حبان، ح(٦٨١٢) وقال الأرناؤوط في تعليقه: «إسناده قوي»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٩): «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة».

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم، ح(٢٨٩٧).

«يَأْتِي سِبَاخَ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَهَا، فَتَنْتَفِضُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا نَفْضَةً أَوْ نَفْضَتَيْنِ، وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ، ثُمَّ يُوَلِّي الدَّجَّالُ قِبَلَ الشَّامِ، حَتَّى يَأْتِيَ بَعْضَ جِبَالِ الشَّامِ فَيُحَاصِرَهُمْ، وَبَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُعْتَصِمُونَ بِذِرْوَةِ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الشَّامِ، فَيُحَاصِرُهُمُ الدَّجَّالُ نَازِلًا بِأَصْلِهِ، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى مَتَى أَنْتُمْ هَكَذَا وَعَدُوُّ اللَّهِ نَازِلٌ بِأَرْضِكُمْ هَكَذَا، هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا بَيْنَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، بَيْنَ أَنْ يَسْتَشْهِدَكُمُ اللَّهُ، أَوْ يُظْهِرَكُمْ، فَيُبَايِعُونَ عَلَى الْمَوْتِ بَيْعَةً يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهَا الصِّدْقُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ تَأْخُذُهُمْ ظُلْمَةٌ لَا يُبْصِرُ امْرُؤٌ فِيهَا كَفَّهُ، قَالَ: فَيَنْزِلُ ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَحْسِرُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ، وَبَيْنَ أَظْهُرِهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ لَأْمَتُهُ، يَقُولُونَ: مَنْ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، اخْتَارُوا بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: بَيْنَ أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَى الدَّجَّالِ وَجُنُودِهِ عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ يَخْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ، أَوْ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ سِلَاحَكُمْ وَيَكُفَّ سِلَاحَهُمْ عَنْكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَشْفَى لِصُدُورِنَا وَلِأَنْفُسِنَا، فَيَوْمَئِذٍ تَرَى الْيَهُودِيَّ الْعَظِيمَ الطَّوِيلَ الْأَكُولَ الشَّرُوبَ لَا تُقِلُّ يَدُهُ سَيْفَهُ مِنَ الرِّعْدَةِ، فَيَقُومُونَ إِلَيْهِمْ فَيُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، وَيَذُوبُ الدَّجَّالُ حِينَ يَرَى ابْنَ مَرْيَمَ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، حَتَّى يَأْتِيَهُ، أَوْ يُدْرِكَهُ عِيسَى فَيَقْتُلَهُ»(١).

وعن مُجَمِّع بن جارية الأنصاري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ»(٢).

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٢٠٨٣٤) وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٨٨): «قال شيخنا الحافظ الذهبي: هذا حديث قوي الإسناد»، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال ص(٩٢): «وإسناده ثقات رجال الشيخين غير الرجل الأنصاري فإنه لم يسم ويحتمل أن يكون صحابيًا؛ لأن الثقفي هذا تابعي روى عن أبي موسى الأشعري وغيره فإن كان كذلك فالسند صحيح لأن جهالة الصحابي لا تضر عند أهل السنة».

(٢) رواه أحمد، ح(١٥٤٦٨) وقال الأرناؤوط: «حديث صحيح لغيره»، والترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال، ح(٢٢٤٤) وقال: «هذا حديث صحيح».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُهِلَّنَّ ابن مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ(١) حَاجًّا أو مُعْتَمِرًا أو لَيَثْنِيَنَّهُمَا»(٢).

وعن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «يَخرُجُ الدَّجَّالُ في أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أو أَرْبَعِينَ شَهْرًا أو أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللَّه عِيسَى بن مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بن مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ ثُمَّ يَمْكُثُ الناسُ سَبْعَ سِنِينَ ليس بين اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّه رِيحًا بَارِدَةً من قِبَلِ الشَّام فلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من خَيْرٍ أو إِيمَانٍ إلا قَبَضَتْهُ حَتى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ في كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حتَّى تَقْبِضَهُ» قال: سَمِعْتُهَا من رسول اللَّهِ ﷺ قال: «فَيَبْقَى شِرَارُ الناس في خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا ولا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا فَيَتَمَثَّلُ لهم الشَّيْطَانُ فيقول: ألا تَسْتَجِيبُونَ فَيَقُولُونَ: فما تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَهُمْ في ذلك دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ ثُمَّ يُنْفَخُ في الصُّورِ...»(٣).

وأما الإجماع:

فقال ابن عطية رحمه الله: «وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى عليه السلام في السماء حيٌّ، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويقتل الدجال ويفيض العدل ويظهر هذه الملة ملة محمد ويحج البيت ويعتمر»(٤).

---

(١) قال النووي في شرح مسلم (٨/ ٢٣٤): «فج الروحاء: بفتح الفاء وتشديد الجيم، قال الحافظ أبو بكر الحارثي: هو بين مكة والمدينة، قال: وكان طريق رسول اللَّه ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع».

(٢) رواه مسلم، كتاب الحج، باب إهلال النبي ﷺ وهديه، ح(١٢٥٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور، ح(٢٩٤٠).

(٤) المحرر الوجيز (٣/ ١٤٣).

وقال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها، ويتسلم الأمر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه كسائر أصحاب المهدي»[١].

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال القاضي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب إثباته، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وبقوله ﷺ: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[٢]، وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ، وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ، وهذا استدلال فاسد، لأنه ليس المراد بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه ينزل نبيًّا بشرع ينسخ شرعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا، بل صحت هذه الأحاديث أنه ينزل حكمًا مقسطًا بحكم شرعنا، ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس»[٣].

وقال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذه الآيات الكريمة والنصوص الصحيحة الثابتة عن رسول اللَّه ﷺ تدل دلالة واضحة على نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء إلى الأرض عند قرب الساعة، ولا ينكر نزوله إلا ضال مضل معاند للشرع مخالف لكتاب اللَّه وسنة رسوله واتفاق أهل السنة»[٤].

وقال أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ: «نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان: مما لم

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٩٤ - ٩٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(٣٤٥٥)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ح(١٨٤٢).

(٣) شرح مسلم (١٨/ ٧٦).

(٤) عون المعبود (١١/ ٤٦٤).

يختلف فيه المسلمون، لورود الأخبار المتواترة الصحاح عن النبي ﷺ بذلك، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، لا يؤمن من أنكره»[(١)].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمسيح ﷺ وعلى سائر النبيين لا بد أن ينزل إلى الأرض على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة؛ ولهذا كان في السماء الثانية مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون؛ لأنه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة بخلاف غيره. وآدم كان في سماء الدنيا لأن نسم بنيه تعرض عليه»[(٢)].

وأقوال العلماء في هذا كثيرة جدًّا، ولو تتبع الإنسان كل من نقل الإجماع وعد ذلك من الاعتقاد الواجب لخرج بسفر كبير، وقد ألف العلماء في ذلك المؤلفات، فلا يلتفت لإنكار من أنكر أو تأول بعد ثبوت التواتر والإجماع، والقرآن من وراء ذلك، وليس بعد الحق إلا الضلال[(٣)].

وأما الحكمة من نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دون غيره من الأنبياء:

---

(١) حاشية تفسير الطبري (٦/ ٤٥٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٩). وكون آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء الدنيا، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في السماء الثانية، رواه البخاري ح(٣٤٩، ٣٤٣٠، ٣٨٤٤)، ومسلم ح(١٦٢، ١٦٣).

(٣) ممن ألف في هذا: محمد أنور شاه الكشميري (التصريح بما تواتر في نزول المسيح)، وعبد اللَّه محمد الصديق الغماري (عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ومحمد زاهد الكوثري (نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة)، ومحمد خليل هراس (فصل المقال في رفع عيسى ﷺ حيًّا وفي نزوله وقتله الدجال)، وقد تولوا الرد على من تعرض لهذه العقيدة بالرد والإنكار من القدماء الفلاسفة والجهمية ونحوهم ومن سلك سبيلهم من المحدثين. قال أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٢/ ٢٥٧): «وقد لعب المجددون أو المجردون في عصرنا الذي نحيا فيه بهذه الأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان، قبل انقضاء الحياة الدنيا، بالتأويل المنطوي على الإنكار تارة، وبالإنكار الصريح أخرى، ذلك أنهم في حقيقة أمرهم لا يؤمنون بالغيب، أو لا يكادرن يؤمنون، وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها، يعلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة، ولا يجديهم الإنكار ولا التأويل». وانظر: في نقل الإجماعات والرد على الشبهات إتحاف الجماعة للتويجري (٣/ ١٢٨ - ١٤٨).

فقد تلمس العلماء - رحمهم اللَّه - بعض الحكم في ذلك(١)، والتي منها:

أولًا: الرد على اليهود: فاليهود زعموا أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، فبنزوله يتبين كذبهم، بل هو الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال كما سبق بيانه.

ثانيًا: أن الروم يكثرون في آخر الزمان كما قال ﷺ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»(٢) والروم نصارى، والنصارى يدَّعون اتباع عيسى عليه السلام وأنهم على دينه، وقد زعموا فيه ما زعموا، فينزل مكذبًا لهم، ومبطلًا لدعاويهم فيه وفي أمه، ويكسر الصليب الذي جعلوه علامة على موته، فيؤمن بسبب ذلك أكثر الروم كما في قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] فنزول عيسى عليه السلام توضيح الحقيقة لأكثر أهل الأرض، ومن هنا كانت المناسَبة.

ثالثًا: أن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل هذه الأمة كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩] فدعا اللَّه أن يجعله منهم، فاستجاب اللَّهُ دعاءه وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجددًا لأمر الإسلام.

رابعًا: أن نزول عيسى عليه السلام من السماء، لدنو أجله، ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غير الأرض، فيوافق نزوله خروج الدجال، فيقتله عيسى عليه السلام.

خامسًا: أن اختصاص عيسى عليه السلام بالنزول سببه قول النبي ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ»، فرسولنا أخص الناس به، وعيسى بَشر برسولنا ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به، كما قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، فناسب نزوله في هذه الأمة

---

(١) انظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٣٠٢)، وفتح الباري (٦/ ٤٩٣)، وعمدة القاري (١٦/ ٣٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس، ح(٢٨٩٨).

لمناصرتها على أعتى أعداء البشرية وهو الدجال.

هذه بعض الحكم التي تلمسها العلماء، ولكل وجه، ولكن أوجهَهَا الأولى والثانية، واختار ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ الأولى، والله أعلم.

صفة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

تقدم في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ».

وفي حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ».

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ[١] سَبْطُ الشَّعَرِ[٢] يَنْطُفُ أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً[٣] قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ»[٤].

وفي رواية: عن سالم عن أبيه قال: «لَا وَاللَّهِ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعِيسَى أَحْمَرُ وَلَكِنْ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَنْطِفُ رَأْسُهُ مَاءً أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ»[٥].

---

(١) «آدم: بالمد أي أسمر». فتح الباري (٦/ ٤٨٦)، وقال ابن الأثير في النهاية (١/ ٣٢): «هي في الناس السمرة الشديدة، وقيل: هو من أدمة الأرض وهو لونها وبه سمي آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ».

(٢) «سبط الشعر: بفتح المهملة وكسر الموحدة هو ضد الجعودة، أي ليس فيه تكسر». فتح الباري (١/ ٤٥٥، ٩/ ٤٥٥).

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٨٤): «وهو محتمل لأن يراد الحقيقة، وأنه عرق حتى قطر الماء من رأسه، ويحتمل أن يكون كناية عن مزيد نضارة وجهه، ويؤيده أن في رواية عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة عند أحمد وأبي داود «يقطر رأسه ماء وإن لم يصبه بلل».

(٤) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح (٧١٢٨).

(٥) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، ح(٣٤٤١).

وفي رواية: «أُرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَرَأَيْتُ رَجُلًا آدَمَ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ لَهُ لِمَّةٌ(١) كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ قَدْ رَجَّلَهَا تَقْطُرُ مَاءً مُتَّكِئًا عَلَى رَجُلَيْنِ أَوْ عَلَى عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا ؟فَقِيلَ: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «لَقِيتُ عِيسَى» فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «رَبْعَةٌ(٣) أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ(٤) «يَعْنِي الْحَمَّامَ» وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ»(٥).

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «رأيت عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ كَأَنَّهُ من رِجَالِ الزُّطِّ(٦)»(٧).

فمجموع الصفات: أنه «رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ»، «أَحْمَرُ

---

(١) «لمته: بكسر اللام، أي شعر رأسه، ويقال له إذا جاوز شحمة الأذنين وألم بالمنكبين لمة، وإذا جاوزت المنكبين فهي جمة، وإذا قصرت عنهما فهي وفرة». فتح الباري (٦/ ٤٨٦).

(٢) رواه البخاري، كتاب التعبير، باب رؤيا الليل، ح(٦٩٩٩).

(٣) ««ربعة» هو بفتح الراء وسكون الموحدة ويجوز فتحها وهو المربوع، والمراد أنه ليس بطويل جدًا ولا قصير جدًا بل وسط». فتح الباري (٦/ ٤٨٤).

(٤) قال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٨٤): «وقوله: «من ديماس» هو بكسر المهملة وسكون التحتانية وآخره مهملة. قوله: «يعني الحمام» هو تفسير عبدالرزاق، ولم يقع ذلك في رواية هشام، والديماس في اللغة السرب، ويطلق أيضًا على الكن، والحمام من جملة الكن. المراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه كان في موضع كن فخرج منه وهو عرقان».

(٥) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول اللَّه ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، ح(٣٤٣٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول اللَّه ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، ح(١٦٨).

(٦) «الزط: بضم الزاي وتشديد المهملة جنس من السودان، وقيل: هم نوع من الهنود وهم طوال الأجسام مع نحافة فيها». فتح الباري (٦/ ٤٨٥).

(٧) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول اللَّه ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، ح(٣٤٣٨).

كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ»، «رَجُلٌ آدَمُ»، «كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ»، «سَبْطُ الشَّعَرِ»، «جَعْدٌ»، «لَهُ لِمَّةٌ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ»، «عَرِيضُ الصَّدْرِ»، «كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ»، «إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ».

وفي قوله ﷺ في لون بشرته: «إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ»، «أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ»، «رَجُلٌ آدَمُ»، «كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ أُدْمِ الرِّجَالِ»، إشكال، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة، والآدم الأسمر»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيجوز أن يتأول الأحمر على الآدم ولا يكون المراد حقيقة الأدمة والحمرة بل ما قاربها، واللَّه أعلم»(٢).

قلت: قوله ﷺ: «إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ»، يؤيد ذلك، فالتعبير بـ «إلى» يشير إلى المقاربة للحمرة والبياض، فيصح أن يطلق عليه «آدم»، و «أحمر»، ويزيد الأحمر تفسيرًا ما جاء بعده من قوله ﷺ: «كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ»، قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراد من ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه كان في موضع كن فخرج منه وهو عرقان»(٣).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله في وصف عيسى: «آدم» من الأدمة، وهو لون فوق السمرة ودون السُحمة - بالسين المهملة - وكأن الأدمة يسير سواد يضرب إلى الحمرة، وهو غالب ألوان العرب، ولهذا جاء في أخرى في وصف عيسى: «إنه أحمر» مكان «آدم»، وعلى هذا يجتمع ما في الروايتين»(٤).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويمكن الجمع بين الوصفين بأنه أحمر لونه بسبب كالتعب وهو في الأصل أسمر»(٥).

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٨٦).
(٢) شرح مسلم (٢/ ٢٣٣).
(٣) فتح الباري (٦/ ٤٨٤).
(٤) المفهم (١/ ٤٠٠).
(٥) فتح الباري (٦/ ٤٨٦).

قلت: لا يخفى بُعد هذا الجمع، نعم قد تحمر وجنة الأسمر عند التعب ونحوه، ولكن هذا أمر عارض، ولا يطلق عليه أنه أحمر، أو إلى الحمرة والبياض، ولا يحصل الجمع بين كل الروايات بهذا الجمع، فالذي قاله النووي والقرطبي أدق وأولى في الجمع، وتكون هذه التعبيرات باعتبار المقاربة، فأدمته خفيفة تقرب من البياض والحمرة، والله تعالى أعلم.

وأما قوله ﷺ: «سَبْطُ الشَّعرِ»، و«جَعْدٌ».

فقال النووي رحمه الله: «قال العلماء: المراد بالجعد هنا جعودة الجسم، وهو اجتماعه واكتنازه، وليس المراد جعودة الشعر»(١).

نزوله عليه السلام:

تقدم في حديث النواس رضي الله عنه: «فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ».

وفي حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الإِمَامُ يَنْكُصُ يَمْشِي الْقَهْقَرَى لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ أُقِيمَتْ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ».

قال ابن كثير رحمه الله: «فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام بل بدمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح وقد بنيت في هذه الأعصار في سنة إحدى وأربعين وسبعمائة

(١) شرح مسلم (١/ ٢٩٦)، وانظر: فتح الباري (٦/ ٤٨٦).

منارة للجامع الأموي بيضاء من حجارة منحوتة عوضًا عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب إلى صنيع النصارى عليهم لعائن اللَّه المتتابعة إلى يوم القيامة وكان أكثر عمارتها من أموالهم وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام، وهذا إخبار من النبي ﷺ بذلك وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان»[(١)].

وقال رحمه الله: «ففيه من الدلالة الظاهرة أنه ينزل على منارة المعبد الأعظم، الذي يكون فيه إمامُ المسلمين إذ ذاك، وإمام المسلمين يومئذ هو المهدي فيما قيل، وهو جامع دمشق الأكبر، واللَّه أعلم»[(٢)].

وقال رحمه الله أيضًا: «هذا هو الأشهر في موضع نزوله أنه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد رأيت في بعض الكتب: أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقيَّ جامع دمشق...» وليس في دمشق منارةٌ تُعرف بالشرقية سوى التي إلى جانب الجامع الأموي بدمشق من شرقيِّه، وهذا هو الأنسبُ والأليق[(٣)]، وقد جُدِّدَ بناءُ منارة[(٤)] في زماننا في سنةٍ إحدى وأربعين وسبعمائةٍ، من حجارة بيض، من أموال النصارى الذين حرقوا المنارة التي كانت مكانها، ولعل هذا يكون من دلائل النبوة الظاهرة حيث قيض اللَّهُ بناءَ هذه المنارة من أموال النصارى، لينزل عيسى بنُ مريم عليها»[(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٣).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٢١٩).

(٣) قال المقريزي في كتابه «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» (١/ ١٩٣): «أخبرني الحافظ شيخ السنة عمادُ الدين أبو بكر بن أبي المجد الحنبلي رحمه اللَّه قال: أخبرني عمادُ الدين بن كثير قال: سمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: (لينزلنّ عيسى ابن مريم على هذه المنارة)، ويشير إلى منارة جامع بني أمية الشرقية، وتكون يومئذٍ بيضاء. قال: وكانت حينئذٍ غير بيضاء فاحترقت بعد موت الشيخ، وأُعِيدَت وبيّضت. قال المقريزي: وهي باقية إلى اليوم لم تحترق عند حريق الجامع في نوبة الطاغية تيمورلنك في سنة ثلاث وثمان مئة عند دخوله دمشق وتحريقها».

(٤) كذا في الأصل، ولعل الصواب منارته، ليستقيم السياق.

(٥) البداية والنهاية (١٩/ ٢٢٩ - ٢٣٠).

وقال: «والمقصود أن عيسى عليه السلام ينزل والبلد محصن من الدجال، ويكون نزوله على المنارة الشرقية بدمشق وهي هذه المنارة المبنية في زماننا من أموال النصارى؛ حيث أحرقوها فجددت من أموالهم ثم يكون نزول عيسى حتفًا لهم، وهلاكًا ودمارًا عليهم، ينزل بين ملكين واضعًا يديه على مناكبهما، وعليه مهرودتان وفي رواية: ممصرتان يقطر رأسه ماء، كأنما خرج من ديماس، وذلك وقت الفجر، فينزل من المنارة وقد أقيمت الصلاة وهذا إنما يكون في المسجد الأعظم بدمشق، وهو هذا الجامع.

وليس في البلد منارة تعرف بالشرقية سوى هذه، وهي بيضاء بنفسها، ولا يعرف في بلاد الشام منارة أحسن منها، ولا أبهى ولا أعلى منها، ولله الحمد والمنة»(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: «وهو نازل على المنارة الشرقية بدمشق، واضعًا يديه على منكبي ملكين، يراه الناس عيانًا بأبصارهم نازلًا من السماء، فيحكم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وينفذ ما أضاعه الظلمة والفجرة والخونة من دين رسول الله ﷺ، ويحيي ما أماتوه، وتعود الملل كلها في زمانه ملة واحدة، وهي ملته وملة أخيه محمد وملة أبيهما إبراهيم وملة سائر الأنبياء صلى الله عليهم وسلم، وهي الإسلام الذي من يبتغ غيره دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. وقد حمَّل رسول الله ﷺ من أدركه من أمته السلام، وأمره أن يقرئه إياه منه، فأخبر عن موضع نزوله بأي بلد، وبأي مكان منه، وبحاله وقت نزوله، وبلبسه الذي كان عليه، وأنه ممصرتان أي ثوبان، وأخبر بما يفعل عند نزوله مفصلًا حتى كأن المسلمين يشاهدونه عيانًا قبل أن يروه»(٢).

وأما وقت نزوله من حيث الحوادث:

فالذي يظهر أنه عليه السلام ينزل حين يصل الدجال إلى الشام بعد حصار

---

(١) البداية والنهاية (١٢/ ٥٩٠ - ٥٩٢) باختصار. (٢) هداية الحيارى ص(٤٢٥).

المدينة وقتل الشاب المؤمن الذي يخرج إليه، ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في ذكر الدجال وفيه: «ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ».

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ».

وقوله ﷺ: «خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ»، أي في الشام، لأن هذا الجيش ينطلق من الشام لفتح القسطنطينية، والشام يومئذ عقر دار المؤمنين كما تقدم، ولذلك قال: «فَإِذَا جَاءُوا الشَّامَ» أي رجعوا إلى أهليهم، «خَرَجَ»، أي خرج على الشام، وعيسى إنما ينزل إذا بلغ الدجال الشام ودنى هلاكه، وقد استعد المؤمنون لقتاله، ولذلك قال: «فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ»، وبعد نزول عيسى عليه السلام يلتف حوله المؤمنون، فيتوجه بهم إلى قتال الدجال الذي توجه إلى بيت المقدس، وحاصر طائفة من المؤمنين في الجبل، فيصل إليهم وقت صلاة الفجر، وهنا يصلي إمامًا بالجميع، ثم يقصد الدجال ومن معه، فعن بعض أصحاب محمد ﷺ قال: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «يَأْتِي سِبَاخَ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَهَا، فَتَنْتَفِضُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا نَفْضَةً أَوْ نَفْضَتَيْنِ، وَهِيَ الزَّلْزَلَةُ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ، ثُمَّ يُوَلِّي الدَّجَّالُ قِبَلَ الشَّامِ، حَتَّى يَأْتِيَ بَعْضَ جِبَالِ الشَّامِ فَيُحَاصِرَهُمْ، وَبَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ

مُعْتَصِمُونَ بِذِرْوَةِ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الشَّامِ، فَيُحَاصِرَهُمُ الدَّجَّالُ نَازِلًا بِأَصْلِهِ»(١).

وعن حذيفة بن أسيد ﵁ قال: «إن الدجال يخرج في بغض من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوى له الأرض طي فروة الكبش حتى يأتي المدينة، فيغلب على خارجها ويمنع داخلها، ثم جبل إيلياء فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويهزم أصحابه، حتى إن الشجر والحجر والمدر، يقول: يا مؤمن هذا يهودي عندي فاقتله»(٢).

فقوله ﷺ: «فَأَمَّهُمْ»، أي صلى بهم إمامًا، وليس بمعنى قصدهم، لأن بعد هذه الصلاة «فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»، وأما صلاته مأمومًا ففي جامع دمشق عند أول نزوله، ولا يقتل الدجال بعد تلك الصلاة، لأن الدجال في ذلك الوقت ببيت المقدس قد حاصر طائفة أخرى من المؤمنين، وليس في دمشق الشام، وإنما يقتله بعد صلاة الفجر التي يصليها ببيت المقدس ويكون هو الإمام فيها، وقد اجتمع شمل الجميع خلفه، ففي حديث أبي هريرة ﵁: «وَيُنَزِّلُ اللَّهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، فَيَؤُمُّهُمْ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ، قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ قَتَلَ اللَّهُ الدَّجَّالَ وَأَظْهَرَ الْمُؤْمِنِينَ».

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف، ح(٢٠٨٣٤) وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ١٨٨): «قال شيخنا الحافظ الذهبي: هذا حديث قوي الإسناد»، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال ص(٩٢): «وإسناده ثقات رجال الشيخين غير الرجل الأنصاري فإنه لم يسم ويحتمل أن يكون صحابيًا لأن الثقفي هذا تابعي روى عن أبي موسى الأشعري وغيره فإن كان كذلك فالسند صحيح لأن جهالة الصحابي لا تضر عند أهل السنة».

(٢) رواه الحاكم (٥/ ٧٣٨ - ٧٣٩) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي وقال: «على شرط البخاري ومسلم»، قال التويجري: «وله حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، وإنما يقال عن توقيف». إتحاف الجماعة (٣/ ٨١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويكون نزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ مسيح الهدى في أيام المسيح الدجال مسيح الضلالة على المنارة الشرقية بدمشق، فيجتمع عليه المؤمنون، ويلتف معه عباد اللَّه المتقون، فيسير بهم قاصدًا نحو الدجال، وقد توجه نحو بيت المقدس، فيدركه عند عقبة أفيق، فينهزم منه الدجال، فيلحقه عند باب مدينة لد فيقتله بحربته، وهو داخل إليها، ويقول له: إن لي فيك ضربة لن تفوتني. وإذا واجهه الدجال انماع كما ينماع الملح في الماء، فيدركه عند باب لد، فتكون وفاته هنالك، لعنه اللَّه، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح من غير وجه»(١).

فالذي يظهر - واللَّه أعلم - أن المسلمين عند نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الشام جماعتان، جماعة في دمشق أو نواحيها وهم الذين ينزل فيهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجماعة في بيت المقدس وهم الذين يحاصرهم الدجال بعد انسحابه من حدود المدينة، فعيسى يصلي خلف إمام المسلمين في الشام عند نزوله، ويصلي إمامًا بالجميع ببيتِ المقدس.

من يكون مع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو في حرز من النار:

عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللَّهُ مِنْ النَّارِ عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَام»(٢).

وتقدم في حديث النواس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ - أي من الدجال - فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ».

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٢٠٦).

(٢) رواه النسائي، كتاب الجهاد، باب غزوة الهند، ح(٣١٧٥)، والطبراني في الأوسط، ح(٦٧٤١)، وفي مسند الشاميين، ح(١٨٥١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٧٦ - ١٧٧)، وصححه الألباني في الصحيحة، ح(١٩٣٤).

وقد أوصى النبيُّ ﷺ من أدرك ذلك بوصية، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ»(١).

الأعمال التي يقوم بها وحال الناس في زمانه:

تقدم في الأحاديث:

١ - «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا»، «لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا»، «إِمَامًا مُقْسِطًا وَحَكَمًا عَدْلا»، «إِمَامًا عَادِلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا».

قال ابن حجر رحمه الله: «أي حاكمًا، والمعنى أنه ينزل حاكمًا بهذه الشريعة فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ، بل يكون عيسى حاكمًا من حكام هذه الأمة. والمقسط العادل بخلاف القاسط فهو الجائر»(٢).

٢ - «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»، «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَأَمَّكُمْ»، «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ»، «فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِي: تَعَالَ صَلِّ لَنَا. فَيَقُولُ: لَا. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ. تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ».

وفي صلاة عيسى عليه السلام وهو رسول من أولي العزم خلف المهدي وهو فرد من أفراد هذه الأمة دلالة على أنه جاء تابعًا لنبينا ﷺ وحاكمًا بشرعه، وذلك أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ.

قال ابن الجوزي رحمه الله: «اعلم أنه لو تقدم عيسى لوقع في النفوس إشكال، ولقيل: أتراه تقدم على وجه النيابة أم ابتدأ شرعًا؟ فيصلي مأمومًا لئلا يتدنس

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٥٨٧) وقال: «إسماعيل هذا أظنه ابن عياش ولم يحتجا به»، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في الصحيحة، ح(٢٣٠٨): «إسناد جيد»، وجزم بأن إسماعيل هو ابن علية وليس ابن عياش، ونسب الوهم إلى من ظنه ابن عياش.

(٢) فتح الباري (٦/ ٤٩١). وانظر: شرح مسلم للنووي (٢/ ١٩٠).

بغبار الشبهة وجه قوله: «لَا نَبِيَّ بَعْدِي[(١)]»[(٢)].

قال الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأن القصد بإمامة المهدي لعيسى إنما هو إظهار أنه نزل تابعًا لنبينا حاكمًا بشريعته غير مستقل بشيء من شريعة نفسه، واقتداؤه ببعض هذه الأمة مع كونه أفضل من ذلك الإمام الذي اقتدى به فيه من إذاعة ذلك وإظهاره ما لا يخفى على أنه يمكن الجمع بأن يقال إن عيسى يقتدي بالمهدي أولًا لإظهار ذلك الغرض، ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل وبه يجتمع القولان»[(٣)].

قلت: وبه أيضًا يتضح معنى الروايات: «وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»، «فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ»، «وَأَمَّكُمْ».

فالأولى: الإمامة فيها لرجل من هذه الأمة، للدلالة على أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تابع.

والثانية: للدلالة على أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحكم بالكتاب والسنة[(٤)].

والثالثة: للدلالة على أن إمامة هذه الأمة ستكون لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن الجميع سيكون تحت إمرته، ولذلك قال ﷺ: «وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا»، «يَنْزِلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا مُقْسِطًا وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ الإِمارَةَ».

وحكم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بشريعة نبينا ﷺ مما اتفق عليه العلماء - رحمهم الله تعالى -، قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن

---

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح(٣٤٥٥)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، ح(١٨٤٢).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ٨٨)، وانظر: فتح الباري (٦/ ٤٩٤).

(٣) الصواعق المحرقة (٢/ ٤٨٠). وانظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٩٤).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح(١٥٥) وفيه: «قال ابن أبي ذئب للوليد بن مسلم: تدري ما «أمَّكم منكم؟» قلت: تخبرني. قال: فأمَّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ».

كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها، ويتسلم الأمر من المهدي.ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه كسائر أصحاب المهدي»(١).

وقال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يحكم بشرع نبينا لا بشرعه، نص على ذلك العلماء، ووردت به الأحاديث(٢)، وانعقد عليه الإجماع»(٣).

٣ - «فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ»، «فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ»، «وَيَمْحُو الصَّلِيبَ».

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه»(٤).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي قوله: «وَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ»: دليل على تغيير آلات الباطل وكسرها، ودليل على تغيير ما نسبه النصارى إلى شرعهم، وترك إقرارهم على شيء منه، وأنه يأتي ملتزمًا لشريعتنا»(٥).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إشارة إلى أن من قتل خنزيرًا أو كسر صليبًا لا يضمن، لأنه فعل مأمورًا به، وقد أخبر - عليه الصلاة والسلام - بأن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سيفعله، وهو إذا نزل كان مقررًا لشرع نبينا ﷺ، ولا يخفى أن محل جواز كسر الصليب إذا كان مع المحاربين، أو الذمي إذا جاوز به الحد الذي عوهد عليه،

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٩٤ - ٩٥).

(٢) من ذلك حديث سمرة بن جندب أن النبي ﷺ كان يقول: «إِنَّ الدَّجَّالَ خَارِجٌ، وَهُوَ أَعْوَرُ، عَيْنِ الشِّمَالِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ... فَيَلْبَثُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَجِيءُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ، وَعَلَى مِلَّتِهِ، فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ، ثُمَّ إِنَّمَا هُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ». رواه أحمد ح(٢٠١٥١) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف، فإن الحسن البصري لم يذكر سماعه من سمرة»، والطبراني في الكبير، ح(٦٩١٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٦): «رواه الطبراني وأحمد ورجاله رجال الصحيح»، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال ص(٩٧): «وإسناده صحيح لولا عنعنة الحسن البصري وأما الحافظ في الفتح (٦/ ٤٧٨) فجزم بأن إسناده حسن».

(٣) الحاوي للفتاوي (٢/ ٣٣٩). وانظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٣٠١ - ١٣٠٢)، وفتح الباري (٦/ ٤٩١)، والفتاوى الحديثية للهيتمي (١/ ١٢٨).

(٤) فتح الباري (٦/ ٤٩١).

(٥) إكمال المعلم (١/ ٤٧١).

فإذا لم يتجاوز وكسره مسلم كان متعديًا، لأنهم على تقريرهم على ذلك يؤدون الجزية، وهذا هو السر في تعميم عيسى كسر كل صليب، لأنه لا يقبل الجزية، وليس ذلك منه نسخًا لشرع نبينا محمد ﷺ، بل الناسخ هو شرعنا على لسان نبينا لإخباره بذلك وتقريره»(١).

٤ - «وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ»، «وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ»، «وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ».

قال ابن بطال رحمه الله: «أجمع العلماء على أن بيع الخنزير وشراءه حرام، وأجمعوا على قتل كل ما يستضر به ويؤذى مما لا يبلغ أذى الخنزير، كالفواسق التي أمر النبي المحرم بقتلها، فالخنزير أولى بذلك، لشدة أذاه، ألا ترى أن عيسى بن مريم يقتله عند نزوله، فقتله واجب. وفيه دليل أن الخنزير حرام في شريعة عيسى، وقتله له تكذيب للنصارى أنه حلال في شريعتهم»(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله: «قوله: «وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ»، أي يأمر بإعدامه مبالغة في تحريم أكله، وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين يدعون أنهم على طريقة عيسى ثم يستحلون أكل الخنزير ويبالغون في محبته»(٣).

وقال رحمه الله: «ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس»(٤).

وجاء في رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فِي الأَرْضِ حَكَمًا عَدْلا، وَقَاضِيًا مُقْسِطًا، فَيُكْسَرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَالْقِرْدَ، وَتُوضَعُ الْجِزْيَةُ، وَتَكُونُ السَّجْدَةُ كُلُّهَا وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»(٥).

---

(١) فتح الباري (٥/ ١٢١).
(٢) شرح البخاري (٦/ ٣٣٤).
(٣) فتح الباري (٤/ ٤١٤).
(٤) المصدر السابق (٦/ ٤٩١).
(٥) رواه البزار، ح(٩٠٣٠)، والطبراني في الأوسط، ح(١٣٤٢)، وقال ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٤٩١): «وإسناده لا بأس به».

٥ - «وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ»، «وَيَضَعُ الْخَرَاجَ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله ﷺ: «وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ»، فالصواب في معناه أنه لا يقبلها، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، فعلى هذا قد يقال: هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابي إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله ولا إكراهه على الإسلام، وجوابه: أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيد بما قبل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسخه، وليس عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الناسخ، بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكم بشرعنا، فدل على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ»(١).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويحتمل أن يقال: إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى ﷺ زالت الشبهة بحصول معاينته فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم. هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالًا والله أعلم»(٢).

قلت: عدم قبول الجزية يفسره ما جاء بعدها في الرواية: «وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ»، وفي قوله ﷺ: «وَتَكُونُ السَّجْدَةُ كُلُّهَا وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، «وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعنى أن الدين يصير واحدًا فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية»(٣).

---

(١) شرح مسلم (٢/ ١٩٠).
(٢) فتح الباري (٦/ ٤٩٢).
(٣) المصدر السابق (٦/ ٤٩١).

٦ - «وَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ»، «فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ» «الشَّرْقِيِّ» «فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ».

تقدم تفصيل هذا في موضعه، والمقصود أن هذه الأمور مما يكون في زمن عيسى عليه السلام.

٧ - «فَيَهْزِمُ اللَّهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطَ، وَلَا دَابَّةَ، إِلَّا الْغَرْقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ هَذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ».

٨ - «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ»، «ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَطَؤُونَ بِلَادَهُمْ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ».

وفي قوله ﷺ: «إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى»، دلالة على أن عيسى عليه السلام ينزل بنبوته، وهذا لا ينافي أن يكون تابعًا لنبينا ﷺ، قال السفاريني رحمه الله: «انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها، ويتسلم الأمر من المهدي ويكون المهدي من أصحابه وأتباعه كسائر أصحاب المهدي»(١)، ويؤيد

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٩٤ - ٩٥).

هذا قول النبي ﷺ لعمر ﵁: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»(١)، قال ابن كثير ﵀: «الأنبياء كلهم لو فرض أنهم أحياء مكلفون في زمن رسول اللَّه ﷺ، لكانوا كلهم أتباعًا له، وتحت أوامره، وفي عموم شرعه، كما أنه - صلوات اللَّه وسلامه عليه - لما اجتمع معهم ليلة الإسراء، رفع فوقهم كلهم، ولما هبطوا معه إلى بيت المقدس، وحانت الصلاة؛ أمره جبريل عن أمر اللَّه أن يؤمهم، فصلى بهم في محل ولايتهم، ودار إقامتهم، فدل على أنه الإمام الأعظم، والرسول الخاتم المبجل المقدم، صلوات اللَّه وسلامه عليه وعليهم أجمعين»(٢).

وفي قوله ﷺ: «لَا يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ». دلالة أن على إمام المسلمين عند عدم التكافؤ في القتال بين المسلمين وأعدائهم بحيث يكون الأعداء من الكثرة والقوة بمكان لا طاقة لأهل الإسلام بهم، ألا يقحمهم في القتال، بل عليه أن يصونهم ويحرز بهم إلى مأمن، فليس من الجهاد إقحام المسلمين في حروب لا طاقة لهم بها، ولذلك لم يأمراللَّهُ رسوله ﷺ في مكة بقتال قريش؛ لعدم القدرة على ذلك، ولما أوذي موسى ومن معه وكانوا مستضعفين في الأرض لم يأمرهم اللَّه بقتال فرعون، وإنما قال: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [الدخان: ٢٣]، وهذا من فقه الشريعة، واللَّه لا يكلف أحدًا فوق طاقته، واللَّه أعلم.

وفي قوله ﷺ: «وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهُ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ»، دلالة على أن من أيام

---

(١) رواه ابن أبي شيبة، ح(٢٦٩٤٩)، وأحمد، ح(١٥١٥٦) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف لضعف مجالد»، والبيهقي في شعب الإيمان، ح(١٧٤) واللفظ له، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٤٥٨): «إسناد صحيح»، وقال في (٣/ ٣٥): «تفرد به أحمد، وإسناده على شرط مسلم»، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٧٤): «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، وفيه مجالد بن سعيد، ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما»، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، ح(١٥٨٩).

(٢) البداية والنهاية (٢/ ٢٦٦).

عيسى عليه السلام أيام فيها كرب وشدة وابتلاء.

وفي قوله ﷺ: «فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ»، دلالة أن على أهل الإسلام اللجوء إلى اللَّه في الفتن والمدلهمات، وفي قوله ﷺ: «نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ»، إشارة إلى أن الجميع على قلب واحد، قال القاري رحمه الله: «في ضم أصحابه إليه إشارة إلى أن الهيئة الاجتماعية في الهمة الإطماعية لها تأثير بليغ في الإجابة الدعائية، وفي ذكرهم إيماء إلى أنهم هم الباعث على الدعاء، والتضرع إلى رب السماء»(١).

٩ - «ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ»، «ثُمَّ يَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ فَيَشْكُونَهُمْ، فَأَدْعُو اللَّهَ عَلَيْهِمْ، فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ وَيُمِيتُهُمْ، حَتَّى تَجْوَى الأَرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمْ».

١٠ - «ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ»، «فَيُنْزِلُ اللَّهُ عز وجل الْمَطَرَ، فَتَجْرُفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ».

والجمع بين قوله ﷺ: «فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ»، وبين قوله ﷺ: «فَيُنْزِلُ اللَّهُ عز وجل الْمَطَرَ، فَتَجْرُفُ أَجْسَادَهُمْ حَتَّى يَقْذِفَهُمْ فِي الْبَحْرِ»، إما أن يقال: أن الطير تحمل الأجساد وتطرحهم حيث شاء اللَّه عز وجل، وأن المطر يجرف زهمهم ونتنهم وما تحلل من أجسادهم إلى البحر، وإما أن يسلك مسلك الترجيح فيقدم ما في الصحيح، لاسيما ورواية ابن مسعود والتي فيها ذكر البحر قد ضعفها بعض أهل العلم، ولم

(١) مرقاة المفاتيح (١٠/ ١٢٤).

أقف في هذا على كلام لأهل العلم، واللَّه تعالى أعلم.

١١ - «ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ»، «وَتَكُونُ الأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ»، «طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ يُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ وَيُؤْذَنُ لِلأَرْضِ فِي النَّبَاتِ فَلَوْ بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلَى الصَّفَا لَنَبَتَ»، «وَتُنْزِلُ السَّمَاءُ رِزْقَهَا، وَتُخْرِجُ الأَرْضُ بَرَكَتَهَا».

١٢ - «ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ»، «حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الأَسَدِ فَلَا يَضُرُّهُ، وَيَطَأُ عَلَى الحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ»، «وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرَّهُ، وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمْلَأُ الأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلَأُ الإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ»، «وَتَذْهَبُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يَلْعَبَ الصَّبِيُّ بِالثُّعْبَانِ، فَلَا يَضُرُّهُ، وَيُرَاعِي الْغَنَمَ الذِّئْبُ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيُرَاعِي الْأَسَدُ الْبَقَرَ، فَلَا يَضُرُّهَا».

ولعل هذا يكون وقت قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا تَنْطَحَ ذَاتُ قَرْنٍ جَمَّاءَ»(١).

١٣ - «وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ»، «وَلَيُصْلِحَنَّ ذَاتَ الْبَيْنِ وَلَيُذْهِبَنَّ الشَّحْنَاءَ»، «وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ»، «وَلَا تَشَاحَّ وَلَا تَحَاسُدَ وَلَا تَبَاغُضَ».

---

(١) رواه أحمد، ح(٩٧٠٤) وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٧٨): «تفرد به أحمد، ولا بأس بإسناده».

١٤ - «وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»، «وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ»، «وَلَيُعْرَضَنَّ عَلَيْهِ الْمَالُ فَلا يَقْبَلُهُ»، «وَيُعْطَى الْمَالُ حَتَّى لَا يُقْبَلَ»، «وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ، وَلَا بَعِيرٍ».

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «وَيَفِيضَ الْمَالُ» بفتح أوله وكسر الفاء وبالضاد المعجمة أي يكثر. وسبب كثرته نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم، وحينئذ تخرج الأرض كنوزها، وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة»(١).

ودلت بقية الروايات أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعو الناس إلى المال فلا يقبلونه، ويأتيه الناس بصدقاتهم وزكواتهم فلا يقبلها منهم، ولا يبعث أحدًا لأخذ الزكاة من الناس، لتعطل مصارفها بغناء الناس، ووضع الحروب أوزارها.

١٥ - «وَيَضَعَ الْحَرْبَ»، «وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا»، «وَيُرْجِعُ السَّلْمَ، وَيَتَّخِذُ السُّيُوفَ مَنَاجِلَ».

وهذا يكون بعد قتل الدجال ومن معه من اليهود، وبعد موت يأجوج ومأجوج، حيث يؤمن أهل الأرض، «وَتَكُونُ السَّجْدَةُ كُلُّهَا وَاحِدَةً لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، «وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ»، بعد أن «يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ»، فعن سلمة بن نُفَيْل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينا أنا جالس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول اللَّه إن الخيل قد سيبت ووضع السلاح، وزعم أقوام أن لا قتال، وأن قد وضعت الحرب أوزارها. قال رسول اللَّه ﷺ: «كَذَبُوا، الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَإِنَّهُ لَا تَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أَمَةٌ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، يَزِيغُ اللَّهُ قُلُوبَ قَوْمٍ يَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ يُقَاتِلُونَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَلَا تَضَعُ

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٩٢). وانظر: شرح مسلم للنووي (٢/ ١٩٠ - ١٩١).

الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا حَتَّى يَخْرُجَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ»(١).

وعن ابن حَرْمَلَةَ، عن خالته ﵂ قالت: خطب رسول اللّه ﷺ وهو عاصب إصبعه من لدغة عقرب فقال: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ لَا عَدُوَّ وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ عَدُوًّا حَتَّى يَأْتِيَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ عِرَاضُ الْوُجُوهِ، صِغَارُ الْعُيُونِ، صُهْبُ الشِّعَافِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ»(٢).

١٦ - «وَتُجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ».

لعل تفسير هذا قوله ﷺ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَأَمَّكُمْ»، فيؤمن به الناس كلهم، ويتولى جميع أمورهم.

١٧ - «وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ فَلَا يُسْعَى عَلَيْهَا».

قال النووي ﵀: ومعناه أن يزهد فيها ولا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال وقلة الآمال وعدم الحاجة والعلم بقرب القيامة، وإنما ذكرت القلاص لكونها أشرف الإبل التي هي أنفس الأموال عند العرب وهو شبيه بمعنى قول اللّه ﷿: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] ومعنى لا يسعى عليها لا يعتنى بها، أي يتساهل أهلها فيها ولا يعتنون بها هذا هو الظاهر»(٣).

١٨ - «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا مُقْسِطًا وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ الإِمارَةَ»، «وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا».

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى، ح(٤٣٨٦)، والطبراني في الكبير، ح(٦٣٦٠)، وفي مسند الشاميين، ح(٢٥٢٤).

(٢) رواه أحمد، ح(٢٢٣٣١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، ح(٣٤١٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٦): «رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح»، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٨/ ١٤٢): «رواته ثقات».

(٣) شرح مسلم (٢/ ١٩٢).

وذلك بتسليم المهدي القرشي الملك والإمارة لعيسى النبي ﷺ، ولا تعود إليهم بعد ذلك أبدًا، قال ﷺ: «ثُمَّ يَجِيءُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ، وَعَلَى مِلَّتِهِ، فَيَقْتُلُ الدَّجَّالَ، ثُمَّ إِنَّمَا هُوَ قِيَامُ السَّاعَةِ»(١).

١٩ - «لَيُهِلَّنَّ ابن مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أو مُعْتَمِرًا أو لَيَثْنِيَنَّهُمَا»، «وَيَنْزِلُ الرَّوْحَاءَ، فَيَحُجُّ مِنْهَا أَوْ يَعْتَمِرُ، أَوْ يَجْمَعُهُمَا».

وهذا فيه أن البيت الحرام يكون عامرًا في زمن عيسى ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ»(٢).

٢٠ - «حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

قال النووي رحمه الله: «معناه والله أعلم أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات لقصر آمالهم بقرب القيامة، وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث. وقال القاضي عياض رحمه الله: معناه أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها لفيض المال حينئذ وقلة الشح، وقلة الحاجة إليه للنفقة قي الجهاد»(٣).

وفي هذا إشارة إلى صلاح الناس وشدة إيمانهم وإقبالهم على الخير في ذلك الزمان، ولذلك يؤثرون الركعة الواحدة على جميع الدنيا(٤).

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٠١٥١) وقال الأرناؤوط: «إسناده ضعيف، فإن الحسن البصري لم يذكر سماعه من سمرة»، والطبراني في الكبير، ح(٦٩١٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٦): «رواه الطبراني وأحمد ورجاله رجال الصحيح»، وقال الألباني في قصة المسيح الدجال ص(٩٧): «وإسناده صحيح لولا عنعنة الحسن البصري وأما الحافظ في الفتح (٦/ ٤٧٨) فجزم بأن إسناده حسن».

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾، ح (١٥٩٣).

(٣) شرح مسلم (٢/ ١٩١). وانظر: إكمال المعلم (١/ ٤٧١)، وفتح الباري (٦/ ٤٩٢).

(٤) انظر: فتح الباري (٦/ ٤٩٢).

٢١ - «ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ»، «ثُمَّ يَمْكُثُ الناسُ سَبْعَ سِنِينَ ليس بين اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّه رِيحًا بَارِدَةً من قِبَلِ الشام فلا يَبْقَى على وَجْهِ الأرض أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من خَيْرٍ أو إِيمَانٍ إلا قَبَضَتْهُ حتى لو أَنَّ أَحَدَكُمْ دخل في كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عليه حتى تَقْبِضَهُ».

وهذا فيه أن هذا الخير يستمر على أهل الإيمان حتى مجيء الريح التي تقبض أرواحهم.

مدة بقائه عليه السلام في الأرض بعد نزوله ووفاته:

تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

وفي رواية: من حديث عائشة رضي الله عنها: «فَيَنْزِلَ عِيسَى عليه السلام فَيَقْتُلَهُ، ثُمَّ يَمْكُثَ عِيسَى عليه السلام فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَدْلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا»(١).

وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو: «ثُمَّ يَمْكُثُ الناسُ سَبْعَ سِنِينَ ليس بين اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّه رِيحًا بَارِدَةً من قِبَلِ الشام فلا يَبْقَى على وَجْهِ الأرض أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من خَيْرٍ أو إِيمَانٍ إلا قَبَضَتْهُ حتى لو أَنَّ أَحَدَكُمْ دخل في كَبَدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عليه حتى تَقْبِضَهُ».

قال ابن كثير رحمه اللَّه: «فهذا مع هذا مشكل، اللَّهم إلا أن تحمل هذه

---

(١) رواه أحمد، ح(٢٤٤٦٧) وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، وابن حبان، ح(٦٨٢٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٨): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة»، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال ص(٦٠).

السبع على مدة إقامته بعد نزوله، ويكون ذلك محمولًا على مكثه فيها قبل رفعه مضافًا إليه، وكان عمره قبل رفعه ثلاثًا وثلاثين سنة على المشهور. وهذه السبع تكملة الأربعين، فيكون هذا مدة مقامه في الأرض قبل رفعه وبعد نزوله، وأما مقامه في السماء قبل نزوله فهو مدة طويلة. والله سبحانه أعلم»(١).

قال السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا والله أعلم ليس بشيء لما مر من حديث عائشة»(٢).

قلت: رواية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا صريحة في الأربعين سنة بعد نزوله، ويكون فيها إمامًا عدلًا، وحكمًا مقسطًا، وأما رواية السبع سنين فهي ليست صريحة في أن مكث عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد نزوله إلى وفاته سبع سنين، بل هي مطلقة، ولم يأت فيها ذكر لمكث عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما: «ثُمَّ يَمْكُثُ الناسُ سَبْعَ سِنِينَ ليس بين اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ»، وجعل منتهاها: «ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّه رِيحًا بَارِدَةً من قِبَلِ الشام...» فهذه السبع: إما أن تكون مدة الرخاء الذي يكون بعد هلاك يأجوج ومأجوج، لأن أول نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يكون المسلمون في كربة وشدة من الدجال، ثم الحروب التي يخوضها ضد الكفار، ثم ظهور يأجوج ومأجوج، ثم هلاكهم، وبعد هلاكهم تؤمر الأرضُ بإخراج بركتها، وعلى هذا ينقسم زمان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قسمين:

القسم الأول: قسم فيه شدة وهو الأكثر.

القسم الثاني: قسم فيه رخاء وهو سبع سنين.

وإما: أن تكون السبع مدة بقاء أهل الإيمان بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل مجيء الريح التي تقبض أرواحهم.

وهذا الاحتمال أظهر، وذلك أن الرسول ﷺ جعل منتهى السبع، الريح التي تقبض أرواح المؤمنين، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا تقبض روحه بالريح، وإنما «يُتَوَفَّى،

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٢٣١). ولكنه ذكر في (٢/ ٥٢٦): «أنه يقيم أربعين سنة ثم يموت».
(٢) لوامع الأنوار (٢/ ٩٨).

وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»، ويبقى أهل الإيمان بعده و«ليس بين اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ»، إلى أن يرسل اللَّه «رِيحًا بَارِدَةً من قِبَلِ الشام فلا يَبْقَى على وَجْهِ الأرض أَحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من خَيْرٍ أو إِيمَانٍ إلا قَبَضَتْهُ»، وبهذا يزول الإشكال، ويندفع التعارض، واللَّه تعالى أعلم.

وأما مكان دفنه عليه السلام:

فلم يصح في ذلك شيء، قال ابن كثير رحمه الله: «يدفن فيما قيل في الحجرة النبوية عند رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه. وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه، عن عائشة مرفوعًا، أنه يدفن مع رسول اللَّه ﷺ وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية، ولكن لا يصح إسناده.

وقال أبو عيسى الترمذي[(١)]: حدثنا زيد بن أخزم الطائي، حدثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة، حدثني أبو مودود المدني، حدثنا عثمان بن الضحاك، عن محمد بن يوسف بن عبد اللَّه بن سلام، عن أبيه، عن جده، قال: مكتوب في التوراة صفة محمد، وعيسى بن مريم عليه السلام، يدفن معه. قال أبو مودود: وقد بقي في البيت موضع قبر. ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن. كذا قال. والصواب الضحاك بن عثمان المدني. وقال البخاري: هذا الحديث لا يصح عندي، ولا يتابع عليه»[(٢)].

وذكر القرطبي رحمه الله أنه يدفن حيث دفن الأنبياء الذين أمه مريم من نسلهم، وهي الأرض المقدسة فينشر إذا نشر معهم[(٣)].

وكل هذه الأقوال وغيرها لا دليل عليها صحيح، ولا طائل من سردها، واللَّه تعالى أعلم.

---

(١) كتاب المناقب، باب فضل النبي ﷺ، ح(٣٦١٧)، وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة، ح(٦٩٦٢).
(٢) البداية والنهاية (٢/ ٥٢٧)، وانظر: (١٩/ ٢٣٢).
(٣) انظر: التذكرة (٣/ ١٣٠٤).

المبحث الثاني
طلوع الشمس من مغربها

طلوع الشمس من مغربها آية كبرى غير معتادة، لم تقع بعد، ووقوعها خرق للنواميس الكونية المعروفة عند الناس، وهي أعظم الآيات مطلقًا، فلا يراها أحد إلا آمن، وهي آية يتبعها تغير العالم العلوي، إيذانا ببدء القيامة، فليس بينها وبين الساعة إلا زمن يسير، ولذلك لا تقبل التوبة بعد طلوعها من مغربها، ولا ينفع نفسًا إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، وهو ثابت بالكتاب والسنة المتواترة:

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد دلت السنة على أن المراد ببعض الآيات هنا: طلوع الشمس من مغربها، وهو قول أكثر المفسرين.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكر أقوال المفسرين في هذه الآية: «وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «ذَلِكَ حِين تَطْلُع الشَّمْس مِنْ مَغْرِبهَا»»[١].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا ثبت رفع هذا التفسير النبوي من وجه صحيح لا قادح فيه، فهو واجب التقديم له محتَم الأخذ به»[٢].

---

(١) تفسير الطبري (١٠/ ٢٨)، والحديث رواه بالمعنى ولم يسنده، وسيأتي.

(٢) فتح القدير (٢/ ١٨٢).

وأما الأحاديث:

فعن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾ قال: «طُلُوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ فَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ »(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ إذا خَرَجْنَ(٣) لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لم تَكُنْ آمَنَتْ من قَبْلُ أو كَسَبَتْ في إِيمَانِهَا خَيْرًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ وَدَابَّةُ الأرض»(٤).

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا الدَّجَّالَ وَالدُّخَانَ وَدَابَّةَ الأرض وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَأَمْرَ الْعَامَّةِ(٥) وَخُوَيِّصَةَ أَحَدِكُمْ(٦)»(٧).

وعن حذيفة بن أَسيد رضي الله عنه قال: «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تَذَاكَرُونَ؟» قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قال: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتى تَرَوْنَ

---

(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام، ح(٣٠٧١) وقال: «هذا حديث حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه»، وصححه الألباني في تعليقه على السنن.

(٢) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب طلوع الشمس من مغربها، ح(٦٥٠٦)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح(١٥٧).

(٣) أي إذا انتهى خروجهن كلهنَّ؛ لما تقدم من قبول الإيمان والتوبة بعد الدجال وعيسى بن مريم، فلابد من حمل هذا الحديث على اجتماع هذه الأمور الثلاثة ليندفع الإشكال، والله أعلم. وانظر كتاب «آثار الإيمان باليوم الآخر من تفسير الطبري» ص(٣١٣- ٣١٤).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح(١٥٨).

(٥) قال في النهاية (٣/ ٣٠٢): «أراد بالعامة القيامة لأنها تعم الناس بالموت».

(٦) «المراد حادثة الموت التي تخص المرء، وصغرت لاستصغارها في جنب سائر الحوادث العظام من البعث والحساب وغير ذلك». الفائق في غريب الحديث (١/ ٣٧٦).

(٧) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(٢٩٤٧).

قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: فذكر الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى بن مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذلك نَارٌ تَخْرُجُ من الْيَمَنِ تَطْرُدُ الناس إلى مَحْشَرِهِمْ»[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «المراد بالآيات هاهنا التي ليست مألوفة، بل هي مخالفة للعادات»[(٢)].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو على ظاهره عند أهل الفقه والحديث والمتكلمين من أهل السنة، خلافًا لمن تأوله من المبتدعة والباطنية، وهو أحد أشراط الساعة العظام المنتظرة»[(٣)].

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال يومًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هذه الشَّمْسُ؟» قالوا: اللَّه وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال: «إِنَّ هذه تَجْرِي حتى تَنْتَهِيَ إلى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً فلا تَزَالُ كَذَلِكَ حتى يُقَالَ لها ارْتَفِعِي ارْجِعِي من حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً من مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي حتى تَنْتَهِيَ إلى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً ولا تَزَالُ كَذَلِكَ حتى يُقَالَ لها ارْتَفِعِي ارْجِعِي من حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً من مَطْلِعِهَا ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ الناس مِنْهَا شَيْئًا حَتى تَنْتَهِيَ إِلى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالُ لها ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً من مَغْرِبِكِ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً من مَغْرِبِهَا» فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾»[(٤)].

وفي رواية قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «دخلت المسجد ورسول اللَّه ﷺ جالس فلما غابت الشمس قال: «يا أَبَا ذَرٍّ هل تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ هذه؟» قال: قلت: اللَّه

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٢٥٩). (٣) إكمال المعلم (١/ ٤٧٥).

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح(١٥٩).

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ فَتَسْتَأْذِنُ في السُّجُودِ فَيُؤْذَنُ لها وَكَأَنَّهَا قد قِيلَ لها ارْجِعِي من حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ من مَغْرِبِهَا»(١).

وفي رواية: قال: «كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ »(٢).

وفي رواية: قال: «سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قال: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ»(٣).

قال الخطابي رحمه الله: «وأما قوله عليه السلام: «مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ» فلا ننكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده، وإنما أخبر عن غيب، فلا نكذب به، ولا نكيفه، لأن علمنا لا يحيط به»(٤).

وقال رحمه الله: «وفي هذا إخبار عن سجود الشمس تحت العرش، فلا ينكر أن يكون ذلك عند محاذاتها العرش في مسيرها، وليس في سجودها تحت العرش ما يعوقها عن الدأب في سيرها، والتصرف لما سخرت له. وأما قوله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] فهو نهاية مدرك البصر إياها حالة الغروب، ومصيرها تحت العرش للسجود إنما هو بعد الغروب، وليس معنى قوله: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أنها تسقط في تلك العين فتغمرها، وإنما هو خبر عن الغاية التي بلغها ذو القرنين في مسيره حتى لم يجد وراءها مسلكًا، فوجد الشمس تتدلى عند غروبها فوق هذه العين، وكذلك يتراءى غروب

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح(١٥٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب والشمس تجري لمستقر لها، ح(٤٨٠٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب والشمس تجري لمستقر لها، ح(٤٨٠٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ح(١٥٩).

(٤) انظر: كلامه في شرح السنة للبغوي (١٥/ ٩٥).

الشمس لمن كان في البحر، وهو لا يرى الساحل كأنها تغيب في البحر والله أعلم»(١).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الحديث رد على من زعم أن المراد بمستقرها غاية ما تنتهي إليه في الارتفاع، وذلك أطول يوم في السنة، وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري. والله أعلم»(٢).

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما سجود الشمس، فهو بتمييز وإدراك، بخلق الله تعالى فيها»(٣).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «يسجد لعظمته كل شيء طوعًا وكرهًا وسجود كل شيء مما يختص به»(٤).

وهذا السجود لا ندري كيفيته، بل يعلمه خالقُها الذي يسجدُ له أَمَامَنا الشجرُ والدواب والجبال، ولا نعلم كيفيته، فهذه بتلك.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].

فالشمس تسجد لربها، وهذا نؤمن به لقول الله والرسول، وإن كنا لا نعلم كيفيته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، كما نؤمن أن كل شيء من المخلوقات يسبح بحمد ربه، وإن كنا لا نفقه تسبيحهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهذا عام في كل شيء، وعلى ذلك لا يجوز لأحد أن ينكر دلالة هذه النصوص ونحوها بحجة أن العقل لا يقبلها، وذلك أن هذه النصوص

(١) انظر: كلامه في شرح السنة للبغوي (١٥/ ٩٥ - ٩٦).
(٢) فتح الباري (٨/ ٥٤٢) باختصار.
(٣) شرح مسلم للنووي (٢/ ١٩٧).
(٤) تفسير ابن كثير (١٠/ ٢٤).

تخبر عن غيب، والعقل محدود الإدراك، والغيب حقه الاستسلام والإيمان.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومذهب أهل السنة حمل طلوع الشمس من مغربها وغيرها من الآيات على ظاهرها؛ إذ لا إحالة فيها، وهي أمور ممكنة في نفسها، وقد تظاهرت الأخبار الصحيحة بها مع كثرتها وشهرتها، فيجب التصديق بها، ولا يلتفت لشيء من تأويلات المبتدعة لها»(١).

وعن عبد اللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «حفظت من رسول اللَّه ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ على الناس ضُحًى وَأَيُّهُمَا ما كانت قبل صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى على إِثْرِهَا قَرِيبًا»(٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال، ونزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، فكل ذلك أمور مألوفة، لأنهم بشر، مشاهدتهم وأمثالهم معروفة مألوفة، فأما خروج الدابة على شكل غير مألوف، ومخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان والكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية فإنها تطلع على خلاف عادتها المألوفة. واللَّه سبحانه أعلم»(٣).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الحاكم أبو عبد اللَّه: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه. قلت: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة»(٤).

---

(١) المفهم (١/ ٣٧٣).

(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه...، ح(٢٩٤١).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٢٥٤). (٤) فتح الباري (١٣/ ٣٥٣).

فطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة، وليس المعنى أول الأشراط الكبرى، بل أول الآيات التي يبدأ بعدها التغير، ولا يقبل بعدها التوبة والإيمان، وذلك لأن طلوع الشمس من مغربها آية عظيمة، يراها كل من كان في ذلك الزمان فتنكشف لهم الحقائق، ويشاهدون من الأهوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتصديق بالله وآياته، وحكمهم في ذلك حكم من عاين بأس الله تعالى كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤ - ٨٥]، ولذلك قال ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ، وَلا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ، وَكُفِيَ النَّاسُ الْعَمَلَ»(١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ من مَغْرِبِهَا»(٢).

وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا، عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً، فَلَا يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ

---

(١) رواه أحمد، ح(١٦٧١) وقال الأرناؤوط: «إسناده حسن»، والبزار، ح(١٠٥٤)، والطحاوي في مشكل الآثار، ح(٢٦٣٥)، والطبراني في الأوسط، ح(٥٩)، والبيهقي في شعب الإيمان، ح(٦٨٢٠)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٦٣): «وهذا إسناد جيد قوي، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب»، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٢٥١): «رواه أحمد، والطبراني في الأوسط والصغير من غير ذكر حديث ابن السعدي، والبزار من حديث عبدالرحمن بن عوف وابن السعدي فقط، ورجال أحمد ثقات». وحسنه الألباني في إرواء الغليل (٥/ ٣٤) وقال: «وهذا إسناد شامي حسن، رجاله كلهم ثقات، وفي ضمضم بن زرعة كلام يسير».

(٢) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، ح(٢٧٥٩).

مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»(٢).

وعن عائشة ﷺ قالت: «إذا خرج أول الآيات طرحت الأقلام، وحبست الحفظة، وشهدت الأجساد على الأعمال»(٣).

قال ابن كثير ﷺ: «فهذه الأحاديث المتواترة، مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث إيمانًا، أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا تقبل منه، وإنما كان كذلك، والله أعلم؛ لأن ذلك من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ودنوها، فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة»(٤).

وقال ابن حجر ﷺ: «الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة ويؤخذ منها أن طلوع الشمس من مغربها أول الإنذار بقيام الساعة»(٥).

فالشمس بعد الدجال وعيسى بن مريم ولذلك قال ابن حجر ﷺ: «الذي يترجح من الأخبار: أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب»(٦).

---

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب طلوع الشمس من مغربها، ح(٤٠٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ح(٢٢٢٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، ح(٢٧٠٣). قال ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٥٤): «مفهومه أن من تاب بعد ذلك لم تقبل».

(٣) رواه عبدالرزاق في تفسيره (١/ ٢٢٢)، ونعيم بن حماد في الفتن، ح(١٨٢٢)، والطبري في التفسير (١٠/ ٢٧)، قال ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٥٥): «بسند صحيح، وهو وإن كان موقوفًا فحكمه الرفع».

(٤) البداية والنهاية (١٩/ ٢٦٣). وانظر: التذكرة للقرطبي (٣/ ١٣٤٦).

(٥) فتح الباري (١١/ ٣٥٥).

(٦) المصدر السابق (١١/ ٣٥٣).

المبحث الثالث
الدخان

ظهور الدخان في آخر الزمان من علامات الساعة الكبرى التي لم تظهر بعد.

قال اللَّه تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٦].

فعن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه قال: «اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تَذَاكَرُونَ»؟ قالوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قال: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فذكر الدُّخَانَ وَالدَّجَّالَ وَالدَّابَّةَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَنُزُولَ عِيسَى بن مَرْيَمَ ﷺ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَآخِرُ ذلك نَارٌ تَخْرُجُ من الْيَمَنِ تَطْرُدُ الناس إلى مَحْشَرِهِمْ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا الدَّجَّالَ وَالدُّخَانَ وَدَابَّةَ الأرض وَطُلُوعَ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا وَأَمْرَ الْعَامَّةِ(٢) وَخُوَيِّصَةَ أَحَدِكُمْ(٣)»(٤).

---

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، ح(٢٩٠١).

(٢) قال في النهاية (٣/ ٣٠٢): «أراد بالعامة القيامة لأنها تعم الناس بالموت».

(٣) «المراد حادثة الموت التي تخص المرء، وصغرت لاستصغارها في جنب سائر الحوادث العظام من البعث والحساب وغير ذلك». الفائق في غريب الحديث (١/ ٣٧٦).

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح(٢٩٤٧).

واختلف العلماء - رحمهم الله تعالى - في آية الدخان: هل هي مما مضى وانقضى، أم أنها من الآيات الكبرى التي لم تظهر بعد، فأنكر ابن مسعود ﷺ أن يكون الدخان من أشراط الساعة التي يعقبها قيام الساعة، وذهب إلى أن الدخان قد ظهر في عهد النبي ﷺ، وفسر آية الدخان بذلك.

قال ابن كثير رحمه الله: «وقد وافق ابن مسعود ﷺ على تفسير الآية بهذا وأن الدخان مضى جماعة من السلف: كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير»[١].

وذهب أكثر العلماء - رحمهم الله - إلى أن الدخان لم يأت بعد، وهو من علامات الساعة الكبرى، وهو دخان قبل قيام الساعة، يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمن كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه، وهو مروي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو سعيد ﷺ، والحسن البصري رحمه الله، واختاره ابن كثير ونصره[٢].

واستدل الأولون بأدلة:

فعن مسروق قال: «بينما رجل يحدث في كندة فقال: يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٣] فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، فَفَزِعْنَا فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَغَضِبَ فَجَلَسَ فَقَالَ: مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ لَا أَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ وَإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَئُوا عَنِ الْإِسْلَامِ

(١) تفسير ابن كثير (١٢/ ٣٣٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٢/ ٣٣٥ - ٣٣٦)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٠٦ - ١٠٨)، والتذكرة للقرطبي (٣/ ١٢٦٥ - ١٢٦٦)، وشرح مسلم للنووي (١٨/ ٢٧)، ولوامع الأنوار (٢/ ١٢٩ - ١٣١).

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢٦٧ - ٢٦٨): «وقول هذا القاص: إن هذا الدخان يكون يوم القيامة. ليس بجيد، ومن هنا تسلط عليه ابن مسعود بالرد، بل قبل يوم القيامة يكون وجود هذا الدخان، كما يكون وجود الآيات، من الدابة والدجال، ويأجوج ومأجوج، كما دلت عليه الأحاديث عن أبي سريحة وأبي هريرة، وغيرهما من الصحابة، وكما جاء مصرحًا به فيها».

فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ» فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللَّهَ، فَقَرَأَ ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿عَآئِدُونَ﴾ أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ إِذَا جَاءَ ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ يَوْمَ بَدْرٍ وَ﴿لِزَامًا﴾ يَوْمَ بَدْرٍ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ إِلَى ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ وَالرُّومُ قَدْ مَضَى»(١).

وفي رواية قال: «جاء إلى عبداللَّهِ رَجُلٌ فقال تَرَكْتُ في الْمَسْجِدِ رَجُلًا يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ يُفَسِّرُ هذه الْآيَةَ ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال: يَأْتِي الناس يوم الْقِيَامَةِ دُخَانٌ فَيَأْخُذُ بِأَنْفَاسِهِمْ حتى يَأْخُذَهُمْ منه كَهَيْئَةِ الزُّكَام، فقال عبداللَّهِ: من عَلِمَ عِلْمًا فَلْيَقُلْ بِهِ وَمَنْ لم يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّه أَعْلَمُ، فإن من فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا عِلْمَ له بِهِ اللَّه أَعْلَمُ، إنما كان هذا أَنَّ قُرَيْشًا لَمَّا اسْتَعْصَتْ على النبي ﷺ دَعَا عليهم بِسِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ فَأَصَابَهُمْ قَحْطٌ وَجَهْدٌ حتى جَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظُرُ إلى السَّمَاءِ فَيَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ من الْجَهْدِ وَحَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ»(٢).

وفي رواية: قال ابن مسعود ﵁: «خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ اللِّزَامُ وَالرُّومُ وَالْبَطْشَةُ وَالْقَمَرُ وَالدُّخَانُ»(٣).

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة الروم، ح(٤٧٧٤)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان، ح(٢٧٩٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان، ح(٢٧٩٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾، ح(٤٨٢٥)، ومسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان، ح(٢٧٩٨). قال ابن كثير في التفسير (١٢/ ٣٤٠): «والظاهر أن ذلك يوم القيامة، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضًا، قال ابن جرير: حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال: قال ابن عباس ﵄: قال ابن مسعود ﵁: البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة، وهذا إسناد صحيح عنه، وبه يقول الحسن البصري وعكرمة في أصح الروايتين عنه والله أعلم».

واستدل الأكثرون بما تقدم من القرآن والسنة الصريحة الدالة على أن الدخان آية من آيات آخر الزمان، وشرط من أشراط الساعة الكبرى، وتفسير ابن مسعود رضي الله عنه لم يرفعه للنبي ﷺ، بل هو موقوف عليه، والمرفوع مقدم على الموقوف.

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا التفسير غريب جدًّا، ولم ينقل مثله عن أحد من الصحابة غيره، وفي ظاهر القرآن ما يدل على وجود دخان من السماء يغشى الناس، وهذا أمر محقق عام، وليس كما روي عن ابن مسعود أنه خيال في أعين قريش من شدة الجوع.

قال تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾. أي: ظاهر بين واضح جلي، ليس خيالًا من شدة الجوع، ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾. أي: ينادي أهل ذلك الزمان ربهم بهذا الدعاء؛ يسألون كشف هذه الشدة عنهم، فإنهم قد آمنوا، وأيقنوا بما وعدوا به من الأمور الغيبية الكائنة، بعد ذلك يوم القيامة، وهذا دليل على أن هذا أمر يكون قبل يوم القيامة، حيث يمكن رفعه، ويمكن استدراك التوبة والإنابة. والله أعلم»(١).

وهناك عدة أحاديث وآثار عن الصحابة والتابعين في ذكر هذه الآية وصفة ظهورها، ولكن أغلبها لا يسلم من مقال، وقد ذكر أكثرها الحافظان ابن كثير وابن حجر - رحمهما الله تعالى - وبيّنا درجاتها، وقال ابن كثير رحمه الله بعد أن أوردها: «فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع أنه ظاهر القرآن»(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله: «لكن تضافر هذه الأحاديث يدل على أن لذلك أصلًا»(٣).

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٢٦٥ - ٢٦٦). وقال في التفسير (١٢/ ٢٣٩): «قال الله تبارك وتعالى ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ أي بين واضح يراه كل أحد وعلى ما فسر به ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد. وهكذا قوله: ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي يتغشاهم ويعمهم، ولو كان أمرًا خياليًا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه ﴿يَغۡشَى ٱلنَّاسَ﴾.

(٢) تفسير ابن كثير (١٢/ ٣٣٩).

(٣) فتح الباري (٨/ ٥٧٣).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن دحية[١]: والذي يقتضيه النظر الصحيح حمل ذلك على قضيتين إحداهما وقعت وكانت، والأخرى ستقع وتكون، فأما التي كانت فهي التي كانوا يرون فيها كهيئة الدخان، وغشية الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من الأشراط والعلامات، ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة أن يقولوا ﴿رَبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ فيكشف عنهم ثم يعودون لقرب الساعة، وقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يسنده إلى النبي ﷺ إنما هو من تفسيره، وقد جاء النص عن رسول اللّه بخلافه»[٢].

قلت: هذا هو المتعين، لثبوت ذلك عن النبي ﷺ، والآيات العشر كلها متتابعة، وبين يدي الساعة، كما تقدم بيانه في أول هذا الباب، والعلم عند اللّه تعالى[٣].

وأما زمن هذا الشرط، وموقعه بين الآيات الكبرى، فعلمه عند اللّه، إذ لم يصح في ذلك خبر عن رسول اللّه ﷺ، ولذلك لم يتعرض له العلماء، ولم أقف على قول في ذلك سوى ما ذكره البرزنجي رَحِمَهُ اللَّهُ احتمالًا حيث قال: «وقد مرَّ أنه يكون دخان عند هلاك يأجوج ومأجوج، وأنه يمكث ثلاثًا، فيحتمل أن يكون هذا هو، ويحتمل غيره، لكنه لابد أن يكون قبل الريح، لأن بعد الريح لا يبقى مؤمن، وعند الدخان يوجد مؤمنون، كما هو صريح العبارة»[٤].

---

(١) هو: العلامة عمر بن حسن بن علي بن الجُميل الكلبي الأندلسي، الحافظ اللغوي الظاهري، وكان يذكر أنه من ولد دحية الكلبي، وكان بصيرًا بالحديث معنيًّا بتقييده مكبًّا على سماعه، توفي سنة (٦٣٣هـ). انظر وفيات الأعيان (٣/ ٣٩٣)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٢).

(٢) التذكرة (٣/ ١٢٦٦).

(٣) انظر شرح مشكل الآثار (١/ ٢٨٧)، وشرح مسلم للنووي (١٨/ ٢٤١)، وكتاب «أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين» ص(٤٨٤).

(٤) الإشاعة لأشراط الساعة ص(٣٢٥). والحديث الذي ذكره أولاً في ذكر الدخان الذي يكون عند هلاك يأجوج ومأجوج، رواه نعيم بن حماد في الفتن، ح(١٦٦٨)، وقال عنه ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/ ٢١٤): «قال شيخنا الحافظ الذهبي: وهذا الحديث شبه موضوع، وأبو عمر مجهول، وعبدالوهاب كذلك، وشيخه يقال له: البناني».

وهذا كله مما لم يصح عن رسول اللَّه ﷺ، والمعول في الغيب على الصحيح الثابت عن رسول اللَّه ﷺ، وعلى كل ظهور الدخان حق، والإيمان به واجب، واللَّه أعلم بزمانه وكيفيته، والحمد للَّه رب العالمين.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، أحمد اللَّه تعالى أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، على ما منَّ به عليَّ من إتمام هذا البحث، ووفقني لاستكماله، ويطيب لي أن أدون في ختامه بعضًا من أهم ما توصلت إليه من نتائج، وما يحسن من وصايا، سائلًا المولى أن يجعل عملي خالصًا ومباركًا، وأن يوفقني لما يحب ويرضى.

أما أهم النتائج من هذا البحث، فهي:

١- أن الإيمان بأشراط الساعة داخل في الإيمان باليوم الآخر.

٢- أن الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان بالغيب الذي لا يتم الإيمان إلا به.

٣- أن الحكمة من أشراط الساعة إيقاظ الغافلين، وحثهم على التوبة والاستعداد.

٤- أن الإيمان بأشراط الساعة ومعرفتها له آثار تعود على الإنسان بفوائد جَمَّة.

٥- أن نبينا ﷺ قد أخبر أمته بما هو كائن إلى يوم القيامة، وأن أحاديث أشراط الساعة قد نالت حظًّا وافرًا من أحاديثه ﷺ.

٦- أن الغيب لا يعلمه أحد إلا اللَّه تعالى، وأن الرسول ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علمه اللَّه سبحانه.

٧- أن ما ثبت عن رسول اللَّه ﷺ من الأخبار - سواء كانت متواترة أم آحادًا - يجب الإيمان بها، وقبولها، ولا يجوز ردها.

٨- أن علم الساعة غيب استأثر اللَّه تعالى به لنفسه، ومنعه جميع خلقه.

٩- لم يثبت حديث في تحديد عمر الدنيا.

١٠-أن إخفاء اللَّه تعالى علم الساعة عن خلقه لحكم أرادها.

١١-أن الساعة لا تقوم حتى تستنفد أشراطها.

١٢-أن الساعة قريب، وأن هذا القرب بالنسبة إلى ما مضى من عمر الدنيا، وأن هذه النسبة لا يعلمها إلا اللَّه.

١٣-أن لفهم أشراط الساعة وتنزيلها على الواقع ضوابط وقواعد يجب معرفتها والوقوف عندها.

١٤-أنه لم ينقض من أشراط الساعة إلا شيئًا يسيرًا.

١٥-أن أكثر الأشراط الصغرى ظهرت مباديها ولما تنقض بعد.

١٦-أن المراد بظهور الأشراط الصغرى ظهور كلِّي فاشٍ، وهو استحكام ظهور كل علامة، بحيث لا يقابل قبض العلم - مثلًا - إلا الجهل الصِّرف وهكذا، وفي العلامات التي لا تقبل التدرج بظهور جميع الأوصاف، وانطباقها على الواقع.

١٧-أن من الأشراط الصغرى ما يتأخر ظهورها وتتخلل الأشراط الكبرى.

١٨-أن ما ظهر من أشراط الساعة معجزات للنبي ﷺ، وعَلَم من أعلام نبوته، حيث أخبر عن أشياء أنها ستقع، فوقعت كما أخبر.

١٩-أن ظهور كثير من الأشراط دليل على خراب هذا العالم، وأنه قد دنت نهايته.

٢٠-ليس معنى كون الشيء من أشراط الساعة أن يكون ممنوعًا أو شرًّا؛ بل أشراط الساعة تشتمل على المحرم والواجب والمباح والخير والشر.

٢١-أن دراسة الأشراط فتح لباب الأمل، وحثٌّ إلى المسارعة في العمل.

٢٢-أن الأشراط الكبرى هي الأمور العظام والآيات التي تظهر مؤذنة بانتهاء

الدنيا وقرب قيام الساعة، وتكون غير معتادة، وهي عشر فقط، ولم يظهر شيء منها حتى الآن.

٢٣-أن الأشراط الكبرى إذا ظهرت تتابعت.

٢٤-أنه كلما اقتربت الساعة ازدادت الفتن والبلايا على الناس، وعمَّت.

٢٥-أن الدجال أعظم فتنة تمرُّ على الناس منذ ذرأ اللَّه الخليقة، ولن ينجوَ أحدٌ من فتنته إلا نجا مما بعدها، وأن معرفة الأحاديث الواردة فيه من أسباب النجاة من فتنته.

٢٦-أن ابن الصياد ليس هو الدجال الأكبر.

٢٧-أن يأجوج ومأجوج من بني آدم، وهم موجودون الآن، ولا يعلم مكانهم إلا اللَّه.

٢٨-أن يأجوج ومأجوج لا قِبَلَ لأحدٍ بقتالهم.

٢٩-أن هلاك يأجوج ومأجوج يكون عند جبل بيت المقدس.

٣٠-أن الأرض تخرج بركتها، ويطيب عيشها بعد هلاك يأجوج ومأجوج.

٣١-أن البيت الحرام يكون عامرًا بعد يأجوج ومأجوج، ويُحَجُّ إليه ويُعتمر.

٣٢-أن عيسى عليه السلام يمكث بعد نزوله في الأرض أربعين سنة، ويموت ويدفنه المسلمون.

٣٣-أن جزءًا من فترة نزول عيسى عليه السلام وحكمه يكون المسلمون فيها بضيق شديد وفتن وذلك خلال ملحمة الدجال وخروج يأجوج ومأجوج.

٣٤-أن حروب آخر الزمان تكون بالسيوف والرماح والنشاب وعلى الخيل ونحو ذلك، وهذا ينبئ بزوال أسلحة العصر.

٣٥-أن الدخان الذي هو من الأشراط الكبرى لم يظهر بعد، وما أصاب قريشًا في زمن رسول اللَّه ﷺ ليس هو الدخان المذكور في أشراط الساعة.

٣٦-أن الخسوفات الثلاثة الكبرى لم تظهر بعد.

٣٧-أن طلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وليس هو قيام الساعة، بل للناس حياة بعد ذلك، ولكن يغلق باب التوبة بطلوعها.

٣٨-أنه لم يصح في وصف الدابة شيء غير أنها دابة من الأرض وخلق عظيم، يخرج من بعض بقاع الأرض، في آخر الزمان، عند فساد الناس وتركهم أوامر اللَّه، فتُكلم الناس على ذلك، ولا يفوتها أحد منهم، فتسِمُ أنفَ الكافر، وتجلو وجه المؤمن، وتميز بينهم.

٣٩-أن آخر الأشراط الكبرى خروج النار التي تحشر شرار الناس إلى الشام، وهذا الحشر يكون في الدنيا قبل يوم القيامة.

٤٠-أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس.

٤١-أن هذا العلم من أهم العلوم التي يجب أن يُتعلم ويُنشر في الناس.

٤٢-أن استماع الصحابة رضي الله عنهم لهذه النصوص والأحداث التي فيها لم يكن للتسلية، وإنما هو علم لابد أن يفقهوه، ويأخذوا أهبته، ويحذروا من إدراكه، ولذلك خشوا أن يخرج الدجال فيهم، وسألوا عن صلاتهم حين يطول يومُه، وأوصى من حضرته الوفاة منهم من بعدَه ببلاغ سلامه لعيسى عليه السلام، وغير ذلك.

٤٣-أن دراسة هذه الأحاديث من أسباب النجاة من فتن آخر الزمان.

٤٤-أن العاقبة، والعزة، والتمكين، والخلود لهذا الدين.

وأما التوصيات:

فأوجزها في الآتي:

١- زيادة اهتمام الجامعات بهذا الباب من العلم، وتنقيحه مما علق به من شوائب، وبثه في الناس، لعظم الحاجة إليه.

٢- إفراد «الضوابط الشرعية في التعامل مع نصوص الفتن وأشراط الساعة» بأطروحة مستقلة.

٣- إفراد أشراط الساعة الصغرى التي ظهرت وانقضت، والتي ظهرت ولما تنقض بعد، والتي لم تظهر، كل واحدة بأطروحة مستقلة.

٤- إفراد الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، ودابة الأرض، بأطروحات علمية مستقلة محكمة، فالأحاديث في هذه الأشراط كثيرة جدًا، وفيها الصحيح والضعيف، وكذا الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم، وكل هذا يحتاج إلى دراسة مفصلة، ناهيك عن أقوال العلماء، والشبه المثارة على كل شرط منها.

٥- جمع الآثار الواردة في الأشراط بعنوان: «الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في الفتن وأشراط الساعة»، وهي كثيرة، وتعين على فهم النصوص، وتبين نهج الصحابة رضي الله عنهم في ذلك.

والحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

الفهارس

وتشتمل على:

أ- فهرس الآيات القرآنية

ب- فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار

ج- ثبت المصادر والمراجع

د- فهرس محتويات البحث

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية		الصفحة
	سورة الفاتحة	
١	﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾	١٠١
٦	﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	١٠١
٧	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	١٠١
	سورة البقرة	
١	﴿الم﴾	٢٦
٢	﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾	٢٦
٣	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	٢٦
٤	﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾	٢٦
٥	﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٢٦
١٨	﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾	٢٥٧
٣٢	﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٤٤
٤٥	﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾	٣٣
٨٥	﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾	٥٨
١٥٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ ..﴾	٥٣

رقم الآية		الصفحة
١٦٠	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ .. ﴾	٥٣
١٧٧	﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ .. ﴾	٢٦
٢٥٥	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾	١٢٨
٢٥٨	﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ ﴾	٥٦٥
٢٧٥	﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ .. ﴾	٣٣٨
٢٧٦	﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾	٣٣٨
٢٧٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٣٣٩
٢٧٩	﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ .. ﴾	٣٣٩
٢٨٣	﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾	٣٤٨

سورة آل عمران

رقم الآية		الصفحة
٥٤	﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ ﴾	٥٩٤
٥٥	﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾	٥٩٤
٥٥	﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	٥٩٤
١٠١	﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٢٦٩
١٠٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ.... ﴾	٥
١٧٩	﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ.... ﴾	٤٣

سورة النساء

رقم الآية		الصفحة
١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ .. ﴾	٥
٤٨	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾	٣٢٦ ،٣٢٤

رقم الآية		الصفحة
٥٩	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ .. ﴾	٥٣
٥٩	﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾	١١٨
٦٦	﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ﴾	١٢٣
٨٣	﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ ... ﴾	١٢٥
٩٣	﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ .. ﴾	٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦
١٣٥	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ.. ﴾	٣٥١
١٣٦	﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ .. ﴾	٢٦
١٥٧	﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ .. ﴾	٥٩٥
١٥٨	﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾	٥٩٥
١٥٩	﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ.... ﴾	٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٧، ٦١٠
١٥٩	﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾	٥٩٣، ٥٩٧
١٦٥	﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	٢٥
	سورة المائدة	
٨	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ... ﴾	٣٥١
٢٦	﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٥٦٤
٢٩	﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ .. ﴾	١٨٦
٣٢	﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا ﴾	٣٣٢

رقم الآية		الصفحة
٣٢	﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾	٣٣٢
٦٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...﴾	٤٥، ٥٣
١٠٦	﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾	٣٤٨
١٠٩	﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ..﴾	٤٤
	سورة الأنعام	
٣١	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾	٦٩
٥٠	﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ..﴾	٤٤، ٦٥
٥٩	﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾	٤٤، ٦٦
٦٢	﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾	٨٤
٨٢	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	٢٣٥
١٠٣	﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	٤٥
١٥٨	﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ...﴾	٥٢٣، ٦٣٥
	سورة الأعراف	
٤٣	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾	٤٠
٩٦	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ..﴾	٣٥٨
١٤٦	﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾	١٦٠
١٧٠	﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾	٢٦٩
١٨٥	﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾	٣١

رقم الآية		الصفحة
١٨٧	﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾	٦٠
١٨٧	﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾	٧٥، ١٣٩
١٨٧	﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾	٣١، ٦٩
١٨٨	﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ..﴾	٤٤، ٦٠
١٨٨	﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾	٦٥
	سورة الأنفال	
١٢	﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾	١٢٣
	سورة التوبة	
١٨	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	٢٦
٣٣	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ ...﴾	٤٦٧، ٤٨٥
٦١	﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ..﴾	٥٥
١٠١	﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ..﴾	٦٤
١٠١	﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾	٤٧٨
١٢٢	﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ أَنفُسَهُمْ ..﴾	٥٢
١٢٨	﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾	٣٧
	سورة يونس	
٢٠	﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾	٤٤
٥٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا ..﴾	٩٣

رقم الآية		الصفحة
	سورة هود	
٤٩	﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا ..﴾	٤٤
٨٣	﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾	٣٨٧
١٢٠	﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾	١٢٣
	سورة يوسف	
٢١	﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٣٩
٧٦	﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾	١٨٨
٨١	﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾	٣٥١
	سورة الرعد	
١٥	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾	٦٣٩
	سورة إبراهيم	
٢٧	﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٢٥﴾ ..﴾	١٢٣
٣٥	﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾	٢٣٦
٤٨	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	٥٨٩
	سورة النحل	
١	﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾	٧٢
٨	﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	١٢٨
٤٥	﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾	٥٦٨

رقم الآية		الصفحة
١١٢	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً .. ﴾	٢٣٦
	سورة الإسراء	
٣٢	﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾	٢٩١
٣٦	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾	١٣١
٤٤	﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾	٦٣٩
٥٩	﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾	١٥٩
٧٤	﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾	١٢٣
٨٦	﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ .. ﴾	٢٧٨
٩٧	﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا .. ﴾	٥٨٤
	سورة الكهف	
٤٧	﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾	١٦٠
٤٧	﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾	٥٨٥
٨٦	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾	٦٣٨
٨٩	﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾	٥٥٣
٩٠	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ ﴾	٥٦٥
٩٣	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾	٥٥٣
٩٣	﴿ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾	٥٥٤
٩٤	﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ .. ﴾	٥٥٣
٩٥	﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾	٥٥٣

رقم الآية		الصفحة
٩٦	﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ..﴾	٥٥٣
٩٧	﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾	٥٥٣، ٥٥٦
٩٨	﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾	٥٦٥
٩٩	﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾	٥٥٣
	سورة مريم	
٧٦	﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾	٥٤١
٨٥	﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾	٥٨٣، ٥٨٥
٨٦	﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾	٥٨٤، ٥٨٥
	سورة طه	
١٠٥	﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾	١٦٠
١٠٦	﴿فَيَذَرُهَا﴾	١٦٠
	سورة الأنبياء	
١	﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾	٣٤، ٧٢
٣٤	﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾	١٦٥
٣٥	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾	١٦٥
٩٦	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾	٥٥٤، ٥٥٥
٩٧	﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ..﴾	٥٥٥

رقم الآية		الصفحة
١٠٤	﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾	٥٨٤
	سورة الحج	
٢	﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾	٥٥١
١٨	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ..﴾	٦٣٩
١٨	﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾	٥٨
	سورة النور	
٥٤	﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾	٩٤
٥٥	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم..﴾	٢٣٥
	سورة الفرقان	
٦٨	﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ..﴾	٣٢٦
	سورة النمل	
٦٥	﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	٤٤، ٤٥
٨٢	﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ..﴾	٥٧١، ٥٧٢
	سورة القصص	
٥٠	﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾	١٢٧
٥٧	﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾	٤٧٣
	سورة العنكبوت	
٣٦	﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ..﴾	٢٦
٥١	﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾	٩٣

رقم الآية		الصفحة
	سورة الروم	
٦	﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢٨٠
٧	﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا..﴾	٢٨٠
	سورة لقمان	
٦	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ..﴾	٣٠٣
٣٤	﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ...﴾	٣١، ٥٩، ٨٣، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٥٦
٣٤	﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾	٣١
	سورة الأحزاب	
٢٢	﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾	٣٠
٣٦	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ..﴾	٤٨
٤٠	﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾	٦٠٨
٦٣	﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ..﴾	٥٩
٦٣	﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾	٧٢
٧٠	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾	٥
٧١	﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ..﴾	٥
	سورة سبأ	
١٤	﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟...﴾	٤٤

رقم الآية		الصفحة
١٨	﴿سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾	٢٣٦
	سورة يس	
٣٨	﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾	٦٣٨
	سورة الصافات	
١٢٥	﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾	٢٤١
١٧٤	﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾	١٥٩
	سورة ص	
٢٦	﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾	١٢٧
٨٦	﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾	٦٤٤
٨٨	﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾	٤٤٧
	سورة الزمر	
٧	﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ ..﴾	٢٥
	سورة غافر	
٨٤	﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾	٦٤١
٨٥	﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ ..﴾	٦٤١
	سورة فصلت	
٤٧	﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ﴾	٥٩
	سورة الشورى	
١٧	﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾	٣١، ٧٢، ١٣٨

رقم الآية		الصفحة
١٨	﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ... ﴾	٢٦، ٣١، ٧٢
٥١	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ... ﴾	٤٥
	سورة الزخرف	
٤٣	﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٩٣
٤٤	﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾	٩٣
٥٧	﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾	٥٩٢
٥٨	﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾	٥٩٢
٥٩	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	٥٩٢
٦٠	﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾	٥٩٢
٦١	﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾	٥٩٢
٨٥	﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	٥٩
٨٦	﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	٣٥١
	سورة الدخان	
١٠	﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾	٦٤٣
١١	﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٦٤٣
١٢	﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾	٦٤٣
١٣	﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾	٦٤٣

رقم الآية		الصفحة
١٤	﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾	٦٤٣
١٥	﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾	٦٤٣
١٦	﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾	٦٤٣
٢٣	﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾	٦٢٦
	سورة الأحقاف	
٣٥	﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾	٨٤
	سورة محمد	
١٨	﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾	٢٥، ٧١، ٨٢
١٨	﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾	٢٥، ١٥٠
	سورة الفتح	
٢٧	﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾	٢٣٦
٢٩	﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ..﴾	٦١٠
	سورة الحجرات	
٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا ...﴾	٥٢
٩	﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾	٥٣
	سورة الذاريات	
٥٤	﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾	١٥٩
	سورة النجم	
٣	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾	٤٤، ٤٨

رقم الآية		الصفحة
٤	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	٤٤، ٤٨
١٣	﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾	٤٥
٥٧	﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾	٧٢
	سورة القمر	
١	﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾	٧١، ٧٢، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٩
٢	﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾	١٥٦، ١٥٩
٣	﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾	١٥٦
٤	﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾	١٥٦
٥	﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾	١٥٦
٦	﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾	١٥٦، ١٥٩
٧	﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾	١٥٦
	سورة الحشر	
٢	﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾	٥٨٤
٧	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾	٤٧، ٤٨، ٥٨، ٣١٣
٩	﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٢٧١
١٠	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا..﴾	١٩٣

رقم الآية		الصفحة
	سورة الصف	
٦	﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾	٦١٠
	سورة الطلاق	
٢	﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾	٢٦
	سورة المعارج	
٦	﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا﴾	٧٢
٧	﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا﴾	٧٢
	سورة الجن	
٢٦	﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾	٣٠، ٤٣، ٤٦
٢٧	﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾	٣٠، ٤٣، ٤٦
	سورة النازعات	
٣٧	﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾	٢٦
٣٨	﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾	٢٦
٣٩	﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾	٢٦
٤٠	﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾	٢٦
٤١	﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾	٢٦
٤٢	﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾	٦١
٤٣	﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ﴾	٦١

رقم الآية		الصفحة
٤٤	﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ﴾	٦١
٤٥	﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾	٦١
	سورة التكوير	
٤	﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾	٦٣٠
٢٣	﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾	٤٥
	سورة المطففين	
١٠	﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾	٢٦
١١	﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	٢٦
١٢	﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾	٢٦
	سورة القارعة	
٥	﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾	١٦٠
	سورة قريش	
٣	﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾	٢٣٦
٤	﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾	٢٣٦

فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ	حذيفة	٤١
• إذا خرج أول الآيات طرحت الأقلام	عائشة (أثر)	٦٤٢
• اذكروا محاسن أصحاب رسول اللَّه ﷺ	العوام بن حوشب (أثر)	١٩٣
• أرأيتم يوم الدار كانت فتنة	حذيفة (أثر)	١٨٠
• أَكِنَّ النَّاسَ مِنْ الْمَطَرِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُحَمِّرَ	عمر (أثر)	٢٥٣
• الفتن أربعٌ: فتنةُ السراء، وفتنة الضراء	علي (أثر)	٣٧١
• أما جاءك اليقين	حذيفة بن اليمان (أثر)	١٢٤
• إنّ الدَّجَّالَ لَوْ خَرج في زمانكم لرمته الصبيان بالخَذَفِ	حذيفة بن أسيد (أثر)	١٠٩، ١٣٤، ٤٩٦
• إن الدجال يخرج في بغض من الناس	حذيفة بن أسيد (أثر)	٥٤٥، ٦٠٤، ٦١٨
• إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ	ابن مسعود (أثر)	٧٦، ١٣٣، ٤٣٩، ٤٩٨
• إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل	ابن مسعود (أثر)	٢٣١
• إن الفتنة لتعرض على القلوب	حذيفة بن اليمان (أثر)	١٢٣

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ	خباب	٢٥٠
• أَنَّ النبي ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ	أنس	٦٥
• أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً	أنس بن مالك	١٥٣
• أَنَّ جَارِيَةً مِنْ الأَنْصَارِ تَزَوَّجَتْ	عائشة	٣١٢
• أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ من جَيْشَانَ وَجَيْشَانُ من الْيَمَنِ فَسَأَلَ النبي ﷺ عن شَرَابٍ	جابر	٢٩٦
• أن رسول اللَّه ﷺ ذَكَرَ جَهْدًا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الدَّجَّالِ	عائشة	٤٩٧
• إنْ سمعت بالدجال قد خرج وأنت على وَدِيَّة تغرسها	عبد اللَّه بن سلام (أثر)	٣٤
• أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ	ابن عباس (أثر)	١٧١
• إن في البحر شياطين مسجونة	عبد اللَّه بن عمرو (أثر)	٢٣١
• إن كنت لأرى الرؤيا أثقل علي من جبل	أبو سلمة (أثر)	٣٩٨
• إن كنت لَأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي	أبو سلمة (أثر)	٣٩٨
• إن مرَّ على بابك فلا تكن منه في شيء	سفيان الثوري (أثر)	١٢٤
• إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُوضَعَ الأَخْيَارُ وَتُرْفَعَ الأَشْرَارُ	عبد اللَّه بن عمرو (أثر)	٢٥٩
• إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا	ابن عمر (أثر)	٣٢٨

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ	أبو هريرة (أثر)	٣٣٧
• أنا لغير الدجال أخوف علي وعليكم	حذيفة (أثر)	٢٢٤
• أنا لما دون الدجال أخوف من الدجال	حذيفة (أثر)	١٢٦
• انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ	ابن مسعود وجبير بن مطعم	١٥٣، ١٥٤
• انْشَقَّ الْقَمَرُ فِي زَمَانِ النبي ﷺ	ابن عباس	١٥٤
• إِنَّهُ سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ	عمر بن الخطاب (أثر)	١١٧
• إنها ستكون أمور مشتبهة	ابن مسعود (أثر)	١٢٢
• إنها ستكون هَنات	ابن مسعود (أثر)	١٢٢
• إني لأَرْجُو إن طَالَتْ بي حَيَاةٌ	أبو هريرة(أثر)	٢٩
• أيكم يحفظ قول رسول اللَّه ﷺ في الفتنة	حذيفة (أثر)	٢٠٩
• بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ	عبد اللَّه بن عمر (أثر)	٥٤
• بينما رجل يحدث في كندة	مسروق (أثر)	٦٤٤
• بَيْنَمَا قَوْمٌ يَتَحَدَّثُونَ إِذْ تَمُرُّ بِهِمْ إِبِلٌ قَدْ عُطِّلَتْ	حذيفة (أثر)	٤٦٥
• تلك دماء طهر اللَّه يدي منها	عمر بن عبدالعزيز (أثر)	١٩٣
• ثلاث فتن والرابعة تسوقهم إلى الدجال	حذيفة (أثر)	٢١٣، ٤٩٤
• ثَلَاثٌ من تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ على اللَّهِ الْفِرْيَةَ	عائشة (أثر)	٤٥

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• جِئْتُ يوم الْجَرَعَةِ فإذا رَجُلٌ جَالِسٌ	جندب (أثر)	١٣٢
• جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ	أبو هريرة	٤٦٣
• حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ	حذيفة	٣٤٣
• حدثوا الناس بما يعرفون	علي (أثر)	١٣٩
• خَرَجْنَا مع رسول اللَّهِ ﷺ عَامَ غَزْوَةِ تَبُوكَ	معاذ بن جبل	٤٦٠
• خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً بَعْدَ الْعَصْرِ	أبو سعيد الخدري	٤٢
• خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ	ابن مسعود (أثر)	٦٤٥
• رأيت جابر بن عبد اللَّه يحلف باللَّه	محمد بن المنكدر (أثر)	٥٣١
• زَجَرَ النبي ﷺ أَنْ تَصِلَ الْمَرْأَةُ بِرَأْسِهَا شيئًا	جابر	٣١٤
• سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ فَقَالَ: عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي	حذيفة	٦٢
• سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِيذُ فِي صَلَاتِهِ من فِتْنَةِ الدَّجَّالِ	عائشة	٥٣٧
• صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ	أبو زيد عمرو بن أخطب الأنصاري	٤١
• صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا صَلَاةَ الْعَصْرِ بِنَهَارٍ	أبو سعيد الخدري	٤٢
• عَدَا الذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ	أبو سعيد الخدري	٤٦٣
• فَأَرَاهُمُ الْقَمَرَ شِقَّتَيْنِ حتى رَأَوْا حِرَاءً بَيْنَهُمَا	أنس بن مالك	١٥٣

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ	أنس بن مالك	١٥٣
• فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ	فاطمة بنت قيس	٥٠٤
• فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مَعَ قِيَامِ السَّاعَةِ	أنس بن مالك (أثر)	١١٠، ٤٤٥
• قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِق	أنس (أثر)	١٦٤
• قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الْخَلْقِ	عمر بن الخطاب	٤٢
• قام فِينَا رسول اللَّهِ ﷺ مَقَامًا ما تَرَكَ شيئا يَكُونُ في مَقَامِهِ ذلك إلى	حذيفة	٤١
• قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَامًا	المغيرة بن شعبة	٤٢
• قد أوشك العلم أن يذهب، ويظهر الجهل	أبو موسى (أثر)	٢٨٠
• كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْخَيْرِ	حذيفة	٥٤٢
• كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا تُنْتِجُ فرسُهُ فَيَنْحَرُهَا	الحارث بن لقيط	٣٤
• كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ	حذيفة	٢٨، ٢١٩
• كَأَنِّي بِهِ أُصَيْلَعُ، أُفَيْدِعُ	عبد اللَّه بن عمرو	١٠٩
• كتب إليَّ أمير المؤمنين فأمرني أن أسير إلى الهند	خالد بن الوليد (أثر)	٢١٠
• كنا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى لَا تُمْطِرَ السَّمَاءُ	أنس	٤٥١

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• كنت بالكوفة، فقيل: خرج الدجال	أبو الطفيل (أثر)	١٠٩، ١٣٤، ٤٩٦
• كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم	حذيفة (أثر)	١٢٨
• لا تكونوا عُجُلًا	علي (أثر)	١٢٢
• لا يخرج الدجال حتى لا يكون غائب أحب إلى المؤمن	حذيفة (أثر)	٤٩٦
• لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ	ابن مسعود (أثر)	٢٨١
• لَعَنَ اللَّه الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ	ابن مسعود (أثر)	٣١٣
• لَعَنَ رسول اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا وموكله	جابر	٣٤٠
• لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ	حذيفة	٤١
• لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيم، وَمُوسَى، وَعِيسَى	ابن مسعود	٦٠٣
• لَمْ يُقَصَّ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ	ابن عمر (أثر)	٩٥
• لَمَّا كَانَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ تَسَارَعَ النَّاسُ	محمد بن أبي كبشة الأنماري	٤٣
• لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول اللَّه ﷺ المدينة	أنس (أثر)	١٦٢
• لَوْ أَنَّ أُحُدًا ارْفَضَّ لِلَّذِي صَنَعْتُمْ بِعُثْمَانَ	سعيد بن زيد (أثر)	١٨٢
• لو أني أحدثكم بكل ما أعلم قتلتموني	حذيفة (أثر)	١٤٢

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر	حذيفة (أثر)	١٢٨
• لَيُنْتَزَعَنَّ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ	ابن مسعود (أثر)	٢٧٨
• ليوشكن أن يصب عليكم الشر من السماء	حذيفة (أثر)	٢١١
• ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم	ابن مسعود (أثر)	١٣٩
• ما بينكم وبين أن يرسل عليكم الشر فراسخ	حذيفة (أثر)	٢١٠
• ما تعدون قتل عثمان رضي الله عنه فيكم	حذيفة (أثر)	١٨٠
• ما كان خُلُقٌ أَبْغَضَ إلى رسول اللَّهِ ﷺ من الْكَذِبِ	عائشة	٢٣٢
• مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ الْيَهُودِ	معاوية (أثر)	٣١٤
• ما هذه إلا حيصة من حيصات الفتن	أبو موسى (أثر)	١٢٦
• ما يسرني أني كذبت كذبة وأن لي الدنيا كلها	مطرف بن عبد اللَّه	٢٣٣
• مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ	عائشة (أثر)	٤٥
• نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعًا وَطَوَاعِيَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا	أبو رافع	١١٨
• نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ	أنس	٢٥٢
• واللَّه إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة	حذيفة (أثر)	٤٢، ٢١١

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• واللَّه لا يأتيهم أمر يضجون منه إلا أردفهم	حذيفة (أثر)	٢١١
• واللَّه ليخسفن بقوم ذوي زي ببيداء من الأرض	أبو هريرة (أثر)	٤٢٧
• وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ إِذَا غَابَ	عمر (أثر)	٥٤
• يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة	سالم بن عبد اللَّه بن عمر (أثر)	٢١٤
• يَتَبَاهَوْنَ بِهَا ثُمَّ لَا يَعْمُرُونَهَا إِلَّا قَلِيلًا	أنس (أثر)	٢٥٣
• يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ	مسروق (أثر)	٦٤٤
• يَكُونُ عَلَى الرُّومِ مَلِكٌ لَا يَعْصُونَهُ	عبد اللَّه بن عمرو (أثر)	٤٤١
• يُوشِكُ أن تطلبُوا في قُراكُم هذه طَسْتًا من ماءٍ فلا تَجدونَهُ	ابن مسعود (أثر)	٤٠٤
• أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ	أبو سعيد الخدري	١٧٥، ٤٠٢، ٤١٨
• أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هذه الشَّمْسُ؟	أبو ذر	٦٣٧
• أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ	فاطمة بنت قيس	٥٢٥
• اتْرُكُوا الْحَبَشَةَ مَا تَرَكُوكُمْ	عبد اللَّه بن عمرو	٤٧٢
• أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟	ابن عمر	١٠٧
• اتَّقُوا الشُّحَّ فإن الشُّحَّ أَهْلَكَ من كان قَبْلَكُمْ	جابر	٢٧٢
• اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ		٢٧١

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• ادْخُلْ يَا عَوْفُ	عوف بن مالك	١٦٨
• إِذَا أَشَارَ الرَّجُلُ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ فَهُمَا عَلَى جُرُفِ جَهَنَّمَ	أبو بكرة	٣٣٤
• إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهِ بِي	ابن عباس	١٦٢
• إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ، لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ	أبو هريرة	٣٩٣
• إذا الْمُسْلِمَانِ حَمَلَ أَحَدُهُمَا على أَخِيهِ السِّلَاحَ	أبو بكرة	٣٣٤
• إذا تَشَهَّدَ أحدكم فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ من أَرْبَعٍ	أبو هريرة	٥٣٧
• إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّايَاتِ السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَاسَانَ، فَأْتُوهَا		٤٢٣
• إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ	عبد اللَّه بن عمرو	٢٢٥
• إِذَا رَأَيْتُمْ أَوَّلَ الآيَاتِ تَتَابَعَتْ	حذيفة	٤٩٠
• إِذَا سَمِعْتُمْ بِجَيْشٍ قَدْ خُسِفَ بِهِ قَرِيبًا فَقَدْ أَظَلَّتِ السَّاعَةُ	بقيرة امرأة القعقاع	٤٢٦، ٥٦٨
• إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ	ابن عباس	١٧١
• إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ	أبو هريرة	٣٤٢
• إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللَّهِ	ابن عباس	٢٩١
• إذا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ	عبد اللَّه بن عمرو	٢٦٧
• إِذَا قَرُبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ	أبو هريرة	٣٩٣

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• إذا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ في مَنَامِهِ فلا يُحَدِّثْ بِهِ الناس		٣٩٩
• إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ فِي سُوقِنَا وَمَعَهُ نَبْلٌ	أبو موسى	٣٣٣
• إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ		٢٤٩، ٢٦٠
• إِذَا وَقَعَتِ الْمَلَاحِمُ خَرَجَ بَعْثٌ مِنْ دِمَشْقَ مِنَ الْمَوَالِي		٤٤٣، ٤٤٨
• إذا وَلَدَتْ الْأَمَةُ بَعْلَهَا	أبو هريرة	٢٤٠
• اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ	عائشة	٢٥٤
• أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ	النواس بن سمعان	٥١٤
• اسْتَمْتِعُوا مِنْ هَذَا الْبَيْتِ	ابن عمر	٤٧٢
• اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا	أم سلمة	٣٣
• اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عليهم ما حُمِّلُوا	سلمة بن يزيد الجعفي	٢٢٢
• أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ		١٠٦
• أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي	أبو أمامة	٢٨٢
• اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ	عَوْف بن مالك	٨٩، ١٦١، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٩، ٤٣٤
• أَعْوَرُ هِجَانٌ أَزْهَرُ	ابن عباس	٥٠٧

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ	أبو موسى	١٨٤
• أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟	أسامة بن زيد	٣٢٩
• اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ ولا يَزْداد النّاسُ	ابن مسعود	٢٧٠
• أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ	سلمة بن نُفَيل	٤٣٩
• أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ	أبو بكرة	٣٤٨-٣٤٩
• أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ	فاطمة بنت قيس	٥٠١
• أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا حَذَّرَ الدَّجَّالَ أُمَّتَهُ	سفينة	٥٤٨-٥٤٩
• أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى	ابن عمر	٥٠٥
• الأَمَارَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ بِسِلْكٍ	أنس	٤٩٠
• الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ	أبو هريرة	٥٩٦
• الآيَاتُ خَرَزَاتٌ مَنْظُومَاتٌ فِي سِلْكٍ	عبد اللَّه بن عمرو	٤٩٠
• الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ		٢٨٥
• التَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ، وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ		١٢٢
• الحَيَاءُ وَالعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ	أبو أمامة	٣٦٣
• الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ وَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا	عبد اللَّه بن عمرو	٢٩٧
• الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى	حذيفة	٥٠٦، ٥١٤
• الدَّجَّالُ جَعْدٌ هِجَانٌ أَقْمَرُ	ابن عباس	٥٠٧
• الدُّنْيَا جُمْعَة مِنْ جُمَعِ الآخِرَة		٦٧
• الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ من اللَّهِ	أبو سلمة	٣٩٨

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ	ابن مسعود	٣٣٩
• الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ		٣٣٩
• الشَّامُ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ	أبو ذر	٥٨٣
• الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لأُمَّتِي وَوَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ	عائشة	١٧٠
• الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ	أنس	١٧٠
• الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ	معقل بن يسار	٣٢، ٢١٨
• الْعَجَبُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ	عائشة	٤٢٦
• الْعَمَلُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ	أبو هريرة	٣٢
• اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ	مصعب بن سعد بن أبي وقاص	٥٣٧
• اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ	عائشة، أبوهريرة	٥٣٦، ٥٣٧
• اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا	ابن عمر	٢١٤، ٤٠٦، ٥٨٨
• اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدِّنَا	ابن عباس	٢١٤
• الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِي خَبَثَهَا وَيَنْصَعُ طَيِّبُهَا		٤٧٧
• الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ		٣٣٢
• الْمَلَائِكَةُ تَلْعَنُ أَحَدَكُمْ إِذَا أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ	أبو هريرة	٣٣٤

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• الْمَهْدِيُّ مِنْ عِتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ	أم سلمة	٤١٦
• الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ	علي	١١٢، ٤٢١
• الْمَهْدِيُّ مِنِّي، أَجْلَى الْجَبْهَةِ	أبو سعيد الخدري	٤١٧
• النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فإذا ذَهَبَتْ النُّجُومُ	أبو بُرْدَةَ عن أبيه	١٦٤
• أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ	أنس	٥٧٨
• أَمَا وَاللَّهِ يا أَهْلَ الْمَدِينَةِ، لَتَدَعُنَّهَا أَرْبَعِينَ عَامًا لِلْعَوَافِي	عوف بن مالك	٤٧٩ - ٤٨٠
• أُمَّتِي هَذِهِ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ	أبو موسى	٣٣٦
• أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إلا اللَّه	أبو هريرة	٣٠، ٤٧
• آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، ما تَرَى؟	أبو سعيد الخدري	٥٣٠
• إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِئُكُمْ أَخْلَاقًا		٣٦٢
• إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كما بَدَأَ	ابن عمر	٤٨٢
• إِنَّ الأَعْوَرَ الدَّجَّالَ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ يَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ	أبو هريرة	٤٩٥، ٥٤٦، ٦٠٥
• إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا	أبو هريرة	٤٨٢
• إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ	ابن مسعود	٥
• إِنَّ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى	ابن عمر	٥٠٥
• أَنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ	أبو بكر الصديق	٢٠١، ٥٠٠، ٥٢٠

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• إِنَّ الرُّؤْيَا ثَلَاثٌ	عوف بن مالك	٣٩٨
• إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ	حذيفة بن أَسِيدٍ	٨٨، ١٣٣، ٤٨٩، ٥٥٥، ٥٦٧، ٥٧٢
• إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ	المقداد بن الأسود	٢١٧، ٥٤١
• إِنَّ الْفِتْنَةَ تجيء من هاهنا	عبد اللَّه بن عمر	٢١٤
• إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ	أبو موسى	٦٤١
• إِنَّ اللَّهَ عز وجل يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ	عبد اللَّه بن عمرو	٣٦١
• إِنَّ اللَّهَ قد أَمَدَّهُ لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ	ابن عباس	٣٦٩
• إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ	عبد اللَّه بن عمرو	٢٧٥
• إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ	عبد اللَّه بن عمرو	٢٧٦
• إِنَّ اللَّهَ مَدَّهُ لِلرُّؤْيَةِ فَهُوَ لِلَيْلَةٍ رَأَيْتُمُوهُ	ابن عباس	٣٦٩
• إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحًا من الْيَمَنِ أَلْيَنَ من الْحَرِير	أبو هريرة	٤٦٨
• إِنَّ الْمَدِينَةَ مُشَبَّكَةٌ بِالْمَلَائِكَةِ	سعد بن مالك وأبو هريرة	٤٨١، ٥٤٤
• أَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَفْوَاجٍ	حذيفة بن أَسِيد	٥٨٠
• إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً	أنس	٢٦٠، ٤٩٥

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• إِنَّ أُمَّتَكُمْ هذه جُعِلَ عَافِيَتُهَا في أَوَّلِهَا	عبد اللَّه بن عمرو	٣٩١
• إِنَّ أمتي أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ	أبو بردة	٣٣٦
• إِنَّ أُمَّتِي أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ مُبَارَكَةٌ مَرْحُومَةٌ		٣٣٧
• إِنَّ أُمَّتِي يَسُوقُهَا قَوْمٌ عِرَاضُ الْوُجُوه	بريدة	١٩٨
• إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا	رجل من أصحاب النبي ﷺ	٢٩٤
• إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا	ابن عمر	٨٢، ٩٢، ٥٧٢، ٦٤٠
• إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الأَمَانَةُ		٣٤٦
• إِنَّ أَوَّلَ ما يُكْفَأُ - قال زَيْدٌ: يَعْنِي الْإِسْلَامَ		٢٩٤
• إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ	أبو هريرة	٢١٧
• أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ	أبو موسى	٢١٢، ٣٢٢
• أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ تَسْلِيمَ الْخَاصَّةِ	ابن مسعود	٢٦٦، ٢٦٩، ٢٨٦، ٣٤٨
• إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَأَنَّهَا قِطَعُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ	النعمان بن بشير	٢٠٩
• إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ	أبو موسى الأشعري	٢٢٤
• إِنَّ بين يَدَيْ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ	جابر بن سمرة	٢٣١
• إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ	أبو موسى وعبد اللَّه	٢٧٤، ٣٢٠
• أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ	أبو هريرة	٢٤٦، ٢٥٥
• إِنَّ رَجُلًا يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا		٤٦

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• إن طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَوْشَكْتَ أَنْ تَرَى قَوْمًا	أبو هريرة	٣١٠
• إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ	أبو الدرداء	١٢٠، ٤٣٨، ٥٨٧
• أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا	أسماء	١٠٦
• إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّه الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ	أشج عبد القيس	١٢٢
• إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ		٣٣
• إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ ليس كَكَذِبٍ على أَحَدٍ	المغيرة بن شعبة	٢٣٢
• إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ	عائشة	٦٥
• إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي الْمَالُ		٣٤٠
• إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ	حذيفة	٣٣٥
• إِنَّ مَسِيحَ الدَّجَّالِ رَجُلٌ قَصِيرٌ	عبادة بن الصامت	٥٠٣ - ٥٠٤
• إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ	أبو برزة	١٢٨
• إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا	عمرو بن تغلب	١٩٧
• إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَذْهَبَ الرِّجَالُ وَتَبْقَى النِّسَاءُ	أنس	٤٥١
• إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ	أنس	٢٧٤، ٢٨٨، ٢٩٣
• إن مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى رُعَاةُ الشَّاءِ	أبو هريرة	٢٤١، ٢٤٧، ٢٥٦
• إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ	ابن مسعود	٢٣٨

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالشُّحُّ	أبو هريرة	٣٠٨
• إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ الْفُحْشُ	أنس	٢٦٨
• إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الرِّجَالُ وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ	أنس	٤٥١
• إِنَّ مِنْ أشراطِ السَّاعةِ أنْ يُلْتَمَسَ العلمُ عِنْدَ الأصاغِرِ	أبو أمية الجمحي	٢٨١
• إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَمُرَّ الرَّجُلُ فِي الْمَسْجِدِ	عمر	٢٥٣
• إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، إِذَا كَانَتِ التَّحِيَّةُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ	ابن مسعود	٢٣٨
• إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يَفِيضَ الْمَالُ وَيَكْثُرَ	عمرو بن تغلب	٢٦٦، ٢٨٦
• إِنَّ مِنْ بَعْدِكُمُ الْكَذَّابَ الْمُضِلَّ	رجل من أصحاب النبي ﷺ	٥٠٦، ٥٣٨
• إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا	صفوان بن عسال	٦٤١
• إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ	معاوية	٣٧٨
• إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ	أبو هريرة	٥٦١
• إِنْ يَخْرُجِ الدَّجَّالُ وَأَنَا حَيٌّ كَفَيْتُكُمُوهُ	عائشة	٥٠٠
• إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ	النواس بن سمعان	١٠٦
• إِنْ يَسْتَنْفِدْ هَذَا الْغُلَامُ عُمُرَهُ لم يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ		٨٥ - ٨٦

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• إِنْ يَعِشْ هَذَا الْغُلَامُ		٨٥
• إن يَعِشْ هذا لم يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ	عبد اللَّه بن أنيس	٨٥
• أَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي		١٥١
• إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا	ابن مسعود	٤٢٣
• أَنْذَرْتُكُمْ فِتْنَةَ الدَّجَّالِ	رجل من أصحاب النبي ﷺ	٥٠٦، ٥١٧
• انْظُرُوا، هَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا؟	عمرو بن العاص	٣١٧
• إِنَّكُمْ تَقُولُونَ لَا عَدُوَّ وَإِنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ	ابن حرملة عن خالته	٢٠١، ٥٥٢، ٦٣٠
• إِنَّكُمْ تَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلَافًا	أبو هريرة	١٨٤
• إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إن شَاءَ اللَّه عَيْنَ تَبُوكَ	معاذ بن جبل	٤٦٠
• إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً	أُسيد بن حُضير	٢٢١
• إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ	ابن عمر	٧٥
• إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ		١٣٩
• إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً		٣٤٦
• إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ	معاوية	٣١٤
• إنما هو جِبْرِيلُ		٤٥
• إِنَّمَا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا	حفصة	٥٢٢

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• إنما يَخْرُجُ من غَضْبَةٍ يَغْضَبُهَا	ابن عمر	٥٣١
• إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ	النواس بن سمعان	٥٠١
• إِنَّهُ دَعْوَةُ نَبِيِّكُمْ، وَرَحْمَةُ رَبِّكُمْ	شرحبيل بن شفعة	١٧٠
• إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ	النواس بن سمعان	٥٠٣
• أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ	عائشة	١٧٠
• إِنَّهُ لَا يُولَدُ لَهُ	أبو سعيد الخدري	٥٠٨
• إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ	أبو أمامة	٤٩٣، ٥٢١
• إنه لم يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إلا كان حَقًّا عليه	عبد اللَّه بن عمرو	٢٠٨
• إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا وَصَفَهُ لِأُمَّتِهِ	ابن عمر	٥٠٥
• إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ	أبو سعيد الخدري	٥١٢
• إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ	أبو هريرة	٨٣، ٤٦٤
• إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ	أبو هريرة	٢٦٠
• إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا	ابن مسعود	٢٢١
• إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ ألا ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ	أبو بكرة	٢١٦
• إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ	أبو واقد الليثي	٢٢١
• إِنَّهَا سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ	عبد اللَّه بن عمرو	٥٨٢
• إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حتى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ	حذيفة بن أسيد	٨٢، ٥٦٧، ٥٧٧، ٦٣٦، ٦٤٣
• إِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ	ابن عمر	١٠٨

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• إِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ	أبو هريرة	٢٣٥
• إِنِّي حَدَّثْتُكُمْ عَنِ مَسِيحِ الدَّجَّالِ	عبادة بن الصامت	٣٥
• إِنِّي رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتُزِعَ	عبد اللّه بن عمرو	٢٢٥
• إِنِّي قَدْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الدَّجَّالِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ لَا تَعْقِلُوا	عبادة بن الصامت	١٠٤، ٥٠٢ -٥٠٣
• إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ		٤٤٠، ٤٩٩
• إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ	ابن عمر	٤٩٢
• أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ	ابن مسعود	٣٣١
• أُولَاهُنَّ مَوْتُ نَبِيِّكُمْ ﷺ قُلْ إِحْدَى	عوف بن مالك	١٧٣
• أَوَّلُهُنَّ مَوْتِي	عوف بن مالك	١٦٩، ١٧٢، ١٧٣
• أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ فِي شَعَرِهَا مِنْ شَعَرِ غَيْرِهَا	معاوية	٣١٤-٣١٥
• أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟	أبو هريرة	٦٦
• أيها الناس إنكم تقولون القيامة القيامة	المغيرة بن شعبة (أثر)	٨٦
• أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ	ابن عمر	٧٥
• أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ		٣٧

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• أَيُّهَا النَّاسُ، تُوشِكُونَ أَنْ تَكُونُوا مُجَنَّدَةً	العرباض بن سارية	٥٨٦
• بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا	أبو هريرة	٣١، ٣٢، ٥٧٣، ٦٣٦، ٦٤٣
• بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ	أبو هريرة	٣٣
• بَادِرُوا بِالْمَوْتِ سِتًّا	عابس الغفاري	٣١٠، ٣٢٠
• بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي	بريدة	٧٣، ١٣٨، ١٤٨
• بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ	أنس بن مالك	٦٣، ٧١، ٧٢، ١٣٨، ١٤٨، ١٥٠
• بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ	ابن عمر	٧٣، ١٤٨
• بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ	أبو جبيرة بن الضحاك	٧٤، ١٤٩
• بُعِثْتُ فِي نَفَسِ السَّاعَةِ	المستورد بن شداد	١٤٩
• بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ	سهل بن سعد	٧٢، ١٤٨
• بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ تَسْلِيمُ الْخَاصَّةِ	ابن مسعود	٢٣٨
• بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نِعَالُهُمْ الشَّعَرُ	أبو هريرة	١٩٩
• بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ دَجَّالِينَ كَذَّابِينَ	أبو هريرة	٢٢٧
• بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مَسْخٌ وَخَسْفٌ وَقَذْفٌ	ابن مسعود	٣٨٥
• بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ مُوتَانٌ شَدِيدٌ	سلمة بن نفيل	٤٠٢

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• بَيْنَ يَدَيِ السّاعةِ يَظهرُ الرِّبا، والزِّنى، والخمرُ	ابن مسعود	٢٨٨، ٢٩٣، ٣٣٨
• بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامُ الْهَرْج	خالد بن الوليد وابن مسعود	٢١٠، ٣٢٠
• بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ	أبو الدرداء	٥٨٧
• بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ	ابن عمر	٥٠٣، ٦١١
• تُبْعَثُ نَارٌ عَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ فَتَحْشُرُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ	عبد اللَّه بن عمرو	٥٨١
• تَجِيءُ رَايَاتٌ سُودٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ	ابن مسعود	٤٢٤
• تَجِيءُ رِيحٌ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فَيُقْبَضُ فِيهَا رُوحُ كُلِّ مُؤْمِنٍ	عياش بن أبي ربيعة	٤٦٦
• تُحْشَرُونَ هَاهُنَا	معاوية البهزي	٥٨٢
• تَخْرُجُ الدَّابَّةُ فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ	أبو أمامة	٥٧٣
• تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا عَصَا مُوسَى وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ	أبو هريرة	٥٧٤
• تَخْرُجُ دَابَّةُ الأَرْضِ مَعَهَا عَصَا مُوسَى		٥٧٤
• تَخَوَّفْتُ السَّاعَةَ		٨٥
• تَدُورُ رَحَى الإِسْلَامِ لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ	ابن مسعود	١٨٧
• تَذْهَبُونَ الْخَيِّرَ فَالْخَيِّرَ	رويفع بن ثابت الأنصاري	٢٥٨
• تَرِبَتْ يَدَاكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رسول اللَّهِ؟	ابن مسعود	٥٣٠

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ	جابر بن عبد اللَّه	٦٢
• تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ	ابن عمر	٥٢٩
• تُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا		٤٣٦
• تَصَدَّقُوا، فَيُوشِكُ الرَّجُلُ يَمْشِي بِصَدَقَتِهِ	حارثة بن وهب	١٧٥
• تَعَجَّلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَالنِّسَاءِ	أبو ذر	٤٨٠
• تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عز وجل حتى يَمُوتَ		٥٣٨
• تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ	أبو سعيد الخدري	٢١٦
• تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّه	نافع بن عتبة	١٣٤، ٤٤٥
• تَفْتَرِقُ أُمَّتِي فِرْقَتَيْنِ فَيَمْرُقُ بَيْنَهُمَا مَارِقَةٌ	أبو سعيد الخدري	١٨٩
• تُقَاتِلُكُمْ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عليهم	ابن عمر	٤٥٥
• تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ	أم سلمة	١٩٠
• تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ	المستورد الفهري	٤٠٨، ٤٣٤، ٦١٠
• تَقِيءُ الأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ	أبو هريرة	١٧٧، ٤٠٥
• تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ	حذيفة	٤٠٩
• تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ	النعمان بن بشير	٢٠٩
• تَكُونُ فِتْنَةٌ، النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمُضْطَجِعِ	ابن مسعود	٣٢١
• ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ: رَجُلٌ قَتَلَ رَجُلًا مُتَعَمِّدًا	ابن عباس	٣٢٥
• ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا	أبو هريرة	٥٢٣، ٥٧٣، ٦٣٦

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ	أنس	١٢٧
• ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ		٣٥٠
• ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ فِيكُمْ	عوف بن مالك	١٧٩
• ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا يَفِيضُ الْمَالُ فِيكُمْ	عوف بن مالك	١٨٠
• ثُمَّ تَكُونُ الأَمْوَالُ فِيكُمْ	عوف بن مالك	١٧٢، ١٧٩
• ثُمَّ فِتْنَةٌ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِكُمْ	عوف بن مالك	١٨٠
• ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ	عوف بن مالك	١٦٨
• ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ	النواس بن سمعان	٥٣٦، ٦١٩
• ثُمَّ يَجِيءُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ		٦٣١
• ثُمَّ يَظْهَرُ فِيكُمْ دَاءٌ	عوف بن مالك	١٧٢
• ثُمَّ يَفْشُو فِيكُمُ الْمَالُ	عوف بن مالك	١٨٠
• خَبَّرَنِي بِهِنَّ آنِفًا جِبْرِيلُ	أنس	٥٧٨
• خُرُوجُ الآيَاتِ بعضها عَلَى إِثْرِ بَعْضٍ	أبو هريرة	٤٨٩، ٥٦٨
• خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ	أبو هريرة	٦٨
• دِرْهَمُ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ، أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً	عبد اللَّه بن حنظلة	٣٣٩
• رأيت اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إلى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ	سمرة بن جندب	٣٤٠
• رأيت عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ	ابن عباس	٦١٢
• رَأَيْتُهُ فَيْلَمَانِيًّا أَقْمَرَ هِجَانًا	ابن عباس	٥٠٦

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• رُدُّوا عَلَيَّ الْأَعْرَابِي		٦٤
• رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ		٦٤
• سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ	ابن مسعود	٣٣٣
• سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْخَزَائِنِ	أم سلمة	٣٣، ٢١٨
• سُبْحَانَ اللَّهِ، خَمْسٌ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ	ابن عباس	٨٣، ٢٤٧، ٢٥٦
• سِتٌّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ	معاذ بن جبل	١٦٦
• سَتَجِدُونَ أَثَرَةً شَدِيدَةً فَاصْبِرُوا	أنس	٢٢١
• سَتَخْرُجُ نَارٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ	ابن عمر	٥٧٧
• سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا	ذو مِخْبَر	٤٣٥
• سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ	أبو هريرة	٢١٧
• سَتَكُونُ مَعَادِنُ يُحْضِرُهَا شِرَارُ النَّاسِ		٣٧٥
• سَلُونِي؟ فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ؟	أبو هريرة	٢٤٠
• سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟	أبو هريرة	٤٤٤
• سَوْفَ يَظْهَرُ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّهَا، إِلَّا الْحَرَمَ وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ	سمرة بن جندب	٤٥٨
• سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ من أَنْهَارِ الْجَنَّةِ		٣٧٠
• سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُودًا مُجَنَّدَةً	العرباض بن سارية	٥٨٦
• سَيَعُوذُ بِهَذَا الْبَيْتِ قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ	حفصة	٤٢٦

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• سَيَكُونُ أَجْنَادٌ مُجَنَّدَةٌ شَامٌ وَيَمَنٌ وَعِرَاقٌ	عبد اللّٰه بن حوالة	٥٨٦
• سَيَكُونُ بَعْدِي خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ	أم سلمة	٥٦٧
• سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ شُرْطَةٌ	أبو أمامة	٣٠٩
• سَيَكُونُ في آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ ما لم تَسْمَعُوا	أبو هريرة	٩٦، ٢٣١
• سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُوجٍ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ	عبد اللّٰه بن عمرو	٣٠٧
• سَيَكُونُ فِي آخِرِ هَذِه الْأُمَّةِ رِجَالٌ يرَكَبونَ عَلَى المياثِرِ	عبد اللّٰه بن عمرو	٣٠٨
• سَيَكُونُ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ كَمَا تَأْكُلُ الْبَقَرُ مِنَ الأَرْضِ	سعد بن أبي وقاص	٣٦١
• سَيُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ	النواس بن سمعان	٥٦٢
• شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ	أبو هريرة	٢٧٢
• شَرُّ نِسائِكُمْ الْمُتَبَرِّجاتُ الْمُتَخَيِّلَاتُ وَهُنَّ الْمُنافِقاتُ		٣١٧
• شِرَارُ النَّاسِ الَّذِينَ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ أَحْيَاءً	ابن مسعود	٤٨٣
• شِرَارُ أُمَّتِي الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ		٣٦٢
• صَدَقَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ	أبو سعيد الخدري	٤٦٣
• صَلَاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الأُمَّةِ بِالزُّهْدِ وَاليَقِينَ	عبد اللّٰه بن عمرو	٢٧٢

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا	أبو هريرة	٣٠٧
• صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ: مِزْمَارٌ عِنْدَ نِعْمَةٍ	أنس	٣٠٣
• طُلُوعُ الشَّمْسِ من مَغْرِبِهَا	أبو سعيد	٦٣٦
• طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ المَسِيحِ	أبو هريرة	٥٩٩
• طُوبَى لِلشَّامِ	زيد بن ثابت	٥٨٨
• عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمَا اللَّهُ مِنْ النَّارِ	ثوبان	٦١٩
• عُقُوبَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ السَّيْفِ		٣٣٦
• عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ	حذيفة	٢٦٩
• عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ	أبو هريرة	٤٨١
• عَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ		٣٠٣
• عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا صَفْوَةُ بِلَادِ اللَّهِ	واثلة بن الأسقع	٥٨٧
• عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ	العرباض بن سارية	٢١٩
• عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ	معاذ بن جبل	٤٤٥، ٤٤٨، ٤٧٨، ٤٩٩
• غُلَامٌ شَدِيدٌ يَسْقِي أَهْلَهُ الْمَاءَ	عائشة	٤٠٦، ٤٩٧
• غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ	النواس بن سمعان	٥٥٧، ٦٠١
• فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الذي يَرَاهُ نَارًا	حذيفة	٥٤٢
• فإنه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ		٩٥
• فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً		٣٠٤

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ		٣٠٤
• فَإِنِّي سَأَصِفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصِفْهَا إِيَّاهُ نَبِيٌّ قَبْلِي	أبو أمامة	٢٣٠، ٥٠٣
• فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ	ابن عمر وسفينة	٤٥٦، ٥٤٨، ٦١٤
• فَبَيْنَمَا هو كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّه الْمَسِيحَ بن مَرْيَمَ	النواس بن سمعان	٥٤٧
• فَتَنْفِي الْخَبَثَ مِنْهَا كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ	أبو أمامة	٤٣٠
• فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ	النواس بن سمعان	٣٥، ٥٤٢
• فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ		٢٦٧
• فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَا تَكَادُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ		٣٩٣
• فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَظْهَرُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ عَلَى الْكَعْبَةِ	أبو هريرة	٤٧١
• فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ وَدَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ	حذيفة	٢٢٨
• فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ	عمران بن حصين	٣٠١، ٣٨٦
• فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ كَانُوا مِائَةً		٤٥٣
• فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ	النواس بن سمعان	٤٦٦
• فَيَكُونُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عليه السلام فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا		٤١٠

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• فَيَنْزِلَ عِيسَى عليه السلام فَيَقْتُلَهُ	عائشة	٦٣٢
• فِيهِنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكذْنَ يَذَرْنَ شَيْئًا	حذيفة	٤٢
• قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا	العرباض بن سارية	٢١٩
• قد رَأَيْتَهُ		٥٦٦
• قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ	أبو واقد الليثي	٢٦٢
• قُولُوا: اللَّهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ جَهَنَّمَ	ابن عباس	٥٣٧
• كَأَنِّي بِهِ أَسْوَدَ أَفْحَجَ يَقْلَعُهَا حَجَرًا حَجَرًا	ابن عباس	٤٧١
• كَذَبُوا، الآنَ جَاءَ الْقِتَالُ	سلمة بن نُفَيْل	٦٢٩
• كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ		٢٣٢
• كُلُّ الْمُسْلِمِ على الْمُسْلِمِ حَرَامٌ		٣٣٢
• كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا	أبو الدرداء	٣٢٤
• كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ	ابن عمر	٢٩٦
• كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى عَلَمِهَا وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ	عائشة	٢٥٤
• كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ؟	عبد اللَّه بن عمرو	٢٢٥
• كَيْفَ أَنْتَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِذَا بَقِيتَ	أبو هريرة	٢٢٦
• كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ	أبو هريرة	٢٧٩، ٤٢٩، ٤٣١، ٦٠٠
• كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ؟	عائشة	١١٣
• كَيْفَ فِي فِتْنَةٍ تَثُورُ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ	مرة البهزي	١٨٣
• لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ		٣٨

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ	زينب بنت جحش	٥٥٦
• لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ	أنس	٣٤٦
• لا تَتْرُكُ هَذِهِ الْأُمَّةُ شَيْئًا مِنْ سَنَنِ الأَوَّلِيْنَ حَتَّى تَأْتِيَهُ	المستورد بن شداد	٢٦٣
• لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حتى يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ له الْجَهْجَاهُ	أبو هريرة	٣٧٨
• لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلُكَعِ ابْنِ لُكَعٍ	أبو هريرة	٢٥٩
• لا تذهب الليالي والأيام حتى تعبد اللات والعزى		٤٨٦
• لَا تَذْهَبُ، أَوْ لَا تَنْقَضِي، الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ	ابن مسعود	٤١٦
• لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ	ابن عمر	٣٣٣
• لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا	ميمونة	٢٩١
• لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ	جابر بن عبد اللَّه	٤٣٠، ٦٠٠
• لَا تَـزَالُ عِصَـابَـةٌ من أُمَّـتِي يُقَـاتِـلُونَ على أَمْرِ اللَّهِ		٤٦٩
• لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُ لَكُمْ	أنس	٢١٦
• لَا تُغْزَى مَكَّةُ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ أَبَدًا		٤٧٤
• لَا تُغْزَى هذه بَعْدَ الْيَوْمِ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ		٤٧٤
• لَا تَغْلِبَنَّكُمُ الأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُم	ابن حرملة	١١٩

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ	المقداد بن عمرو الكندي	٣٣٠
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي	أبو هريرة	٢٦٢
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ	أبو هريرة	١٩٤
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا	سمرة	٤٠٣
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلَصَةِ		٤٨٤
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا	أبو هريرة	٦٣٦
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتَنُ	أبو هريرة	٢٠٧، ٢٦٦
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تُقَاتِلَكُمْ أُمَّةٌ	أبو هريرة	١٩٧
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ	أبو هريرة	١٩٦
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا وَكِرْمَانَ	أبو هريرة	١٩٩
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا صِغَارَ الْأَعْيُنِ	أبو سعيد الخدري	١٩٩
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ	أبو هريرة	٨٩، ١٨٩، ٢٤٨
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ	ثوبان	٢٢٧، ٤٨٥
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا	أبو سعيد الخدري	٤٢٨

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا	أبو هريرة	٤٧٦
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا تَنْطَحَ ذَاتُ قَرْنٍ جَمَّاءَ		٦٢٨
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ	أبو سعيد الخدري	٤٧٣
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهَ اللَّهَ		٤٨٣
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ		٤٨٣
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ شَرِيطَتَهُ	عبد اللَّه بن عمرو	٢٥٨، ٤٠٨
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ	أبو هريرة	٢٢٧
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ	أنس	٢٥١
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَسَافَدُوا فِي الطَّرِيقِ تَسَافُدَ الْحَمِيرِ	عبد اللَّه بن عمرو	٢٨٩ - ٢٩٠
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ	أبو هريرة	٣٥٥
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ	أبو هريرة	٣٧٠
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا دجالًا	أبو هريرة	٢٣١
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا	عبد اللَّه بن الزبير	٢٢٨
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ	أبو هريرة	٣٧٨

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ سَبْعُونَ كَذَّابًا	عبد اللَّه بن عمرو	٢٢٨
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ	سعد بن أبي وقاص	٣٦٠
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَكَّةَ	أبو هريرة	٢٣٤
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالتَّفَاحُشُ	عبد اللَّه بن عمرو	٢٦٨
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ التُّرْكَ	أبو هريرة	١١١، ١٩٧
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ	أبو هريرة	٤٥٥
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ	أبو هريرة	١٧٧، ٢٠٨، ٣٥٥، ٤٠٢
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَه	أبو موسى	٣٢٢
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ	أبو هريرة	١٧٥، ١٧٦، ٤٦٠
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ	أبو هريرة	٣٢٠
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ	أبو هريرة	١٧٤
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِالدُّنْيَا	حذيفة	٢٥٩
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ	أبو هريرة	٣٨٩
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمْطَرَ النَّاسُ مَطَرًا عَامًّا	أنس	٣٨٢

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُمْطَرَ النَّاسُ مَطَرًا	أبو هريرة	٣٨٢
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي	ابن مسعود	٤٢٨
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ	أبو هريرة	١٢٠، ٤٢٩، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٩٧، ٥٤٦، ٦٠٥
• لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فِي الأَرْضِ	أبو هريرة	٦٢٣
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ	أبو هريرة	٤١٠، ٦٠٠
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ على أَحَدٍ يقول اللَّه اللَّه		٢٧٨، ٤٨٣
• لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ		٤٨٣
• لَا تَنْتَهِي الْبُعُوثُ عَنْ غَزْوِ هَذَا الْبَيْتِ حَتَّى يُخْسَفَ بِجَيْشٍ مِنْهُمْ		٤٧٤
• لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا تُقُبِّلَتِ التَّوْبَةُ		٦٤١
• لَا نَبِيَّ بَعْدِي	.	٦٠٨، ٦٢١
• لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ		٤٧٥
• لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ		٣٩١
• لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ		٣٩٢
• لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ: الْإِيمَانُ، وَالشُّحُّ	أبو هريرة	٢٧٣

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا	أحد أصحاب رسول اللَّه ﷺ	٣٣٤، ٣٣٥
• لَا يَحُولَنَّ بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَهُوَ يَرَى بَابَهَا مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمٍ		٣٢٤
• لَا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتَّى يَذْهَلَ النَّاسُ		٣٦
• لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ، إِلَّا مَنْ كَانَ	عمارة بن خزيمة	٣١٧
• لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ	أبو بكرة	٤٨١، ٥٤٤
• لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حتى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى	عائشة	٤٦٧، ٤٨٥
• لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا	ابن عمر	٣٢٨
• لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا	أبو الدرداء	٣٢٨
• لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ		٤٦٨
• لَا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً	معاوية	٢٧١
• لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ	أبو هريرة	٢٩٦
• لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ	أبو هريرة	٣٣٤
• لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مع الدَّجَّالِ منه	النواس بن سمعان	٥١٤
• لَأَنَا لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ	حذيفة	٥٤١
• لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ	أبو سعيد الخدري	٢٦٢

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• لَتَخْرُجَنَّ فِتْنَةٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ	جبير بن نفير	١٨٢ - ١٨٣
• لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ	عائشة، أسماء	٣١٢، ٣١٣
• لَفِتْنَةُ بَعْضِكُمْ أَخْوَفُ عِنْدِي مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ	حذيفة	٥٤٠
• لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ الْقِدْرِ إِذَا غَلَيَتْ	المقداد بن الأسود	٢١٨
• لَقِيتُ عِيسَى رَبْعَةٌ أَحْمَرُ	أبو هريرة	٦١٢
• لَقِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِبْرَاهِيم	ابن مسعود	٦١، ٥٦٠، ٦٠٣
• لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ	أبو هريرة	٣٩٤
• لَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَيْفَيْنِ	عوف بن مالك	٤٤٢
• لَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ		٣٧٤
• لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ		٤٤٢
• لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا	أبو هريرة	٢٦١
• لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي		٦٢٦
• لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ، لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ	ابن مسعود	٤١٥ - ٤١٦
• لَيُؤُمَّنَّ هذا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ	حفصة	١١٤
• لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ	أبو هريرة	٣٤١
• لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ	أبو موسى	١٧٤، ١٧٧، ٤٥١

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ	أبو هريرة وأبو سعيد	٣١٠
• لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ	أبو ذر	٥٧٨
• لَيْتَ شِعْرِي، أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الأَدْبَبِ	ابن عباس	١١٣
• لَيُحَجَّنَّ الْبَيْتُ وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ	أبو سعيد الخدري	٤٧٣، ٦٣١
• لَيَحْمِلَنَّ شِرَارُ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ	شداد بن أوس	٢٦٣
• لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ	سهل بن سعد	٥٨٩
• لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ	أنس بن مالك	٤٧٨، ٤٨١، ٥٣٥، ٥٤٤
• لَيْسَتْ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا	أبو هريرة	٣٨٢
• لَيَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ	عبادة بن الصامت	٢٩٤
• لَيَسِيرَنَّ الرَّاكِبُ فِي جَنَبَاتِ الْمَدِينَةِ	عمر بن الخطاب	٤٧٩
• لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا	أبو مالك الأشعري	٣٠١، ٣٨٦
• لَيَغْشَيَنَّ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ	ابن عمر	٢٠٩
• لَيَفِرَّنَّ الناسُ من الدَّجَّالِ في الْجِبَالِ	أم شريك بنت أبي العكر	٤٠٧، ٥٣٦
• لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ	أبو مالك الأشعري	٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٨٥

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• لَيَنْزِلَنَّ الدَّجَّالُ بِخَوْزَ وَكَرْمَانَ	أبو هريرة	٥٢٠
• مَا أَتَانِي فِي صُورَةٍ إِلَّا عَرَفْتُهُ		٦٣
• مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا، إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ		٣٣٩
• مَا أَرَى لَوْ تَرَكْتُمُوه يَضُرُّهُ شَيْءٌ		٦٤
• مَا أَعْمَارُكُمْ فِي أَعْمَارِ مَنْ مَضَى	ابن عمر	٧٤، ١٣٨
• مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ	أبو هريرة	٦١، ٦٣، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٥٥
• مَا أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ الْمَسَاجِدِ	ابن عباس	٢٥١
• مَا أَنْتُمْ إِذَا مَرَجَ الدِّينُ، وَسُفِكَ الدَّمُ	ميمونة	٢٤٨
• مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ	هشام بن عامر	٤٩٣، ٥٠٤
• مَا تَدْخُلُونَ عَلَى قَوْمٍ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؟ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ		٤٣
• ما تَذَاكَرُونَ؟	حذيفة بن أسيد	٤٨٩، ٥٦٧، ٥٧٧، ٦٣٦، ٦٤٣
• مَا شُبِّهَ عَلَيَّ غَيْرَ هَذِهِ الْمَرَّةَ		٦٤
• مَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ	حذيفة	٤٩٣

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• مَا كَانَتْ فِتْنَةٌ، وَلَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَكْبَرَ	جابر	٤٩٣
• مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ	أنس بن مالك	٤٩٢، ٥٠٥
• مَا هَذَا يَا أَبَا رَافِعٍ؟	أبو رَافِعٍ	١١٨
• مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ؟	المغيرة بن شعبة	٥١٧، ٥٤٠
• مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا	عبد اللَّه بن عمرو	١٣٥، ٤٤٦
• مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ، فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ	أنس	٦٢٠
• مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَحُولَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمٍ	جندب بن عبد اللَّه	٣٢٤
• من أَشَارَ إلى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ فإن الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حتى يَدَعَهُ		٣٣٣
• مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ	أنس	٢٥١
• مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ	أنس	٢٧٤، ٢٨٨
• مِنْ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ تُرْفَعَ الأَشْرَارُ وتُوضَعَ الأَخْيَارُ		٢٥٩
• مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ أَنْ يُرَى الْهِلَالُ قَبَلًا فَيُقَالُ: لِلَيْلَتَيْنِ	أنس	٣٥٢، ٣٦٧
• مِنِ اقْتِرَابِ السَّاعَةِ انْتِفَاخُ الأَهِلَّةِ	ابن مسعود وأبو هريرة	٣٦٧

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ	أبو أمامة	٣٥٠
• مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ	أبو هريرة	٦٤٢
• مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ	المغيرة بن شعبة	٩٨
• من حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ من أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْف	أبو الدرداء	٥٤١
• مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالًا لَقِيَ اللَّهَ	ابن مسعود	٣٥٠
• مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ مَصْبُورَةٍ كَاذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ بِوَجْهِهِ	عمران بن حصين	٣٥٠
• مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا	ابن عمر	٣٣٣
• مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ مِنْهُ	عمران بن حصين	٥٤٣
• مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَةَ؟	أبو هريرة	٢٧٢
• مَنْ صَمَتَ نَجَا	عبد اللَّه بن عمرو	٢٢٣
• مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ مَاتَ مِيْتَةً جَاهِلِيَّةً		٣٠٣
• مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ	ابن عباس	٢٢٢
• مَنْ نَجَا مِنْ ثَلَاثٍ، فَقَدْ نَجَا	عبد اللَّه بن حَوَالَةَ	١٨٢، ٥٣٦
• مِنْ هَاهُنَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ	ابن عمر	٤٠٥
• مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكَدْنَ يَذَرْنَ شيئًا	حذيفة	٢١١
• مَوْتُ الْفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسَفٍ	عبيد بن خالد	٣٥٣
• نُزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ	ابن عباس	٥٩٢

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا	زيد بن ثابت	٥٤
• نِعْمَتِ الْأَرْضُ الْمَدِينَةُ	جابر بن عبد اللَّه	٤٧٧، ٥٢١، ٥٤٥
• هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَا هُنَا	ابن عمر	٢١٤
• هَاهُنَا تُحْشَرُونَ ثَلَاثًا	معاوية البهزي	٥٨٢
• هَذَا يَوْمَئِذٍ عَلَى الْهُدَى	كعب بن عجرة	١٨٢
• هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟	زيد بن ثابت	١٨١
• هُمْ أَشَدُّ أُمَّتِي عَلَى الدَّجَّالِ	أبو هريرة	٥٢١
• هِيَ فِتْنَةُ هَرَبٍ وَحَرَبٍ	ابن عمر	٢١٣، ٤٩٤
• وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ		٤٧٠
• وَالثَّانِيَةُ: فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ	عوف بن مالك	١٧٢
• وَالْخَامِسَةُ فِتْنَةٌ تَخْرُجُ بَيْنَكُمْ	عوف بن مالك	١٧٩
• وَالْخَامِسَةُ: فِتْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ	عوف بن مالك	١٧٩
• وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ لَيَنْزِلَنَّ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ	أبو هريرة	٥٩٧
• وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ	أبو هريرة	٢٧٠
• وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حتى يَأْتِيَ على الناس	أبو هريرة	٣٣٥
• والذي نفسي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ	أبو هريرة	٣٨٩

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَا يَخْرُجُ منهم أَحَدٌ رَغْبَةً عنها		٤٧٧
• وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَتْلُ مُؤْمِنٍ أَعْظَمُ	عبد اللَّه بن عمرو	٣٢٩
• وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُهِلَّنَّ ابن مَرْيَم بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ	أبو هريرة	٤٧٣، ٦٠٧
• وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ	أبو هريرة	١٧٦، ٥٩٦
• والذي نفسي بيده ما جاءني في صورة إلا وعرفته		٦٣
• وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا شُبِّهَ عَلَيَّ مُنْذُ أَتَانِي قَبْلَ مَرَّتِي هَذِهِ		٦٤
• وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَفْنَى هَذِهِ الأُمَّةُ حَتَّى يَقُومَ الرَّجُلُ إِلَى المَرْأَةِ	أبو هريرة	٢٩٠
• وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ	سهل بن سعد	٢٦٣
• وَاللَّهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلًا	أبو هريرة	٥٩٧
• وَأَمَّا مَسِيحُ الضَّلَالَةِ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ	أبو هريرة	٥٠٤
• وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ	حذيفة	٥٠٥
• وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٍ	أبو أمامة	٤٠٨، ٤٩٧
• وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا	أبو أمامة	٥١٥

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لأَعْرَابِيٍّ	أبو أمامة	٥٢٠
• وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الأَرْضِ إِلَّا وَطِئَهُ	أبو أمامة	٥٩٨
• وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ		٥٤٢
• وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ		١٠٤، ٦١١
• وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلَاثُونَ كَذَّابًا	سمرة	٢٣٠
• وَإِنَّهُ يُمْطِرُ السَّمَاءَ وَلَا تُنْبِتُ الأَرْضُ		٣٨٣
• وَدِدْتُ أَنَّ عِنْدِي بَعْضَ أَصْحَابِي	عائشة	١٨٥
• وَسَأُخْبِرُكَ عن أَشْرَاطِهَا	أبو هريرة	٢٤٦
• وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ	عدي بن حاتم	١٧٧
• ولا تَزَالُ عِصَابَةٌ من الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ على الْحَقِّ		٤٦٨
• وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ	ابن مسعود	٢٧٨، ٤٨٣
• وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا		٦٩
• وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ سِيَةَ قَوْسِهِ مِنَ الأَرْضِ		٤٥٠
• وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا		٢١٢
• وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟	أنس	٦٦
• وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ من كل حَدَبٍ يَنْسِلُونَ	أبو هريرة	٣٨٣

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ	النواس بن سمعان	٢٩٠
• وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ	بهز بن حكيم عن أبيه عن جده	٢٣٣
• وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ	أبو هريرة	٢١٠، ٢٢٤
• يَا ابْنَ حَوَالَةَ كَيْفَ تَفْعَلُ فِي فِتْنَةٍ تَخْرُجُ	ابن حوالة	١٨٣
• يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ	عبد اللَّه بن حوالة الأزدي	٤٠٣، ٤١٠، ٤٢٩
• يَا أَنَسُ، إِنَّ النَّاسَ يُمَصِّرُونَ أَمْصَارًا	أنس	٣٨٦، ٥٦٩
• يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ		٩٤
• يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَدِيثِ عَنِّي	أَبو قَتَادَةَ	٩٨
• يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّمَا أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ		١٦٢
• يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنَ الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ الْعِلْمُ	أبو أمامة	٢٧٦
• يَا عَائِشَةُ، قَوْمُكِ أَسْرَعُ أُمَّتِي بِي لَحَاقًا	عائشة	٤٠٦
• يَا عُثْمَانُ إِنَّ اللَّه مُقَمِّصُكَ قَمِيصًا	عائشة	١٨٦
• يَا عُثْمَانُ، إِنْ وَلَّاكَ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ يَوْمًا	عائشة	١٨٦
• يا عَدِيُّ هل رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟	عدي بن حاتِم	٢٣٤
• يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ	عبد اللَّه بن عمر	٢٩٠
• يَأْتِي الدَّجَّالُ وهو مُحَرَّمٌ عليه	أبو سعيد الخدري	٣٥، ٥١٥
• يَأْتِي الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ	أبو هريرة	٥٠٢، ٥٤٥

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• يَأْتِي الْمَسِيحُ من قِبَلِ الْمَشْرِقِ هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ	أبو هريرة	٤٨١، ٥٣٥
• يَأْتِي الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا رَأْسُهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ	ابن عباس	٣٢٦
• يَأْتِي سِبَاخَ الْمَدِينَةِ،	بعض أصحاب محمد ﷺ	٤٥٦، ٥٤٦، ٦٠٦، ٦١٧
• يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلَّا لَحِقَ بِالشَّام	عبد اللّه بن عمرو	٤٠٤
• يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَبَاهَوْنَ بِالْمَسَاجِدِ	أنس	٢٥١
• يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَمَنَّوْنَ فِيهِ الدَّجَّالَ	حذيفة	٣٩٠، ٤٩٦
• يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُغَرْبَلُونَ فِيهِ غَرْبَلَةً	عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده	٢٥٨
• يُبَايَعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَام	أبو هريرة	٤٢٥، ٤٧٢
• يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا	أنس بن مالك	٥٠١، ٥٢٠
• يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ على خَيْرِ ما كانت لَا يَغْشَاهَا إلا الْعَوَافِ	أبو هريرة	٤٧٨ - ٤٧٩
• يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ	أبو هريرة	٢٧٠، ٢٧٤، ٣٢٠
• يَجِيءُ الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا بِالْقَاتِلِ	ابن عباس	٣٢٥
• يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ	أبو هريرة	٥٨٠
• يُحْشَرُ الناس يوم الْقِيَامَةِ على أَرْضٍ بَيْضَاءَ	سهل بن سعد	٥٨٨
• يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ	أبو هريرة	٤٧١
• يَخْرُجُ الدَّجَّالُ في أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ	عبد اللّه بن عمرو	١٤٣، ٤٦٦، ٤٨٦، ٦٠٧

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي خَفْقَةٍ مِنَ الدِّينِ، وَإِدْبَارٍ مِنَ الْعِلْمِ	جابر	٣٦
• يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ من الْمُؤْمِنِينَ	أبو سعيد الخدري	٥١٦، ٥٣٩
• يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ	أنس بن مالك	٥٠٠، ٥١٩
• يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ	أبو سعيد الخدري	٣٨٣، ٤١٨
• يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ	علي	١٠٨
• يَخْرُجُ مِنْ عَدَنِ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا		٤٤٢
• يَدْرُسُ الإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ	حذيفة	٢٧٧
• يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ	عبادة بن الصامت	٢٩٤
• يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ	أم سلمة	٤٢٦
• يُفْتَحُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ	أبو سعيد الخدري	٥٥٩
• يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمُ ابْنُ خَلِيفَةٍ	ثوبان	٣٧١، ٤٢٢
• يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ	مُجَمِّع بن جارية الأنصاري	٥٤٨، ٦٠٦
• يَقُولُ اللَّهُ عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ	أبو سعيد الخدري	٥٥١
• يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ	أم سلمة	٤٢٤
• يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ وَلَا يَعُدُّهُ		٤١٩

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• يَكُونُ في آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ	أبو هريرة	٩٧، ٢٣١
• يَكُونُ في آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا		٤١٩
• يَكُونُ فِي آخِرِ هَـذِهِ الأُمَّـةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ	عائشة	٣٨٥
• يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ طَالَ عُمْرُهُ أَوْ قَصُرَ عُمْرُهُ	أبو سعيد الخدري	٤١٩
• يَكُونُ فِي أُمَّتِي أَوْ فِي هَـذِهِ الأُمَّـةِ مَسْخٌ، وَخَسْفٌ، وَقَذْفٌ	ابن عمر	٣٨٥
• يَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ	أبو أمامة	٣٠٩
• يَلِي أَمْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ فِي آخِرِ زَمَانِهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي		٤١٦
• يَنْزِلُ ابْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا عَادِلًا	أبو هريرة	٥٩٩
• يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّقَنَاةَ	ابن عمر	٤٥٧
• يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ	أبو هريرة	٥٩٧
• يَنْزِلُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي بِغَائِطٍ	أبو بكرة	١٩٧
• يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عن جَبَلٍ من ذَهَبٍ	أبي بن كعب	٣٧٠، ٣٧١
• يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ أَنْ تَرَى قَوْمًا	أبو هريرة	٣١٠
• يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ	أبو سعيد الخدري	٢١٧، ٤٠١
• يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ	أبو هريرة	٦٠٠

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
• يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ	معاذ بن جبل	١٧٧
• يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً	جابر	٨٥
• يَـوْمُ الْمَلْحَمَةِ الْكُبْرَى بِـأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا: الْغُوطَةُ	أبو الدرداء	٤٣٨، ٥٨٨

ثبت المصادر والمراجع

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، عبيد اللَّه بن بطة العكبري، تحقيق د. عثمان عبد اللَّه الأثيوبي، دار الراية، الرياض - السعودية، ط٢، ١٤١٨هـ.

٢. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٧٨م.

٣. إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، أحمد بن محمد بن الصديق الغماري، مطبعة الترقي، دمشق - سوريا، ١٣٤٧هـ.

٤. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود بن عبد اللَّه التويجري، دار الصميعي، الرياض - السعودية، ط٢، ١٤١٤هـ.

٥. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر البوصيري، دار الوطن، الرياض - السعودية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة - السعودية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧. أثر الإيمان باليوم الآخر من تفسير الطبري، د. سعود بن عبدالعزيز العقيل، دار ابن الجوزي، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ.

٨. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٩. **الآحاد والمثاني**، أحمد بن عمرو ابن أبي عاصم، تحقيق: د. باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، الرياض - السعودية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٠. **الأحاديث المختارة**، محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبدالملك بن عبد اللَّه بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة - السعودية، ط٣، ٢٠٠٠م.

١١. **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، تقي الدين ابن دقيق العيد، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٢. **إحكام الفصول في أحكام الأصول**، أبو الوليد سليمان الباجي، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٣. **أحكام أهل الذمة**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري، رمادي للنشر، الدمام - السعودية، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٤. **الإحكام في أصول الأحكام**، علي بن محمد الآمدي، تحقيق: عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ.

١٥. **أخبار الدجال**، عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي، تحقيق: قسم التحقيق بدار الصحابة للتراث، دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٦. **أخبار القضاة**، وكيع أبوبكر الضبي، تحقيق: عبدالعزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

١٧. **آداب الشافعي ومناقبه**، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، عبدالغني عبدالخالق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٨. **الآداب الشرعية**، عبد اللَّه محمد بن مفلح، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

١٩. **أدب الدنيا والدين**، أبو الحسن علي الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٠. **الأدب المفرد**، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الصديق، الجبيل - السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

٢١. **الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة**، صديق خان القنوجي، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ.

٢٢. **الأذكار**، أبو زكريا محيي الدين النووي، تحقيق: محيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق - سوريا، ط٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢٣. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٤. **الأسامي والكنى**، أبو أحمد الحاكم النيسابوري، تحقيق: يوسف بن محمد الدخيل، دار الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - السعودية، ط١، ١٩٩٤م.

٢٥. **الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار**، أبو عمر يوسف ابن عبدالبر، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، دار قتيبة، دمشق - سوريا، ودار الوعي، حلب - سوريا، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٦. **الاستقامة**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة النبوية - السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٧. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، أبو عمر يوسف ابن عبدالبر، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٨. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، عز الدين بن الأثير الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٩. **الإشاعة لأشراط الساعة**، محمد بن رسول البرزنجي، تحقيق: حسين محمد شكري، دار المنهاج، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٠. **أشراط الساعة الصغرى والكبرى**، د. عز الدين حسين الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣١. **أشراط الساعة الكبرى في ضوء القرآن الكريم**، د. فهد بن عبدالعزيز الفاضل، دار طيبة، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٢. **أشراط الساعة في مسند الإمام أحمد**، خالد بن ناصر الغامدي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٣. **أشراط الساعة وأسرارها**، محمد سلامة جبر، دار السلام، القاهرة - مصر، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٤. **أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار**، عبدالملك بن حبيب الأندلسي المالكي، تحقيق: عبد الله عبدالمؤمن الغماري الحسيني، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٣٥. **أشراط الساعة**، عبد الله بن سليمان الغفيلي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٦. **أشراط الساعة**، يوسف بن عبد الله الوابل، دار ابن الجوزي، الرياض - السعودية، ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٧. **الإشراف في منازل الأشراف**، أبو بكر عبد الله ابن أبي الدنيا، تحقيق: د. نجم عبدالرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٣٨. **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: ابن حسن الفيومي إبراهيم، المطبعة الشرفية، القاهرة - مصر، ١٣٢٧هـ.

٣٩. **أصول السنة**، ابن أبي زَمَنِين أبو عبد الله الأندلسي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية - السعودية، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٠. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة - السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.

٤١. **الاعتصام**، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٤٢. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبدالسلام ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٤٣. **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، عبدالحي بن فخر الدين الحسيني، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٤٤. **الأعلام**، خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م.

٤٥. **إغاثة اللّهفان من مصائد الشيطان**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

٤٦. **اقترب خروج المسيخ الدجال**، هشام كمال عبدالحميد، دار الكتاب العربي، دمشق - سوريا، ط١، ٢٠٠٦م.

٤٧. **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم**، القاضي عياض اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط٢، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٤٨. **الأم**، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبدالمطلب، دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط١، ٢٠٠١م.

٤٩. **الإمامة والرد على الرافضة**، الحافظ أبي نعيم الأصفهاني، تحقيق: د. علي بن محمد الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية - السعودية، ط٣، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٥٠. **الأمثال في الحديث النبوي**، أبو محمد بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد، الدار السلفية، بومباي - الهند، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٥١. **الأنساب**، أبو سعد عبد الكريم السمعاني، تحقيق: عبد اللَّه عمر البارودي، دار الجنان، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٢. **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، أبو بكر محمد الطيب الباقلاني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة - مصر، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥٣. **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب اللَّه عز وجل**، أبو بكر محمد الأنباري، تحقيق: محي الدين عبدالرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق - سوريا، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

٥٤. **البحور الزاخرة في علوم الآخرة**، محمد بن أحمد السفاريني، تحقيق: محمد إبراهيم شلبي، غراس للنشر والتوزيع، الخالدية - الكويت، ط١، ١٤٢٨ - ٢٠٠٧م.

٥٥. **البداية والنهاية**، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: د. عبد اللَّه عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الجيزة - مصر، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥٦. **البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير**، ابن الملقن سراج الدين المصري، تحقيق: مصطفى أبو الغيط - عبد اللَّه بن سليمان - ياسر بن كمال، دار الهجرة، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥٧. **بذل الماعون في فضل الطاعون**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: أحمد الكاتب، دار العاصمة، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١١هـ.

٥٨. **البرهان في علوم القرآن**، محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٩١هـ.

٥٩. **البعث والنشور**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٦٠. **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، أبو الوليد محمد ابن رشد القرطبي، تحقيق: د. محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦١. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت.

٦٢. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٣. **تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.

٦٤. **تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية)**، أبو زيد عمر بن شبه، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الفكر، قم - إيران، ط٢، ١٤١٠هـ.

٦٥. **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، أبو القاسم علي ابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٦٦. **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٧. **تحذير الخلان من فتنة آخر الزمان المسيح الدجال**، أبو أنس ماجد البنكاني، دار النفائس، عمَّان - الأردن، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٦٨. **تحذير ذوي الفطن من عبث الخائضين في أشراط الساعة والملاحم والفتن**، أبو عبد اللَّه أحمد ابن أبي العينين، مكتبة السلف الصالح، جدة - السعودية، ٢٠٠٣م.

٦٩. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، أبو العلاء محمد المباركفوري، تحقيق: عبدالوهاب بن عبداللطيف، المكتبة السلفية، المدينة المنورة - السعودية، ط٢، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

٧٠. **تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٧١. **التدوين في أخبار قزوين**، عبدالكريم بن محمد القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٨٧م.

٧٢. **تذكرة الحفاظ**، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٧٣. **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، دار المنهاج، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٥هـ.

٧٤. **التصريح بما تواتر في نزول المسيح**، محمد أنور شاه الكشميري، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب - سوريا، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٧٥. **تعظيم قدر الصلاة**، محمد بن نصر المروزي، تحقيق: د. عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة النبوية - السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ.

٧٦. **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبدالرحمن القزقي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ودار عمار، عمان - الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ.

٧٧. **تفسير البحر المحيط**، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٧٨. **تفسير القرآن الحكيم** (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٧٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد محمد - محمد السيد رشاد - محمد فضل العجماوي - علي أحمد عبدالباقي - سامي بن محمد سلامة، مؤسسة قرطبة ومكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة - مصر، ط١، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م. وتحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٨٠. تفسير القرآن، عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٨١. تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق - سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف ابن عبدالبر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي - محمد عبدالكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط - المغرب، ١٣٨٧هـ.

٨٣. التنوير شرح الجامع الصغير، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: د. محمد إسحاق إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ.

٨٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبدالرحمن المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٨٥. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري الهروي، الدار المصرية، مصر الجديدة - مصر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٦٨. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، عمر بن علي بن أحمد بن الملقن، تحقيق: مجموعة من المحققين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، ط١، ٢٠٠٩م.

٨٧. التوضيح لمبهمات الجامع الصحيح، أحمد سبط ابن العجمي، تحقيق: أشرف صلاح الدين أبو المنذر النقاش، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨٨. **الثابت والصحيح فيما ورد عن المهدي ونزول المسيح**، محمد بن رياض الأحمد، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٨٩. **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، ط١، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٩٠. **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. وتحقيق: د. عبد الله بن عبدالمحسن التركي، دار عالم الكتب، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٩١. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، أبو الفرج ابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الرياض - السعودية، ط٣، ١٤٢٢هـ.

٩٢. **جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن**، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: أ. د. عبدالملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة - السعودية، ط٣، ١٤٢٥هـ.

٩٣. **جامع بيان العلم وفضله**، أبو عمر يوسف ابن عبدالبر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٩٤. **الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ**، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، تحقيق: محمد أبو الأجفان - عثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، والمكتبة العتيقة، تونس، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٩٥. **الجامع في الأحكام**، عبد الله بن وهب المصري، تحقيق: رفعت فوزي عبدالمطلب - علي عبدالباسط مزيد، دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط١، ٢٠٠٥م.

٩٦. **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. عبد اللَّه بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٩٧. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ١٤٠٣هـ.

٩٨. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. علي بن حسن - د. عبدالعزيز العسكر - د. حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض - السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٩٩. **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٠٠. **الحاوي للفتاوي**، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

١٠١. **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**، أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض - السعودية، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٠٢. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد الأصفهاني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٠٣. **خدعة هرمجدون**، د. محمد بن أحمد المقدم، دار بلنسية، الإسكندرية - مصر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٠٤. **خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٠٥. **درء تعارض العقل والنقل**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - السعودية، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٠٦. **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، علماء نجد الأعلام، تحقيق: عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٠٧. **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٠٨. **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ودار الريان للتراث، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠٩. **ذكر أخبار أصبهان**، أبو نعيم أحمد الأصبهاني، مطبعة بريل، ليدن - هولندا، ١٩٣٤م.

١١٠. **ذم التأويل**، عبد اللّه ابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد اللّه البدر، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

١١١. **ذم الكلام وأهله**، أبو إسماعيل عبد اللّه الهروي، تحقيق: عبدالرحمن عبدالعزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية - السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١١٢. **الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي (عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر)**، عبدالمحسن بن حمد البدر، مطبوعة ضمن مجموعة كتب ورسائل الشيخ، المجلد الرابع، مؤسسة الريان ودار التوحيد للنشر، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ.

١١٣. **رسالة إلى أهل الثغر**، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق: عبد اللّه شاكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، دمشق - سوريا، ط١، ١٩٨٨م.

١١٤. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، أبو الفضل شهاب الدين الألوسي، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.

١١٥. **الروض المعطار في خبر الأقطار**، محمد بن عبدالمنعم الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٨٠م.

١١٦. **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١١٧. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١١٨. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١١٩. **الزهد ويليه الرقائق**، عبد الله بن المبارك، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٢٠. **الزهد**، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: عبدالعلي عبدالحميد حامد، دار الريان للتراث، القاهرة - مصر، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٢١. **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، أبو العباس ابن حجر الهيتمي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٢٢. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٢٣. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٢٤. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي، تحقيق: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٢٥. السنة، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٢٦. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي.

١٢٧. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزت الدعاسي - عادل السيد، دار الحديث، بيروت - لبنان، ط١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

١٢٨. سنن البيهقي الكبرى (السنن الكبرى)، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة - السعودية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١٢٩. سنن الترمذي (الجامع الكبير)، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٣٠. سنن الدارقطني وبذيله التعليق المغني على الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

١٣١. سنن الدارمي، عبد اللّه بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي - خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ.

١٣٢. السنن الكبرى، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: حسن عبدالمُنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٣٣. سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار المعرفة، ببيروت - لبنان، ط٥، ١٤٢٠هـ.

١٣٤. **السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها**، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: د. ضياء اللَّه بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٣٥. **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - ومجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٣٦. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبدالحي بن أحمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط - محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - سوريا، ١٤٠٦هـ.

١٣٧. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة**، أبو القاسم هبة اللَّه اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض - السعودية، ١٤٠٢هـ.

١٣٨. **شرح السنة**، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق - سوريا، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٣٩. **شرح العقيدة الطحاوية**، ابن أبي العز محمد بن علاء الدين الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.

١٤٠. **شرح العمدة في الفقه**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. سعود صالح العطيشان، مكتبة العبيكان، الرياض - السعودية، ١٤١٣هـ.

١٤١. **شرح صحيح البخاري**، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٤٢. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٤٣. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض - السعودية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٤٤. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبدالعلي عبدالحميد حامد - مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، والدار السلفية، بومباي - الهند، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٤٥. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض اليحصبي، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٤٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٤٧. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان أبو حاتم البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٤٨. صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

١٤٩. صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة، مصطفى أبو النصر الشلبي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط٢.

١٥٠. صحيح أشراط الساعة، عصام موسى هادي، دار ابن حزم، بيروت=لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٥١. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب - محمد فؤاد عبدالباقي - قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٥٢. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٥٣. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٥٤. صحيح الفتن وأشرط الساعة من الكتاب والسنة، أبو أنس صديق ولينكود، دار الأمانة، كيرالا - الهند، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٥٥. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٥٦. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٥٧. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٥٨. صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٩٥١. صحيح مسلم، مسلم بن الحَجَّاج القشَيري، دار الجيل، بيروت - لبنان، ودار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٦٠. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أبو العباس ابن حجر الهيتمي، تحقيق: عبدالرحمن بن عبد اللّٰه التركي - كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

١٦١. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل اللّٰه، دار العاصمة، الرياض - السعودية، ط٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

١٦٢. **الضعفاء الكبير**، أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠.

١٦٣. **ضعيف الترغيب والترهيب**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٦٤. **ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٦٥. **ضعيف سنن ابن ماجه**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٦٦. **ضعيف سنن أبي داود**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٦٧. **ضعيف سنن الترمذي**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٦٨. **ضعيف سنن النسائي**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٦٩. **الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن**، د. صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار الصميعي، الرياض - السعودية، ط٣، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٧٠. **طبقات الشافعية**، جمال الدين أبو محمد الأسنوي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٧١. **الطبقات الكبرى**، ابن سعد الزهري البصري، تحقيق: د. علي محمد عمير، مكتبة خانجي، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٧٢. **طرح التثريب في شرح التقريب**، أبو الفضل العراقي، تحقيق: عبدالقادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠م.

١٧٣. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: نايف أحمد الحمد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة - السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٧٤. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، عبدالرحمن ابن خلدون المغربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٤.

١٧٥. العرف الوردي في أخبار المهدي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، مطبوع ضمن كتاب الحاوي للفتاوي لمؤلفه السيوطي.

١٧٦. عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﭫ، ناصر بن علي حسن الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، ط٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٧٧. علامات الساعة الصغرى والكبرى، د. محسن البلتاجي، مؤسسة أم القرى، المنصورة - مصر، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م.

١٧٨. علل الدارقطني (العلل الواردة في الأحاديث النبوية)، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

١٧٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٨٠. عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي ﭑ، أمين محمد جمال الدين، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، ط٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٨١. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، القاضي أبو بكر العربي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

١٨٢. عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة - السعودية، ط٢، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١٨٣. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق: د. حسين محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة - مصر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٨٤. غريب الحديث، أبو محمد عبد اللَّه ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٨٥. غريب الحديث، أحمد بن محمد الخطابي، تحقيق: عبدالكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - السعودية، ١٤٠٢هـ.

١٨٦. غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: د. عبدالمعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٨٧. الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٨٨. الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

١٨٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٣٧٩هـ، وتحقيق: نظر بن محمد الفريابي، دار طيبة للنشر، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٩٠. فتح الباري، أبو الفرج ابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق بن عوض اللَّه بن محمد، دار ابن الجوزي، الدمام - السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ.

١٩١. فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق حسن خان، تحقيق: عبد اللَّه ابن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
١٩٢. الفتن، نعيم بن حماد المروزي، تحقيق: سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد، ١٤١٢هـ.
١٩٣. الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن، عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني، دار عالم الكتب، الرياض - السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٩٤. الفرج بعد الشدة، القاضي أبو علي التنوخي، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط٢، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٩٥. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٩٧٧م.
١٩٦. فصل المقال في رفع عيسى حيًّا وفي نزوله وقتله الدجال، محمد بن خليل هراس، دار الإمام أحمد، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
١٩٧. الفِصَل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصر - عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٩٨. فضائل الشام ودمشق، أبو الحسن علي بن محمد الربعي، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق - سوريا، ط١، ١٩٥٠م.
١٩٩. فقد جاء أشراطها، محمود عطية محمد علي، رمادي للنشر، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٢٠٠. فقه أشراط الساعة، محمد بن أحمد المقدم، الدار العالمية، الإسكندرية - مصر، ودار طيبة، الرياض - السعودية، ط٤، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٠١. الفقيه والمتفقه، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، الرياض - السعودية، ١٤٢١هـ.

٢٠٢. **الفوائد**، تمام بن محمد الرازي، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٠٣. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، محمد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٠٤. **القاديانية دراسات وتحليل**، إحسان إلهي ظهير، دار الإمام المجدد، القاهرة - مصر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٠٥. **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٢٠٦. **قصة المسيح الدجال ونزول عيسى** عليه السلام، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمَّان - الأردن، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٠٧. **القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة**، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، أضواء السلف، الرياض - السعودية، تحقيق: محمد عبدالوهاب العقيل، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٠٨. **القول المختصر في أشراط الساعة والمهدي المنتظر**، أيمن حتمل، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

٢٠٩. **القيامة الصغرى على الأبواب**، أ.د فاروق أحمد الدسوقي، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢١٠. **الكامل في ضعفاء الرجال**، عبد اللَّه بن عدي الجرجاني، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢١١. **الكبائر**، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محيي الدين مستو، دار التراث، المدينة النبوية - السعودية، ط٤، ١٩٩٨م.

٢١٢. **كتاب العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د مهدي المخزومي - د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢١٣. **كتاب المجروحين من المحدثين**، أبو حاتم محمد بن حبان، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض - السعودية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٢١٤. **كتاب المعجم**، أحمد بن محمد ابن الأعرابي، تحقيق: عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار ابن الجوزي، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٨هـ١٩٩٧م.

٢١٥. **كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢١٦. **كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام**، عبدالعزيز بن أحمد البزدوي، تحقيق: عبد اللّٰه محمود محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢١٧. **كشف الخفاء**، إسماعيل بن محمد العجلوني دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٣، ١٩٨٨م - ١٤٠٨هـ.

٢١٨. **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، أبو الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض - السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢١٩. **كشف المنن في علامات الساعة والملاحم والفتن**، محمود رجب حمادي الوليد، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ومكتبة عباد الرحمن، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٢٠. **الكفاية في معرفة أصول علم الرواية**، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبد اللّٰه السورقي - إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة النبوية - السعودية.

٢٢١. **الكنى والأسماء**، محمد بن أحمد الدولابي، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٢٢. **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (شرح الكرماني على البخاري)**، محمد بن يوسف الكرماني شمس الدين، تحقيق: محمد محمد عبد اللطيف، المطبعة البهية المصرية، تصوير دار إحياء التراث العربي، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

٢٢٣. **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن منظور، تحقيق: عبد اللّٰه علي الكبير - محمد أحمد حسب اللّٰه - هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة - مصر.

٢٢٤. **لسان الميزان**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٢٥. **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، أبو الفرج ابن رجب الحنبلي، الناشر: دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٢٢٦. **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**، عبد اللّٰه ابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد اللّٰه البدر، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٢٧. **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، بيروت=لبنان، ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٢٨. **المجالسة وجواهر العلم**، أحمد بن مروان الدينوري، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ.

٢٢٩. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٣٠. **مجموع الرسائل والمسائل**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٣١. **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط٣، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٢٣٢. **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين**، فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن ودار الثريا، الرياض - السعودية، ١٤١٣هـ.

٢٣٣. **المحرر الوجيز**، أبو بكر غالب بن عبدالرحمن ابن عطية، تحقيق: الرحالي الفاروق - عبد اللَّه الأنصاري، حكومة قطر.

٢٣٤. **المحلى شرح المجلى**، علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة - مصر، ط١، ١٣٤٧هـ.

٢٣٥. **مختصر إظهار الحق**، رحمة اللَّه الكيرانوي الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٣٦. **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي، أضواء السلف، الرياض - السعودية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٢٣٧. **المدخل إلى السنن الكبرى**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء، الكويت، ١٤٠٤هـ.

٢٣٨. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٢٣٩. **مسائل في الفتن**، فيصل بن حيان آل صبحان، مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٢٤٠. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه الحاكم، تحقيق: عبدالسلام بن محمد علوش، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢٤١. المستدرك على مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٤٢. مسند ابن الجعد، علي بن الجعد الجوهري، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت - لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٤٣. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: د. محمد بن عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٤٤. مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق - سوريا، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢٤٥. مسند إسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم ابن راهويه، تحقيق: د. عبدالغفور بن عبدالحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة - ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢٤٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد اللَّه أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م. وتحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، ١٣٦٩هـ.

٢٤٧. مسند البزار (البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين اللَّه - عادل بن سعد - صبري عبدالخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية - السعودية، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٤٨. مسند الحميدي، عبد اللَّه بن الزبير الحميدي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ومكتبة المتنبي، القاهرة - مصر.

٢٤٩. مسند الروياني، محمد بن هارون الروياني، تحقيق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة - مصر، ١٤١٦هـ.

٢٥٠. **مسند الشاشي**، أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين اللَّه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية - السعودية، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٥١. **مسند الشاميين**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٢٥٢. **مسند الشهاب**، محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٥٣. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، القاضي عياض اليحصبي، المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، القاهرة - مصر.

٢٥٤. **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبد اللَّه الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٥٥. **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، أحمد بن أبي بكر الكناني، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ.

٢٥٦. **المصنف**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٢٥٧. **المصنف**، أبو بكر عبد اللَّه ابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، جدة - السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢٥٨. **مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية**، أبو الفيض أحمد ابن الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، القاهرة - مصر، ط٦، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٢٥٩. **معالم السنن (شرح سنن أبي داود)**، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٦٠. **معالم في أوقات الفتن والنوازل**، عبدالعزيز بن محمد السدحان.

٢٦١. **معالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث**، عبد اللَّه بن صالح العجيري.

٢٦٢. **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض اللَّه بن محمد - عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة - مصر، ١٤١٥هـ.

٢٦٣. **المعجم الصغير**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور أمرير، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ودار عمار، عمَّان - الأردن، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٦٤. **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

٢٦٥. **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبدالقادر - محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، الإسكندرية - مصر.

٢٦٦. **معرفة الصحابة**، أبو نعيم أحمد بن عبد اللَّه الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٦٧. **معرفة الصحابة**، محمد بن إسحاق ابن منده، تحقيق: أ.د. عامر حسن صبري، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين - الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٦٨. **المغرب في ترتيب المعرب**، أبو الفتح ناصر الدين المطرزي، تحقيق: محمود فاخوري - عبدالحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب - سوريا، ط١، ١٩٧٩م.

٢٦٩. **مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)**، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٧٠. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٧١. **مفردات ألفاظ القرآن**، الراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار القلم، دمشق - سوريا.

٢٧٢. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق - سوريا، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٧٣. **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٧٤. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٣.

٢٧٥. **مكارم الأخلاق**، محمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق: د. سعاد سليمان الخندقاوي، مطبعة المدني، القاهرة - مصر، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٧٦. **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ.

٢٧٧. **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**، محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: يحيى بن عبد اللّه الثمالي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة - السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ.

٢٧٨. **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، عبد بن حميد الكِسِّي، تحقيق: صبحي السامرائي - محمود خليل، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٧٩. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض - السعودية، ط٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٨٠. **المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج**، أبو زكريا محيي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٣٩٢هـ.

٢٨١. **المنهج الشرعي في مواجهة الفتن**، مرفت بنت كامل أسرة، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٨٢. **المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة**، د. عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٨٣. **المهدي دولة الإسلام القادمة والخلافة الأخيرة على منهاج النبوة**، عادل زكي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ٢٠١١م.

٢٨٤. **المهدي وفقه أشراط الساعة**، د. محمد بن أحمد المقدم، دار بلنسية، الرياض - السعودية، والدار العالمية، الإسكندرية - مصر، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٨٥. **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)**، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد زينهم - مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، ط١، ١٩٩٨م.

٢٨٦. **الموافقات في أصول الفقه**، إبراهيم بن موسى اللخمي، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الخبر - السعودية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٨٧. **موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر**، حمدي عبد المجيد السلفي، وصبحي السيد جاسم، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٨٨. **موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة**، همام عبدالرحيم سعيد - محمد همام عبدالرحيم، مكتبة الكوثر، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ.

٢٨٩. **الموضح لأوهام الجمع والتفريق**، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٩٠. **الموطأ**، مالك بن أنس، تحقيق: محمد الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٩١. **موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة**، حسين بن محسن الحازمي، أضواء السلف، الرياض - السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٩٢. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٥م.
٢٩٣. **نبوءات النبي ﷺ في فتن آخر الزمان والرد على كتاب هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام**، محمد بيومي، دار الهدى، الدقهلية - مصر، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٩٤. **نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة**، محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، الفجالة - مصر، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٩٥. **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، محمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب السلفية، القاهرة - مصر، ط٢.
٢٩٦. **نهاية التاريخ**، تركي بن عيسى العبدلي، غراس للنشر والتوزيع، الخالدية - الكويت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٢٩٧. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٩٨. **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية - السعودية.
٢٩٩. **هدي الساري مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي - محب الدين الخطيب، ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م.
٣٠٠. **هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام**، أمين محمد جمال الدين، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر.

٣٠١. الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٠٢. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٣٠٣. يأجوج ومأجوج فتنة الماضي والحاضر والمستقبل، د. الشفيع الماحي أحمد، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٠٤. اليوم الآخر، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، عمّان - الأردن، ط١٤، ١٢٤٧هـ - ٢٠٠٧م.

فهرس محتويات البحث

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
خطبة البحث	٥
أهمية الموضوع وأسباب اختياره	٦
أهداف البحث	٨
الدراسات السابقة	٨
إشكالات البحث	٩
منهج البحث	٩
خطة البحث	١٢
شكر وتقدير	١٨
الباب التمهيدي	٢١
الفصل الأول: مقدمات في علم الساعة	٢٣
المبحث الأول: أهمية الإيمان بأشراط الساعة وثمرات ذلك	٢٤
المطلب الأول: أهمية الإيمان بأشراط الساعة	٢٥
المطلب الثاني: ثمرات الإيمان بأشراط الساعة	٢٨
المبحث الثاني: إخبار النبي ﷺ عن الغيوب المستقبلية	٤١
المبحث الثالث: وجوب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ	٤٧

الموضوع	الصفحة
أدلة القرآن على وجوب العمل بخبر الواحد العدل	٥٢
أدلة السنة على وجوب العمل بخبر الواحد العدل	٥٤
المبحث الرابع: علم الساعة	٥٩
الحِكم من إخفاء اللَّه تعالى علم الساعة عن الخلق	٦٩
المبحث الخامس: قرب الساعة	٧١
الآيات الدالة على قرب الساعة	٧١
الأحاديث الدالة على قرب الساعة	٧٢
الفصل الثاني: مقدمات في أشراط الساعة	٧٩
المبحث الأول: تعريف أشراط الساعة	٨٠
معنى الأشراط	٨٠
ذكر الأشراط في القرآن والسنة	٨٢
معنى الساعة	٨٤
المبحث الثاني: أقسام أشراط الساعة	٨٧
المبحث الثالث: الضوابط الشرعية في التعامل مع نصوص الفتن وأشراط الساعة وتنزيلها على الوقائع	٩٣
١ - الاقتصار على النصوص الشرعية في الاستدلال	٩٣
٢ - التحقق من ثبوت النص	٩٧
٣ - التحقق من معنى النص	١٠١
٤ - الأصل حمل النص على ظاهره	١٠٣
٥ - أن يكون تنزيل النص على الواقعة عاريًا عن التكلف	١٠٤

الموضوع	الصفحة
٦ - التحقق من طبيعة الواقع	١٠٧
٧ - النظر في استكمال الواقعة للأوصاف الواردة في النص	١١٠
٨ - التفريق بين الصفات المشتركة والصفات الخاصة	١١٥
٩ - أن يكون النص حكمًا على الواقع لا العكس	١١٦
١٠ - مراعاة ألفاظ الشريعة	١١٨
١١ - التأني في الحكم والتنزيل	١٢١
١٢ - الرجوع إلى العلماء قبل الحكم	١٢٥
١٣ - التجرد في البحث والخروج عن الهوى	١٢٦
١٤ - عدم محاكمة نصوص المستقبل للواقع الحالي	١٢٨
١٥ - الحذر من محاولة افتعال واقع يمكن أن تنزل عليه النصوص	١٣٠
١٦ - لا تسقط النصوص التي يطرقها الاحتمال على واقع معين إلا بعد وقوعها وانقضائها	١٣١
١٧ - مراعاة الترتيب الزمني للأشراط كما دلت عليه النصوص وعدم القطع بزمان أو ترتيب لا دليل عليه	١٣٢
١٨ - عدم تحديد تواريخ وأوقات معينة لوقوع الفتنة أو الملحمة أو الشرط	١٣٥
١٩ - عدم استحداث صفات لم ترد في النصوص الشرعية	١٣٦
٢٠ - الانتباه إلى النسبة الزمانية عند الكلام على اقتراب الساعة وأشراطها	١٣٨
٢١ - حدثوا الناس بما يعقلون	١٣٩
الباب الأول: أشراط الساعة الصغرى	١٤٥
الفصل الأول: الأشراط الصغرى التي ظهرت وانقضت	١٤٧

الموضوع | الصفحة

المبحث الأول: بعثة النبي ﷺ........................ ١٤٨
المبحث الثاني: انشقاق القمر ١٥٢
المبحث الثالث: موت النبي ﷺ........................ ١٦١
المبحث الرابع: فتح بيت المقدس........................ ١٦٦
المبحث الخامس: طاعون عَمَواس........................ ١٦٨
المبحث السادس: استفاضة المال في زمن الصحابة ﷺ ١٧٢
المبحث السابع: الفتنة التي دخلت كل بيت........................ ١٧٩
المبحث الثامن: اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين........................ ١٨٩
المبحث التاسع: ظهور نار الحجاز ١٩٤
المبحث العاشر: قتال الترك والعجم ومن ينتعلون الشعر........................ ١٩٦
الفصل الثاني: **الأشراط الصغرى التي ظهرت مباديها ولم تنقض بعد**........ ٢٠٥
المبحث الأول: ظهور الفتن........................ ٢٠٧
١ - التعوذ باللّه منها ٢١٦
٢ - اجتنابها بترك التحرك فيها أو الفرار منها أو لزوم البيوت ٢١٦
٣ - الاجتهاد في العبادة عند ظهور الفتن ٢١٨
٤ - التمسك بالسنة ولزوم الجماعة والسمع والطاعة ٢١٩
٥ - الصبر على كل الأحوال ٢٢١
٦ - كف اللسان واليد وترك السلاح عند الفتن ٢٢٣
٧ - الهجرة إلى الشام في آخر الزمان........................ ٢٢٥
٨ - لزوم المعلوم من الدين والاهتمام بخاصة النفس ٢٢٥

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: ظهور مدعي النبوة والكذب على رسول الله ﷺ	٢٢٧
المبحث الثالث: انتشار الأمن	٢٣٤
المبحث الرابع: التحية على المعرفة	٢٣٨
المبحث الخامس: ولادة الأمة ربها أو ربتها	٢٤٠
المبحث السادس: التطاول في البنيان	٢٤٦
المبحث السابع: زخرفة المساجد وتزيينها والتفاخر بها	٢٥١
المبحث الثامن: الرئاسة والمكانة في الأعراب والبدو وأهل الجهل	٢٥٥
المبحث التاسع: ذهاب الصالحين وقلتهم، وكثرة الأشرار وتسلطهم وارتفاع الأسافل	٢٥٨
المبحث العاشر: اتباع سنن الأمم الماضية	٢٦٢
المبحث الحادي عشر: كثرة التجارة وفشوها وتقارب الأسواق	٢٦٦
المبحث الثاني عشر: ظهور الفحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة، والتناكر بين الناس	٢٦٨
المبحث الثالث عشر: كثرة الشح	٢٧٠
المبحث الرابع عشر: رفع العلم وظهور الجهل	٢٧٤
المبحث الخامس عشر: التماس العلم عند الأصاغر	٢٨١
المبحث السادس عشر: كثرة الكتابة وانتشارها	٢٨٦
المبحث السابع عشر: ظهور الزنا وانتشاره	٢٨٨
المبحث الثامن عشر: كثرة شرب الخمر	٢٩٣
المبحث التاسع عشر: ظهور المعازف واستحلالها	٢٩٩

الموضوع	الصفحة
المبحث العشرون: ظهور الكاسيات العاريات	٣٠٧
المبحث الحادي والعشرون: كثرة القتل	٣٢٠
المبحث الثاني والعشرون: ظهور الربا	٣٣٨
المبحث الثالث والعشرون: ضياع الأمانة ورفعها	٣٤٢
المبحث الرابع والعشرون: كثرة شهادة الزور، وكتمان شهادة الحق	٣٤٨
المبحث الخامس والعشرون: ظهور موت الفجأة	٣٥٢
المبحث السادس والعشرون: تقارب الزمان	٣٥٥
المبحث السابع والعشرون: التشدق في الكلام، والتكسب باللسان	٣٦٠
الفصل الثالث: الأشراط الصغرى التي لم تظهر بعد	٣٦٥
المبحث الأول: انتفاخ الأهلة	٣٦٧
المبحث الثاني: حسر الفرات عن جبل من ذهب	٣٧٠
المبحث الثالث: خروج القحطاني والجهجاه	٣٧٨
المبحث الرابع: كثرة المطر وقلة النبات	٣٨٢
المبحث الخامس: ظهور الخسف والمسخ والقذف في هذه الأمة	٣٨٥
المبحث السادس: تمني الموت من شدة البلاء والفتن	٣٨٩
المبحث السابع: صدق رؤيا المؤمن	٣٩٣
المبحث الثامن: كثرة الزلازل والموت	٤٠٢
المبحث التاسع: خروج المهدي ونزول الخلافة بالشام	٤٠٩
المبحث العاشر: كثرة الروم وقتالهم المسلمين (الملحمة الكبرى)	٤٣٤
المبحث الحادي عشر: فتح القسطنطينية ورومية	٤٤٤

الموضوع	الصفحة

المبحث الثاني عشر: كثرة النساء وقلة الرجال ٤٥١
المبحث الثالث عشر: قتال اليهود واستئصالهم ٤٥٥
المبحث الرابع عشر: عود أرض العرب مروجًا وأنهارًا ٤٦٠
المبحث الخامس عشر: كلام الجمادات والدواب ٤٦٣
المبحث السادس عشر: الريح التي تقبض أرواح المؤمنين ٤٦٦
المبحث السابع عشر: هدم الحبشة للكعبة في آخر الزمان ٤٧١
المبحث الثامن عشر: نفي المدينة لشرارها ثم خرابها آخر الزمان ٤٧٦
المبحث التاسع عشر: عودة الشرك إلى الأرض ٤٨٣
الباب الثاني: أشراط الساعة الكبرى ٤٨٧
تمهيد ٤٨٩
الفصل الأول: الأشراط الكبرى الأرضية ٤٩١
المبحث الأول: خروج المسيح الدجال - عليه لعنة اللَّه - ٤٩٢
١ - الاستعاذة باللَّه من فتنته ٥٣٦
٢ - تعلم العلم ٥٣٨
٣ - المحافظة على الإيمان ٥٤٠
٤ - اجتناب الفتن التي قبله ٥٤١
٥ - حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف أو آخرها ٥٤١
٦ - الشرب من نهره الذي يُرى أنه نار لمن ابتلي به وأدركه ٥٤٢
٧ - الابتعاد عن الدجال والفرار منه ٥٤٣
٨ - سكنى المدينة النبوية ومكة شرفهما اللَّه تعالى ٥٤٤

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: خروج يأجوج ومأجوج	٥٥١
المبحث الثالث: الخسوفات الثلاثة	٥٦٧
المبحث الرابع: خروج الدابة	٥٧١
المبحث الخامس: النار التي تحشر الناس	٥٧٧
الفصل الثاني: الأشراط الكبرى السماوية	٥٩١
المبحث الأول: نزول المسيح عيسى بنُ مريم عليه السلام	٥٩٢
المبحث الثاني: طلوع الشمس من مغربها	٦٣٥
المبحث الثالث: الدخان	٦٤٣
الخاتمة	٦٤٩
الفهارس	٦٥٥
- فهرس الآيات القرآنية	٦٥٧
- فهرس أطراف الأحاديث النبوية والآثار	٦٧٣
- ثبت المصادر والمراجع	٧٢١
- فهرس محتويات البحث	٧٥٣